صحيح

تاريخ الطبري

الخلافة الراشدة

للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري

(٢٢٤ - ٣١٠ هـ)

حققه وخرج رواياته وعلق عليه

محمد بن طاهر البرزنجي

بإشراف ومراجعة المحقق

محمد صبحي حسن حلاق

وبإشراف عام من الدكتور

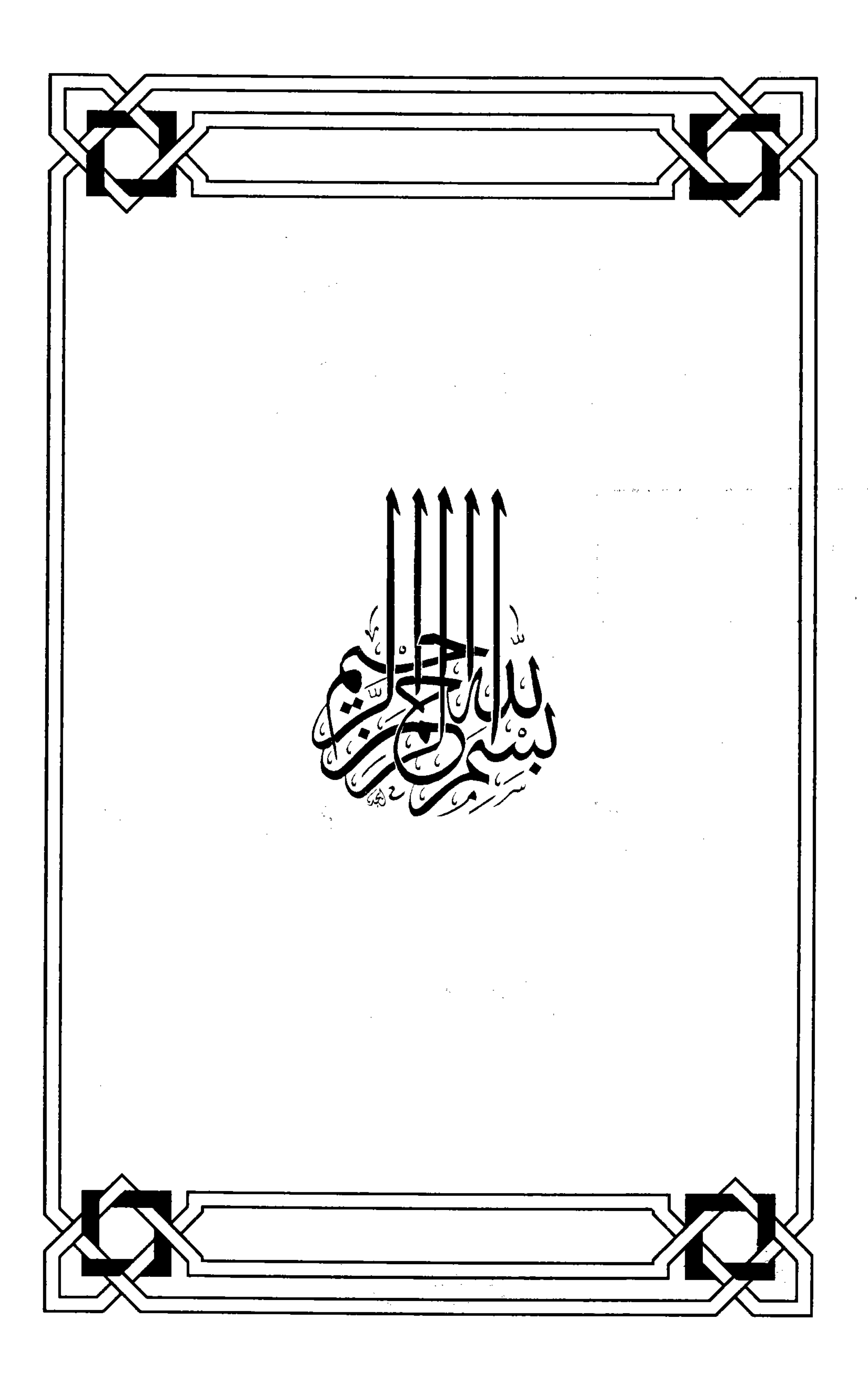
الشيخ يحيى ابراهيم اليحيى

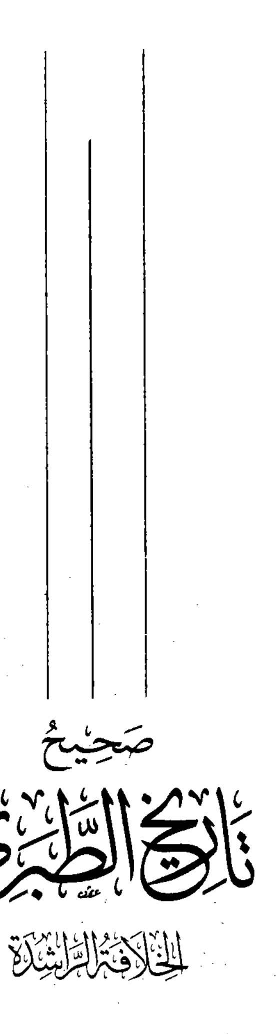
فيما يتعلق بمرويات أبي مخنف

المجلد الثالث

دار ابن كثير

دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم



صحيح

تاريخ الطبري

الخلافة الراشدة



الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2007 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع
و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : تاريخ

العنوان : صحيح و ضعيف تاريخ الطبري 10\1

التأليف : الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

نوع الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 5616

القياس : 17×24

نوع التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 10 كغ

التنفيذ الطباعي : مطابع المستقبل

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد



دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

(مقدمة في منهج تحقيقنا لتأريخ الطبري فيما يتعلق بعهد الخلفاء الراشدين)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن تأريخ الإمام الطبري فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين من أوسع المصادر التأريخية المتقدمة وأكثرها اعتناءً بالإسناد إلا أن الطبري رحمه الله اعتمد [في تأريخ حروب الردة وفتوح الشام والعراق ومجريات الأحداث في هذا العهد على مرويات سيف ابن عمر التيمي وبكثرة، وكذلك اعتمد مرويات أبي مخنف، ومعلوم أن أئمة الجرح والتعديل أجمعوا على تضعيف أبي مخنف فقال ابن حبان: رافضي يشتم الصحابة ويروي بالموضوعات عن الثقات (لسان الميزان ٤/ ٣٦٦).

وقال ابن عدي: حدث بأخبار من تقدم من السلف الصالحين ولا يبعد منه أن يتناولهم وهو شيعي محترف صاحب أخبارهم (الكامل ٦/ ٢١١٠).

وقال ابن معين: ليس بشيء (تأريخ ابن معين ٢/ ٥٠٠) وعقب ابن عدي قائلاً: (وهذا الذي قاله ابن معين يوافقه عليه الأئمة) (الكامل الموضع السابق).

وقال أبو حاتم: متروك الحديث (الجرح والتعديل ٧/ ١٨٢). ورأي ابن حجر فيه هو ما ذكره في لسان الميزان (٤/ ٤٩٢) لوط بن يحيىٰ - أبو مخنف - أخباري تالف لا يوثق به. تركه أبو حاتم وغيره. اهـ.

قلنا: ولذلك وضعنا معظم روايات أبي مخنف في قسم الضعيف، وبيّنا ما في متونها من نكارة، ولم نجد له إلا روايات قليلة جداً توافق ما رواه الثقات. ولم

نُطِل كثيراً في نقد رواياته فقد كفانا الأستاذ يحيى اليحى ذلك في كتابه القيم (مرويات أبي مخنف في تأريخ الطبري ـ عصر الخلافة الراشدة ـ دراسة نقدية).

أما بالنسبة لروايات سيف بن عمر التميمي وهي الأكثر وروداً في عهد أبي بكر الصديق عند الطبري؛ فقد وضعنا منهجاً نرجوا أن قد التزمنا به في تحقيقنا هذا. وقبل ذكر شروطنا في التفاصيل مع مرويات سيف لا بد أن نذكر أقوال العلماء فيه ولو باختصار. أما بالنسبة للحديث؛ فهو ضعيف عند جمهور النقاد.

قال الدارقطني: ضعيف (التهذيب ٤/ ٢٩٦).

وقال النسائي: ضعيف (الضعفاء والمتروكين/ ٥١).

وقال العقيلي: ولا يتابع عليه، ولا على كثير من حديثه (الضعفاء الكبير ٢/ ١٧٥).

وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة، وكان يضع الحديث (المجروحين ١/ ٣٤٥). قلنا: وهذا زيادة في الجرح في ابن حبان وهو معروف بتساهله في التوثيق وتشدده في الجرح ولذلك قال الحافظ في التقريب (١/ ٢٦٢): أفحش ابن حبان القول فيه.

أما بالنسبة للروايات التأريخية؛ فقد قال ابن حجر في التقريب: (عمدة في التأريخ). وقال الذهبي: كان أخبارياً عارفاً (الميزان ٢/ ٢٥٥). ولذلك قال عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرىٰ (قسم التأريخ الإسلامي) د. خالد الغيب: ينقسم الحديث عن درجة سيف العلمية إلى قسمين:

الأول: يتعلق بسيف المحدث.

والثانيك يتعلق بسيف الأخباري (استشهاد عثمان وموقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تأريخ الطبري ـ دراسة نقدية ٢٨). ويرىٰ المؤرخ الإسلامي المعاصر الأستاذ العمري: أن سيفاً هذا ضعيف جداً في التأريخ.

قلنا: من أجل ما سبق وضعنا بعضاً من روايات سيف في قسم الصحيح بالشروط التالية:

١ ـ بعد أن وجدنا لهما أصلاً صحيحاً ابتداءً بالبخاري ومروراً ببقية كتب الحديث ـ وانتهاءً بالمصادر التأريخية الموثوقة.

٢ ـ بعد أن تأكدنا من خلوّ تلك الروايات ممَّا يتعلق بالمسائل العقيدية ، والحلال ، والحرام.

٣ ـ بعد أن تأكدنا من خلوّ هذه الروايات من طعن في عدالة الصحابة ، أو غمز ولمز بهم ، وبتعاملهم مع بعضهم البعض.

٤ ـ بعد أن تأكدنا من خلو هذه الروايات من الانحياز إلى اتجاه سياسي معروف في عهد الخلفاء الراشدين.

أما بقية الروايات (وهي الأكثر) فقد وضعناها في الضعيف وبيَّنا ما فيها من نكارة ، أو غرابة. ولقد أسهب الدكتور خالد الغيث في تقييمه لروايات سيف في رسالته الجامعية فلا نريد أن نذكر تفاصيل ذلك إلاَّ أنَّا نضيف معلقة صغيرة فيما يتعلق بالطعون الواردة في روايات سيف ونفي (الطعن في عدالة الصحابة) وهو أن البلاء ليس من سيف فحسب، وإنما أكثر البلاء من تلميذه وراويته شعيب، وأغلب الروايات من طريقه ، فهو المعروف بتحامله على الصحابة (ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار وفيها بعض النكارة وفيها تحامل على السلف / اللسان ٣/ ١٤٥).

واعتبرنا هذه الطريق (طريق شعيب عن سيف) أشد مرويات سيف ضعفاً عند الطبري. أما أقل مرويات سيف ضعفاً أو أصحها (وليس صحيحها) فهو طريق: (حدثنا عبيد الله ، قال: حدثني عمّي ، قال: حدثنا سيف) والله أعلم.

ثانياً: أما فيما يتعلق بالمصادر التي اعتمدنا عليها في تقسيمنا لمرويات الطبري التاريخية فهي كما يلي:

١ ـ تأريخ خليفة بن خياط: فهو مؤرخ معتمد ثقة توفي (٢٤٠ هـ) أي: بعد أن بدأ الطبري بطلب الحديث بأربع سنوات ـ وهو يدرس التأريخ دراسة حولية بالإضافة إلى كتابته التأريخ بصيغة أخرىٰ هي تدوين التأريخ من خلال دراسة الشخصيات التأريخية. الأنبياء ، ثم الصحابة ، ثم أئمة التابعين ، وذلك في كتابة القيم المعروف (طبقات خليفة).

٢ ـ فتوح البلدان للبلاذري: والذي اهتم اهتماماً بالغاً بتأريخ الفتوح وهو يعتمد الإسناد كسلفه خليفة ، إلاَّ أن خليفة يذكر الإسناد ويعتمده أكثر من

البلاذري الذي توفي (٢٧٩ هـ). وكذلك اعتمد البلاذري الإسناد في دراسته لشخصيات الصحابة في كتابه التأريخي القيّم (أنساب الأشراف).

٣ ـ والمصدر الثالث الذي اعتمدنا في مقارنتنا لروايات الطبري التأريخية هو (الطبقات الكبرى لابن سعد). وإن كان ابن سعد يعتمد كثيراً على شيخه الواقدي، وهو متروك ولهذا لم نعتمد هذه الروايات إلاّ ما كان له متابعة، أو شاهد.

٤ ـ ومن المصادر المتقدمة الأخرىٰ التي اعتمدناها في تحقيقنا لمرويات الطبري التأريخية (كتاب المعرفة والتأريخ) ليعقوب بن سفيان، وكذلك (الأخبار الطوال). للدينوري ت(٢٨٢ هـ).

٥ ـ ومعلوم: أن عدداً من المؤرخين الثقات برزوا في القرون التالية، ومنهم ابن عساكر الذي عاش في القرن الخامس الهجري واشتهر كتابه تأريخ دمشق وهو بحق سفر تأريخي قيّم اعتمد فيه الإسناد ورجَّح أحياناً بين الروايات التأريخية فذكرنا ترجيحاته واعتمدنا مختصر تأريخية (لابن منظور رحمه الله) وكذلك راجعنا روايات الكلاعي في كتابه(الاكتفاء) وابن الجوزي في كتابه المعروف (المنتظم).

٦ ـ أما بالنسبة للأئمة المتأخرين الذين برزوا في التأريخ بالإضافة إلى كونهم أئمة في الحديث؛ فقد اعتمدنا تأريخ الإسلام للذهبي وذكرنا أحياناً تصحيحاته وتعليقاته علىٰ الروايات التأريخية، ووكذلك اعتمدنا (البداية والنهاية لابن كثير) وذكرنا ترجيحات ابن كثير وتصويباته.

٧ ـ أما بالنسبة للحافظ ابن حجر؛ فقد اعتمدنا على كتابه (الإصابة في تمييز الصحابة) وخاصة فيما يذكره عن تأريخ الصحابة واشتراكهم في حروب الردة ومعارك الفتوح مشيراً إلى روايات الأئمة المحدثين المتقدمين في كتبهم التي اطلع عليها ذاكراً أسانيدهم فنذكرها بأسانيدها وهو أحياناً يحكم علىٰ هذه الأسانيد وأحياناً يسكت عنها (من أمثال ما كتبه ابن السكن، وابن شاهين، وابن مندة، وغيرهم).

٨ ـ وأخيراً فقد رجعنا فيما رجعنا إليه إلى كتاب تأريخ الخلفاء للسيوطي.

٩ ـ أما فيما يتعلق بالصحاح، والمسانيد، والسنن، والمستدركات،

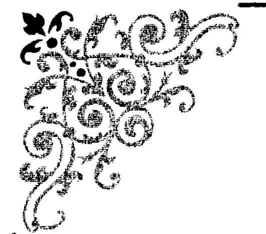
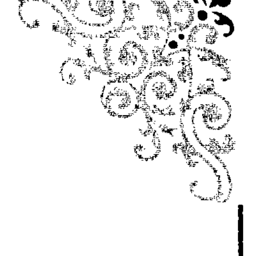
والمصنفات كمصنف ابن أبي شيبة وغيره ففيها روايات تأريخية قليلة جداً بالنسبة لمرويات الطبري وغيره ولكننا ذكرناها قبل غيرها فهي لنا كالكنز الثمين لأنها مسندة موصولة ورجال أسانيدها ثقات في الغالب.

١٠ ـ كنَّا نتمنىٰ أن نطلع على ما كتبه الأستاذ الفاضل العمري في كتابه (تأريخ الخلفاء الراشدين) فهو مؤرخ معاصر معروف بتحريّه للروايات المسندة الصحيحة في التأريخ ونرجو أن نحصل عليه لاحقاً إن شاء الله ومع ذلك فقد اطلعنا علىٰ بعض الرسائل الجامعية القيمة (مرويات أبي مخنف، مرويات سيف بن عمير، موقف الصحابة في الفتنة، عبد الله بن سبأ... إلخ من الرسائل التي تطرقنا إلى ذكرها أثناء التحقيق).

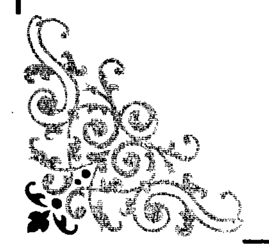
وكذلك اطلعنا على ما كتبه الأستاذ المؤرخ باشميل عن فتوح الشام فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء ولا ندعي: أننا أصبنا كبد الحقيقة في تحقيقنا للروايات التأريخية ولكنّا حاولنا جهد المستطاع أن نظهر للقارىء الكريم عظمة التأريخ الإسلامي الذي طالما شوَّهه المستشرقون حسداً، وحقداً، وعدواناً، فإن أصبنا في شيء؛ فمن الله التوفيق، وإن أخطأنا؛ فمن عند أنفسنا ونستغفر الله.

* * *



صحيح
تاريخ أبي بكر الصديق
رضي الله عنه






نبـــذة من فضائل أبي بكر

وقبل الدخول في عهد الخليفة الأول ـ رضي الله عنه ـ نقدم بين يديّ الموضوع نبذة من فضائله.

١ ـ أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٤٦٧) حدثنا عبد الله بن محمد الجعفي، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت يعلىٰ بن حكيم عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقةٍ، فقعد على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «إنه ليس من الناس أحدٌ أمنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سُدُّوا كل خوخةٍ في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر». صحيح. وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٧٠ و٣٥٩) وفي فضائل الصحابة (٦٧) والنسائي في فضائل الصحابة (١) وابن أبي عاصم في السنة (١٢٢٨).

٢ ـ أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٣٦٦٢): حدثنا معلى بن أسد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، قال خالد الحذاء: حدثنا أبي عثمان، قال: حدثني (عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيتُهُ فقلت: أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» فقلت: من الرجال؟ قال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب» فعد رجالاً. صحيح. وأخرجه مسلم (٢٣٨٤) والترمذي (٣٨٨٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢١٤) وابن أبي عاصم في السنة (١٢٣٥) وعبد بن حميد في المنتخب بتحقيق مصطفى العدوي (٢٩٥) والنسائي في فضائل الصحابة (٥).

٣ ـ أخرج مسلم في صحيحه رقم (٨٣٢): حدثني أحمد بن جعفر المعقري،

حدثنا النضر بن محمد، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا شداد بن عبد الله أبو عمار، ويحيىٰ بن أبي كثير عن أبي أمامة ـ قال عكرمة: ولقي شداد أبا أمامة وواثلة وصحب أنساً إلى الشام وأثنى عليه فضلاً وخيراً ـ. قال: قال عمرو بن عبسة السُّلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظنُّ: أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء؛ وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه؛ فإذا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مستخفياً جُرَآءُ عليه قومه، فتلطفتُ حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبيٌّ». فقلت: وما نبيٌّ؟ قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحَّد الله لا يشرك به شيء». قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حرٌّ، وعبدٌ»، قال: ومعه يومئذٍ: أبو بكر، وبلال ممَّن آمن به. . .

٤ ـ أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٣٦٦١): حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا زيد بن واقد عن بسر بن عبيد الله، عن عائذ الله أبي إدريس، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدىٰ عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامَرَ فسلَّم». وقال: يا رسول الله! إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي، فأبىٰ عليَّ فأقبلت إليك. فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر؟» ثلاثاً، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يتمعر حتىٰ أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله! والله أنا كنت أظْلَمَ (مرتين) فقال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟». (مرتين) فما أوذي بعدها. صحيح.

وأخرجه البخاري أيضاً (٤٦٤٠)، وأحمد في فضائل الصحابة (٢٩٧).

٥ ـ أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٣٦٧٥): حدثني محمد بن بشار، حدثنا يحيىٰ عن سعيد عن قتادة: أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم: أن النبي ﷺ صَعِدَ أُحُداً، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فقال: «اثبت أحد،

فإن عليك نبيٌّ ، وصدّيقٌ ، وشهيدان». صحيح.

وأخرجه أبو داود (٤٦٥١) والترمذي (٣٦٩٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في فضائل الصحابة (٣٢) ، وأحمد (٣/ ١١٢) وفي فضائل الصحابة (٢٤٦) وأبو يعلى (٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

٦ ـ أخرج البخاري في صحيحه برقم (٣٦٦٦): حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف: أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب ـ يعني: الجنة ـ يا عبد الله هذا خيرٌ؛ فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان» فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعىٰ من تلك الأبواب من ضرورة ، وقال: هل يدعىٰ منها كلها أحدٌ يا رسول الله؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر !». صحيح.

وأخرجه مسلم (١٠٢٧) والترمذي (٣٦٧٤) وعزاه المزي في الأطراف للنسائي ، وأخرجه أحمد (٢/ ٢٦٨) وابن أبي شيبة (١٢٠١٣).

٧ ـ أخرج البخاري في صحيحه برقم (٤٠٧٧): حدثنا محمد ، حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] . قالت لعروة: يا بن أختي ؟ كان أبواك منهم: الزبير ، وأبو بكر ، لما أصاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما أصاب يوم أحد ، وانصرف عنه المشركون؛ خاف أن يرجعوا قال: «من يذهب في إثرهم»؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً ، كان فيهم أبو بكر ، والزبير).

٨ ـ أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٦٧٨): حدثنا إسحاق بن نصر ، قال: حدثنا حسين عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال: حدثني أبو بردة عن أبي موسىٰ قال: مرض النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فاشتد مرضه ، فقال: «مُروا أبا بكر فليصل بالناس». فقالت عائشة: إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس. قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فعادت. فقال:

«مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف». فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم.

٩ - أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٣٦٥٩): حدثنا الحميدي ، ومحمد بن عبد الله قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه ، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرأيت إن جئتُ؛ ولم أجدك - كأنها تقول الموت - قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لم تجديني؛ فائتي أبا بكر».

١٠ - أخرج مسلم في صحيحه (ح/ ٢٣٨٧): حدثنا عبيد الله بن سعيد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إبراهيم بن سعد ، حدثنا صالح بن كيسان عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في مرضه: «ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنّى متمنٍّ ، ويقول قائل: أنا أولى ، ويأبىٰ الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

١١ - أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٣٦٦٤): حدثنا عبدان ، أخبرنا عبد الله عن يونس ، عن الزهري ، قال: أخبرني ابن المسيب: سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «بينا أنا نائم رأيتُني على قليب عليها دلو فنزعتُ منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذَنُوباً ، أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعف. والله يغفر له ضعفه ! ثم استحالت غرباً ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن».

* * *

ثم دخلت سنة إحدى عشر
(حديث السقيفة)

١ ـ حدثني عليّ بن مسلم ، قال: حدَّثنا عَبَّاد بن عبَّاد ، قال: حدَّثنا عباد بن راشد ، قال: حُدِّثنا عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عبَّاس ، قال: كنت أقْرىء عبدَ الرحمن بن عَوْف القرآن ، قال:

فحجَّ عمر وحججنا معه ، قال: فإني لَفِي منزلٍ بمنىً إذ جاءني عبدُ الرحمن ابن عوف ، فقال: شهدتُ أمير المؤمنين اليوم ، وقام إليه رجلٌ فقال: إني سمعت فلاناً يقول: لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعتُ فلاناً. قال: فقال أمير المؤمنين: إني لقائم العشيَّةَ في الناس فمحَذِّرُهم هؤلاء الرّهط الذي يريدون أن يغصِبوا الناس أمرَهم. قال: قلتُ: يا أمير المؤمنين! إنّ الموسم يجمع رِعاع الناس وغوغاءَهم؛ وإنهم الذين يغلبون على مجلِسك ، وإني لخائف إن قلت اليوم مقالة ألاَّ يَعُوها ولا يحفظوها ، ولا يضعوها على مواضعها ، وأن يطيروا بها كلَّ مطيرٍ؛ ولكن أمهل حتى تقدم المدينة ، تقدم دار الهجرة والسنَّة ، وتخلُص بأصحابِ رسولِ الله من المهاجرين والأنصار ، فتقول ما قلت متمكّناً ، فيعُوا مقالتَك ، ويضعوها على مواضعها. فقال: والله لأقومنَّ بها في أوَّل مقام أقومُه بالمدينة!.

قال: فلمَّا قدِمْنا المدينة ، وجاء يوم الجمعة هَجَّرت للحديث الذي حدثنيه عبد الرحمن؛ فوجدت سعيد بن زيد قد سبَقني بالتَّهجير ، فجلست إلى جنبه عند المنبر ، ركبتي إلى ركبته؛ فلمَّا زالت الشمس لم يلبث عمر أن خرَج ، فقلت لسعيد وهو مقبل: ليقولنَّ أميرُ المؤمنين اليومَ على هذا المنْبر مقالةً لم تُقلْ قبلَه. فغضب وقال: فأيَّ مقالة يقول لم تُقَل قبله؟! فلمَّا جلس عمر على المنبر أذَّن

المؤذن ، فلمَّا قضى المؤذن أذانه قام عمر ، فحمِد الله وأثنىٰ عليه ، وقال: أمَّا بعد ، فإنّي أريد أن أقول مقالة قد قُدّر أن أقولها ، مَنْ وعاها ، وعَقَلها، وحفظها؛ فليحدّث بها حيث تنتهي به راحلته ، ومَنْ لم يعِها فإني لا أحلُّ لأحد أن يكذِبَ عليّ: إن الله عزّ وجلَّ بعثَ محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب؛ وكان فيما أنزل عليه آية الرَّجْمِ ، فرجم رسولُ الله ورجمنا بعده ، وإني قد خشيتُ أن يطولَ بالناس زمان ، فيقول قائل: والله ما نجد الرَّجْم في كتاب الله ، فيَضلُّوا بتَرْكِ فريضة أنزلها الله ، وقد كنا نقول: لا تَرْغبوا عن آبائكم؛ فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم. ثم إنه بلَغني أنَّ قائلاً منكم يقول: لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً! فلا يَغُرَّنّ امرأً أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فَلْتَة؛ فقد كان كذلك؛ غيرَ أنَّ الله وَقى شرَّها؛ وليس منكم من تُقطعُ إليه الأعناق مثل أبي بكر! وإنه كان من خَبَرِنا حين توفّى الله نبيَّه ﷺ أنَّ علياً والزُّبير ومَنْ معهما تخلَّفوا عنا في بيت فاطمة ، وتخلَّفت عنا الأنصار بأسْرِها ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمُّهم؛ فلقيَنا رجلان صالحان قد شهدا بدراً ، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخوانَنا هؤلاء من الأنصار. قالا: فارجعوا فاقضوا أمرَكم بينكم. فقلنا: والله لنأتينَّهم ! قال: فأتيناهم وهم مجتمعون في سَقيفة بني ساعدة. قال: وإذا بين أظهرهم رجلٌ مزمَّلٌ ، قال: قلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة ، فقلت: ما شأنه؟ قالوا: وَجِعٌ ، فقام رجلٌ منهم ، فحمِد الله ، وقال: أمَّا بعد ، فنحنُ الأنصار وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشرَ قريشٍ رهطُ نَبيّنا؛ وقد دفّت إلينا من قومكم دَافّةٌ. قال: فلما رأيتهم يريدون أن يختزِلُونا من أصلِنا ، ويغصِبونا الأمر. وقد كنت زوَّرت في نفسي مقالةً أقدمها بين يدي أبي بكر ، وقد كنت أداري منه بعض الحدّ ، وكان هو أوقرَ منّي وأحلم؛ فلمَّا أردت أن أتكلم ، قال: على رِسْلِكَ! فكرهت أن أعصيَه؛ فقام فحمد الله وأثنى عليه ، فما ترك شيئاً كنتُ زوّرت في نفسي أن أتكلَّم به لو تكلمت؛ إلا قد جاء به أو بأحسنَ منه. وقال: أما بعدُ يا معشرَ الأنصار ! فإنكم لا تذكُرون منكم فضلاً إلاَّ وأنتم له أهلٌ؛ وإنَّ العربَ لا تعرف هذا الأمرَ إلاَّ لهذا الحيّ من قريش؛ وهم أوسط [العرب] داراً ونسباً ، ولكن قد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين ، فبايعوا أيَّهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح. وإنّي والله ما كرهتُ من كلامه شيئاً غيرَ هذه الكلمة؛ إن

كنت لأقَدَّم؛ فتُضْرَب عنقي فيما لا يقرّبني إلى إثم أحبُّ إليَّ من أن أؤمَّر على قوم فيهم أبو بكر. فلمَّا قضى أبو بكر كلامَه، قام منهم رجلٌ، فقال: أنَا جُذَيْلُها المُحَكَّك، وعُذَيْقُها المُرَجَّب؛ منَّا أميرٌ ومنكم أمير؛ يا معشر قريش!

قال: فارتفعت الأصوات، وكثر اللَّغَط، فلمَّا أشفقت الاختلاف، قلت لأبي بكر: ابسُط يدك أبايعْك، فبسط يده فبايعتُه وبايعه المهاجرون، وبايعه الأنصار. ثم نزونا على سعد، حتى قال قائلهم: قتلتُم سعد بن عبادة! فقلت: قتل الله سعداً! وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر؛ خشينا إنْ فارقنا القوم ولم تكن بيعةٌ أن يحدِثوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهم على ما لا نرضَى، أو نخالفهم فيكون فساد[1]. (٣: ٢٠٣/ ٢٠٤/ ٢٠٥/ ٢٠٦).

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الحدود/ ح ٦٨٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنه (قال: كنت: أقرئ رجالاً من المهاجرين... الحديث) وفيه: (فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتةً وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكنَّ الله وقىٰ شرَّها، وليس فيكم من تُقطعُ الأعناقُ إليه مثلُ أبي بكرٍ، من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايعُ هو ولا الذي بايعه تغرَّةً أن يقتلا، وإنه قد كان من خبرنا حين توفىٰ الله نبيه ﷺ، أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليّ والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكروا ما تمالأ عليه القوم فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينَّهم فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مُزَمَّلٌ بين ظهرانيهم. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة. فقلت: ماله؟ قالوا: يُوعَك. فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأثنى علىٰ الله بما هو أهله. ثم قال: أما بعدُ فنحنُ أنصارُ الله وكتيبة الإسلام وأنتم ـ معشر المهاجرين ـ رهط، وقد دفَّتِ دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يغصبونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم ـ وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ـ وكنت أداري منه بعض الحد. فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أُغضِبَهُ، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر. والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت. فقال: ما ذكرتم من خير فيكم فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيِّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم ـ فأخذ بيدي ويد =

٢ ـ حدَّثنا ابن حُميد، قال: حدَّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق، عن الزُّهريّ، عن عروة بن الزبير، قال: إن أحدَ الرجُلين اللذيْن لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُوَيْم بن ساعدة، والآخر معْنُ بن عديّ؛ أخو بني العجلان، فأمَّا عُويم بن ساعدة فهو الذي بلَغنا: أنه قيل لرسول الله ﷺ: مَن الذين قال الله لهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم المرء منهم عُويم بن ساعدة!» وأما معن فبلَغنا: أنَّ الناس بكَوْا علَى رسول الله ﷺ حين توفَّاه الله، وقالوا: والله لوددنا أنا متنا قبلَه؛ إنا نخشىٰ أن نفتتن بعده. فقال معن بن عديّ: والله ما أحبُّ أني متُّ قبله حتى أصدِّقه ميتاً كما صدَّقته حيّاً. قتل مَعْنٌ يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر يوم مُسَيْلمة الكذَّاب[١]. (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

٣ ـ حدَّثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرني عمّي، قال: أخبرني سيف عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: كان عليٌّ في بيته إذْ أتِيَ

= أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ـ فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدّم فتضرب عنقي لا يقرِّبني ذلك من إثم أحبَّ إليّ من أن أتأمر علىٰ قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلاَّ أن تُسَوّلَ إليّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن. فقال قائلٌ من الأنصار: أنا جُذيلها المحكّك، وعُذيقُها المرجَّب، منا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشر قريش! فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فَرِقِتُ من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار. ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل الله سعد بن عبادة. قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حَضَرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعةٌ أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضىٰ، وإما نخالفهم فيكونُ فساداً، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرةً أن يقتلا).
والحديث أخرجه بطوله عبد الرزاق في مصنفه (ج/ ٥/ح ٩٧٥٨) وأخرجه البخاري مختصراً (كتاب الفضائل ح ١٦٦٨) وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٥٥) وابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٦٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(١) إسناده ضعيف ولكن أخرج أحمد، أصل الرواية: ثنا إسحاق بن عيسى الطباع ثنا مالك بن أنس ثنا ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره... الأثر الطويل في قصة سقيفة بني ساعدة ثم في آخره قال مالك: فأخبرني ابن شهاب عن عروة أن الرجلين الذين لقياهما: عويم بن ساعدة ومعن بن عدي.

فقيل له: قد جلس أبو بكر للبيْعة ، فخرج في قميص ما عليه إزارٌ ولا رداءٌ ، عجلاً ، كراهيَةَ أن يُبْطىء عنها ، حتى بايعه. ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ، ولزم مجلسه[(١)]. (٣/ ٢٠٧).

٤ ـ حدَّثنا أبو صالح الضَّراريّ ، قال: حدَّثنا عبد الرزاق بن همَّام ، عن معمَر ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن عائشة: أنَّ فاطمةَ والعباس أتيا أبا بكر يطلُبان ميراثهما من رسول الله ﷺ ، وهما حينئذ يطلبان أرضَه من فَدَك ، وسهمَه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر: أما إنّي سمعتُ رسولَ الله يقول: لا نورَثُ ، ما تَرَكْنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال. وإني والله لا أدَعُ أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلاَّ صنعته. قال: فهجرتْه فاطمة فلم تكلّمْه في ذلك حتى ماتت ، فدفنها عليٌّ ليلاً ، ولم يؤذِنْ بها أبا بكر. وكان لعليّ وَجْهٌ من الناس حياةَ فاطمة ، فلما توفِّيتْ فاطمة انصرفتْ وجوه الناس عن عليّ؛ فمكثتْ فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله ﷺ ، ثم توفِّيت.

قال معمر: فقال رجلٌ للزهريّ: أفلم يبايعه عليٌّ ستة أشهر! قال: لا؛ ولا أحدٌ من بني هاشم؛ حتى بايعه عليّ. فلما رأى عليٌّ انصرافَ وجوه الناس عنه ضَرع إلى مصالحة أبي بكر ، فأرسل إلى أبي بكر: أن ائتنا ولا يأتِنا معك أحدٌ ، وكره أن يأتيَه عمر لما علم من شدَّة عمر ، فقال عمر: لا تأتهم وحدَك ، قال أبو بكر: والله لآتينّهم وحدِي ، وما عسى أن يصنعوا بي! قال: فانطلق أبو بكر ، فدخل على عليّ ، وقد جَمَعَ بني هاشم عنده ، فقام عليٌّ فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: أمَّا بعد ، فإنه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكارٌ لفضيلتك ، ولا نَفَاسَةٌ عليك بخيرٍ ساقه الله إليك ، ولكنا كنَّا نرى: أنَّ لنا في هذا الأمر حقّاً ، فاستبددتم به علينا. ثم ذكر قرابته من رسول الله ﷺ وحقَّهم. فلم يزل عليٌّ يقول ذلك حتى بَكى أبو بكر.

فلما صمت عليٌّ تشهَّد أبو بكر ، فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: أما بعدُ؛ فوالله لقرابة رسول الله أحبُّ إليَّ أن أصلَ من قرابتي؛ وإني والله ما ألوتُ

(١) إسناده ضعيف ، ولكن أصل المتن (أي بيعة علي لأبي بكر) صحيح دون ذكر لهذه الصفة التي جاء بها علي رضي الله عنه وأرضاه.

في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم غيرَ الخير؛ ولكنّي سمعت رسول الله يقول: «لا نورَث؛ ما تركنا فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال»؛ وإني أعوذ بالله لا أذكر أمراً صنعه محمد رسول الله إلاَّ صنعتُه فيه إن شاء الله.

ثم قال عليٌّ: موعدك العشيَّة للبَيْعة، فلمَّا صلى أبو بكر الظُّهْرَ أقبلَ على النَّاس، ثم عذر عليّاً ببعض ما اعتذر، ثم قام عليٌّ فعظَّم من حق أبي بكر، وذكر فضيلته وسابقته، ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه. قالت: فأقبل الناس إلى عليّ فقالوا: أصبت وأحسنت، قالت: فكان الناس قريباً إلى عليّ حين قاربَ الحق والمعروف[1]. (٣: ٢٠٧/ ٢٠٨/ ٢٠٩).

٥ - حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق، عن حسين بن عبد الله، عن عِكْرمة، عن ابن عباس، قال: والله إني لأمشي مع عمر في خلافته؛ وهو عامد إلى حاجة له، وفي يده الدِّرَّة، وما معه غيري. قال: وهو يحدِّث نفسه، ويضرب وَحْشيَّ قدمه بدِرَّته، قال: إذ التفت إليّ فقال: يا بنَ عباس! هلْ تدري ما حملني على مقالتي هذه التي قلت حين توفَّى الله رسوله؟ قال: قلت: لا أدري يا أميرَ المؤمنين أنت أعلم، قال: والله إنْ حَمَلني على ذلك إلاَّ أنّي كنتُ أقرأ هذه الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾؛ فوالله إنّي كنت لأظن: أنَّ رسولَ الله سيبقى في أمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها؛ فإنه للَّذي حملني على أن قلتُ ما قلت[2]. (٣: ٢١٠).

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه (باب قول رسول الله ﷺ: لا نورث ما تركنا صدقة) من طريق هشام عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وأخرجه البخاري في صحيحه (المغازي ٥/ ٨١ - باب غزوة خيبر) ومسلم في الجهاد والسير (باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة /ح ١٧٥٩) وكذلك رواه البخاري في مواضع أخرى عن عائشة رضي الله عنها مع اختلاف في الألفاظ وقد استشهد بها ابن كثير ثم قال عقبها: فهذه البيعة التي وقعت من علي بيعة مؤكدة للصلح الذي وقع بينهما وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها أولاً يوم السقيفة كما رواه ابن خزيمة وصححه مسلم بن الحجاج ولم يكن علي مجانباً لأبي بكر هذه الستة الأشهر بل كان يصلي وراءه ويحضره عنده للمشورة. (البداية والنهاية ٥/ ٢٥٠).

(٢) إسناده ضعيف وهو حديث صحيح أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق [حدثني الزهري حدثني أنس بن مالك] (السيرة النبوية ٢/ ٣٧٢) وصحح ابن كثير إسناده، وكذلك أخرجه الذهبي عن أنس وفي آخره، وكانت طائفة منهم بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت=

= البيعة على المنبر بيعة العامة. وقال الذهبي: صحيح غريب (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ١٢).
وأخرج البخاري نحوه عن أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر صامت لا يتكلم. قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا ـ يريد ذلك أن يكون آخرهم ـ فإن يك محمد قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به هدي الله محمداً وأن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين وأنه أولىٰ المسلمين بأموركم، فقدموا فبايعوه وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت بيعة العامة على المنبر) اهـ.
ولقد أخرج الذهبي الروايات الصحيحة في مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما والتي أخرجها الأئمة الآخرون فقد ذكرها الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الحافظ الإسفراييني حدثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وابن إبراهيم بن أبي طالب قالا: حدثنا ميدار بن يسار، وحدثنا أبو هشام المخزومي حدثنا وهيب حدثنا داود بن أبي هند حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين. ونحن كنا أنصار رسول الله ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره. قال: فقام عمر بن الخطاب، فقال: صدق قائلكم أما لو قلتم على غير هذا لم نبايعكم، وأخذ بيد أبي بكر. وقال: هذا صاحبكم فبايعوه فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار. قال: فصعد أبو بكر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير. قال: فدعا بالزبير فجاء فقال: قلت: ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فقام فبايعه. ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً فدعا بعلي بن أبي طالب. فجاء فقال: قلت: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته أن تشق عصا المسلمين. قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه.
هذا أو معناه، وقال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأته عليه، وهذا حديث يسوي بدنة بل يسوي بدرة. وقد رواه البيهقي عن الحاكم وأبي محمد بن حامد المقري كلاهما عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن جعفر بن محمد بن شاكر عن عفان بن مسلم عن وهيب به ولكن ذكر: أن الصديق هو القائل لخطيب الأنصار بدل عمر. وفيه: أن زيد بن ثابت أخذ بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم يرَ علياً فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فأتوا به فذكر نحو ما تقدم ثم ذكر قصة الزبير بعد علي فالله أعلم ـ وقد رواه علي بن عاصم عن الجريدي عن=

= أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري فذكر نحو ما تقدم وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث نضرة المنذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري وفيه فائدة جليلة وهي مبايعة علي بن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة. وهذا حق فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه كما سنذكره وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة كما سنبيّنه قريباً.

[قلنا: (المحققان)]: ونود أن نذكر هنا الحديث الذي أشار إليه ابن كثير.

قال ابن كثير: (أخرج الدارقطني من حديث عبد الوهاب بن موسىٰ الزهري عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر قال: لما برز أبو بكر واستوىٰ على راحلته (لقتال المرتدين بنفسه) أخذ علي بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله. أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: شِمْ سيفك؟ ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك، لا يكون للإسلام نظام أبداً).

ثم قال ابن كثير: هذا حديث غريب من طريق مالك، وقد رواه زكريا الساجي من حديث عبد الوهاب بن موسىٰ بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف [و] الزهري أيضاً عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: خرج أبي شاهراً سيفه راكباً على راحلته إلى وادي القصة فجاء علي بن أبي طالب فأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟! أقول لك ما قال رسول الله يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً، فرجع وأمضى السيف (البداية والنهاية ٦/ ٣١٩) وانظر (كنز العمال ٣/ ١٤٣).

ولكن ما حصل من فاطمة رضي الله عنها عتب على الصديق بسبب ما كانت متوهمة من أنها تستحق ميراث رسول الله ﷺ ولم تعلم بما أخبرها به الصديق رضي الله عنه. أنه قال: (لا نورث ما تركناه فهو صدقة) فحجبها وغيرها من أزواجه وعمه عن الميراث بهذا النص الصريح كما سنبين ذلك في موضعه، فسألته أن ينظر علي في صدقة الأرض التي بخيبر وفدك فلم يجبها إلىٰ ذلك. لأنه رأى أن حقاً عليه أن يقوم في جميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ. وهو الصادق البار الراشد التابع للحق رضي الله عنه فحصل لها وهي امرأة ليست براجية العصمة عتب وتغضب ولم تكلم الصديق حتى ماتت واحتاج علي أن يراعي خاطرها بعض الشيء، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها ﷺ رأى علي أن يجدد البيعة مع أبي بكر رضي الله عنه كما سنذكر في الصحيحين وغيرهما فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ مما تقدم له من البيعة قبل دفن رسول الله ﷺ، ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة في مغازيه: عن سعد بن إبراهيم حدثني أبي أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر وإن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال: ما كنت حريصاً على الإمارة=

= يوماً ولا ليلة ، ولا سألتها في سر ولا علانية فقبل المهاجرون مقالته ، وقال علي والزبير: ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وإنا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلي بالناس وهو حي . . . إسناده جيد ولله الحمد والمنة (البداية والنهاية ٥/ ١١٨ ـ ١١٩).

قلنا: وهذا كلام نفيس وقيّم يردّ فيه الحافظ ابن كثير على تخرّصات المبتدعة الذي يجهلون الأدلة الصحيحة في بيعة علي والزبير لأبي بكر الصديق رضي الله عنهم جميعاً؛ إلا أنا نعقب على عبارة صغيرة للحافظ ابن كثير رحمه الله إذ قال آنفاً: (ولم تكلم الصديق حتى ماتت).

فنقول: هذه العبارة فيها نظر وقد أبان الحافظ ابن كثير بنفسه وهن هذه العبارة في البداية والنهاية وفي الجزء نفسه؛ إذ قال رحمه الله: قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا عبدان بن عثمان العتكي بنيسابور أنبأنا أبو حمزة عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها ، فقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك. فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم. فأذنت له فدخل عليها يترضاها فقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلاّ ابتغاء مرضاة الله ، ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت. ثم ترضاها حتى رضيت.

وهذا إسناد جيد قوي. والظاهر أن عامراً الشعبي سمعه من عليّ أو ممن سمعه من علي ، وقد اعترف علماء أهل البيت بصحة ما حكم به أبو بكر في ذلك.

قال الحافظ البيهقي: أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله الصفار ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ثنا نصر بن علي ثنا ابن داود عن فضيل بن مرزوق ، قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أما لو كنت مكان أبي بكر لحكمت بما حكم به أبو بكر في فدك. (البداية والنهاية ٥/ ٢٥٣).

(مسك الختام فيما دار بين الصحابة في سقيفة بني ساعدة ورد شبهات المستشرقين وأهل البدع حول ذلك):

لقد ذكرنا طرفاً من الروايات الصحيحة الواردة في سقيفة بني ساعدة وما دار فيها من حوار بين الصحابة لاختيار خليفة لرسول الله ﷺ وهو الإمام الأعظم الذي يدير شؤون الدولة الإسلامية (دولة الخلافة الراشدة) ، وسنذكر هنا بإذن الله ما فاتنا في تحقيق روايات الطبري في هذا الموضوع فنقول وبالله التوفيق:

إن الإمام الطبري حين كتب تأريخه هذا لم يصحح الروايات التي أخرجها ولم يضعفها (إلا نادراً) ، وإنّما جمع ما يسّر الله له أن يجمع سواء من طرق واهية ضعيفة أو من طرق صحيحة ، وكان رحمه الله مطمئناً إلى وجود حشد هائل من أئمة الجرح والتعديل وجهابذة الحديث ممن=

= ينخلون الروايات نخلاً ليميزوا الصحيح منها عن الضعيف حسب القواعد الحديثية التي كانت قد وضحت وبانت للعلماء ـ وهو الذي يقول في مقدمة تأريخه: (فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما ينكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا ، وأنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا). تأريخ الطبري (١/٨) أي: أن الطبري رحمه الله قد برّأ عهدته من الروايات الضعيفة والموضوعة ولم يعط مبرراً للذين يتشدقون بأنهم يستقون التأريخ مما ورد في أمهات الكتب ككتاب الطبري هذا ، فالرواة التالفون الهالكون مكشوفون لأئمة الجرح والتعديل وما لفّقوه من أكاذيب في الطعن في الصحابة والنيل منهم قد بان زيغه وبطلانه ، وجزىٰ الله عنّا أئمة الحديث خير الجزاء.

وأما بالنسبة لروايات حديث سقيفة بني ساعدة فالصحيحة منها مشهورة وكثيرة ، ولنا فيها مندوحة عن غيرها من الروايات السقيمة ومنها:

١ - ما أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه (كتاب الأحكام ٧/٢٦) وكتاب فضائل الصحابة (٤/ ١٩٣) و(٨/ ٢٦).

٢ - وأخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ١٣٣) و(١/ ١٩٣) طبعة شاكر. و(٣٣/ ٦٠) الفتح الرباني. وأخرجه النسائي في (فضائل الصحابة/ ٥) وصحح البوصيري إسناده (مصباح الزجاجة ١/ ١٤٦).

٣ - وأخرجه الطبري كما مرّ بنا عن ابن عباس (٣/ ٢٠٣) كسياق البخاري في صحيحه.

وتفيدنا هذه الروايات الصحيحة ما يلي:

١) - حرص الصحابة على نصب الإمام الأعظم للمسلمين ، وذلك واضح من خلال انشغالهم بتعيين الخليفة وتأخيرهم دفن حبيبهم وقرة عينهم ﷺ من أجل ذلك الأمر العظيم.

٢) - حرص الصحابة الشديد على تولية الأولى الأجدر والأفضل بالخلافة ، وذلك واضح من قول سيدنا عمر رضي الله عنه: (وليس منكم من تُقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر).

٣) - تولية الإمام الأعظم (الخليفة) كان بمشورة الصحابة أجمعين ولم يكن تولية إجبار وإكراه؛ فإن المهاجرين والأنصار دخلوا في حوار ونقاش حتى شرح الله صدورهم لكلام أبي بكر واقتنعوا به فبايعوه جميعاً ومنهم الزبير وعلي رضي الله عنهم أجمعين ، وذلك واضح من قوله رضي الله عنه: (فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له). وقوله: (فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة).

٤) - لم يكن نقاش الصحابة في بداية الأمر وتغاير آرائهم حرصاً منهم على المناصب والرئاسة وإنما حرصاً منهم على تولية الأفضل والأحسن ، ولذلك تراهم سرعان ما انصاعوا لبيعة أبي بكر رضي الله عنه وذلك دليل على أدبهم الجم وتربيتهم الرفيعة التي تلقوها على مائدة القرآن وتحت إشراف خير خلق الله ﷺ ، ولذلك قال الإمام الجويني رحمه الله: كان =

= المسلمون لا يقدمون للإمامة أحداً تشهِّياً فيها. وقال أيضاً: وإنما قدموه لاعتقادهم كونه أفضل وأصلح للإمامة من غيره (لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة/ ١١٦).
أما الروايات المكذوبة والملفقة فقد بانت نكارتها في المتن وشدة ضعفها في السند ويكفي أنها من طريق التالف الهالك أبي مخنف الذي قال فيه ابن معين: ليس بشيء (تأريخ ابن معين ٢/ ٥٠٠) وقال ابن عدي: وهذا الذي قاله ابن معين يوافقه عليه الأئمة (الكامل ٦/ ٢١١٠) وقال ابن حبان: (رافضي يشتم الصحابة ويروي الموضوعات عن الثقات). (لسان الميزان ٤/ ٣٦٦).
وقال أبو حاتم: أبو مخنف متروك الحديث (الجرح والتعديل ٧/ ١٨٢) وقال الذهبي: لوط بن يحيىٰ (أبي مخنف) متروك. (الضعفاء والمتروكين/ ٢٥٩) وقال أيضاً: إخباري تالف لا يوثق به (ميزان الاعتدال ٣/ ٢٩٩٢).
وأبو مخنف هذا نسي نفسه في غمرة تلفيقاته وكذبه على صحابة رسول الله ﷺ فأخذ يخالف حتى في ذكر أسماء من شهدوا جزءاً من وقائع السقيفة ؛ فقد حشر اسم عاصم بن عدي مكان معن بن عدي. والروايات الصحيحة جميعاً ذكرت معناً ولم تذكر عاصماً هذا. ولقد بان حقده على صحابة رسول الله حين ذكر ألفاظاً شنيعة زوراً وبهتاناً لا نجد لها أثراً في الروايات الصحيحة ، وذكر كلاماً بذيئاً في مخاصمة الحباب وعمر الكلامية لم ترد إلاّ في رواياته التالفة المكذوبة ، بل إن الروايات الصحيحة السند تؤكد غير ذلك، ومنها: أن رواية أبي مخنف ذكرت أن سعد بن عبادة رفض البيعة وترك الصلاة خلف أبي بكر! وكل ذلك مخالف لما في الروايات الصحيحة ، وواضح من خلال الروايات الصحيحة أن سعداً اقتنع قناعة تامة ببيعة أبي بكر خليفة لرسول الله فبايعه وكذلك علي والزبير رضي الله عنهم أجمعين ، ووصم رسولهﷺ مبغضيهم بالنفاق والعياذ بالله.
٥) ـ الروايات الصحيحة تؤكد إجماع الصحابة بعد انتهاء الحوار في سقيفة بني ساعدة على بيعة أبي بكر رضي الله عنهم ومنهم الإمام علي رضي الله عنه وأرضاه ؛ فقد سبق أن ذكرنا كلام الحافظ ابن كثير في ذلك واستشهاده بما أخرجه البيهقي ، ونذكر هنا أيضاً ما قاله الحافظ ابن حجر في هذه المسألة إذ قال رحمه الله:
(وقد صحح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن علياً بايع أبا بكر في أول الأمر. . . وكذلك أشار ابن حجر إلى أن البيهقي قد ضعف رواية الزهري ، وفيه: أن رجلاً قال له: لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة. . إلخ وذلك لأن الزهري لم يسنده).
وأما الرواية الموصولة عن أبي سعيد فأصح (إرشاد الساري ٦/ ٣٧٧).
(الرد على شُبَه المستشرقين وتلاميذهم المتغربين
حول مسألة سقيفة بني ساعدة واجتماع المسلمين وحوارهم هناك)
إن اجتماع المسلمين وحوارهم في سقيفة بني ساعدة ، ثم اتفاقهم بالإجماع على أحقية=

= أبي بكر بالخلافة مفخرة من مفاخر التأريخ الإسلامي ، إلاَّ أن الذين ينظرون من خلال نظارة سوداء إلى تأريخنا الإسلامي يرون المفخرة شبهة وتهمة. وإليك ما قاله المستشرق المعروف (بروكلمان) إذ يقول: (ما كاد الرسول يلحق بالرفيق الأعلى حتى أحدقت الأخطار بالرسالة التي وقف عليها حياته ، أعني: توحيد بلاد العرب دينياً وسياسياً. ففي المدينة نفسها أحدث النبأ الذي لم يتوقعه أحد اضطراباً هائلاً شغل الناس عن كل شيء حتى عن جثمان الرسول نفسه ، فلم يدفن إلا في اليوم التالي في بيت عائشة. والحق أن جميع الأحقاد السياسية التي كان النبي قد كبتها بنفوذه الأدبي لم تلبث أن ذرّت قرنها ، فمن ناحية كان عدد المنافقين لا يزال في المدينة كبيراً جداً ، ومن ناحية ثانية كان الأنصار العريقون في المدينة يتوقون إلى التحرر من سلطان الأغلبية المتمثلة في المهاجرين ليصبحوا سادة موطنهم الوحيدين كرة أخرى ، ثم إن علياً ابن عم النبي وزوج ابنته ادّعى لنفسه الحق في خلافته كرئيس للدولة ، بوصفه أقرب الناس رحماً إليه). (تأريخ الشعوب الإسلامية/ ٨٣).

ولقد تأثر بهذه الافتراءات كثير من أساتذة الجامعات والكتاب والمؤرخون في بلادنا فها هو إبراهيم بيضوني يقول:

(كان مؤتمر السقيفة التي دعا إليها مسلمو المدينة (الأنصار) المبادرة الأولى التي وضعت خلافة الرسول موضع التداول. فمن هناك تجاهرت الأصوات بما كان مكبوتاً وتناقلت الألسن ما كان همساً حتى ذلك الحين ، ولم يكن تكتل الأنصار المبادر إلى طرح مشكلة الحكم قادراً على أن يكون سيد الموقف وأن يمارس لعبة الذكاء المطلوبة فقد كان تجمعاً يفتقد الانسجام وإلى الزعامة ، وكلتاهما من ركائز الطموح إلى السلطة ومن شروطه المبدئية ، كذلك لم يكن سعد بن عبادة الخزرجي المسنّ والمريض في حجم المنصب الكبير) (ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري/ ١٣).

قلنا: (المحققان): سبحان الله العظيم كم هي عظيمة هذه الافتراءات وكم هي بعيدة عن الواقع التأريخي والروايات الصحيحة والمستوى التربوي الذي كان عليه صحابة رسول الله ﷺ !! ولقد تبين لنا جلياً من خلال تحقيقنا لروايات الطبري: أن المسألة لم تكن إثارة لأحقاد دفينة ، ولا لنزاعات قبلية ، ولا لأصوات مكبوتة ، وإنما كان حواراً ونقاشاً بين الصحابة لاختيار الأصلح والأفضل ، وإذا كان الأمر كما يدَّعون فكيف انتهت المسألة بجلسة واحدة وبكلام يسير قال في نهايتها سعد بن عبادة لأبي بكر: صدقت. وقام الناس فبايعوا أبا بكر ، وكذلك بيّنا أن الروايات التأريخية الصحيحة تؤكد: أن علياً بايع أبا بكر وأقرّ بالأفضلية والأولوية.

ثم إن تأخر الصحابة عن دفن رسول الله ﷺ وتأخر ذلك إلى اليوم التالي وانشغالهم باختيار الخليفة دليل على إجماع الصحابة على وجوب نصب خليفة للمسلمين يسوس أمورهم العامة=

(بقيّة الخبر عن أمر الكذّاب العنسيّ)

٥/ أ ـ كان رسولُ الله ﷺ جَمَع ـ فيما بلغنا ـ لباذام حين أسلم وأسلمت اليمن عمل اليمن كلَّها ، وأمَّرَه على جميع مخالفيها ، فلم يزل عامل رسول الله ﷺ أيام حياته ، فلم يعزِله عنها ولا عن شيء منها ، ولا أشرك معه فيها شريكاً حتى مات باذام ، فلمّا مات فرّق عملها بين جماعة من أصحابه[1] . (٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) .

= والخاصة ، وفي ذلك دليل على أصالة السياسة الشرعية وأصولها في أفهام الصحابة، لإحداثها وابتداعها كما يدعي المستشرقون وغيرهم .
ومن رجع إلى الروايات الصحيحة التي ذكرنا في قسم الصحيح يتبيّن له زيف هذه الافتراءات ، والحمد لله أولاً وآخراً .

(١) قلنا : ذكر أئمة المغازي والسير قصة الأسود العنسي عند حديثهم عن السيرة النبوية المشرفة .
وأما الطبري فقد أشار إلى الأسود العنسي إشارة عرضية خلال حديثه عن السيرة النبوية ، ولهذا قال هنا بعد انتهائه من روايات سقيفة بني ساعدة وبيعة الصحابة لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه قال : بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي ، وسنحاول إن شاء الله جمع هذه الروايات والحديث عنها متسلسلة حتى يتكون للقارىء الكريم فكرة متكاملة عن قصة الأسود العنسي في تأريخ الطبري فنقول وبالله التوفيق :
قال الطبري رحمه الله تعالى (٣/ ١٤٦) : وقد قيل : إن دعوى مسيلمة الكذاب ومن ادَّعى النبوة من الكذابين في عهد النبي ﷺ إنما كانت بعد انصراف النبي من حجّه المسمى حجة الوداع ، ومرضته التي مرضها التي كانت منها وفاته ﷺ .
ثم أخرج الطبري بسنده فقال : (٣/ ١٤٧) حدثنا عبيد الله بن سعيد الزهري قال : حدثني عمّي يعقوب بن إبراهيم : حدثني سيف بن عمر وكتب بذلك إليّ السريّ يقول : حدثنا شعيب بن إبراهيم التميمي عن سيف بن عمر التميمي الأسيدي ، قال : حدثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجذع الأنصاري عن عبيد الله مولى رسول الله ﷺ عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال : لما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة بعدما قضى حجة التمام فتحلل به السير ، وطارت به الأخبار لتحلل السير بالنبي ﷺ أنه قد اشتكى ، فوثب الأسود باليمن ومسيلمة باليمامة ، وجاء الخبر عنهما للنبي ﷺ ثم وثب طليحة في بلاد بني أسد بعدما أفاق النبي ﷺ ثم اشتكى في المحرم وجعه الذي توفاه الله فيه .
ثم أخرج الطبري بسندين ضعيفين : الأول (٣/ ١٤٧) تحت عنوان (كتاب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ والجواب عنه) وفيه : فوثب الأسود باليمن ، ومسيلمة باليمامة . =

وفي الرواية الثانية (٣/ ١٤٧) تحت عنوان (خروج الأمراء والعمال على الصدقات) وفيه: فبعث أمراءه وعماله على الصدقات على كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسي وهو بها. . . الحديث.

ثم قال الطبري بعد ثمانين صفحة ـ أي بعد انتهائه من ذكر الروايات في وفاة الرسول ﷺ وبيعة الصحابة لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة ـ قال (٣/ ٢٢٧):

بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي. ثم قال الطبري: كان رسول الله ﷺ جمع فيما بلغنا لباذام حين أسلم وأسلمت اليمن عمل اليمن كلّها ، وأمّره على جميع مخالفيها ، فلم يزل عامل رسول الله ﷺ أيام حياته ، فلم يعزله عنها ولا عن شيء منها ، ولا أشرك معه فيها شريكاً حتى مات باذام. فلما مات فرّق عملها بين جماعة من أصحابه. ا هـ.

ثم سرد الطبري روايات مفصلة عن الأسود العنسي وارتداده وقتاله عمال رسول الله ﷺ على أجزاء اليمن يوم ذاك ، وكيف دانت له معظم اليمن في حينه وكيف استطاع رسول الله ﷺ وبالتعاون مع معاذ بن جبل وثلاثة من أمراء اليمن أن يقتلوا العنسي ويفرّقوا جنده ، وأن خبر انتصار المسلمين في اليمن قد وصل إلى المدينة في عهد سيدنا أبي بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ وذلك في أواخر شهر ربيع الأول.

ومدار هذه الروايات على سيف بن عمر التميمي ، ومعلوم أن أئمة الجرح والتعديل اتفقوا على ضعفه في الحديث أو في التأريخ فقد قال عنه ابن حجر: ضعيف في الحديث عمدة في التأريخ (التقريب ١/ ٣٤٤) وقال الذهبي: كان أخبارياً عارفاً (الميزان ٢/ ٢٥٥) واعتمد ابن كثير على سيف بن عمر في البداية والنهاية في حروب الردة ومواضع أخرى من تأريخ الخلفاء ، وكذلك فعل الذهبي في تأريخ الإسلام: (عهد الخلفاء الراشدين) ومع ذلك (أي كونه عارفاً بالتأريخ عند الذهبي عمدة فيه عند ابن حجر) فإننا قد انتقينا من رواياته التأريخية ما كان له أصل يقويه في الصحاح أو المسانيد والسنن.

ثم في تأريخ خليفة بن خياط أو فتوح البلدان للبلاذري أو طبقات ابن سعد من المتقدمين وإن كان (الذهبي أو ابن كثير) أيّ منهما أو كلاهما قد رجّحا شيئاً في ذلك أخذنا ذلك بعين الاعتبار. (هذا بالنسبة لأسانيد الروايات التأريخية) ثم عمدنا إلى متون هذه الأسانيد المختارة فأشرنا إلى ما في بعضها من عبارات منكرة؛ حتى لا ندع مجالاً للمستشرقين وأهل البدع من الفرق الضالة أن يشوهوا تأريخ الإسلام ويطعنوا في عدالة الصحابة التي تحدثت عن فتح الأُبُلَّة على يد خالد بن الوليد ومن معه من القادة في عهد الصديق رضي الله عنه ، وهي تخالف الروايات الصحيحة التي ذكرت فتح الأبلة في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه على يد غزوان بن عتبة ، سواء كانت هذه الروايات الصحيحة عند الطبري أو غيره كما سيأتي بحث ذلك في أحداث السنة الثانية عشرة والرابعة عشرة.

ولقد توخينا الدقة والأمانة ما استطعنا ولا نزعم أننا قد أصبنا في جميع ما ذهبنا إليه فليس=

= ذلك إلاَّ للمعصوم عليه الصلاة والسلام ، وما من إمام مهما كان حافظاً إلا وذهبت عليه سنة كما قال أئمة السلف ، فمن رأى في منهجنا خطأً وفي تحقيقنا فجوة وفي تصحيحنا للروايات التأريخية أو تضعيفها خطأً فليرشدنا إلى ذلك مشكوراً ، وإذا وجدنا معه الدليل أخذنا به فالحقيقة ضالتنا إن شاء الله ولا نبرئ أنفسنا ، وإن كنا قد أصبنا الحقيقة في اختيارنا للروايات الصحيحة فمن الله التوفيق وإن أخطأنا فمن أنفسنا ونستغفر الله.

ونزيد القارىء الكريم علماً بأننا لم نقبل ما رواه سيف فيما يتعلق بالعقيدة ، أو الحلال والحرام فإنه ضعيف في الحديث ، وكذلك تتبعنا ما قاله في الفتنة ، أو الطعن في عدالة الصحابة ، فلم نقبله البتة. وخلاصة القول في تعاملنا مع روايات سيف بن عمر التأريخية هو أنَّا:

١ - بحثنا عن أصل يؤيده من مصادر السنة والسير والمغازي فذكرناه.

٢ - إن كان في أثناء الرواية التأريخية قول مرفوع إلى رسول الله ﷺ اعتبرناه ضعيفاً لأن سيفاً ضعيف في الحديث إلا إذا كان له متابع أو شاهد وإلاَّ وضعناه في القسم الضعيف ومثال ذلك: ما رواه الطبري (٣/ ٢٣٦/ ٣٠) من طريق سيف عن ابن عمر مرفوعاً (قتل العنسي البارحة قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين. قيل: من هو؟ قال: فيروز. فاز فيروز) فلم نجد من يتابع سيفاً على هذه الرواية فوضعناها في الضعيف وإن كان عليه الصلاة والسلام قد رأى في المنام ما أوَّله بزوال الكذابين.

٣ - وإن كان في الرواية التأريخية من الأفعال ما يخالف عدالة الصحابة ومن الأقوال ما لا يليق أن ينسب إليهم؛ وضعناه في الضعيف كما في رواية الطبري (٣/ ٢٢٣/ ١٧) منسوباً إلى أبي بكر رضي الله عنه: أنه قال: (ألا وإن لي شيطاناً يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني).

٤ ـ وإذا كانت رواية سيف التأريخية مخالفة للروايات الصحيحة؛ فهذا يعني أنها ضعيفة سنداً ومتناً فمكانها في القسم الضعيف من التأريخ ، كما هو الحال في روايات سيف.

ولقد تحدث الدكتور محمد أمحزون (في كتابه القيم الذي قدم له الأستاذ فاروق حمادة وأشرف عليه). عن مرويات سيف بن عمر التميمي في تأريخ الطبري وذكر طرق الطبري إليه ، وبيّن آراء العلماء في تضعيفه في الحديث وقول ابن حجر ، والذهبي في رواياته التأريخية.

وخلاصة دفاعه عن سيف في مجال الروايات التأريخية: أن له فضلاً في فضح عبد الله بن سبأ وغيره من الزنادقة ، وأن روايات سيف مرشحة أكثر من غيرها لموافقة ما رواه الثقات في هذا المجال علاوة على أنها صادرة عمن شاهد تلك الوقائع والأحداث (راجع ما كتبه بالتفصيل في الصفحات ٢٢٩ ـ ٢٣٧).

ونضيف إلى ما كتبه الدكتور أمحزون بأنا لاحظنا أن سيف بن عمر التميمي يحاول ذكر التفاصيل الدقيقة في رواياته التأريخية عن حروب الردة والفتنة أيام سيدنا عثمان رضي الله

٦ ـ فحدَّثني عُبيد الله بن سعد الزّهريّ ، قال: حدَّثنا عمّي ، قال: حدَّثنا سيف ـ وحدَّثني السريّ بن يحيىٰ ، قال: حدَّثنا شُعيب بن إبراهيم عن سيف ـ قال: حدَّثنا سَهْل بن يوسف عن أبيه ، عن عبيد بن صَخْر بن لَوْذان الأنصاريّ السُّلميّ وكان فيمن بعث النبيّ ﷺ مع عمَّال اليمن في سنة عشر بعد ما حجَّ التَّمام: وقد مات باذام ، فلذلك فرّق عملها بين شَهْر بن باذام ، وعامر بن شهر الهَمْدانيّ ، وعبد الله بن قيس أبي موسى الأشعريّ ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والطَّاهر بن أبي هالة ، ويعلَى بن أميَّة ، وعمر بن حَزْم ، وعلى بلاد حَضْرمَوت زياد بن لَبِيد البَيَاضيّ ، وعُكَّاشة بن ثور بن أصغر الغَوْثيّ على السَّكاسك والسَّكون ومعاوية بن كندة ، وبعث مُعاذ بن جبل معلِّماً لأهل البلدَيْن: اليمن وحضرموت. (٣: ٢٢٨).

٧ ـ حدَّثني عبيدُ الله ، قال: أخبرني عمِّي ، قال: أخبرني سَيْف ـ يعني: ابن عمر ـ عن أبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة ، عن عبادة بن قُرْص بن عبادة ، عن قُرْص الليثيّ: أنَّ النبيَّ ﷺ رجع إلى المدينة بعد ما قضى حجّة الإسلام ، وقد وجَّه إمارة اليمن وفرَّقها بين رجال ، وأفرد كلَّ رجل بحَيِّزه ، ووجَّه إمارة حضرموت وفرَّقها بين ثلاثة ، وأفرد كلَّ واحد منهم بحيِّزه ، واستعمل عمرو بن حزم على نجران ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران ورِمَع وزَبِيد ، وعامر بن شهر على هَمْدان ، وعلى صنعاء ابن باذام ، وعلى عَكّ والأشعريّين الطَّاهر بن أبي هالة ، وعلى مأرب أبا موسىٰ الأشعريّ ، وعلى الجنَد يعلَى بن أميّة. وكان معاذ معلِّماً يتنقّل في عمالة كلّ عامل باليمن وحضرموت؛ واستعمل على أعمال حضرموت؛ على السَّكاسك والسَّكون عُكّاشة بن ثور ، وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله ـ أو المهاجر ـ فاشتكى فلم يذهب حتى وجَّهه أبو بكر. وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضيّ ، وكان زياد يقوم على عمل المهاجر؛ فمات رسول الله ﷺ وهؤلاء عمّاله على اليمن وحضرموت؛ إلاَّ مَنْ قُتِل في قتالة الأسود أو مات؛ وهو باذام ، مات ففرَّق النبيّ ﷺ العمل من أجله. وشهر ابنُه

= عنه ، ويؤيده ما ورد عند أئمة المغازي والسير المتقدمين ولا يزيد عادة على تلك الأحداث ما ليس منها (نقول: عادة وليس دائماً). وسنتحدث عن قصة الأسود العنسي بعد سردنا لروايات الطبري.

ـ يعني: ابن باذام ـ فسار إليه الأسود فقاتله فقتله. (٣: ٢٢٨/ ٢٢٩).

٨ ـ وحدَّثني بهذا الحديث السريّ عن شعيب بن إبراهيم عن سَيْف. فقال فيه: عن سيف، عن أبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة. ثم سائر الحديث بإسناده مثل حديث ابن سعد الزُّهريّ. (٣: ٢٢٩).

٩ ـ قال: حدَّثني السريّ، قال: حدَّثنا شُعيب بن إبراهيم عن سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن عِكرمة، عن ابن عباس، قال: أوّل من اعترض على العَنْسيّ وكاثَره عامرُ بن شَهْر الهَمْدانيّ في ناحيته، وفيروز، وداذَوَيْه في ناحيتهما، ثم تتابع الذين كتِب إليهم على ما أمروا به. (٣: ٢٢٩).

١٠ ـ حدَّثنا عُبيد الله بن سعد، قال: أخبرنا عمّي، قال: أخبرني سَيْف، قال. وحدَّثنا السرِيّ، قال: حدَّثنا شعيب، قال: حدثنا سيف عن سهل بن يوسف، عن أبيه، عن عبيد بن صخر، قال: فبينا نحن بالجَنَد قد أقمناهم على ما ينبغي، وكتبنا بيننا وبينهم الكتب؛ إذ جاءنا كتاب من الأسْود: أيها المتورّدُون علينا، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضِنا، ووفِّروا ما جمعتم؛ فنحن أوْلى به وأنتم عَلَىٰ ما أنتم عليه. فقلنا للرسول: مِنْ أين جئت؟ قال: من كهف خُبَّان. ثم كان وجْهه إلى نَجْران؛ حتى أخذنا في عشرٍ لمخرجه، وطابقه عوامّ مذحج. فبينا نحن ننظر في أمرنا، ونجمع جَمعنا، إذ أتينا فقيل: هذا الأسود بشَعُوب، وقد خرج إليه شهر بن باذام؛ وذلك لعشرين ليلة من منجَمه. فبينا نحن ننتظر الخبر على من تكون الدَّبْرَة، إذ أتانا: أنه قتل شهراً، وهزم الأبناء، وغلب على صَنْعَاء لخمس وعشرين ليلة من منجَمه. وخرج معاذ هارباً، حتى مرَّ بأبي موسى وهو بمأرب، فاقتحما حضرموت؛ فأما معاذ فإنه نزل في السَّكون؛ وأما أبو موسى فإنه نزل في السَّكاسك مما يلي المفُّور والمفازة بينهم وبين مأرِب، وانحاز سائر أمراء اليَمن إلى الطّاهر إلاّ عمراً وخالداً؛ فإنهما رجعا إلى المدينة؛ والطَّاهر يومئذ في وسَط بلاد عَكّ بِحيال صنعاء. وغلب الأسودُ على ما بين صَهيد ـ مفازة حضرموت ـ إلى عمل الطائف إلى البحرين قِبَل عَدن، وطابقت عليه اليمن، وعكّ بتهامة معترضون عليه؛ وجعل يستطير استطارة الحريق، وكان معه سبعمئة فارس يوم لقيَ شهراً سوى الرّكبان؛ وكان قُوّاده قيس بن عبد يغوث المُرادي، ومعاوية بن قيس الجَنْبِيّ، ويزيد بن محرم، ويزيد بن حُصين الحارثيّ،

ويزيد بن الأفْكَل الأزديّ. وثبت ملكهُ واستغلظ أمرُه، ودانَتْ له سواحل من السواحل؛ حاز عَثْر، والشَّرْجَة، والحَرْدة، وغَلافقَة، وعَدَن، والجَنَد؛ ثم صَنْعاء إلى عَمَل الطائف، إلى الأحسية، وعُلَيْب؛ وعامله المسلمون بالبقية، وعامله أهلُ الردَّة بالكفر، والرجوع عن الإسلام. وكان خليفته في مذحِج عمرو بن معد يكرب، وأسند أمره إلى نفر؛ فأما أمرُ جنده فإلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز وداذويْه.

فلمَّا أثخن في الأرض؛ استخفّ بقيس وبفيروز وداذويْه، وتزوَّج امرأة شهر؛ وهي ابنة عمّ فيروز؛ فبينا نحن كذلك بحضرموت ولا نأمن أن يسير إلينا الأسود، أو يبعث إلينا جيشاً، أو يخرج بحضرموت خارجٌ يدّعي بمثل ما ادَّعى به الأسود، فنحن على ظهر، تزوَّج مُعاذ إلى بني بكرة ـ حي من السَّكون ـ امرأة أخوالها بنو زنكبيل يقال لها: رَمْلة، فحَدبوا لصهره علينا، وكان معاذ بها معجَباً، فإن كان ليقول فيما يدعو الله به: اللهمَّ ابعثني يوم القيامة مع السَّكون، ويقول أحياناً: اللهمَّ اغفر للسَّكون؛ إذ جاءتنا كتبُ النبيِّ ﷺ يأمرُنا فيها أن نبعثَ الرِّجال لمجاولته أو لمصاولته؛ ونُبلِغَ كلَّ من رجا عنده شيئاً من ذلك عن النبيِّ ﷺ. فقام معاذ في ذلك بالذي أمر به، فعرفنا القوَّة، ووثقنا بالنصر. (٣: ٢٢٩/ ٢٣٠/ ٢٣١).

١١ ـ حدَّثنا السريّ، قال: أخبرنا شُعيب، قال: حدَّثنا سَيْف، وحدَّثني عُبيد الله، قال: أخبرَنا عمّي، قال: أخبرنا سيف، قال: أخبرنا المستنير بن يزيد عن عروة بن غزية الدَّثِينيّ، عن الضَّحاك بن فيروز ـ قال السريّ: عن جُشَيْش بن الديلميّ، وقال عبيد الله: عن جشنس بن الديلميّ ـ قال: قدِم علينا وَبَرُ بن يُحَنّس بكتاب النَّبيِّ ﷺ، يأمرنا فيه بالقيام على ديننا، والنهوض في الحرب، والعمل في الأسود: إمَّا غيلة وإما مصادمة؛ وأن نبلغ عنه مَن رأينا أنّ عنده نجدة وديناً. فعملنا في ذلك، فرأينا أمراً كثيفاً، ورأيناه قد تغيَّر لقيس بن عبد يغوث ـ وكان على جنده ـ فقلنا: يُخاف على دمه؛ فهو لأوّل دعوة؛ فدعوناه، وأنْبأناه الشَّأنَ، وأبلغناه عن النبيِّ ﷺ؛ فكأنما وقعنا عليه من السماء، وكان في غمّ وضيق بأمره؛ فأجابنا إلى ما أحببنا من ذلك، وجاءنا وبر بن يحنَّس، وكاتبْنا الناسَ ودعوناهم؛ وأخبره الشيطان بشيء، فأرسل إلى قيس، وقال: يا قيس!

ما يقول هذا؟ قال: وما يقول؟ قال: يقول: عمدت إلى قيس فأكرمته؛ حتى إذا دخل منك كلّ مدخل، وصار في العزّ مثلك؛ مال ميل عدوّك؛ وحاول ملكَك وأضمر على الغدر! إنه يقول: يا أسود! يا أسود! يا سوءة! يا سوءة! اقطف قُنّتَه، وخذْ من قيس أعلاه؛ وإلاّ سلبك أو قطف قُنّتَك. فقال قيس وحلَف به: كذَبَ وذي الخِمار! لأنتَ أعظمُ في نفسي وأجَلُّ عندي من أنْ أحدِّث بك نفسي؛ فقال: ما أجفاك! أتكذّب المَلَك قد صدق الملَك؛ وعرفت الآن أنك تائبٌ مما اطّلع عليه منك.

ثم خرج فأتانا، فقال: يا جُشَيش! ويا فَيْروز! ويا داذويه! إنه قد قال وقلت؛ فما الرأيُ؟ فقلنا: نحن على حذَر؛ فإنا في ذلك؛ إذ أرسل إلينا، فقال: ألم أشرِّفْكُم على قومِكم، ألم يبلغني عنكم! فقلنا: أقِلْنا مرَّتَنا هذه، فقال: لا يبلغني عنكم فأقتلكم؛ فنجوْنا ولم نكدْ؛ وهو في ارتياب من أمرنا وأمر قيس؛ ونحن في ارتياب وعلى خطر عظيم؛ إذ جاءنا اعتراض عامر بن شَهْر، وذي زود، وذي مُرَّان، وذي الكَلاع، وذي ظُلَيْم عليه، وكاتبونا وبذلوا لنا النَّصر؛ وكاتبناهم وأمرناهم ألاّ يحركوا شيئاً حتى نُبْرم الأمْرَ - وإنما اهتاجوا لذلك حين جاء كتاب النبيّ ﷺ؛ وكتب النبيّ ﷺ إلى أهل نَجْران؛ إلى عَرَبهم وساكني الأرض من غير العرب؛ فثبتوا فتَنحَّوا وانضمّوا إلى مكان واحد - وبلغه ذلك، وأحسّ بالهلاك، وفرّق لنا الرّأيُ. فدخلتُ على آذاد؛ وهي امرأته، فقلت: يا بنة عمّ! قد عرفت بلاءَ هذا الرجل عند قومك؛ قَتَل زوجك، وطأطأ في قومك القتل، وسفل بمن بقي منهم؛ وفضح النساء؛ فهل عندك من ممالأة عليه! فقالت: على أيّ أمره؟ قلت: إخراجه، قالت: أو قتله؟، قلت: أو قتله، قالت: نعم والله ما خَلَق الله شخصاً أبغضَ إليَّ منه؛ ما يقوم لله على حقّ، ولا ينتهي له عن حُرْمة؛ فإذا عزمتم فأعلموني أخبركم بمَأتَىٰ هذا الأمر. فأخرج فإذا فيروز وداذويه ينتظراني، وجاء قيس ونحن نريد أن نناهِضه، فقال له رجل قبل أن يجلس إلينا: المَلِك يدعوك. فدخل في عشرة من مَذْحِج وهَمْدان. فلم يقدر على قتله معهم - قال السرِّيّ في حديثه: فقال: يا عيهلة بن كعب بن غوث! - وقال عبيد الله في حديثه: يا عبهلة بن كعب بن غوث! أمنِّي تحصَّن بالرجال! ألم أخبرك الحقَّ، وتخبرني الكذابة! إنه يقول: يا سوءة! يا سوءة! إلا تقطع من قيس

يده؛ يقطع قنّتك العليا؛ حتى ظنّ: أنه قاتله؛ فقال: إنه ليس من الحق أن أقتلك وأنت رسول الله، فمرْ بي بما أحببت؛ فأما الخوف والفزع فأنا فيهما مخافة [أن تقتلني] ـ قال الزهري: فإما قتلتني فموتة، وقال السّري: اقتلني فموتةٌ أهوَن عليّ من موتات أموتُها كلّ يوم ـ فرقّ له فأخرجه، فخرج علينا فأخبرنا وواطأنا، وقال: اعْملُوا عَملَكم؛ وخرج علينا في جمع، فقمنا مُثُولاً له، وبالباب مئة ما بين بقرة وبعير، فقام وخطّ خَطّاً فأقيمت من ورائه، وقام من دونها، فنحرها غير محبَّسة ولا معقَّلة، ما يقتحم الخطّ منها شيء، ثم خلاَّها فجالتْ إلى أن زَهَقت؛ فما رأيت أمراً كان أفظع منه، ولا يوماً أوحش منه. ثم قال: أحقٌّ ما بلغني عنك يا فيروز؟ وَبَوّأ له الحربة ـ لقد هممتُ أن أنْحَرَك فأتْبِعَك هذه البهيمة، فقال: اخترتَنا لِصهْرِك، وفضّلتنا على الأبناء؛ فلو لم تكن نبيّاً ما بعْنَا نَصيبَنا منك بشيء؛ فكيف وقد اجتمع لنا بك أمرُ آخرة ودنيا؛ لا تقبلنَّ علينا أمثال ما يبلغك؛ فإنّا بحيث تحبّ. فقال: اقسِمْ هذه؛ فأنت أعلم بمَنْ ها هنا، فاجتمع إليّ أهلُ صنعاء، وجعلت آمر للرهط بالجَزور ولأهل البيت بالبقرة، ولأهل الحِلَّة بعدّة، حتى أخذ أهل كلّ ناحية بقسطهم. فلحق به قبل أن يصل إلى داره ـ وهو واقف عليّ ـ رجلٌ يسعى إليه بفيروز؛ فاستمع له، واستمع له فيروز وهو يقول: أنا قاتله غداً وأصحابه؛ فاغدُ عليّ، ثم التفت فإذا به، فقال: مَه! فأخبره بالذي صنع، فقال: أحسنت، ثم ضرب دابّته داخلاً، فرجع إلينا فأخبرنا الخبر، فأرسلنا إلى قيس؛ فجاءنا؛ فأجمع مَلؤهم أن أعود إلى المرأة فأخبرها بعزيمتنا لتخبرَنا بما تأمر؛ فأتيتُ المرأة وقلت: ما عندك؟ فقالت: هو متحرِّز متحرِّس؛ وليس من القَصْر شيء إلاّ والحَرَسُ محيطون به غير هذا البيت؛ فإنّ ظهرَه إلى مكان كذا وكذا من الطريق؛ فإذا أمسيتُم فانقُبوا عليه؛ فإنّكم من دون الحرَس؛ وليس دون قتله شيء. وقالت: إنّكم ستجدون فيه سِراجاً وسلاحاً. فخرجتُ فتلقَّاني الأسود خارجاً من بعض منازله، فقال لي: ما أدخلك عليّ؟ ووجَأ رأسي حتى سقطتُ ـ وكان شديداً ـ وصاحت المرأة فأدهشتْه عنّي؛ ولولا ذلك لقتلني. وقالت: ابن عمّي جاءني زائراً، فقصّرْتَ بي! فقال: اسكتي لا أبالك، فقد وهبته لك! فتزايلَتْ عنّي، فأتيت أصحابي فقلت: النَّجاء! الهَرب! وأخبرتُهم الخبر؛ فإنا على ذلك حَيَارَى إذ جاءني رسولُها: لا تَدَعَنَّ ما فارقْتك عليه؛ فإني لم أزَلْ به حتى اطمأنَّ؛ فقلنا لفيروز: ائتِها فتثبّت منها؛

فأما أنا فلا سبيلَ لي إلى الدخول بعد النَّهي. ففعل، وإذا هو كان أفطنَ مني؛ فلما أخبرته قالت: وكيف ينبغي لنا أن ننقب على بيوت مبطّنة! ينبغي لنا أن نقلع بِطانَةَ البيت؛ فدخلا فاقتلعا البطانة، ثم أغلقاه؛ وجلس عندها كالزائر؛ فدخلَ عليها [الأسود] فاستخفَّتْه غَيْرة، وأخبرته برضاع وقرابة منها عنده محرم، فصاح به وأخرجه. وجاءنا بالخبر؛ فلمَّا أمسينا عملنا في أمرنا؛ وقد واطَأنا أشيَاعُنا، وعجِلْنا عن مراسلة الهمْدانيين والحميَريِّين؛ فنقبنا البيتَ من خارج، ثم دخلنا وفيه سراج تحت جَفْنة؛ واتَّقينا بفَيْروز؛ وكان أنجدَنا وأشدَّنا ـ فقلنا: انظر ماذا ترى! فخرج ونحن بينه وبين الحرس معه في مقصورة؛ فلمَّا دنا من باب البيت سمع غطيطاً شديداً، وإذا المرأة جالسة؛ فلمّا قام على الباب أجلسه الشَّيْطان فكلَّمه على لسانه ـ وإنه ليغُطّ جالساً. وقال أيضاً: مالي ولك يا فيروز! فخشيَ إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة، فعاجله فخالطه وهو مثل الجمَل؛ فأخذ برأسه فقتله، فدقّ عنقه، ووضع ركبته في ظهره فدقه، ثم قام ليخرج؛ فأخَذت المرأة بثوبه وهي تَرى أنه لم يقتله، فقالت: أين تَدَعُني! قال: أخبرُ أصحابي بمقتله؛ فأتانا فقمنا معه؛ فأردنا حزّ رأسه؛ فحرّكه الشيطان فاضطرب فلم يضبطه؛ فقلت: اجلسوا عَلَىٰ صدره؛ فجلس اثنان على صدره، وأخذت المرأة بشعره، وسمعنا بربرة فألجمتهُ بمِئلاة؛ وأمرَّ الشَّفْرة على حَلقه فخار كأشدّ خُوار ثور سمعته قطّ؛ فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة، فقالوا: ما هذا، ما هذا! فقالت المرأة: النبيّ يوحَى إليه! فخمد. ثم سمرنا ليلَتنا ونحن نأتمر كيف نخبرُ أشياعَنا، ليس غيرنا ثلاثتنا: فيروز وداذويه وقيس؛ فاجتمعنا على النداء بشعارنا الذي بيننا وبين أشياعنا، ثم يُنادى بالأذان، فلما طلَع الفجر نادى داذويه بالشعار، ففزع المسلمون والكافرون، وتجمّع الحرس فأحاطوا بنا، ثم ناديت بالأذان، وتوافت خيولُهم إلى الحَرس، فناديتهم: أشهدُ أنّ محمداً رسول الله؛ وأن عَبْهلة كذّاب! وألقينا إليهم رأسَه، فأقام وَبَر الصلاة، وشَنّها القوم غارةً؛ ونادينا: يا أهل صَنْعاء، مَن دخل عليه داخل فتعلّقوا به، ومَن كان عنده منهم أحد فتعلقوا به. ونادينا بمَن في الطريق: تعلَّقوا بمَن استطعتم! فاختطفوا صبياناً كثيرين؛ وانتهبوا ما انتهبوا، ثم مضوا خارجين؛ فلمَّا برزوا فقدوا منهم سبعين فارساً ركباناً؛ وإذا أهلُ الدُّور والطُرق وقد وافونا بهم؛ وفقدنا سبعمئة عَيِّل فراسلونا وراسلناهم أن يتركُوا لنا ما في أيديهم، ونترك لهم ما في أيدينا؛ ففعلوا

فخَرجوا لم يظفرُوا منّا بشيء؛ فتردَّدوا فيما بين صنعـاء ونَجْران ، وخلصت صنعاء والجَنَد ، وأعزّ الله الإسلام وأهله؛ وتنافسْنا الإمارة؛ وتراجع أصحابُ النبيّ ﷺ إلى أعمالهم؛ فاصطلحنا على معاذ بن جبل ، فكان يصلّي بنا ، وكتبنا إلى رسول الله ﷺ بالخبر؛ وذلك في حياة النبيّ ﷺ . فأتاه الخبر مِنْ ليلته ، وقدمَتْ رُسُلُنا؛ وقد مات النبيُّ ﷺ صبيحةَ تلك الليلة؛ فأجابنا أبو بكر رحمه الله. (٣: ٢٣١/ ٢٣٢/ ٢٣٣/ ٢٣٤/ ٢٣٥/ ٢٣٦) .

١٢ ـ حدثني المريّ ، قال: حدَّثنا شُعيب ، قال: حدَّثنا سيف عن أبي القاسم وأبي محمد ، عن أبي زُرعة يحيى بن أبي عمرو السَّيبانيّ ، من جُنْد فلسطين؛ عن عبد الله بن فيروز الدَّيلميّ: أنّ أباه حدَّثه: أنَّ النبيَّ ﷺ بعث إليهم رسولاً ، يقال له: وَبَر بن يُحنّس الأزديّ؛ وكان منزله على داذَويه الفارسيّ ، وكان الأسود كاهناً معه شيطان وتابع له ، فخرج فنزل على ملك اليمن؛ فقتل ملكها ونكح امرأته ومَلك اليمن؛ وكان باذام هلك قبل ذلك ، فخلف ابنه على امرأته ، فقتله وتزوّجها ، فاجتمعتُ أنا وداذويه وقيس بن المكشوح المراديّ عند وَبَرَ بن يُحَنَّس رسول نبي الله ﷺ نأتمر بقتل الأسود. ثم إنَّ الأسود أمر الناس فاجتمعوا في رَحَبَة من صنعاء ، ثمّ خرج حتى قام في وسطهم ، ومعه حربة الملك ، ثم دعا بفرَس الملك فأوْجرَه الحربة ، ثم أرسل فجعل يجري في المدينة ودماؤه تسيل حتى مات. وقام وسط الرَّحبة؛ ثمّ دعا بجُزُر من وراء الخطّ فأقامها ، وأعناقُها ورؤوسها في الخطّ ما يَجُزْنَه. ثمَّ استقبلهنَّ بحربَته فنحرهنّ فتصدّعْن عنه؛ حتى فرغ منهنّ ، ثم أمسك حربتَه في يده ، ثم أكبَّ على الأرض ، ثم رفع رأسه ، فقال: إنه يقول ـ يعني: شيطانه الذي معه: إنَّ ابنَ المَكْشُوح من الطغاة ، يا أسود اقطع قُنَّةَ رأسه العليا. ثم أكبّ رأسه أيضاً ينظر ، ثمّ رفع رأسه ، فقال: إنه يقول: إنّ ابن الديلميّ من الطغاة؛ يا أسود اقطع يده اليمنى ، ورجله اليمنى. فلمّا سمعتُ قولَه قلت: والله ما آمن أن يدعوَ بي ، فينحرني بحربته كما نحر هذه الجُزُر؛ فجعلت أستتر بالناس لئلا يرانِي ، حتى خرجت ولا أدري من حذري كيف آخذ! فلما دنوتُ من منزلي لقيني رجلٌ من قومه ، فدقّ في رقبتي ، فقال: انَّ الملك يدعوك وأنت تَـرُوغ! ارجع؛ فردَّني ، فلمّا رأيتُ ذلك خشيت أن يقتلَني. قال: وكنّا لا يكاد يفارق رجلاً منا أبداً خنجره ، فأدُسّ يدي في خفّي ،

فأخذت خِنجَري ، ثم أقبلت وأنا أريد أن أحمل عليه ، فأطعنه به حتى أقتله ، ثم أقتل من معه ، فلمّا دنوت منه رأى في وجهي الشَّرَّ ، فقال: مكانك! فوقفت ، فقال: إنّك أكبرُ مَن ها هنا ، وأعلمُهم بأشراف أهلها ، فاقسمْ هذه الجُزُرَ بينهم. وركب فانطلق وَعلِقتُ أقسم اللَّحم بين أهل صنعاء ، فأتاني ذلك الذي دقّ في رقبتي ، فقال: أعطِني منها ، فقلت: لا والله ولا بَضعة واحدة؛ ألَسْتَ الذي دققتَ في رقبتي! فانطلق غضبانَ حتى أتى الأسْوَد؛ فأخبره بما لقِي منّي وقلت له. فلمَّا فرغتُ أتيتُ الأسودَ أمشي إليه ، فسمعت الرَّجل وهو يشكوني إليه ، فقال له الأسود: أمَا والله لأذبحنَّه ذبحاً! فقلت له: إني قد فرغت ممَّا أمرتَني به ، وقسَمْتُه بين الناس. قال: قد أحسنتَ فانصرف. فانصرفت ، فبعثنا إلى امرأة الملك: إنا نريد قتل الأسود؛ فكيف لنا! فأرسلتْ إليّ: أن هلمَّ. فأتيتها ، وجعلت الجارية على الباب لتُؤذِنَنا إذا جاء ، ودخلتُ أنا وهي البيتَ الآخر ، فحفرنا حتى نقبنَا نقباً ، ثم خرجنا إلى البيت ، فأرسلنا السِّتر ، فقلت: إنا نقتُله الليلة ، فقالت: فتعالوْا؛ فما شعرت بشيء حتى إذا الأسود قد دخل البيت؛ وإذا هو معنا؛ فأخذتْه غَيْرة شديدة ، فجعل يدقّ في رقبتي، وكَفْكَفْتُه عنِّي ، وخرجت فأتيتُ أصحابي بالذي صنعت ، وأيقنت بانقطاع الحيلة عنّا فيه؛ إذ جاءنا رسولُ المرأة؛ ألاَّ يَكْسِرنَّ عليكم أمرَكم ما رأيتُم؛ فإنِّي قد قلت له بعد ما خرجتَ: ألسْتم تزعمون أنكم أقوام أحرار لكم أحسابٌ! قال: بلى ، فقلت: جاءني أخي يُسَلِّم عليّ ويكْرمني ، فوقعتَ عليه تدقّ في رقبته؛ حتى أخرجته ، فكانت هذه كرامتك إيَّاه! فلم أزَلْ ألومه حتى لام نفسه ، وقال: أهو أخوك؟ فقلت: نعم ، فقال: ما شعرتُ ! فأقبِلوا الليلة لما أردتم.

قال الديلميّ: فاطمأنَّتْ أنفسُنا ، واجتمع لنا أمرُنا؛ فأقبلنا من الليل أنا وداذويه وقيس حتى ندخل البيت الأقصى من النَّقْب الذي نَقَبْنا ، فقلت: يا قيس ! أنت فارس العرب ، ادخل فاقْتُل الرَّجل ، قال: إني تأخذني رِعْدة شديدة عند البأس ، فأخاف أن أضرب الرجل ضربةً لا تُغْني شيئاً؛ ولكن ادخل أنت يا فيروز ، فإنَّك أشَبُّنا وأقوانا ، قال: فوضعتُ سيفي عند القوم ، ودخلت لأنظر أين رأسُ الرجل! فإذا السراج يزهر؛ وإذا هو راقد على فُرُش قد غاب فيها لا أدري أين رأسه من رجليْه! وإذا المرأة جالسة عنده كانت تطعمه رمَّاناً حتى

رقدَ ، فأشرتُ إليها: أين رأسه؟ فأشارت إليه ، فأقبلتُ أمشي حتى قمتُ عند رأسه لأنظر ، فما أدري أنظرتُ في وجهِه أم لا! فإذا هو قد فَتَح عينيه؛ فنظر إليّ ، فقلت: إن رجعتُ إلى سيفي خفت أن يفوتني ويأخذ عُدَّة يمتنع بها منِّي؛ وإذا شيطانه قد أنذره بمكاني وقد أيقظه ، فلمّا أبطأ كلَّمنِي على لسانه؛ وإنه لينظر ويغُطُّ ، فأضرب بيديّ إلى رأسه ، فأخذت رأسه بيد ولحيته بيدٍ؛ ثم ألْوِي عنقه فدققتها؛ ثم أقبلت إلى أصحابي ، فأخذت المرأة بثوبي ، فقالت: أختكم نصيحتكم! قلت: قد والله قتلتُه وأرحْتُك منه. قال: فدخلتُ على صاحبيَّ فأخبرتُهما ، قالا: فارجع فاحتزّ رأسَه وائتنا به ، فدخلت فبَربر فألجمته فحَززت رأسه ، فأتيتهما به ، ثم خرجنا حتى أتينا منزلَنا؛ وعندنا وَبَرُ بن يُحنّس الأزديّ ، فقام معنا حتى ارتقينا علي حِصْن مرتفع من تلك الحصون؛ فأذَّن وَبَر بن يُحنّس بالصلاة ، ثم قلنا: ألا إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد قتل الأسود الكذّاب ، فاجتمع الناس إلينا فرمينا برأسه ، فلمَّا رأى القوم الذين كانوا معه أسْرَجوا خيولهم؛ ثم جعل كلّ واحد منهم يأخذ غلاماً من أبنائنا معه من أهل البيت الذي كان نازلاً فيهم؛ فأبصرتُهم في الغَلَس مُرْدِفي الغلمان ، فناديت أخي وهو أسفل منّي مع الناس: أن تعلَّقوا بمَن استطعتم منهم؛ ألا ترَوْن ما يصنعون بالأبناء! فتعلَّقوا بهم؛ فحبسنا منهم سبعين رجلاً ، وذهبوا منّا بثلاثين غلاماً ، فلمَّا برزوا إذا هم يفقدون سبعين رجلاً حين تفقَّدوا أصحابَهم ، فأتوْنا فقالوا: أرسِلوا إلينا أصحابَنا ، فقلنا لهم: أرسلوا إلينا أبناءنا ، فأرسلوا إلينا الأبناء ، وأرسلنا إليهم أصحابهم.

قال: وقال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: إنَّ الله قد قتل الأسوَد الكذّاب العَنْسيَّ ، قتله بيَدِ رجل من إخوانكم ، وقوم أسلموا وصدَّقوا! فكنّا كأنّا على الأمر الذي كان قبل قدوم الأسود علينا وأمن الأمراءُ وتراجعوا ، واعتذر الناسُ وكانوا حديثِي عهد بالجاهليّة[1]. (٣: ٢٣٦/ ٢٣٧/ ٢٣٨/ ٢٣٩).

---

(١) ولقد ذكرنا هذه الروايات السبع في قسم الصحيح ، وسنورد ما يؤيدها بإذن الله تعالى.
١ ـ أخرج البخاري في صحيحه (٦١ ـ كتاب المناقب علامات النبوة في الإسلام/ ح ٣٦٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمَّني شأنهما فأوحيَ إليّ في المنام: أن انفخهما ، فنفختهما ، فطارا ، فأولتهما

= كذابين يخرجان بعدي ، فكان أحدهما : العنسي ، والآخر : مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة» .
وأخرج البخاري (ح ٢٢٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه : فقال : فسألت عن قول النبيﷺ : «إني أرى الذي أريت فيك ما أريت» فأخبرني أبو هريرة . . . الحديث .
وأخرج البخاري في صحيحه (٦٤ كتاب المغازي/ح ٤٣٧٩) قال عبيد الله بن عبد الله : سألت عبد الله بن عباس عن رؤيا رسول الله ﷺ التي ذكر ، فقال ابن عباس : ذكِر لي : أن رسول الله ﷺ قال : «بينا أنا نائم أريت أنه وُضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما وكرهتهما فأُذن لي فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان» فقال عبد الله : أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة الكذاب .
قال ابن حجر تعقيباً على رواية البخاري الأخيرة الذي فيه قوله : (فقال ابن عباس : فذُكر لي) : وقد وضح من حديث الباب قبله : أن الذي ذكر له ذلك هو أبو هريرة (الفتح ٨/ ٩٣) والحديث أخرجه البخاري في مواضع أخرى (ح ٤٣٧٣/ ٤٣٧٤) .
وقال الحافظ أيضاً : وكان باذام عامل النبي بصنعاء ، فمات ، فجاء شيطان الأسود فأخبره ، فخرج في قومه حتى ملك صنعاء ، وتزوج المرزبانة زوجة باذان فذكر القصة . . . إلخ . الفتح (٨/ ٩٣) .
وهذه الروايات عند البخاري تثبت قصة كفر العنسي ، وادعاءه النبوة ، وقتل فيروز الديلمي له باليمن . وأنه عليه الصلاة والسلام تنبأ بزواله ، وزوال مسيلمة الكذاب .
أما حديث (قتله فيروز فاز فيروز) فلم نجد له متابعاً عند غير (سيف بن عمر) والله أعلم .
٢ - وردت رواية أخرى من طريق غير طريق سيف المفصلة عند الطبري أخرجها يعقوب بن سفيان في تأريخه (٣/ ٢٦٢) ثنا زيد بن المبارك و - حدثنا محمد بن الحسن الصنعاني ، حدثنا سليمان بن وهب عن النعمان بن بُرزج ، قال : خرج الأسود العنسي ، فذكر قصة غلبته على صنعاء اليمن ، وقتل باذام عامل النبي ﷺ واستصفى امرأته المرزبانة لنفسه فتزوجها وكانت تكرهه لما صنع بقومها ، قال : فأرسلت إلى داذويه وكان خليفة باذام إلى فيروز ، وإلى خرزاذ برزج ، وجرجست الفارسيين ، فائتمروا على قتل الأسود ، وكان على بابه ألف رجل للحراسة ، فجعلت المرزبانة تسقيه الخمر فكلما قال لها : شوبيه ، سقته صرفاً حتى سكر وقام فدخل الفراش وهو من ريش ، وعمد داذويه وأصحابه إلى الجدار ، فنضحوه بالخل ، وحفروا بحديدة حتى فتحوه ودخل داذويه ، وجرجست فهابا أن يقتلاه ، ودخل فيروز وابن برزج فأشارت إليهما المرأة أنه في الفراش ، فتناول فيروز رأسه ، فعصر عنقه ، فدقها ، وطعنه خرزاذ بالخنجر ثم احتزّ رأسه وخرجوا . ا هـ .
قلنا : وفي إسناده محمد بن الحسن الصنعاني مختلف فيه فقد وثقه أبو زرعة (الجرح والتعديل ٧/ت ١٢٥٢) وأبو حاتم (تهذيب الكمال/ت ٥٧٣٣) وابن حبان (٩/ ٦٩) =

= وأبو صالح المصري (تهذيب التهذيب ٩/ ١١٤) وضعفه الدارقطني والأزدي، وقال ابن معين: لم أكتب عنه شيئاً. (سؤالات الجنيد/ ٤٧). وقال الحافظ في التقريب: صدوق فيه لين.
وهذا الرواية تتقوىٰ برواية سيف وأصلها، وأعني: ارتداد الأسود وقتل فيروز له في البخاري كما سبق أن ذكرنا.
وهذه الرواية ذكرها ابن حجر ونسبها إلى يعقوب بن سفيان في تأريخه، وذكر إسناده كما في الإصابة (٢/ ٣٣٠/ت ٣٤٢١).
ثم قال الحافظ: وأورده البيهقي في الدلائل من هذا الوجه.
قلنا: ورواية البيهقي في الدلائل (٥/ ٣٣٦) تختلف عن الرواية الأصل في تأريخ يعقوب بن سفيان بعض الشيء، وتوافق رواية سيف عند الطبري إذ عند البيهقي: فسار الأسود حتىٰ أخذ ذمار؛ وكان باذام إذ ذاك مريضاً بصنعاء، فلما مات؛ جاء الأسود شيطانه وهو على قصر ذمار، فأخبره بموت باذام... إلخ.
وقال الحافظ في ترجمة داذويه الفارسي: كان خليفة باذام عامل النبي ﷺ على اليمن فلما خرج الأسود العنسي الكذاب، وظفر بباذام، فقتله؛ هرب داذويه ومن تبعه، والقصة مشهورة في المغازي وممن أخرجها يعقوب بن سفيان في تأريخه... إلخ. (الإصابة ٢/ ٣٣٠/ ٣٤٢١). ونسبه الحافظ كذلك إلى ابن منده الذي أخرجها من نفسه (الإصابة ٦/ ٣٩١).
وراوي هذه القصة هو النعمان بن برزج الذي ذكره الحافظ في عداد المخضرمين وقال: أخرج عبيد بن محمد الكشوري في تأريخه من طريق هشام بن يوسف عن عمر بن نعيم: سمعت النعمان بن برزج؛ وكان عاش ثلاثين في الجاهلية ومئة سنة في الإسلام. وقال الحافظ: النعمان بن برزج اليماني من أهل صنعاء. قال ابن حبان: له صحبة. وقال ابن عساكر: أدرك النبي ﷺ ولم يلقه، وقدم الشام في عهد عمر (الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٣٩١/ت ٨٨٩٠).
٣ ـ ولقد ترجم الحافظ لـ(باذام أو باذان) الفارسي فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يجتمع به سواء أسلم في حياته، أم بعده، فقال: باذان الفارسي من الأبناء الذين بعثهم كسرى إلى اليمن، وكان ملك اليمن في زمانه، وأسلم باذان لما هلك كسرى وبعث بإسلامه إلى النبي ﷺ فاستعمله على بلاده ثم مات فاستعمل ابنه شهر بن باذان على بعض عمله.
ذكر ذلك ابن إسحاق، وابن هشام، والواقدي، والطبري، وذكره في الصحابة الباوردي وغيره، وسيأتي له ذكر في ترجمة جدجميرة في حرف الجيم وأخباره مذكورة في التأريخ والسير.
وقال الثعلبي: هو أول من أسلم من ملوك العجم وأول من أمّر في الإسلام على اليمن. وقال=

= الفاكهي: حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا علي بن عاصم عن داود عن الشعبي قال: كتب النبي ﷺ إلى كسرى فمزق كتابه وكتب إلى باذان: «أرسل إليه من يأمره بالرجوع إلى دين قومه فإن أبى فقاتله . . .» فذكر الحديث وفيه: قال فخرج باذان من اليمن إلى النبي ﷺ فلحقه العنسي الكذاب فقتله اهـ. (الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٤٦٤/ ت ٧٥٩).
قلنا: وهذا إسناد مرسل من مراسيل الشعبي، ومعلوم: أن مراسيل الشعبي ليست كغيره فقد قال العجلي: ومرسل الشعبي صحيح لا يكاد يرسل إلا صحيحاً، وقاله عبد الملك بن عمير (تهذيب الكمال/ ت ٣٠٢٩).
قلنا: ومنهجنا في تحقيق تأريخ الطبري: أنَّا أخذنا بالمراسيل إذا تعددت مخارجها وذلك العدول منا عن رأي الجمهور إلى رأي الشافعي؛ لأنها روايات في التأريخ لا في الحلال والحرام والعقيدة، والله أعلم.
وبالإضافة إلى ذلك فإن الشعبي من أئمة المغازي كما قال عبد الملك بن عمير: مرّ ابن عمر على الشعبي وهو يحدِّث بالمغازي فقال: لقد شهدت القوم، فلهو أحفظ لها وأعلم بها (تهذيب الكمال ت ٣٠٢٩). ومرسل الشعبي هذا يتقوىٰ بما ذكرنا من الروايات التي في إسنادها مقال. وبمرسل آخر هو:
٤ ـ قال ابن حجر: روىٰ أبو سعيد النيسابوري في كتاب (شرف المصطفىٰ) من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: لما قدم كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقرأه ومزّقه كتب إلى باذان وهو عامله باليمن. . . الحديث. وفي آخره فأسلم وأسلمت الأبناء من آل فارس من كان منهم باليمن جميعاً (الإصابة ١/ ٦٣٢/ ت ١٢٧٨).
ويرى المؤرخ البلاذري: أن باذام مات فتولى الرئاسة بعده داذويه (ويقال: إن باذام قد كان مات ورأس الأبناء بعده خليفة له يسمى داذويه وذلك أثبت) (فتوح البلدان/ ١٤٦). ولا بأس هنا أن نذكر رأي الحافظ ابن كثير وهو إمام من أئمة التأريخ الإسلامي صاحب الموسوعة المعروفة (البداية والنهاية) فهو يرى رحمه الله: أن باذام عامل كسرى على اليمن أسلم فبعث إليه رسول الله ﷺ بنيابة اليمن بكاملها فلم يعزله منه حتى مات. فلما مات استنابه ابنه شهر بن باذام على صنعاء وبعض مخاليفه. فبعث أولاً في سنة عشر علياً، وخالداً، ثم أرسل معاذاً، وأبا موسىٰ الأشعري، وفرّق عمالة اليمن بين جماعة من الصحابة، فمنهم: شهر بن باذام، وعامر بن شهر الهمداني على همدان، وأبو موسىٰ على مأرب. . . إلخ. (البداية والنهاية ٦/ ٣١١).
قلنا: ومسألة بعثه ﷺ لعلي، وخالد رضي الله عنهما؛ فثابتة في الصحيح كما أخرج البخاري في صحيحه (باب بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع). عن البراء بن عازب قال: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن، قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه . . . الحديث. ورواه البخاري في مواضع أخرى مختلفة. =

= ٥ ـ قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٢/ ٩٢): فيروز الديلمي قاتل الأسود العنسي له صحبة. وقال البخاري في التأريخ الكبير (٤/ ١/ ١٣٦/ ت ٦١٦): فيروز الديلمي قاتل الأسود العنسي، ثم روىٰ البخاري من طريق شيخه علي: ثنا محمد بن الحسن الصنعاني قال: أخبرني النعمان بن الزبير عن أبي صالح الأحمسي عن مر المؤذن قال: خرجت مع فيروز الديلمي في ألفين (وفي رواية في العيد): فأتيت عمر، ثم أتاه فيروز، فقال عمر: هذا فيروز قاتل الكذاب. ا هـ.

٦ ـ قال الحافظ المزي في تهذيب الكمال: فيروز هو الذي قتل الأسود العنسي الذي كان تنبأ في اليمن (تهذيب الكمال/ ت ٣٦٥).

وأخرج المزي بسنده حديثاً عن فيروز الديلمي رضي الله عنه، والحديث أخرجه أبو داود في الأشربة، وفيه: أتينا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله! إن لنا أعناباً . . . الحديث.

وحسن الألباني إسناده (سنن أبي داود/ ٣٧١٠) وأخرجه النسائي (ح ٨٣٣٢).

٧ ـ وأخرج الطبراني (١٨/ ٣٣٠/ ٨٤٨) من طريق ضمرة بن ربيعة عن فيروز الديلمي: أتينا رسول الله ﷺ برأس العنسي الكذاب. قال الحافظ معقباً على سند هذا الحديث: ـ ضمرة لم يتابع عليه ـ والحافظ ابن حجر يرى: أنهم قتلوا الأسود العنسي، ثم أرسلوا في غيره عليه الصلاة والسلام، ولكن الخبر وصل إلى المدينة وقد توفي ﷺ وهذا موافق لما جاء في رواية سيف (خ ٢٩): وفي آخره: وكتبنا إلى رسول الله ﷺ بالخبر وذلك في حياة النبي ﷺ فأتاه الخبر من ليلته، وقدمَت رُسُلُنا، وقد مات النبي ﷺ صبيحة تلك الليلة فأجابنا أبو بكر رحمه الله. ا هـ.

وقال الحافظ: وأرسلوا الخبر إلى المدينة، فوافىٰ بذلك عند وفاة النبي ﷺ. قال أبو الأسود عن عروة: أصيب الأسود قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة، فأتاه الوحي، فأخبر به أصحابه، ثم جاء الخبر إلى أبي بكر رضي الله عنه (الفتح ٨/ ٩٣). وقد أشار الحافظ إلى رواية سيف هذه في الإصابة (٥/ ٢٩٠/ ت ٧٠٢٥).

وأشار ابن عبد البر إلى فيروز الديلمي قدومه على النبي ﷺ وحديثه في الأشربة وعقب على حديث ضمرة بن ربيعة: (أتينا رسول الله ﷺ برأس الأسود العنسي): لم يتابع ضمرة (على قوله: عن الشيباني عن عبد الله الديلمي عن أبيه: أنه قدم على رسول الله ﷺ برأس الأسود العنسي الكذاب) أحدٌ. وقد روىٰ حديث فيروز الديلمي في قدومه على النبي وحديثه في الأشربة عن الشيباني عن عبد الله بن الديلمي عن أبيه جماعة، لم يذكر واحد منهم فيه: أنه قدم برأس الأسود العنسي الكذاب. . . ثم قال ابن عبد البرِّ: وأهل السير لا يختلفون في أن الأسود العنسي الكذاب المتنبئ في صنعاء قتل في سنة إحدى عشرة، ومنهم من يقول: قتل في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وليس ذلك عندي بشيء. . .

والصحيح: أنه قُتلَ قبل وفاة النبي ﷺ وأتاه خبره وهو مريض مرضه الذي مات فيه. =

= ولا خلاف أن فيروز الديلمي ممن قتل الأسود بن كعب العنسي اليمني (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ٣٣٠/ت ٢١٠٩).
٨ ـ أما ما ذكره سيف (في رواية الطبري) من أن معاذ بن جبل، وأبا موسىٰ الأشعري كانا ممن بعثهما رسول الله ﷺ فصحيح. فقد أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ ح ٤٣٤١): بعث رسول الله ﷺ أبا موسىٰ الأشعري ومعاذاً إلى اليمن وبعث كلّ واحدٍ منهما على مخلاف، واليمن مخلافان.
٩ ـ أما بالنسبة لـ(وبر بن يحنّس) الذي ورد ذكره في رواية الطبري من طريق سيف (٣٢) فسنذكر ما يؤيده بتوفيق الله تعالى: ـ فقد قال الحافظ ـ:
وأخرج ابن السكن وابن مندة من طريق عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري عن سليمان بن وهب عن النعمان بن برزج: أن وبر بن يحنّس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا قدمت صنعاء فائتِ مسجدها الذي بحيال الضّبيل ـ جبل بصنعاء ـ فصلّ فيه». زاد ابن السكن في روايته: فلما قتل الأسود الكذاب؛ قال وبر: هذا الموضع الذي أمرني رسول الله ﷺ أن أصنع فيه المسجد. قال ابن مندة: تفرد به الذماري (الإصابة ٦/ ٤٦٨/ ٩١٢٤).
قلنا: وكلام ابن مندة عن تفرد الذماري بهذا الحديث بحاجة إلى شيء من التفصيل؛ لأن بعض أئمة الجرح والتعديل لم يفرِّقوا بين عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري هذا وبين الشامي الذي ضعفه البخاري، وأبو حاتم، ووثقه عمرو بن علي، وابن حبان، وقال الحافظ في التهذيب: والصواب التفريق بينهما، وكذلك فعل في التقريب فضعف الشامي، وقال عن الذماري هذا: صدوق كان يصحّف (التقريب ص ٣٦٣) فإسناد ابن مندة حسن إن شاء الله تعالى.
وقال ابن عبد البر في ترجمة وبر بن يحنّس: وله صحبة، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى داذويه الإصطخري، وفيروز الديلمي، وحشيش الديلمي باليمن ليقتلوا الأسود العنسي؛ الذي ادّعىٰ النبوة (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ١١٢/ت ٢٧٤٥).
١٠ ـ أما عمرو بن حزام الذي ورد اسمه في رواية الطبري من طريق سيف فبحاجة إلى شيء من التفصيل: فقد أخرج البيهقي في الدلائل (٥) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق ثنا عبد الله بن أبي بكر عن أبيه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن يفقه أهلها، ويعلمهم السنة، ويأخذ صدقاتهم، فكتب كتاباً... الحديث.
ثم قال البيهقي: وقد روىٰ سليمان بن داود عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده هذا الحديث موصولاً بزيادات كثيرة في الزكاة والديات وغير ذلك. ونقصان عن بعض ما ذكرناه، وقد ذكرناه في كتاب السنن. اهـ.
قلنا: والمواضع التي أشار إليها البيهقي في الدلائل هي كالآتي في سننه (١/ ٨٨، ٣٠٩، =

= ١٠/ ١٢٨): وقد ضعف العلامة ابن التركماني في الجوهر النقي على حاشية سنن البيهقي هذا الحديث، ونقل عن ابن معين قوله: لا يصح هذا الحديث (حاشية السنن ١/ ٨٨).
قلنا: ومن الذين ضعفوه كذلك ابن حزم في المحلى (٨١١) والنووي في المجموع (٢/ ٧٢) وقد صححه غير واحد، كما أخرجه الحاكم مختصراً جداً وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ٣٩٥)، وابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن/ ٢٠٢) وصححه الطحاوي (٢/ ٤١٩) وابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٩٨) وغيرهم.
ومن أراد المزيد عن حديث عمرو بن حزم وكتاب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن؛ فليراجع ما كتبه الأستاذ الباغندي في حاشية مسند عمر بن عبد العزيز، فقد رجَّح قول من صححوا الحديث على قول من ضعفوه، وذكر طرق الحديث المختلفة، فجزاه الله خيراً (راجع مسند عمر بن عبد العزيز/ تحقيق الباغندي/ ح ٨٠). ولقد ترجم الحافظ لعمرو بن حزم بن لوذان الأنصاري في الصحابة، وقال: شهد الخندق وما بعدها، واستعمله النبي ﷺ على نجران (الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٥١٢/ ت ٥٨٢٦).
١١ - أما قيس بن عبد يغوث بن المكشوح الذي تحدث عنه سيف طويلاً في رواية الطبري (٢٩) فقد قال الحافظ: واختلف في صحبته، وقيل: إنه لم يسلم إلا في خلافة أبي بكر أو عمر، لكنهم ذكروا: أنه كان ممن أعان على قتل الأسود العنسي الذي ادعىٰ النبوة باليمن، فهذا يدلّ على أنه أسلم في عهد النبي ﷺ لأن النبي ﷺ أخبر بقتل الأسود في الليلة التي قُتل فيها وذلك قبل موت النبي ﷺ بيسير، وممن ذكر ذلك محمد بن إسحاق في السيرة (الإصابة ٥/ ٤٠٤/ ت ٧٣٢٨).
وقال الحافظ: وكان ممن ارتد عن الإسلام باليمن، وقتل داذويه الفارسي، كما تقدم ذلك في ترجمته، وطلب فيروز ليقتله، ففرّ منه إلى خولان، ثم راجع الإسلام، وهاجر، وشهد الفتوح، وله في فتوح العراق آثار شهيرة في القادسية، وفي فتح نهاوند وغيرها، وتقدم له ذكر في ترجمة عمرو بن معد يكرب (الإصابة ٥/ ٤٠٤) وراجع أسد الغابة (٤٤٠٥).
قلنا: وقد ذكرت رواية أخرى من غير طريق سيف بن عمر: أنه (أي: قيس بن المكشوح) شارك في قتل الأسود العنسي: فقد أخرج خليفة بن خياط عن أبي الحسن عن يعقوب بن داود الثقفي قال: سُئل أشياخنا بصنعاء عن مقتل الأسود العنسي، فقالوا: كنا نسمع آباءنا يذكرون: أن داذويه، وقيساً، وفيروز دخلوا عليه بيته فحطم فيروز عنقه فقتله. (تأريخ خليفة/ ١١٧).
قلنا: وهذا إسناد ضعيف. وكذلك أخرج خليفة فقال: وحدثنا أبو الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال: دخل عليه فيروز، وداذويه، وقيس (تأريخ خليفة/ ١١٧).
قلنا: وهذا إسناد مرسل، ولعل هذه الروايات (ضعيف سيف، ومرسل الزهري) والرواية =

= عن أشياخ صنعاء تتقوىٰ ببعضها وخاصة لأنها روايات في التأريخ لا دخل لها في مسائل العقيدة ، ولا الحلال والحرام ، والله أعلم.
وهناك رواية رابعة عند البلاذري تخالف هذه الروايات الثلاث؛ فقد أخرج البلاذري: قال: أخبرني بكر بن الهيثم قال: حدثني ابن أنس اليماني عمن أخبره عن النعمان بن برزج؛ أحد الأبناء: أن عامل النبي ﷺ الذي أخرجه الأسود عن صنعاء: أبان بن سعيد بن العاص ، وأن الذي قتل الأسود العنسي هو فيروز الديلمي ، وأن قيساً وفيروز ادعيا قتله وهما بالمدينة فقال عمر: قتله هذا الأسد ، يعني: فيروز (فتوح البلدان/ ١٤٨) وهذا إسناد منقطع إلَّا أن قول عمر: (قتله هذا الأسد، يعني: فيروز) قد أخرج نحوه البخاري في تأريخه كما ذكرنا سابقاً وبلفظ: فقال عمر: هذا فيروز قاتل الكذاب (الكبير ٤/ ١/ ١٣٦).
١٢ ـ أما زياد بن لبيد الأنصاري الذي ذكره سيف فيمن بعثهم رسول الله ﷺ عمالاً له على اليمن (الطبري ٢٥). فكذلك ذكره خليفة بن خياط في تأريخه: تسمية عماله ﷺ وفيه: وفرق اليمن فاستعمل على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى كندة ، والصدف المهاجر بن أبي أمية، وعلى حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري أحد بني بياضة، ومعاذ بن جبل على الجند، والقضاء ، وتعليم الناس الإسلام، وشرائعه ، وقراءة القرآن، وولىٰ أبا موسى الأشعري زبيد ، ورِقع ، وعدن ، والساحل ، وجعل قبض الصدقات من العمال الذين بها إلى معاذ بن جبل. وبعث عمر بن حزم إلى بلحارث بن كعب ، وأبا سفيان بن حرب إلى نجران (تأريخ خليفة/ ٩٧).
أما البلاذري فهو يقول بإجماع أصحاب المغازي والسير: أنه ﷺ بعث زياد بن لبيد على حضرموت ، فقال: وأجمعوا جميعاً: أن رسول الله ﷺ ولىٰ زياد بن لبيد حضرموت (فتوح البلدان/ ٩٣).
١٣ ـ أما المهاجر بن أبي أمية والذي ذكره الطبري في روايته (٢٥) من طريق سيف ، وأنه كان ممن أرسله النبي ﷺ إلى اليمن؛ فقد أخرج الطبراني عنه ، قال: وفدت على رسول الله ﷺ فرحب بي ، وأدنى مجلسي ، فلما أردت الرجوع؛ كتب ثلاث كتب: كتاب خاص بي فضَّلني فيه على قومي: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبي أمية: إن وائلاً يستسعيني ونوفلاً على الأقيال حيث كانوا من حضرموت... الحديث). كما أشار الحافظ في الإصابة وذكر كذلك عن الزبير قوله: شهد بدراً مع المشركين وقتل أخواه يومئذ: هشام ومسعود وكان اسمه الوليد ، فغيّره النبي ﷺ وولاّه لما بعث العمال على صدقات صنعاء ، فخرج عليه الأسود العنسي (الإصابة ٦/ ١٨٠/ت ٨٢٧١) ، (مؤتلف الدارقطني ١٦٣) ، (أسد الغابة ٥١٣٤) ، (الاستيعاب ٢٥٣).
١٤ ـ أما خالد بن سعيد بن العاص الذي ذكره سيف بن عمر (رواية الطبري ٢٤ ـ ٢٥) فقد وجدنا الحافظ قد ذكر روايتين في ذلك؛ الأولى قال فيها: وروينا في مناقب الشافعي =

= لمحمد بن رمضان بن شاكر: حدثنا محمد بن عبد الله بن الحكم، حدثنا الشافعي قال: (وجَّه رسول الله ﷺ علياً، وخالداً إلى اليمن. . . الحديث).
والرواية الثانية فقد قال الحافظ: وأخرج محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تأريخه من طريق خلاد بن يحيىٰ عن خالد بن سعيد عن أبيه قال: (بعث رسول الله ﷺ خالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن، وقال: «إذا مررت بقرية. . .» الحديث. (الإصابة ٤/ ٥٦٩/ت ٥٩٨٤).
قلنا: أما الإسناد الأول؛ فهو معضل، وأما الإسناد الثاني؛ فهو إسناد مرسل وهو صحيح إلى مرسله. وأخرج البلاذري قال: حدثني بكر بن الهيثم قال: حدثني عبد الرزاق بن همام اليماني عن مشايخ حدثوه من أهل اليمن: أن رسول الله ﷺ ولىٰ خالد بن سعيد بن العاص صنعاء، فأخرجه العنسي الكذاب عنها، وأنه ولّى المهاجر بن أبي أمية على كندة، وزياد بن لبيد الأنصاري على حضرموت والصدف، وهم ولد مالك بن مرتع بن معاوية بن كندة (فتوح البلدان). قلنا: وهذا إسناده ضعيف كما ترى.
١٥ - أما عبيد بن صخر بن لوذان الأنصاري؛ فقد ترجم له الحافظ في الإصابة في تميز الصحابة، وقال: ذكره البغوي، وغيره في الصحابة، وقال ابن السكن: له صحبة ولم يصح سند حديثه وأخرجه هو، والبغوي، والطبري من طريق سيف بن عمر بن سهل بن يوسف عن أبيه عن عبيد بن صخر بن لوذان قال: أمر النبي ﷺ عمال اليمن جميعاً فقال: «تعاهدوا القرآن بالمذاكرة. . .» الحديث.
وفيه: لما مات باذام فرّق النبي ﷺ أعماله بين شهر بن باذام، وعامر بن شهر، وأبي موسىٰ، والطاهر بن أبي هالة، وخالد بن سعيد، وعمرو بن حزم. وأخرج ابن السكن والطبري من هذا الوجه إلى صخر: وكان ممن بعثه النبي ﷺ مع عمال اليمن (الإصابة ٤/ ٣٣٤/ت ٥٣٥٩).
قلنا: وهاتان روايتان ضعيفتان، فمدارهما على سيف بن عمر، والله أعلم.
١٦ - أما جشيش الديلمي؛ فقد ترجم له الحافظ في الإصابة (١/ ٦٣٥/ت ١٢٩٠) فيمن أدرك الجاهلية ولم يَرِدْ: أنه رأىٰ النبي ﷺ وقال: كان ممن أعان علىٰ قتل الأسود الكذاب. ذكره الطبري، واستدركه ابن فتحون. ا هـ.
ثم ذكر الحافظ رواية سيف في كتابه (الردّة) والتي فيها: أنه ﷺ بعث إلى جشيش وإلى داذويه وإلى فيروز يأمرهم بمحاربة الأسود العنسي. وأنه أخرجه من وجهين عن ابن عباس ثم قال: وكذلك ذكره الواقدي من رواية همام بن منبه (الإصابة ١/ ٦٣٥).
قلنا: أما رواية سيف؛ فضعيفة، وكذلك رواية الواقدي، فهو متروك.
(خلاصة القول في روايات قصة الأسود العنسي وما جرىٰ بينه وبين عمال رسول الله ﷺ وأمرائه وبعوثه إلى اليمن): نقول وبالله التوفيق: لقد جعلنا الأصل في روايات الطبري حول هذا الموضوع ضعيفة لأنها من طريق سيف بن عمر، ثم حاولنا أن نجمع ما وجدناه في=

١٢/أ ـ حدَّثني عمر بن شبَّة ، قال: حدَّثنا عليّ بن محمد عن أبي معْشر ، ويزيد بن عياض بن جُعْدَبة ، وغسّان بن عبد الحميد ، وجُوَيْرِيَة بن أسماء ، عن مشيختهم ، قالوا: أمضى أبو بكر جيشَ أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول ، وأتى مقتلُ العنسيّ في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة؛ وكان ذلك أوّل فتح أتى أبا بكر وهو بالمدينة[1] . (٣: ٢٤٠) .

١٢/ب ـ وقال الواقديّ: في هذه السنة ـ أعني: سنة إحدى عشرة ـ قدِم وفد النَّخَع في النصف من المحرّم على رسولِ الله ﷺ ، رأسُهم زُرارة بن عمرو ، وهم آخر من قدم من الوفود.

وفيها ماتت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ في ليلة الثلاثاء لثلاث خلَوْن من شهر رَمضان؛ وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها. وذكر: أنّ أبا بكر بن

= الصحاح ، والمسانيد ، والسنن ، ومصادر التأريخ المعتمدة: (تأريخ ابن خليفة ، فتوح البلدان للبلاذري ، طبقات ابن سعد ، وما رواه الحافظ من كتب ابن السكن ، وابن منده ، وأبو سعيد النيسابوري وغيرهم بالأسانيد المذكورة في الإصابة).

والحق يقال فإن سيف بن عمر عمدة في التأريخ ، كما قال ابن حجر؛ الذي لم يقل هذه العبارة اعتباطاً ، وإنما سبر رواياته التأريخية ، ثم قال: ضعيف في الحديث ، عمدة في التأريخ ، وكذلك قال الذهبي: كان أخبارياً عارفاً بالتأريخ. أما ما لم نذكره في الصحيح من روايات سيف فسنعلق عليها في قسم الضعيف من عهد الخلفاء الراشدين. ولله المنة والفضل. فإن كنا قد أصبنا في تقسيمنا لروايات الأسود العنسي في تأريخ الطبري؛ فمن الله التوفيق ، وإن كنا قد أخطأنا؛ فمن أنفسنا ، ونستغفر الله. أما الرواية (٣٠) من طريق سيف عن ابن عمر قال: (أتى الخبر النبي ﷺ من السماء الليلة التي قتل فيها العنسي ليبشرنا ، فقال: «قتل العنسي البارحة ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين»: قيل: ومن هو؟ قال: «فيروز. فاز فيروز». فلم نجد له متابعاً.

وكذلك قوله في نهاية الرواية (٣٢) قال: وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن الله قتل الأسود الكذاب العنسي ، قتله رجل من إخوانكم ، وقوم قد أسلموا وصدقوا». فلم نجد من يتابع سيفاً في روايته هذه والله أعلم ، إلاّ أنا ذكرنا: أن البخاري أخرج في صحيحه حديث أبي هريرة الذي فيه: أنه ﷺ رأى مناماً ، وأوّله بزوال كذابين يخرجان من بعده ، ثم حديث ابن عباس الذي يقول فيه عبد الله رضي الله عنه: أحدهما: العنسي؛ الذي قتله فيروز باليمن ، والآخر: مسيلمة الكذاب. (صحيح البخاري ح ٤٣٧٩) والحمد لله أولاً وآخراً.

(١) إسناده ضعيف وقد تحدثنا عن إسناده ومتنه في روايات الطبري عن إنفاذ أبي بكر لجيش أسامة فراجعهما هناك (١٧ ـ ٢٣).

عبد الله حدّثه عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبان بن صالح بذلك[١] (٣: ٢٤٠) .

١٣ ـ قال: وحدثنا ابن جريج عن الزهريّ ، عن عروة ، قال: توفّيتْ فاطمة بعد النبيّ ﷺ بستة أشهر.

قال الواقديّ: وهو أثبت عندنا.

قال: وغسَّلها عليّ عليه السلام ، وأسماء بنت عُمَيس[٢]. (٣: ٢٤٠) .

١٤ ـ وحدَّثني عُبيد الله ، قال: حدثنا عمّي ، قال: أخبرنا سيف ـ وحدَّثني السَّريّ ، قال: حدَّثنا شُعيب ، قال: حدَّثنا سَيْف عن المجالد بن سعيد ، قال: لما فَصَل أسامة كفرت الأرض وتضرَّمت ، وارتدّت من كلّ قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً[٣]. (٣: ٢٤٢) .

(اشرأب النفاق وارتدت العرب) والله أعلم

١٥ ـ وحدَّثني عُبيد الله ، قال: حدَّثنا عمّي ، قال: أخبرَنا سيف ـ وحدَّثني

---

(١) وفيها ماتت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ في ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة أو غيرها ، وذكر أنّ أبا بكر بن عبد الله حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبان بن صالح بذلك.
هذا إسناد ضعيف ولكن الصحيح: أنها توفيت في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ ، وهو اختيار ابن كثير والذهبي (البداية والنهاية ٦/ ٣٣٦) ، (تأريخ الإسلام/ عهد الخلفاء الراشدين/ ٤٣) وهو ما تثبته رواية الزهري عن عروة الآتية.

(٢) قلنا: وعن عروة عن عاى شة رضي الله عنها: أن فاطمة عاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر ، ودفنت ليلاً. (المستدرك ٣/ ١٦٢) وكذلك عند ابن سعد في طبقاته (٨/ ٢٨) وقال خليفة بن خياط: وحدثني محمد بن معاوية عن سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن علي ، قال: لبثت بعد أبيها ستة أشهر (تأريخ خليفة/ ٩٦).
وقال ابن كثير: والصحيح ما ثبت في الصحيح من طريق الزهري عن عروة ، عن عائشة: أن فاطمة عاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر ودفنت ليلاً (البداية والنهاية ٦/ ٣٣٨) أما سنها حين وفاتها فقد رجح الذهبي: أن سنها يوم وفاتها أربع وعشرون سنة رضي الله عنها (تأريخ الإسلام/ عهد الخلفاء الراشدين/ ٤٨).

(٣) إسناده ضعيف وإن كان من أقل أسانيد سيف عند الطبري ضعفاً ، ولم نجد هذه الرواية من طريق آخر مسنداً صحيحاً إلاّ أننا ذكرنا في الصحيح رواية عائشة رضي الله عنها ، وصيغتها العموم دون تحديد.

السّريّ ، قال : حدَّثنا شُعيب ، قال : حدَّثنا سيْف ـ عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لما مات رسولُ الله ﷺ ، وفَصَل أسامة ارتدّت العرب عوامَّ أو خواصَّ ؛ وتوَحَّى مسيلمة ، وطُليحة ، فاستغلظ أمرهما ؛ واجتمع على طُليحة عوامُّ طيِّىء وأسد ، وارتدَّت غَطَفان إلى ما كان من أشْجع وخواصّ من الأفناء فبايعوه ، وقدّمت هوازن رِجْلاً ، وأخَّرَتْ رِجْلاً ، أمسكوا الصَّدقة إلاَّ ما كان من ثَقِيف ولِفّها ؛ فإنهم اقتدى بهم عوامّ جَدِيلة والأعجاز ؛ وارتدّت خواصّ من بني سُليْم ؛ وكذلك سائر الناس بكلّ مكان .

قال : وقدمت رسُل النبيّ ﷺ من اليَمن واليمامة وبلاد بني أسد ووفود مَن كان كاتبه النبيّ ﷺ ، وأمِر أمرُه في الأسود ، ومسيلمة ، وطلحة بالأخبار والكتب ؛ فدفعوا كتبَهم إلى أبي بكر ، وأخبروه الخبر ، فقال لهم أبو بكر : لا تبرحوا حتى تجيء رسلُ أمرائكم وغيرهم بأدْهى ممّا وصفتم وأمرّ ؛ وانتقاضِ الأمور . فلم يلبَثُوا أن قَدِمَتْ كتبُ أمراء النبيّ ﷺ من كلّ مكان بانتقاضِ عامَّة أو خاصَّة ؛ وتبسُّطهم بأنواع الميل على المسلمين ، فحاربهم أبو بكر بما كان رسولُ الله ﷺ حاربَهم بالرّسل . فردّ رسلَهم بأمره ، وأتبعَ الرّسلَ رسلاً ؛ وانتظر بمصادمتهم قدومَ أسامة ؛ وكان أول مَنْ صادم عَبْس ، وذُبْيان ، عاجلوه ، فقاتلهم قبل رجوع أسامة[1] . (٣ : ٢٤٢/ ٢٤٣) .

١٦ - حدَّثني السريّ ، قال : حدَّثنا شعيب عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجِذْع ، وحرام بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : لما قدِم أسامة بن زيد خرج أبو بكر واستخلفه على المدينة ، ومضى حتى انتهى إلى الرَّبَذَة يلقى بني عبس ، وذُبيان ، وجماعة من بني عبد مناة ابن كنانة ، فلقيَهم بالأبْرَق ، فقاتلهم فهزمَهم الله ، وفَلَّهم ، ثم رجع إلى المدينة ، فلما جمَّ جند أسامة ، وثاب مَن حول المدينة خرج إلى ذي القَصَّة فنزل بهم ـ وهو على بريد من المدينة تلقاء نَجْد ـ فقطّع فيها الجند ، وعَقَد الألوية . عقد أحد عشر لواءً على أحد عشر جنداً ، وأمَر أمير كلّ جند باستنفار مَنْ مَرّ به من المسلمين من

(١) إسناده ضعيف ومتنه صحيح كما مر بنا في بقية أحاديث الردة وراجع تعليقنا على الحديث السابق .

أهل القوّة ، وتخلَّف بعضُ أهل القوّة لمنع بلادهم[١]. (٣ : ٢٤٨/ ٢٤٩) .

(ذكر بقية الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل إليه أمر طليحة)[٢]

١٧ ـ حدَّثنا عبيد الله بن سعد ، قال: حدَّثنا عمي ، قال: أخبرنا سيف

(١) إسناده ضعيف وخروج أبي بكر رضي الله عنه في بداية الأمر إلى ذي القصة معروف عند أئمة المغازي والسير؛ فقد ذكر خليفة بن خياط خروجه رضي الله عنه إلى ذي القصة فقال: ثم خرج إلى ذي القصة واستخلف على المدينة سنان الضميري وابن مسعود على أنقاب المدينة.
وقال خليفة: فحدثنا علي بن محمد عن عبد الله بن عمر الأنصاري عن هشام بن عروة عن أبيه: قال: خرج أبو بكر من المدينة للنصف من جمادى الآخرة (تأريخ خليفة بن خياط/ ١٠١) وكذلك ذكر البلاذري في كتابه خروج أبي بكر رضي الله عنه إلى القصَّة من أرض محارب لتوجيه الزحوف إلى أهل الردة ومعه المسلمون.

(مقدمة في الردة بعد وفاة رسول الله ﷺ وبداية خلافة أبي بكر)

قبل أن نناقش روايات الطبري في أحداث الردة والتي استغرقت ما يقرب من مئة صفحة ، نود أن نذكر الحديث الصحيح عن الردّة وموقف أبي بكر رضي الله عنه منها؛ إذ من المعلوم: أنه لما انتشر خبر وفاة رسول الله ﷺ ارتدت طوائف من العرب كثيرة ، حتىٰ أن ابن إسحاق حصر الذين لم يرتدوا بأهل المسجدين (المدينة ومكة) فعزم سيدنا أبو بكر لقتالهم وهداه الله للصواب في ذلك في أحرج مرحلة مرت بها جماعة الصحابة ودولة الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ .
وأراد بعض الصحابة في بداية الأمر أن يقنعوا أبا بكر بالعدول عن رأيه فقال أبو بكر الصديق قولته المشهورة:
والله لو منعوني عقالاً أو عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها ، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله». فقال أبو بكر: (والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال وقد قال: «إلا بحقها» ، فقال عمر: فوالله ما هو إلاَّ أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت: أنه الحق). (صحيح البخاري ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ) ، و(مسلم ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وغيرها).

(٢) ذكر الطبري روايات ردة طليحة ، ومن انضم إليه من القبائل متفرقاً بعض الشيء ، وسنذكرها معاً وهي في الجزء الثالث من تأريخه (طبعة دار المعارف).

ـ وحدثني السريّ ، قال: حدَّثنا شُعيب ، قال: حدَّثنا سيف ـ عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد وبدر بن الخليل وهشام بن عروة ، قالوا: لما أَرَزَتْ عَبْس وذُبيان ولِفُّها إلى البُزَاخةَ ، أرسل طليحة إلى جَدِيلة والغَوْث أن ينضمُّوا إليه ، فتعجَّل إليه أناس من الحَيَّيْنِ ، وأمروا قومهم باللحاق بهم ، فقدِموا على طُلَيحَة ، وبعث أبو بكر عَدِيّاً قبل توجيه خالد من ذي القَصَّة إلى قومه ، وقال: أدْرِكْهُمْ لا يُؤكَلُوا. فخرج إليهم ففتلهم في الذِّرْوَة والغارب ، وخرج خالد في أثره ، وأمره أبو بكر أن يبدأ بطيِّيء على الأكناف ، ثم يكون وجهه إلى البُزاخة ، ثم يثلِّث بالبُطاح ، ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدِّث إليه ، ويأمره بذلك. وأظهر أبو بكر أنه خارج إلى خَيْبر ومنصبّ عليه منها حتى يلاقيَه بالأكناف ، أكناف سَلْمَىٰ؛ فخرج خالد فازورَّ عن البُزاخة ، وجَنَح إلى أجأ ، وأظهر أنه خارج إلى خيْبَر ، ثم منصبّ عليهم ، فقعَّد ذلك طيِّئاً وبطَّأهم عن طليحة؛ وقدم عليهم عديٌّ؛ فدعاهم فقالوا: لا نبايعْ أبا الفَصِيل أبداً ، فقال: لقد أتاكم قوم ليُبيحُنَّ حريمكم ، ولتُكنُّنَّه بالفَحْل الأكبر؛ فشأنكم به. فقالوا له: فاستقبل الجيش فنههْه عنّا حتى نستخرج من لحق بالبُزاخة منّا ، فإنا إن خالفنا طُلَيحة وهم في يديه قَتلهم أو ارْتَهنهم. فاستقبل عديٌّ خالداً وهو بالسُّنْح ، فقال: يا خالد ! أمسِكْ عنِّي ثلاثاً يجتمع لك خمسمئة مقاتل تضرب بهم عدوّك؛ وذلك خيرٌ من أن تُعْجِلَهم إلى النار؛ وتشاغلْ بهم؛ ففعل. فعاد عديّ إليهم وقد أرسلوا إخوانهم؛ فأتوْهم من بُزاخة كالمدَدِ لهم؛ ولولا ذلك لم يُتْركوا؛ فعاد عديّ بإسلامهم إلى خالد ، وارتحل خالد نحو الأنسُر يريد جَدِيلة ، فقال له عديّ: إن طيِّئاً كالطائر ، وإن جَدِيلة أحدُ جناحَيْ طيّيء؛ فأجّلْني أياماً لعلّ الله أن ينتقذ جَدِيلة كما انتقذ الغوْث؛ ففعل ، فأتاهم عديّ فلم يزل بهم حتى بايعوه؛ فجاءه بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب؛ فكان خير مولود وُلِد في أرضِ طيّيء ، وأعظمه عليهم بركة. (٣: ٢٥٣/ ٢٥٤).

١٨ ـ فحدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، قال: حُدِّثت: أنّ الناس لما اقتتلوا ، قاتل عُيينة مع طليحة في سبعمئة من بني فزارة قتالاً شديداً ، وطُلَيحة متلفّف في كساء له بفناء بيت له من شَعَر ، يتنبّأ لهم ،

والناس يقتتلون ، فلما هزَّتْ عُيَينة الحرب ، وضرَس القتال ، كرَّ على طليحة ، فقال: هل جاءك جبريل بعد؟ قال: لا ، قال: فرجع فقاتل حتى إذَا ضرَس القتال وهزَّته الحرب كرَّ عليه فقال: لا أبا لك! أجاءك جبريل بعد؟ قال: لا والله ، قال: يقول عُيينة حلِفاً: حتى متى! قد والله بلَغ منّا! قال: ثم رجع فقاتل ، حتى إذا بلغ كرَّ عليه ، فقال: هل جاءك جبريل بعد؟ قال: نعم ، قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: «إنَّ لك رحاً كرَحاه ، وحديثاً لا تنساه» ، قال: يقول عيينة: أظنَّ أن قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه؛ يا بني فزارة هكذا؛ فانصرفوا؛ فهذا والله كذَّاب. فانصرفوا وانهزم الناس فغَشوا طليحة يقولون: ماذا تأمرنا؟ وقد كان أعدّ فرسه عنده ، وهيّأ بعيراً لامرأته النَّوَار ، فلما أن غَشَوه يقولون: ماذا تأمرنا؟ قام فوثب على فرسه ، وحمل امرأته ثم نجا بها ، وقال: من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فلْيفعل؛ ثم سلك الحوشيَّة حتى لحق بالشأم وارفضّ جمعه؛ وقتل الله مَن قتل منهم ، وبنو عامر قريباً منهم على قادتِهم وسادتهم؛ وتلك القبائل من سُلَيم وهوازن على تلك الحال؛ فلما أوقع الله بطُلَيحة وفَزَارة ما أوقع ، أقبل أولئك يقولون: ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، نُسلم لحُكْمه في أموالنا وأنفسنا. (٣: ٢٥٦).

١٩ ـ قال أبو جعفر: وكان سبب ارتداد عُيينة ، وغطَفان ، ومَن ارتدَّ من طيىء ما حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال: أخبرني عمّي ، قال: أخبرني سيف ـ وحدثني السريّ قال: حدَّثنا شعيب عن سيف ـ عن طلحة بن الأعلم عن حبيب بن ربيعة الأسَديِّ ، عن عُمارة بن فلان الأسديّ ، قال: ارتدَّ طُلَيحة في حياة رسول الله ﷺ ، فادَّعى النبوّة ، فوجَّه النبيّ ﷺ ضِرار بن الأزور إلى عمَّاله على بني أسد في ذلك ، وأمرهم بالقيام في ذلك على كلّ مَن ارتدَّ ، فأشجوْا طليحة وأخافوه ، ونزل المسلمون بوَارِدَات. ونزل المشركون بسَمِيراء ، فما زال المسلمون في نماء والمشركون في نقصان؛ حتى همَّ ضِرار بالمسير إلى طُليحة ، فلم يَبْق [أحد] إلاَّ أخذه سلَماً ، إلاَّ ضربة كان ضربها بالجُراز ، فنبا عنه ، فشاعت في النّاس ، فأُتي المسلمون وهم على ذلك بخبر موتِ نبيّهم ﷺ ، وقال ناس من الناس لتلك الضربة: إنَّ السلاح لا يُحيك في طليحة؛ فما أمسى المسلمون من ذلك اليوم حتى عرفوا النقصان ، وارفضَّ الناس إلى طُليحة واستطار أمرُه ، وأقبل ذو الخِمارَيْن

عوفُ الجَذَمِيّ حتى نزل بإزائنا ، وأرسل إليه ثُمامة بن أوْس بن لأم الطائيّ : إنّ معي من جَديلة خمسمئة ، فإنْ دَهِمَكم أمر فنحن بالقُرْدُودة والأنسُر دُوَيْنَ الرمل. وأرسل إليه مُهَلْهِلُ بن زيد : إنّ معي حدَّ الغوث ؛ فإنْ دهِمكم أمرٌ فنحن بالأكناف بحيال فَيْد. وإنما تحدَّبتْ طيّئ على ذي الخمارين عوف : أنه كان بين أسَد وغَطَفَان وطيّىء حِلْفٌ في الجاهليّة ، فلما كان قبل مبعث النبيّ ﷺ اجتمعتْ غَطَفان وأسَد على طيّىء ، فأزاحوها عن دارها في الجاهلية : غَوْثها ، وجَدِيلتها ، فكره ذلك عَوْف ؛ فقطع ما بينه وبين غَطَفان ، وتتابع الحيَّانِ على الجَلاء ، وأرسل عوف إلى الحيّين من طيّىء ، فأعاد حِلْفهم ، وقام بنصرتهم ، فرجعوا إلى دُورهم ، واشتدّ ذلك على غَطَفان ؛ فلما مات رسولُ الله ﷺ قام عُيَينة بن حِصْن في غَطَفان ؛ فقال : ما أعرف حدودَ غَطَفَان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسَد ؛ وإني لمجدّد الحِلْف الذي كان بيننا في القديم ومتابعٌ طليحة ؛ والله لأنْ نتّبع نبيّاً من الحليفيْن أحبُّ من أن نتّبع نبيّاً من قريش ؛ وقد مات محمد ، وبَقِيَ طلَيْحة ! فطابَقُوه على رأيِه ، ففعل وفعلوا.

فلمّا اجتمعت غطفان على المطابَقة لطليحة هَرب ضرار ، وقُضاعيّ ، وسنان ، ومَن كان قام بشيء من أمر النبيّ ﷺ في بني أسد إلى أبي بكر ، وارفضّ مَن كان معهم ، فأخبروا أبا بكر الخبر ، وأمروه بالحذَر ، فقال ضرار بن الأزور : فما رأيتُ أحداً - ليس رسولَ الله ﷺ - أمْلأ بحرب شَعواء من أبي بكر ؛ فجعلنا نخبره ، ولكأنما نخبره بما له ولا عليه. وقدمتْ عليه وفودُ بني أسد ، وغَطَفان ، وهَوازِن ، وطيّىء ، وتلقتْ وفودُ قضاعة أسامة بن زيد ، فحوَّزها إلى أبي بكر ؛ فاجتمعوا بالمدينة فنزلوا على وجوه المسلمين لعاشر من مُتَوَفَّى رسول الله ﷺ ، فعرضوا الصلاةَ على أن يُعْفوا من الزّكاة ، واجتمع مَلأ مَن أنزلهم على قبول ذلك حتى يبلغوا ما يريدون ؛ فلم يبق من وجوه المسلمين أحد إلا أنزل منهم نازلاً إلا العبّاس. ثم أتوا أبا بكر فأخبروه خبرهم وما أجمع عليه ملؤُهم ، إلاّ ما كان من أبي بكر ، فإنه أبى إلاّ ما كان رسولُ الله ﷺ يأخذ ، وأبوا ، فردّهم وأجّلهم يوماً وليلة ؛ فتطايروا إلى عشائرهم. (٣ : ٢٥٧/٢٥٨).

٢٠ - حدَّثني السريّ ، قال : حدَّثنا شُعيب عن سيف ، عن سَهْل بن يوسف ، قال : أخذ المسلمون رجلاً من بني أسَد ، فأتِيَ به خالد بالغَمْر - وكان عالماً بأمر

طُليحة ـ فقال له خالد: حدِّثنا عنه وعمّا يقول لكم، فزعم أن مما أتي به: «والحمام واليمام، والصُّرَد الصَّوَّام، قد صمنا قبلكم بأعوام، ليبلغنّ مُلْكُنا العراق، والشام». (٣: ٢٦٠).

٢١ - حدَّثني السريّ، قال: حدَّثنا شعيب عن سيف، عن أبي يعقوب سعيد بن عبيد، قال: لما أرْزَى أهل الغَمْر إلى البُزاخة، قام فيهم طليحة، ثم قال: «أمرت أن تصنعوا رحاً ذات عُراً، يرمي الله بها مَنْ رَمى، يهوي عليها من هوى»، ثم عَبَّى جنوده. ثم قال: «ابعثوا فارسين على فرسين إلى أبي بكر: إن بني عامر أقبلت بعد إعراض ودخلت في الإسلام بعد تربص، وإني لم أقبل من أحد قاتلني أو سالمني شيئاً حتى يجيئوني بمن عدا على المسلمين، فقتلهم كل قتلة، وبعثت إليك بقرّة وأصحابه[1]. (٣: ٢٦٢/ ٢٦٣).

---

(١) أما بقية الروايات التي لم نذكرها فقد ذكرناها في القسم الضعيف من عهد الخلفاء الراشدين.
أولاً: ذكر الروايات عند غير الطبري من المؤرخين المتقدمين:
١ - أخرج خليفة بن خياط من طريق علي بن محمد عن مسلمة، عن داود، عن عامر، وأبي معشر عن يزيد بن رومان: أن أبا بكر خرج إلى ذي القصة وهمّ بالمسير بنفسه. فقال له المسلمون: إنك لا تصنع بالمسير بنفسك شيئاً، ولا ندري لم تقصد؟ فأمِّر رجلاً تأمنه وتثق به وارجع إلى المدينة فإنك تركتها تغلي بالنفاق، فعقد لخالد بن الوليد على الناس، وأمَّر على الأنصار خاصة ثابت بن قيس بن شمَّاس وعليهم جميعاً خالد، وأمره أن يصمد لطليحة وأظهر أبو بكر مكيدة فقال لخالد: إني موافيك بمكان كذا وكذا (تأريخ خليفة/ ١٠٢).
٢ - وقال مسلمة عن داود، عن عامر، وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري: أن خالداً سار من ذي القصّة في ألفين وسبعمئة إلى الثلاثة آلاف يريد طليحة، ووجَّه عكاشة بن محصن، وثابت بن أقرم بن ثعلبة الأنصاري حليف لهم من بليّ فانتهوا إلى قطن فصادفا بها حبالاً وأخذا ما معه.
فخرج طليحة وسلمة ابنا خويلد فلقيا عكاشة وثابتاً، فقتلا عكاشة وثابتاً وسار خالد إلى بُزاخة، فلقي طليحة ومعه عيينة بن حصن الفزاري وقرّة بن هبيرة القيري، فاقتتلوا قتالاً شديداً.
وهزم الله طليحة وهرب إلى الشام وأسر عيينة وقرة بن هبيرة، فبعث بهما خالد إلى أبي بكر فحقن دماءهما، وتفرّق الناس عن بُزاخة، فأتى ناس غَمْرَ مرزوق، فسار إليهم خالد فقتل منهم ناساً كثيراً، وانهزم الآخرون بعد قتالٍ شديد (تأريخ خليفة/ ١٠٢).
٣ - وأخرج خليفة بن خياط: حدثنا بكر عن ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قاتل عيينة مع طليحة في سبعمئة من=

= بين فزارة فانهزم الناس وهرب طليحة إلى الشام وانفض جمعه. (تأريخ خليفة/ ١٠٣).
هذه ثلاث روايات عن طليحة وما جرى بينه وبين المسلمين من وقائع (عند ابن خليفة).
٤ ـ قال الحافظ في الإصابة في ترجمة ثابت بن أقرم (حليف الأنصار): واتفق أهل المغازي على أن ثابت بن أقرم قتل في عهد أبي بكر، قتله طليحة بن خويلد الأسدي (الإصابة ١/ ٥٠١/ت ٨٧٤).
٥ ـ أخرج يعقوب بن سفيان في تأريخه من طريق الزهري، قال: خرج أبو بكر غازياً، ثم أمر خالداً وندب معه الناس، وأمره أن يسير في ضاحية مضر، فيقاتل من ارتد، ثم يسير إلى اليمامة، فسار فقاتل طليحة فهزمه الله تعالى فذكر القصّة (الإصابة ٣/ ٢٥٨) (المعرفة والتأريخ ٣/ ٢٩٠).
٦ ـ ونسب ابن حجر إلى محمد بن عثمان بن أبي شيبة: أنه أخرج من طريق عبد الملك بن عمير نحو ما رواه الزهري وفيها: يا أمير المؤمنين فمعاشرة جميلة، فإن الناس يتعاشرون مع البغضاء، قال: وأسلم طليحة إسلاماً صحيحاً ولم يُغْمَصْ عليه في إسلامه بعد، وأنشد له في صحة إسلامه شعراً (الإصابة ٣/ ٤٤١) ثم ذكر الحافظ: أنه ناقش مع القاضي جلال الدين البلقيني رواية عند الشافعي ذكرها في الأم وفيها: (أن عمر رضي الله عنه قتل طليحة، وعيينة بن بدر) فاستغربه البلقيني جداً. وقال الحافظ: ولعله (أي لفظه): قتل بالباء الموحدة أي (قَبِلَ) منهما الإسلام فالله أعلم (الإصابة ٣/ ٤٤١).
٧ ـ أخرج البلاذري قال: ثنا إبراهيم بن محمد عن عرعرة، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: أخبرنا سفيان الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: قدم وفد بُزاخة على أبي بكر فخيّرهم بين الحرب المجلية والسلم المخزية. فقالوا: قد عرفنا الحرب المجلية فما السلم المخزية؟ قال: أن ننزع منكم الحلقة والكراع ونغنم ما أصبنا منكم، وتردّوا إلينا ما أصبتم منا، وتدُوا قتلانا ويكون قتلاكم في النار (فتوح البلدان/ ١٣٢).
قلنا: وفي الأصل عن قيس بن مسلم عن مسلم عن طارق بن شهاب وهو تصحيف أو خطأ مطبعي وإلاّ فإن قيساً يروي عن طارق هذا بلا مباشرة. وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناداً أخرجه الطبري من طريق شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: رأيت النبي ﷺ وغزوت في خلافة أبي بكر.
وقال الحافظ أيضاً: وحديث طارق عن الصحابة في الكتب الستة، منهم الخلفاء الأربعة (الإصابة ٣/ ٤١٤).
وأخرج الذهبي هذه الرواية في تأريخه عن الثوري، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: لمَّا قدم وفدُ بزاخة وأسد وغطفان على أبي بكر يسألونه الصلح... الخبر... وفي آخره: وتشهدون أن قتلانا في الجنة، وأن قتلاكم في النار، وتدون قتلانا ولا ندي قتلاكم، فقال عمر: أمّا قولك: (تدون قتلانا) فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات. فاتبع =

= عمر. وقال عمر في الباقي: نعم ما رأيت (عهد الخلفاء الراشدين/ ٣٢).
وأخرج الحافظ ابن كثير هذه الرواية عن طارق بن شهاب مع اختلاف بسيط في الألفاظ ثم قال: ورواه البخاري من حديث الثوري بسنده مختصراً. (البداية والنهاية ٦/ ٣٢٣).
٨ - وأخرج ابن سعد من طريق ضعيف (الواقدي) عن عميلة الفزاري عن أبيه قال: خرج خالد بن الوليد يستعرض الناس فكلما سمع أذاناً للوقت كفّ وإذا لم يسمع أذاناً أغار، فلما دنا من القوم ببزاخة بعث عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم طليعة أمامه يأتيانه بالخبر، وكانا فارسين، عكاشة على فرس يقال له: الرزام وثابت على فرس يقال له: المحبر، فلقيا طليحة وأخاه سلمة ابني خويلد طليعة لمن وراءهما من الناس فانفرد طليحة بعكاشة وسلمة بثابت بن أقرم فلم يلبث سلمة أن قتل ثابت بن أقرم، وصرخ طليحة بسلمة: أعنّي على هذا الرجل فإنه قاتلي. فكرّ سلمة على عكاشة فقتلاه جميعاً. وأقبل خالد بن الوليد معه المسلمون فلم يدعهم إلاّ ثابت بن أقرم قتيلاً تطؤه المطيّ فعظم ذلك على المسلمين، ثم لم يسيروا إلا يسيراً حتى وطئوا عكاشة قتيلاً. (الطبقات ٣/ ٤٦٧).
٩ - وأخرج ابن سعد أيضاً رواية أخرى من طريق الواقدي عن أبي واقد الليثي قال: كنّا نحن المقدمة مئتي فارس وعلينا زيد بن الخطاب، وكان ثابت بن أقرم وعكاشة بن محصن أمامنا، فلما مررنا بهما سيء بنا، وخالد والمسلمون وراءنا بعد، فوقفنا عليهما حتى اطلع خالد بن الوليد يسير فأمرنا فحفرنا لهما ودفنَّاهما بدمائهما وثيابهما ولقد وجدنا بعكاشة جراحات منكرة، قال محمد بن عمر (أي: الواقدي): هذا أثبت ما سمعنا في قتلهما وكان قتلهما طليحة الأسدي ببزاخة سنة اثنتي عشرة (الطبقات ٣/ ٤٦٧).
وقال ابن سعد: شهد بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وخرج مع خالد بن الوليد إلى أهل الردة في خلافة أبي بكر، وكذلك قال ابن إسحاق. (٣/ ٤٦٦).
١٠ - أخرج البلاذري في فتوح البلدان: أن أبا بكر أمر خالداً أن يصمد لطليحة بن خويلد الأسدي، وكان قد ادعىٰ النبوة، وهو يومئذ ببزاخة، وبزاخة ماء لبني أسد بن خزيمة فسار إليه خالد وقدّم أمامه عكاشة بن محصن الأسدي، حليف بني عبد شمس، وثابت بن أقرم البلوي، حليف الأنصار، فلقيهما حبال بن خويلد فقتلاه وخرج طليحة وسلمة أخوه وقد بلغهما الخبر فلقيا عكاشة وثابتاً فقتلاهما، فقال طليحة:

ذكرت أخي لما عرفت وجوههم ... وأيقنت أني ثائر بحبال
عشية غادرت ابن أقرم ثاوياً ... وعكاشة الغنمي عند مجال

ثم التقى المسلمون وعدوهم، واقتتلوا قتالاً شديداً، وكان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مع طليحة في سبعمئة من بني فزارة، فلما رأى سيوف المسلمين قد استلحمت المشركين؛ أتاه فقال له: أما ترى ما يصنع جيش أبي الفضل، فهل جاءك جبريل بشيء، قال: نعم جاءني فقال: إن لك رحاً مثل رحاه، ويوماً لا تنساه، فقال عيينة: أرى والله إن لك يوماً=

٢٢ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، قال: لمّا فرغ خالد من أمر بني عامر وبيعتهم على ما بايعهم عليه ، أوثق عُيينة بن حِصن وقُرّة بن هبيرة ، فبعث بهما إلى أبي بكر ، فلمّا قدِما عليه قال له قرّة: يا خليفةَ رسولِ الله ! إنِّي قد كنت مسلماً ، ولي من ذلك على إسلامي عند عمرو بن العاص شهادة؛ قد مرّ بي فأكرمته وقرّبته ومنعته. قال: فدَعا أبو بكر عمرَو بن العاص ، فقال: ما تعلم من أمر هذا؟ فقصّ عليه الخبر ، حتى انتهى إلى ما قال له من أمر الصّدقة ، قال له قرّة: حسبك رحمك الله! قال: لا والله؛ حتى أبلِّغ له كلّ ما قلت، فبلّغ له، فتجاوز عنه أبو بكر ، وحقَن دمه[1]. (٣: ٢٥٩ ـ ٢٦٠).

= لا تنساه؛ يا بني فزارة هذا كذاب ! وولّى عن عسكره فانهزم الناس وظهر المسلمون وأسر عيينة بن حصن فَقُدِمَ به المدينة فحقن أبو بكر دمه وخلى سبيله وهرب طليحة بن خويلد فدخل خباء له فاغتسل ، وخرج فركب فرسه وأهلَّ بعمرة ثم مضى إلى مكة ثم أتى المدينة مسلماً. وقيل: بل أتى الشام فأخذه المسلمون ممن كان غادياً ، وبعثوا به إلى أبي بكر بالمدينة فأسلم وأبلى في فتح العراق ونهاوند.

وقال له عمر: أقتلت العبد الصالح عكاشة بن محصن؟ فقال: إن عكاشة بن محصن سُعِدَ بي وشقيت به وأنا أستغفر الله. ا. هـ. (فتوح البلدان ١٣٤) هكذا ذكره البلاذري بلا إسناد.

(١) إسناده ضعيف ولكن له ما يشهد لأصل القصة (أي وقوع قرة بن هبيرة في الأسر ثم تجاوز أبي بكر عنه وأمره بأداء الصدقة وأنه أنكر أن يكون قد ارتد بقلبه).

قال الحافظ في الإصابة: وهذا رواه ابن أبي داود والبغوي وابن شاهين من طريق الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن سعيد بن نشيط أن قرة بن هبيرة قدم على رسول الله ﷺ فلما كان في حجة الوداع نظر إليه رسول الله ﷺ وهو على ناقة قصيرة فقال: (يا قرّة كيف قلت حيث لقيتني) فذكره وزاد فيه: ثم بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين وتوفي رسول الله ﷺ وعمرو هنالك . . . ثم قال الحافظ (بعد قليل): وقصة مسيلمة أوردها ابن شاهين متصلة بالخبر المذكور وزاد عمر ويعني ابن العاص ، فمررت بمسيلمة فأعطاني الأمان. ثم قال: إن محمداً أرسل في جسيم الأمر وأرسلت في المحقرات. فقال: اعرض عليّ ما تقول فذكر كلامه ، وفيه فقال عمرو: فقلت والله إنك من الكاذبين ، فتوعدني فقال لي قرة بن هبيرة: ما فعل صاحبكم؟ فقلت: إن الله اختار له ما عنده ، فقال: لا أصدّق أحداً منكم بعد. قال: ثم لقيته بعد ذلك وقد أمّنه أبو بكر وكتب معه أن أدّ الصدقة ، فقلت: ما حملك على ما قلت؟ قال: كان لي مال وولد فتخوّفت من مسيلمة وإنما أردت أني لا أصدّق من بعده أنه رسول الله (الإصابة ٥/ ٣٣٤/ت ٧١٢١).

أما علقمة بن علاثة الذي تحدثت عنه رواية سيف هذه فلقصته ما يؤيده عند ابن أبي شيبة في=

ذكر رِدّة هوازن وسليم وعامر

٢٣ - حدّثنا السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن سهل وعبد الله ، قالا : أمّا بنو عامر فإنهم قدّموا رِجْلاً وأخّروا أخرى ، ونظروا ما تصنع أسد وغَطَفان؛ فلما أحيطَ بهم وبنو عامر على قادتِهم وسادتهم؛ كان قُرّة بن هُبيرة في كعب ومن لافَّها ، وعلقمة بن عُلاَثَة في كلاب ومَن لافَّها؛ وقد كان علقمة أسلمَ ثم ارتدّ في أزمان النبيّ ﷺ ، ثم خرج بعد فَتْح الطائف حتى لحق بالشام؛ فلما تُوُفِّيَ النبيّ ﷺ أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كَعْب ، مقدّماً رجلاً ومؤخِّراً أخرى؛ وبلغ ذلك أبا بكر ، فبعث إليه سريّة ، وأمَّر عليها القَعْقاع بن عمرو ، وقال: يا قعقاع ! سِرْ حتى تُغير على عَلْقمة بن عُلاثة ، لعلك أن تأخذه لي أو تقتله؛ واعلم أنّ شفاء الشَّقّ الحوْص ، فاصنع ما عندك. فخرج في تلك السريّة؛ حتى أغار على الماء الذي عليه عَلْقمة؛ وكان لا يبرح أن يكون على رِجْل؛ فسابقهم على فرسِه؛ فسبقهم مراكضةً ، وأسلم أهلُه وولده ، فانتسف امرأتَه وبناتِه ونساءَه ، ومَن أقام من الرجال؛ فاتّقوْه بالإسلام ، فقدِم بهم على أبي بكر ، فجحد ولده وزوجته أن يكونوا مالؤوا علقمة ، وكانوا مقيمين في الدار ، فلم يبلغه إلاّ ذلك ، وقالوا: ما ذنبنا فيما صنع علقمة من ذلك! فأرسلهم ثم أسلم ، فقبل ذلك منه[1] . (٣: ٢٦١ ـ ٢٦٢) .

= مصنفه من طريق أشعث عن ابن سيرين قال: ارتدّ علقمة بن علاثة فبعث أبو بكر إلى امرأته وولده ، فقالت المرأة: إن كان علقمة كفر فإني لم أكفر أنا ولا ولدي ، قال: فذكرت ذلك للشعبي فقال: هكذا فعل بهم (الإصابة ٤/٤٥٦/ت ٥٦٩١) أي: أن تابعين جليلين يرويان هذه القصة مرسلاً ، فتعددت مخارج الرواية المرسلة هذه علماً بأن مراسيل الشعبي قوية والله أعلم.

(١) إسناده ضعيف وقد ذكرناه في قسم الصحيح لشواهده وقد ذكرنا بعضها عند تحقيقنا للأثر (٦٤) فراجعها هنالك وهي تتعلق بمقدم أهل علقمة بن علاثة على أبي بكر وإقرارهم بالإسلام وأنهم لم يوافقوا علقمة بن علاثة على ارتداده.

أما لحوقه بالشام فله ما يؤيده عند أبي عوانة في صحيحه من طريق ابن أبي حدْرد الأسلمي =

ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة

٢٤ - وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عبيد بن عمير ، عن رجل منهم ، قال : لما بلغ مسيلمة دنوُّ خالد ؛ ضرب عسكره بعقرّباء ، واستنفر الناس ، فجعل النّاس يخرجون إليه ، وخرج مَجّاعة بن مُرَارة في سريّة يطلب ثأراً له في بني عامر وبني تميم قد خاف فواته ، وبادر به الشغل ، فأمّا ثأره في بني عامر ، فكانت خَوْلة بنة جعفر فيهم ، فمنعوه منها ، فاختلجها ؛ وأما ثأره في بني تميم فنعَمٌ أخَذُوا له . واستقبل خالدٌ شُرَحبيل بن حَسَنة ، فقدمه وأمّر على المقدمة خالد بن فلان المخزوميّ ، وجعل على المجنّبَتَيْن زيداً وأبا حُذَيفة ، وجعل مُسيلمة على مجنّبتيه المحكّم والرّجّال ، فسار خالد ومعه شُرَحبيل ، حتى إذا كان من عسكر مسيلمة على ليلة ؛ هجم على جُبَيلة هجوم - المقلِّل يقول : أربعين ، والمكثِّر يقول : ستين - فإذا هو مجّاعة وأصحابه ، وقد غَلَبهم الكَرَى ، وكانوا راجعين من بلاد بني عامر ، قد طوَوْا إليهم ؛ واستخرجوا خَوْلة بنة جعفر فهي معهم ، فعرّسوا دون أصل الثنيَّة ؛ ثنيَّة اليمامة ، فوجدوهم نياماً وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم وهم لا يشعرون بقرب الجيش منهم ؛ فأنبهوهم ، وقالوا : مَن أنتم؟ قالوا : هذا مَجّاعة وهذه حنيفة ، قالوا : وأنتم فلا حيَّاكم الله! فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد ، فأتوْه بهم ؛ فظنّ خالد : أنهم جاؤوه ليستقبلوه وليتَّقوه بحاجته ، فقال : متى سمعتم بنا؟ قالوا : ما شَعَرْنا بك ؛ إنّما خرجنا لثأر لنا فيمَن حولنا من بني عامر وتميم ، ولو فطنوا لقالوا : تلقيناك حين سمعنا بك . فأمر بهم أن يقتلوا ، فجادوا كلُّهُم

= قال : قال محمد بن مسلمة : كنا يوماً عند رسول الله ﷺ فقال : يا حسان ! أنشدني من شعر الجاهلية . فأنشده قصيدة الأعشى التي هجا بها علقمة بن علاثة ، ومدح عامر بن الطفيل . فقال : يا حسّان لا تعد تنشدني هذه القصيدة . فقال : يا رسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر . فقال : إن قيصر سأل أبا سفيان عنّي فتناول مني ، وسأل علقمة فأحسن القول ، فإن أشكر الناس للناس أشكرُهم لله تعالى . (الإصابة ٤/ ٤٥٦) .

بأنفسهم دُون مَجّاعة بن مرارة ، وقالوا: إن كنتَ تريد بأهل اليمامة غداً خيراً أو شرّاً فاستبق هذا ولا تقتله؛ فقتلهم خالد وحبس مَجّاعة عنده كالرَّهينة[١]. (٣: ٢٨٦/٢٨٧).

٢٥ ـ كتب إليّ السريّ ، قال: حدّثنا شُعيب ، عن سيف عن طلحة ، عن عِكْرمة ، عن أبي هريرة ، وعبد الله بن سَعيد عن أبي سعيد عن أبي هريرة ، قال: قد كان أبو بكر بعثَ إلى الرجّال فأتاه فأوصاه بوصيَّته ، ثم أرسله إلى أهل اليمامة؛ وهو يرى أنَّه على الصدق حين أجابه. قالا: قال أبو هريرة: جلستُ مع النبيّ ﷺ في رهط معنا الرّجَّال بن عُنْفوة ، فقال: إنّ فيكم لرجلاً ضِرْسه في النار أعظم من أُحُد ، فهلك القوم وبقيت أنا والرّجال ، فكنت متخوّفاً لها؛ حتى خرج الرّجَّال مع مُسيلمة ، فشهد له بالنبوّة؛ فكانت فتنة الرّجَّال أعظَم من فتنة مُسيلمة ، فبعث إليهم أبو بكر خالداً ، فسار حتى إذا بلغ ثنيّة اليمَامة ، استقبل مَجَّاعة بن مُرارَة ـ وكان سيّد بني حنيفة ـ في جِبلّ من قومه ، يريد الغارة على بني عامر ، ويطلبُ دماً ، وهم ثلاثة وعشرون فارساً ركباناً قد عرّسوا. فبيّتهم خالد في معرَّسهم ، فقال: مَتَى سمعتم بنا؟ فقالوا: ما سمعنا بكم؛ إنَّما خرجنا لنثأر بدم لنا في بني عامر. فأمر بهم خالد فَضُرِبَتْ أعناقهم ، واستحيَا مجّاعة؛ ثم سار إلى اليمامة؛ فخرج مسيلمة وبنو حَنِيفة حين سمعوا بخالد ، فنزلوا بعقرباء ، فحلّ بها عليهم ـ وهي طرف اليمامة دون الأموال ـ وريف اليمامة وراء ظهورهم. وقال شُرحبيل بن مُسيلمة: يا بني حنيفة ، اليومَ يومُ الغَيْرة ، اليوم إن هزمتم تستردَفُ النّساء سبيَّات ، ويُنْكحْن غير خطيبات؛ فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا نساءكم. فاقتتلوا بعقرَباء ، وكانت رايةُ المهاجرين مع سالم مولَى أبي حذيفة ، فقالوا: تخشى علينا من نفسك شيئاً! فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً! وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شمَّاس ، وكانت العرب على راياتها ومجَّاعة أسيرٌ مع أمّ تميم في فُسطاطها ، فجال المسلمون جَوْلَةً ، ودخل أناس من بني حَنِيفة على أمّ تميم ، فأرادوا قتلَها ، فمنعها مجّاعة. قال: أنا لها جارٌ ، فنِعْمَتِ الحُرَّة هي! فدفعهم عنها ، وترادَّ المسلمون ، فكرُّوا عليهم؛ فانهزمت بنو حنيفة ، فقال

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما ورد في قصة مسيلمة الكذاب وقتله عند البخاري وغيره إن شاء الله بعد قليل.

المحكّم بن الطّفيْل: يا بني حنِيفة، ادخلوا الحديقة؛ فإني سأمنع أدباركم، فقاتلَ دونهم ساعة ثم قتله الله؛ قتله عبد الرحمن بن أبي بكر؛ ودخل الكفار الحديقة، وقتَل وحشِيّ مسيلمة، وضربه رجلٌ من الأنصار فشاركه فيه[1]. (٣: ٢٨٧/ ٢٨٨).

٢٦ - حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: وحدّثني محمد بن إسحاق عن عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة، عن سليمان بن يسار، عن عبد الله ابن عُمَر، قال: سمعتُ رجلاً يومئذ يصرُخ يقول: قتله العبد الأسود![2] (٣: ٢٩١).

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف والحديث أخرجه الطيالسي وفيه قال ابن عمر: كنت في الجيش يومئذ فسمعت قائلاً يقول في مسيلمة: قتله العبد الأسود (منحة المعبود ٢/ ١٠١).

ذكرنا هذه الروايات هنا لعدم تعلقها بمسائل الحلال والحرام والمسائل العقيدية ولا طعن فيها في عدالة الصحابة ولأصلها ما يؤيده كما سنذكر:

١ - أخرج البخاري عن موسى بن أنس (وذكر يوم اليمامة) قال: [أتى أنس بن مالك ثابت بن قيس وقد حسر عن فخذيه وهو يتحنط قال: يا عمّ ما يحبسك أن لا تجيء؟ قال: الآن يا بن أخي، وجعل يتحنط - يعني من الحنوط - ثم جاء فجلس، فذكر في الحديث انكشافاً من الناس فقال: هكذا عن وجوهنا حتى نضارب القوم، ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ، بئس ما عودتم أقرانكم (فتح الباري ٦/ ٦٠/ ٦١) والحديث أخرجه خليفة بن خياط في تأريخه من حديث موسى بن أنس بن مالك قال: لما انكشف الناس يوم اليمامة أتى أنس بن مالك ثابت بن قيس. . . الحديث]. (تأريخ خليفة/ ١٠٧).

٢ - وأخرج البخاري عن قتادة قال: ما نعلم حياً من أحياء العرب أكثر شهيداً أغرّ يوم القيامة من الأنصار. قال قتادة: وحدثنا أنس بن مالك أنه قتل منهم يوم أحد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون؛ قال: وكان بئر معونة على عهد رسول الله ﷺ ويوم اليمامة على عهد أبي بكر يوم مسيلمة الكذاب (الفتح ٧/ ٤٣٣).

٣ - وأخرج البخاري عن وحشي بن حرب في قصته عن قتل حمزة قال: (فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان. قال: فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس، قال: فرميته بحربتي فأضعها بين ثديه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته (الفتح ٧/ ٤٢٥).

قال الحافظ: قوله: (ووثب إليه رجل من الأنصار) هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني، كما جزم به الواقدي وإسحاق بن راهويه والحاكم (٣/ ٥٣٠).

٤ - وأخرج خليفة في تأريخه من طريق علي وموسى عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة=

= عن أبيه قال: جال المسلمون حتى بلغوا الرّحال فقال السائب بن العوام: يا أيها الناس قد بلغتم الرحال فليس لأحد مفر بعد رحاله فارجعوا، فرجعوا فهزم الله المشركين وقتل مسيلمة (تأريخ خليفة ١٠٨) وهذا إسناد مرسل حسن الإسناد إلى مرسله عروة.

٥ ـ وأخرج خليفة حدثنا الأنصاري عن أبيه عن ثمامة عن أنس بن مالك قال: بارز البراء محكم اليمامة، فاختلفا ضربتين فضرب محكم اليمامة حَجَفة كانت مع البراء حتى عض السيف بيده وضرب البراء رجله فقطعها وأخذ سيفه فذبحه به.

٦ ـ وأخرج خليفة من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة عن أنس بن مالك قال: رمى البراء بنفسه عليهم فقاتلهم حتى فتح الباب وفيه بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم وضربة، فحمل إلى رحله يداوى فأقام عليه خالد شهراً (تأريخ خليفة/ ١٠٩).

٧ ـ وأخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا بكر قال: ثنا ابن إسحاق قال: ثنا عبد الله بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، قال: حدثنا وحشي قال: لما خرج الناس إلى مسيلمة خرجت معهم وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائماً في يده السيف وما أعرفه، فتهيأت له وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى كلانا يريده، فهززت حربتي حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه فوقعت فيه، وضربه الأنصاري بالسيف فربّك أعلم أينا قتله (تأريخ خليفة بن خياط/ ١١٠).

قلنا: وهذا حديث صحيح أخرجه البخاري كما سبق أن ذكرنا مع اختلاف يسير في الألفاظ وكذلك أخرجه ابن عبد البرّ وسمى الأنصاري: عبد الله بن زيد، وكذلك سماه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٣٠).

٨ ـ وأخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا أبو عبيدة عن حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس قال: رمى أبو دجانة بنفسه في الحديقة فانكسرت رجله فقاتل حتى قتل ـ وإسناده حسن.

٩ ـ وأخرج خليفة بن خياط من طريق الحسن عن سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن ابن المسيب قال: شهداء اليمامة خمسمئة فيهم خمسون أو ثلاثون من حملة القرآن. (تأريخ خليفة/ ١١١).

١٠ ـ أما مُجّاعة بن مرارة بن سلمى الذي جاء ذكره في روايات سيف عند الطبري وأنه ساعد المسلمين باستشاراته العسكرية يوم اليمامة فقد ترجم له ابن حجر في الإصابة وقال: كان من رؤساء بني حنيفة وأسلم ووفد. فأخرج أبو داود عن محمد بن عيسى بن عنبسة بن عبد الواحد عن الدخيل بن إياس عن هلال بن سراج بن مُجّاعة عن أبيه عن جده مجاعة أنه أتى النبي ﷺ يطلب دية أخيه . . . الحديث الإصابة (٥/ ٥٧٠/ ت ٧٧٣٨).

وذكره ابن سعد في طبقاته فيمن نزل اليمامة من أصحاب رسول الله ﷺ (الطبقات الكبرى ٥/ ٥٤٩) وروى ابن سعد قصة لقائه بخالد في طريق اليمامة وأن مجاعة قال: والله ما أقرب

ذكر خبر أهل البَحْرَيْن وردّة الحُطَم ومَن تجمّع معه بالبحرين

٢٧ ـ قال أبو جعفر: وكان فيما بلَغنا من خَبَر أهل البحرين وارتداد مَنِ ارتدّ منهم كما حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرَنا عَمّي يعقوب بن إبراهيم، قال: أخبرنا سَيْف، قال: خرج العَلاء بن الحضرميّ نحو البحرين؛ وكان من حديث البحريْن: أنّ النبيّ ﷺ والمنذر بن ساوى اشتكيا في شهر واحد، ثم مات المنذر بعد النبيّ ﷺ بقليل، وارتدّ بعده أهلُ البحرين، فأمَّا عبد القيس ففاءت، وأمَّا

= مسيلمة ولقد قدمت على رسول الله ﷺ فأسلمت وما غيّرت ولا بدلت. وهذه الرواية وإن كانت من طريق الواقدي ولكنها أقوى من رواية الطبري من طريق سيف في بيان السبب الذي دفع خالداً إلى استبقائه، والسبب هنا أوجه وذلك أنه أقسم لخالدٍ أنه لم يرتد ولا زال على إسلامه ولا ينفي أنه من كبار ووجهاء بني حنيفة فاستعان به خالد على رجوع قومه إلى الإسلام.

١١ ـ وأما ثمامة بن أثال فقد ترجم له الحافظ في الإصابة وقال: حديثه في البخاري من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال... الحديث وفيه إسلام ثمامة... ثم قال الحافظ في نهاية ترجمته: وروى ابن مندة من طريق علباء بن أحمر، عن عكرمة عن ابن عباس قصة إسلام ثمامة ورجوعه إلى اليمامة ومنعه عن قريش ونزول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦] وإسناده حسن. (الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥٢٦/ ت ٩٦٣).

١٢ ـ أما البراء بن مالك بن النضر الأنصاري أخو أنس بن مالك فقد ترجم له الحافظ في الإصابة وأخرج روايتين في مساهمته في يوم اليمامة فقال الحافظ: وفي تأريخ السّراج من طريق يونس عن الحسن وعن ابن سيرين عن أنس: أن خالد بن الوليد قال للبراء يوم اليمامة: قم يا براء قال: فركب فرسه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم، وإنما هو الله وحده والجنة، ثم حمل وحمل الناس معه. فانهزم أهل اليمامة فلقي البراء محكم اليمامة فضربه البراء وصرعه فأخذ سيف محكم اليمامة فضرب به حتى انقطع.

ثم قال الحافظ ابن حجر: وروى البغوي من طريق أيوب عن ابن سيرين عن أنس بن البراء قال: لقيت يوم مسيلمة رجلاً يقال له حمار اليمامة رجلاً جسيماً بيده السيف أبيض، فضربت رجليه، فكأنما أخطأته وانقعر، فوقع على قفاه، فأخذت سيفه وأغمدت سيفي، فما ضربت به ضربة حتى انقطع [الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٤١٣/ ت ٦٢٠].

بكر فتمَّت على رِدّتها؛ وكان الذي ثنَى عبدَ القيس الجارودُ حتى فاؤوا[١]. (٣: ٣٠١).

٢٨ ـ حدّثنا عُبيد الله، قال: أخبرَنا عمّي، قال: أخبرنا سيف عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: قَدِم الجارود بن المُعَلَّى عَلَى النبيّ ﷺ مرتدّاً، فقال: أسلِم يا جارود، فقال: إنّ لي ديناً، قال له النبي ﷺ: إنّ دينك يا جارود ليس بشيء، وليس بدين؛ فقال له الجارود: فإنْ أنا أسلمت فما كان من تبعةٍ في الإسلام فعليك؟ قال: نعم. فأسلم ومكث بالمدينة حتى فَقُهَ. فلما أرادَ الخروج، قال: يا رسولَ الله، هل نجدُ عند أحد منكم ظهراً نتبلّغ عليه؟ قال: ما أصبح عندنا ظهر. قال: يا رسول الله؛ إنَّا نَجِد بالطريق ضَوالّ من هذه الضوالّ، قال: تلك حَرقُ النار، فإيَّاك وإيَّاها. فلمَّا قدم على قومه دعاهم إلى الإسلام فأجابوه كلُّهم، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى مات النبيّ ﷺ. فقالت عبد القيس: لو كان محمدٌ نبيّاً لما مات؛ وارتدوا، وبلغه ذلك فبعث فيهم فجمعهم، ثم قام فخَطَبهم، فقال: يا معشَر عبد القيس! إني سائلُكم عن أمر فأخبروني به إن علمتموه ولا تجيبوني إن لم تَعْلموا قالوا: سَلْ عَمَّا بدا لك، قال: تعلمون أنَّه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم، قال: تعلمونه أو ترونه؟ قالوا: لا بل نعلمه، قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فإن محمداً ﷺ مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؛ وأنَّك سيِّدنا وأفضلُنا. وثبتوا على إسلامهم، ولم يبسطوا ولم يُبْسَط إليهم وخَلَّوْا بين سائر ربيعة وبين المنذر والمسلمين، فكان المنذر مشتغلاً بهم حياته، فلمَّا مات المنذر حُصِر أصحاب المنذر في مكانين حتى تنقَّذهم العلاء[٢]. (٣: ٣٠١/ ٣٠٢).

٢٩ ـ قال أبو جعفر: وأما ابن إسحاق فإنه قال في ذلك ما حدّثنا به ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة عنه، قال: لمَّا فرغ خالد بن الوليد من اليَمامة بعث أبو بكر رضي الله عنه العَلاء بن الحضرميّ. وكان العَلاء هو الذِي كان رسولُ الله ﷺ بعثه إلى المنذر بن ساوى العبديّ، فأسلم المنذر، فأقام بها العلاء أميراً

---

(١) إسناده ضعيف وسنورد ما يؤيده بعد الرواية (١١٥) إن شاء الله تعالى.

(٢) إسناده ضعيف وهو أقل أسانيد سيف ضعفاً عند الطبري.

لرسول الله ﷺ ، فمات المنذر بن ساوى بالبحرين بعد متوفّى رسولِ الله ﷺ ، وكان عمرو بن العاص بعُمان ، فتوفّي رسولُ الله ﷺ وعمرو بها فأقبل عمرو ، فمرّ بالمنذر بن ساوى وهو بالموت فدخل عليه فقال المنذر له : كم كان رسُول الله ﷺ يجعل للميّت من المسلمين من ماله عند وفاته؟ قال عمرو : فقلت له : كان يجعل له الثّلُث ؛ قال : فما ترى لِي أن أصنع في ثلُث مالي؟ قال عمرو : فقلت له : إن شئت قسمتَه في أهل قرابتك ، وجعلتَه في سبيل الخير ؛ وإن شئت تصدّقت به فجعلته صدقةً مُحَرّمة تجري من بعدك على مَنْ تصدّقت به عليه . قال : ما أحبّ أن أجعل من مالي شيئاً محرّماً كالبَحيرة والسَّائبة والوَصِيلة والحامِي ولكن أقسمه ، فأنفذه على مَنْ أوصيتُ به له يصنع به ما يشاء .

قال : فكان عمرو يعجب لها من قوله . وارتدّت ربيعة بالبحرين فيمَن ارتدّ من العرب ، إلا الجارود بن عمرو بن حَنَش بن مُعَلّى ؛ فإنه ثبت على الإسلام ومَن معه من قومه ، وقامَ حين بلغته وفاة رسولِ الله ﷺ وارتداد العرب ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، وأكفر من لا يشهد . واجتمعت ربيعة بالبحرين وارتدّت ، فقالوا : نردُّ الملْكَ في آل المنذر ، فملّكوا المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان يُسَمَّى الغَرور ، وكان يقول حين أسلم وأسلم الناس وغلبهم السيف : لستُ بالغَرُور ؛ ولكنّي المغرور .

٣٠ ـ حدّثنا عُبيد الله بن سعد ، قال : أخبرَنا عمّي ، قال : أخبرنا سَيفٌ ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن عُمَير بن فلان العَبْدِيّ ، قال : لمَّا مات النبيّ ﷺ خرج الحُطَمُ بن ضُبَيعة أخو بني قيس بن ثعلبة فيمَن اتّبعه من بكر بن وائل على الرّدّة ، ومَنْ تأشَّب إليه من غير المرتدّين ممَّن لم يزل كافراً ، حتى نزل القَطِيف وهَجَر ، واستغوى الخطّ ومن فيها من الزُّطّ والسَّيابجة ، وبَعث بعثاً إلى دارِين ، فأقاموا له ليجعلَ عبدَ القَيْس بينه وبينهم ، وكانوا مخالفين لهم ، يمدُّون المنذر والمسلمين ؛ وأرسل إلى الغَرور بن سُوَيد ، أخي النعمان بن المنذر ؛ فبعثه إلى جؤاثَى ، وقال : اثبت ، فإنّي إن ظفرت ملّكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة . وبعث إلى جؤاثى ، فحصرهم وألَحُّوا عليهم فاشتدّ على المحصورين الحصر ، وفي المسلمين المحصورين رَجُل من صالح المسلمين يقال له عبد الله بن حذف ؛ أحد بني أبي بكر بن كِلاب ، وقد اشتدّ عليه وعليهم الجوع

حتى كادوا أن يهلكوا. وقال في ذلك عبد الله بن حَذَف:

ألا أبْلِـــغْ أبـــا بَكْـــر رســـولاً وفِتْيـــانَ المـــدينـــة أجمعينَـــا
فهـــل لكُـــمُ إلـــى قـــوم كِـــرَامٍ قُعُـــود فـــي جُـــؤاثَـــى مُحْصَـــرينـــا!
كـــأنَّ دِمَـــاءَهُـــمْ فـــي كـــلِّ فَـــجِّ شُعَـــاعُ الشَّمـــس يغْشَـــى النـــاظـــرينـــا
تـــوكّلْنـــا علـــى الـــرَّحمـــن إنَّـــا وَجَـــدْنـــا الصَّبْـــرَ للمتـــوكِّلينـــا[١]

(٣: ٣٠٢/ ٣٠٣/ ٣٠٤).

---

(١) إسناده معضل وإليك ما ورد في الباب (كما علمنا):
١ - قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن ردة أهل البحرين: إلا قرية تسمى جواثى (كانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة) كما ثبت في البخاري عن ابن عباس (البداية والنهاية ٦/ ٣٣٢).
٢ - قال الحافظ في ترجمة المنذر بن ساوى: وكان عامل البحرين وكتب إليه النبي ﷺ مع العلاء بن الحضرمي قبل الفتح فأسلم. ذكره ابن إسحاق وغير واحد وزاد الواقدي: ثم استقدم النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي واستخلف المنذر بن ساوى مكانه. وأخرج الطبراني من طريق أبي مجلز عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه قال: كتب النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم له ذمة الله ورسوله) ونسبه ابن الأثير الجزري إلى ابن مندة وأبي نعيم من طريق أبي مجلز عن أبي عبيدة به (أسد الغابة ٥/ ٢٥٥/ ت ١٥٠٦).
وقال الحافظ أيضاً: وذكر أبو جعفر الطبراني: أن المنذر هذا مات بالقرب من وفاة النبي ﷺ وحضره عمرو بن العاص فقال له: كم جعل النبي ﷺ للميت من ماله عند الموت؟ قال: الثلث. قال: فما ترى أن أصنع في ثلثي؟ قال: إن شئت قسمته في سبيل الخير وإن شئت جعلت غلّته تجري بعدك على من شئت قال: ما أحب أن أجعل شيئاً من مالي كالسائبة ولكن أقسمه. قال الرّشاطي: لم يذكره ابن عبد البر. قلت (أي: ابن حجر): هو على شرطه ولو لم يثبت أنه وفد (الإصابة ٦/ ١٧٠/ ت ٨٢٣٤).
٣ - أخرج ابن سعد في طبقاته عن العلاء بن الحضرمي: أن رسول الله ﷺ بعثه منصرفه من الجعرانة إلى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين، وكتب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى معه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام. وخلى بينه العلاء بن الحضرمي وبين الصدقة يجتبيها . . . إلى آخره. وهو من طريق الواقدي وهو ضعيف.
٤ - وأخرج خليفة بن خياط في (ردة البحرين) قال أبو عبيدة عن حماد عن علي بن زيد عن الحسن: أن الخطم شدّ الجارود وثاقاً. وفي إسناده علي بن زيد وهو ضعيف ولكن استشهدنا به لأنه من روايته عن الحسن وهو من الملازمين له وهذه الرواية ليست في الحلال والحرام ولا في العقيدة ولا طعن فيها في عدالة الصحابة والله أعلم.

ثم كانت سنة اثنتي عشرة من الهجرة

مسيرة خالد إلى العراق وصلح الحيرة

٣١ - حَدّثني عمر بن شَبَّة ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد بالإسناد الّذي قد تَقدّم ذكرُه عن القوم الذين ذكرتهم فيه: أنّ أبا بكر رحمه الله وجّه خالدَ بن الوليد إلى أرضِ الكوفة ، وفيها المثنَّى بن حارثة الشَّيبانيّ ، فسار في المحرّم سنة اثنتي عشرة ، فجعل طريقه البصرة ، وفيها قُطْبة بن قَتادة السَّدُوسيّ[1] . (٣: ٣٤٣) .

٣٢ - قال أبو جعفر: وأمَّا الواقديّ ، فإنه قال: اختُلف في أمر خالد بن الوليد ، فقائل يقول: مضى من وجهه ذلك من اليمَامة إلى العراق. وقائل يقول:

= وأخرج أيضاً: قال علي: فحدثني عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: وبعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي إلى البحرين - وكانوا ارتدوا إلا نفراً ثبتوا مع الجارود فالتقوا بجؤاثى فهزمهم الله وقتل منهم مقتلة. وهذا إسناد صحيح.

وأخرج أيضاً: عن ابن إسحاق معضلاً قال: حدثنا بكر عن ابن إسحاق قال: حاصرهم العلاء بجؤاثى حتى كاد المسلمون يهلكوا من الجهد ، فسمعوا أصواتاً كثيرة شديدة ، فقال عبد الله بن حذف: دعوني أهبط من الحصن فآتيكم بالخبر ، فنزل من الحصن فأخذوه فقالوا: من أنت؟ فانتسب وجعل ينادي: يا أبجراه ، فعرفه أبجر فمنّ عليه ، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم: أن القوم سكارى ، فبيتهم العلاء فيمن معه فقتلوهم قتلاً شديداً (تأريخ خليفة ١١٦).

٥ - وذكر ابن سعد الجارود (الطبقات الكبرى ٥/ ٥٥٩) فيمن كانوا بالبحرين من أصحاب رسول الله ﷺ وذكر قصة قدومه على رسول الله ﷺ (بلا إسناد) وقال في آخر القصة: وكان الجارود قد أدرك الردة فلما رجع قومه مع المعرور بن المنذر بن النعمان قام الجارود فشهد شهادة الحق ودعا إلى الإسلام. وقال: أيها الناس إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، وأكفر من لم يشهد وقال: رضينا بدين الله من كل حادث وبالله الرحمن نرضى به رباً.

٦ - أما عبد الله بن حذف (أو حذق) فقد ترجم له الحافظ ابن حجر فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يره وقال: ذكره وثيمة في (كتاب الردة) فيمن ثبت على إسلامه وأنشد له في ذلك قوله:

ألا أبلــغ أبــا بكــر رســولاً وفتيــان المــدينــة أجمعينــا

. . . إلخ (كما عند الطبري). (الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٦٥/ ت ٦٣٢٢).

(١) إسناده ضعيف ، ولمتنه ما يؤيده كما سنذكر بعد.

رجع من اليمامة ، فقدم المدينة ، ثم سار إلى العراق من المدينة على طريق الكُوفة؛ حتى انتهى إلى الحِيرة. (٣: ٣٤٣).

٣٣ ـ حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثَنا سلَمة عن ابن إسحاق ، عن صا لح بن كيسان: أنّ أبا بكر رحمه الله كتَبَ إلى خالد بن الوليد يأمُره أن يسير إلى العراق ، فمضى خالدٌ يريد العراق ، حتى نزل بقُرَيّات من السّواد ، يقال لها: بانِقيا وبارُوسْما وألّيس؛ فصالحه أهلُها ، وكان الذي صالحه عليها ابن صَلوبا ، وذلك في سنة اثنتي عشرة ، فقبل منهم خالد الجِزْية وكتب لهم كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم ، من خالد بن الوليد لابن صلوبا السَّواديّ ـ ومنزله بشاطىء الفُرات ـ إنَّك آمنٌ بأمان الله ـ إذْ حَقن دمه بإعطاء الجزية ـ وقد أعطيتَ عن نفسك وعن أهل خَرْجك وجزيرتك ومَنْ كان في قريتيك ـ بانقيا وباروسما ـ ألف درهم ، فقبلتُها منك ، ورضيَ مَن معي من المسلمين بها منك ، ولك ذمَّة الله وذمَّة محمَّد ﷺ ، وذمَّة المسلمين على ذلك. وشهد هشام بن الوليد.

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشرافُهم مع قَبيصة بن إياس بن حيَّة الطائيّ ـ وكان أمَّره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر ـ فقال له خالد ولأصحابه: أدعُوكم إلى الله وإلى الإسلام ، فإن أجبتم إليه فأنتمْ من المسلمين ، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم؛ فإن أبيْتم فالجزية ، فإن أبيتم الجِزية فقد أتيتُكم بأقوام هم أحرصُ علَى الموت منكم على الحياة؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم.

فقال له قَبيصة بن إياس: ما لنا بحرْبك من حاجة ، بل نقيم على دِيننا ، ونعطيك الجِزْية. فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فكانت أوّل جزية وقعت بالعراق ، هي القُرَيّات الّتي صالح عليها ابن صلوبا[١]. (٣: ٣٤٣/ ٣٤٤).

٣٤ ـ قال أبو جعفر: وأمّا هشام بن الكلبيّ؛ فإنه قال: لمّا كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة أن يسير إلى الشام؛ أمره أن يبدأ بالعراق فيمرّ بها؛ فأقبل خالد منها يسير حتى نزل النِّباج.

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدّثني أبو الخطّاب حَمزة بن عليّ ، عن رجل

---

(١) إسناده ضعيف ولكن له ما يؤيده من الشواهد كما سنذكر بعد روايتين.

من بكْر بن وائل: أن المثنى بن حارثة الشَّيباني، سار حتى قدِم على أبي بكر رحمه الله، فقال: أمِّرْنِي على مَنْ قِبَلِي من قومي، أقاتل مَن يلِيني من أهل فارس، وأكفِيك ناحيتي، ففعل ذلك؛ فأقبل فجمع قومَه وأخذ يُغير بناحية كَسْكَر مرّة، وفي أسفل الفرات مرّة، ونزل خالد بن الوليد النِّباج؛ والمثَـنَّى بن حارثة بخَفَّانَ معسكرٌ؛ فكتب إليه خالد بن الوليد ليأتَيه، وبعث إليه بكتاب من أبي بكر يأمره فيه بطاعتهِ؛ فانقضّ إليه جواداً حتى لحق به، وقد زعمت بنو عِجْل: أنَّه كان خرج مع المثنَّى بن حارثة رجلٌ منهم يقال له: مذعور بن عديّ، نازع المثنَّى بن حارثة، فتكاتبا إلى أبي بكر؛ فكتب أبو بكر إلى العِجْليّ يأمره بالمسير مع خالد إلى الشام، وأقرّ المثنَّى على حاله، فبلغ العجليُّ مصرَ، فشرُف بها وعظم شأنه، فدارُه اليوم بها معروفة؛ وأقبل خالد بن الوليد يسير، فعرض له جابان صاحِب ألّيس، فبعث إليه المثنَّى بن حارثة، فقاتله فهزمه، وقتل جُلّ أصحابه إلى جانب نهرٍ ثَمَّ يُدعى نهر دم لتلك الوقعة؛ وصالح أهلَ ألَّيس، وأقبل حتى دنا من الحِيرة، فخرجت إليه خيول آزاذبه صاحب خيل كسرى الَّتي كانت في مسَالح ما بينه وبين العرب، فلقُوهم بمجتَمع الأنهار، فتوجَّه إليهم المثنّى بن حارثة، فهزمهم الله.

ولمَّا رأى ذلك أهلُ الحيرة خرجوا يستقبلونه؛ فيهم عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيلة وهانئ بن قَبِيصة، فقال خالد لعبد المسيح: من أين أثَرُك؟ قال: من ظَهْر أبي، قال: من أينَ خرجت؟ قال: من بطن أمّي، قال: ويحك! علَى أيّ شيء أنت؟ قالَ: على الأرض، قال: ويلَك! في أيّ شيء أنت؟ قال: في ثيابي، قال: ويحك! تعقل؟ قال: نعم وأقيّد، قال: إنَّما أسألك، قال: وأنا أجيبُك، قال: أسلِمٌ أنت أم حربٌ؟ قال: بل سِلْم، قال: فما هذه الحصون التي أرى؟ قال: بنيناها للسَّفِيه نحبسه حتى يجيء الحليم فينهاه. ثم قال لهم خالد: إنِّي أدعُوكم إلى الله وإلى عبادتِه وإلى الإسلام، فإن قبلتم فلكم ما لَنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فالجِزْية، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبّونَ أنتم شرب الخمر. فقالوا: لا حاجة لنا في حَرْبِك، فصالحهم على تسعين ومئة ألف درهم، فكانت أوّلَ جزية حملت إلى المدينة من العراق. ثم نزل على بانِقْيا، فصالحه بُصْبُرى بن صلوبا على ألف درهم وطيلسان؛ وكتب لهم كتاباً، وكان

صالح خالد أهل الحيرة على أن يكونوا له عيوناً ، ففعلوا[١]. (٣: ٣٤٤/ ٣٤٥) .

٣٥ ـ قال هشام ، عن أبي مخنف ، قال: حدثني المجالد بن سعيد ، عن الشَّعبيّ ، قال: أقرأني بنو بُقيلة كتابَ خالد بن الوليد إلى أهل المدائن:

من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس؛ سلام على من اتَّبع الهدى ، أمَّا بعدُ ، فالحمدُ لله الذي فَضَّ خَدَمتكم ، وسلب مُلْككم ، ووهَّن كيدَكم. وإنَّه مَن صلَّى صلاتنا؛ واستقبَل قبلتَنا ، وأكلَ ذبيحتنا؛ فذلك المسلم الَّذي له مالنا ، وعليه ما علينا ، أمَّا بعد ، فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليّ بالرُّهُن ، واعتقدوا منِّي الذّمة ، وإلاّ فوالَّذي لا إله غيره لأبعثنّ إليكم قوماً يحبُّون الموت كما تحبّون الحياة.

فلما قرؤوا الكتاب ، أخذوا يتعجَّبُون ، وذلك سنة اثنتي عشرة[٢] (٣: ٣٤٦) .

---

(١) إسناده ضعيف جداً ولبعضه ما يؤيده وسنذكره ، وبعضه مخالف لما هو أصح منه سنداً كما سنبين بعد الرواية التالية.

(٢) إسناده ضعيف جداً وسنبين ما خالف رواية الثقات بعد ذكر شواهده ومتابعاته:

١ ـ أخرج سعيد بن منصور في السنن (٢/ ٢٠٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٢٣١٣) قدوم خالد بن الوليد إلى الحيرة وصنيعه (ح ١٥٥٧٥) كلاهما (سعيد وابن أبي شيبة) من طريق مجالد بن سعيد قال: أخبرنا عامر (الشعبي) قال: كتب خالد إلى مرازبة فارس وهو بالحيرة ودفعه إلى ابن بقيلة قال عامر: وأنا قرأته عند ابن بقيلة:

بسم الله الرحمن الرحيم: من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس ، سلام على من اتبع الهدى فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد: أحمد الله الذي فضّ خدمتكم وفرق كلمتكم ووهن بأسكم وسلب ملككم فإذا جاءكم كتابي هذا فابعثوا إلي بالرهن ، واعتقدوا في الذمة ، وأجيبوا إلى الجزية فإن لم تفعلوا فوالله الذي لا إله إلا هو لأسير إليكم بقوم يحبون الموت كحبكم الحياة ، والسلام على من اتبع الهدى.

واللفظ لابن أبي شيبة وليس فيها زيادة ، فلما قرأ الكتاب أخذوا يتعجبون وذلك سنة اثنتي عشرة.

وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق زكريا بن أبي زائدة عن خالد بن سلمة القرشي عن عامر الشعبي مع اختلاف بسيط في الألفاظ (ح ١٥٥٧٦).

٢ ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ح ١٥٥٧٧) ثنا جعفر بن عون قال: أخبرنا يونس عن أبي السفر قال: لما قدم خالد بن الوليد إلى الحيرة نزل على المرازبة قال فأتى بالسم فجعله في راحته وقال: باسم الله ، فاقتحمه ، فلم يضره بإذن الله شيئاً. قلنا: وإسناده صحيح.

٣ ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٢/ح ١٥٥٧٨) ثنا محمد بن عبد الله الأسدي قال ثنا حسن بن=

= صالح عن الأسود بن قيس عن أبيه قال: صالحنا أهل الحيرة على ألف درهم ورحل ، قال: قلت: يا أبه ما كنتم تصنعون بالرحل ، قال: لم يكن لصاحب لنا رحل. قلنا: وإسناده صحيح.

٤ ـ قال خليفة: قال علي بن محمد وأبو عبيدة وأبو اليقظان وغيرهم: صالح بن صلوتا على أليس وقرى السواد في صفر في سنة اثنتي عشرة على ألف دينار (تأريخ خليفة بن خياط/ ١١٨).

٥ ـ وأخرج خليفة: حدثني من سمع يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن أبيه عن الشعبي قال: صالح أهل أليس خالداً يوم السبت لثلاث مضين من رجب سنة اثنتي عشرة على ألف دينار وافتتح هرمز جودونهر الملك وباروسما. وصالحه عبد المسيح (بن عمرو) بن بقيلة وإياس بن قبيصة الطائي على تسعين ألفاً ثم سار إلى الأنبار وصالحوه ووجه المثنى بن حارثة الشيباني إلى سوق بغداد فأغار عليهما (تأريخ خليفة/ ١١٨).

قلنا: وفي إسناده مجهول.

٦ ـ ورواية الطبري (٣/ ٣٤٣/ ١٥١) أخرجه ابن الجوزي بتمامه من طريق ابن إسحاق عن صالح بن كيسان (المنتظم في تأريخ الأمم والملوك ٤/ ٩٧).

٧ ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٢/ ح ١٥٥٨٠) من حديث وائل وفيه قول خالد رضي الله عنه (أما بعد: فإني أعرض عليكم الإسلام فإن أقررتم به فلكم ما لأهل الإسلام وعليكم ما على أهل الإسلام ، وإن أبيتم فإني أعرض عليكم الجزية فإن أقررتم بالجزية فلكم ما لأهل الجزية ، وعليكم ما على أهل الجزية ، وإن أبيتم فإن عندي رجالاً يحبون القتال كما تحب فارس الخمر).

وقد ذكر ابن حجر في ترجمته للمثنى بن حارثة الشيباني: أن عمر بن شبة قال: إن المثنى طلب من أبي بكر رضي الله عنه أن يبعثه على قومه ليقاتل بهم أهل السواد وفارس ثم أمده بخالد بن الوليد فكان ذلك ابتداء فتوح العراق (باختصار من الإصابة ٥/ ٥٦٩) وكذلك نسب الحافظ إلى أبي عمر أن الصديق رضي الله عنه بعثه في صدر خلافته إلى العراق (الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٥٦٩/ ت ٧٧٣٦).

قلنا: والملاحظ أن أجزاء من روايات أبي مخنف التأريخية هذه موافق لما عند غيره كما ذكرنا وبصفة مخالفة لما عندهم ـ فقد ذكرت رواية أبي مخنف (٣/ ٣٤٣/ ١٥١) أن خالداً رضي الله عنه صالح وجهاء أهل الحيرة على تسعين ألف درهم ولكن الرواية الصحيحة عند ابن أبي شيبة في مصنفه كما ذكرنا بينت أنه رضي الله عنه صالحهم على ألف درهم ورحل ـ ومن المصادر التأريخية المتقدمة التي وافقت رواية أبي مخنف في كون المثنى هو الذي طلب من الصديق أن يوليه الإمارة في تلك المناطق مصدر تأريخي معروف هو نهاية الأدب للنويري (١٩/ ١٠٦) و(الخراج لقدامة بن جعفر/ ٣٥٣) أما ذكر أسماء المناطق التي كانت موقع إغارة=

= المثنى رضي الله عنه فلم نجدها في غير رواية أبي مخنف إلّا أن مصدراً تأريخياً متقدماً كالأخبار الطوال للدينوري قد ذكر الإغارة هذه دون تحديد أسماء المناطق (الأخبار الطوال/ ١١١). ويؤيده ما جاء في نهاية الأدب (١٩/ ١١٠) من أن خالداً هزم آزاذبه جيشه، ولقد أجاد الدكتور يحيى اليحيى في كتابه القيم (مرويات أبي مخنف في تأريخ الطبري) في تقييم روايات أبي مخنف في هذه المسألة فراجعها هناك (ص ١٣٤ إلى ص ١٤٦).

خبر عين التمر

(٣/ ٣٧٦) لقد ذكرنا الرواية (٣/ ٣٧٦/ ٢٠٠) في قسم الضعيف فإسناده ضعيف لأنه من طريق شعيب عن سيف وفي متنه مخالفة لما هو أصح منه كما ذكرنا في الضعيف وسنذكره هنا أيضاً وفي متنه نكارة كذلك، فخالد بن الوليد كان حريصاً على حقن الدماء وإذا طلب منه الكفار أماناً أعطاهم ذلك وصالحهم بشروط الإسلام المعروفة في الحروب. وفحوى رواية سيف هذه: أنه رضي الله عنه فتح عين تمر عنوة بينما وردت الآثار الأصح إسناداً بأنه صالح أهل عين تمر، كما أخرج يحيى بن آدم قال: ثنا حسن بن صالح عن أشعث عن الشعبي قال: صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة وأهل عين تمر قال: وكتب بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فأجازه (كتاب الخراج ٥٢/ ح ١٤١).

قلنا: ومما لا شك فيه: أن الشعبي كان من العارفين بمسائل الخراج والجزية والعهود التي تثبت على الفتوحات الإسلامية. كما أخرج يحيى بن آدم قال: ثنا شريك: وكان عامر من أخبر الناس بهذه الأمور (كتاب الخراج/ ٤٩/ ح ١٢٤).

ورواية يحيى هذه أخرجها البلاذري من طريق شيخه الحسين بن الأسود عن يحيى بن آدم به (فتوح البلدان/ ٣٤٦) والله أعلم.

خبر دومة الجندل

ذكرنا (خبر دومة الجندل) في قسم الضعيف واستغرق خبرها صفحة ونصف الصفحة من تأريخ الطبري (٣/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) وبداية الخبر عند الطبري هكذا:

خبر دومة الجندل:

قالوا: ثم ذكر الطبري القصة وأغلب ظننا أنه يعني بقوله: (قالوا): (طلحة بن عبد الرحمن والمهلب بن عقبة ومحمد) الذي روى عنهم سيف في الرواية السابقة لهذا الخبر ونعني (٣/ ٣٧٧/ ٢٠١) ولذلك ألحقنا (خبر دومة الجندل) بهذه الرواية (في قسم الضعيف) وقد جاءت بعدها مباشرة.

ووجدنا فيها عبارات غريبة لم يذكرها غير (شعيب عن سيف) أغلب ظننا: أنها من قبل شعيب (راوية سيف) فهو المعروف بتحامله على السلف الصالح (راجع قسم الضعيف).

إلاّ أنّا ذكرنا العنوان (خبر دومة الجندل) لوجود ما يؤيد أصل الواقعة فقد أخرج يعقوب بن سفيان من طريق أبي الأسود عنه قال: لما فرغ خالد من اليمامة أمره أبو بكر بالمسير إلى =

٣٦ ـ وفيها تزوّج عمر رحمه الله عاتكة بنت زيد. وفيها مات أبو مرثَد الغنويّ. وفيها مات أبو العاصي بن الربيع في ذي الحجة؛ وأوصى إلى الزبير، وتزوج عليّ عليه السلام ابنته. وفيها اشترى عمر أسلم مولاه[١]. (٣: ٣٨٥).

٣٧ ـ واختلف فيمن حجّ بالناس في هذه السنة، فقال بعضهم: حجّ بهم فيها أبو بكر رحمه الله.

ذِكْر من قال ذلك:

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن العَلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، مولَى الحُرَقة، عن رجل من بني سَهْم، عن ابن ماجدة السَّهميّ، أنه قال: حجّ أبو بكر في خلافته سنة اثنتي عشرة، وقد عارمتُ غلاماً

= الشام فسلك عين التمر فسبى ابنة الجودي من دومة الجندل ومضى إلى الشام فهزم عدو الله (٢/ ٢١٦/ت ٢٢٠٦) والطبري ذكر دومة الجندل كذلك في رواية أخرى ذكرناها في الضعيف (٣/ ٣٨٥/ ٢٠٦): أن خالداً انتصر في دومة الجندل ثم رجع إلى الحيرة سنة (١٢ هـ) إلاّ أن البلاذري له رأي آخر إذ يقول رحمه الله: وكان شخوص خالد إلى الشام في شهر ربيع الآخر ويقال في شهر ربيع الأول سنة ١٣ هـ. وقال قوم: إن خالداً أتى دومة من عين التمر ففتحها، ثم أقبل إلى الحيرة فمنها مضى إلى الشام وأصحّ من ذلك مضيه من عين التمر (فتوح البلدان/ ٣٥٠) وكذلك ذكر ابن الجوزي خبر دومة الجندل مختصراً (المنتظم في تأريخ الأمم والملوك ٤/ ١٠٨).

(١) قال الحافظ ابن حجر: أخرج ابن سعد بسند حسن عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب كانت عاتكة تحبّ عبد الله بن أبي بكر فجعل لها طائفة من ماله على ألا تتزوج بعده، ومات فأرسل عمر إلى عاتكة أن قد حرّمت ما أحل الله لك، فردّي إلى أهله المال الذي أخذته، ففعلت فخطبها عمر فنكحها (الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ٢٢٨/ ت ١١٤٥٢).
وأخرج الحاكم بسند صحيح عن قتادة أن علياً تزوج أمامة (بنت أبي العاص) بعد موت خالتها فاطمة (الإصابة ٨/ ٢٠٩/ ت ١٠١٨٢).
وقال الحافظ: قال إبراهيم المنذر: مات أبو العاص بن الربيع في خلافة أبي بكر في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة من الهجرة، وفيها أرّخه ابن سعد، وابن إسحاق، وأنه أوصى إلى الزبير بن العوام وكذا أرّخه غير واحد (الإصابة ٨/ ٢٠٩/ت ١٠١٨٢) وكذلك قال الذهبي في تأريخ الإسلام في أحداث سنة اثنتي عشرة (عهد الخلفاء الراشدين/ ٧٥): وقد تزوج علي أمامة بعد موت خالتها فاطمة (أي بنت أبي العاص) وكذلك ذكر أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه فيمن توفوا سنة اثنتي عشرة (عهد الخلفاء/ ٧٧).

من أهلي ، فعضّ بأذني فقطع منها ـ أو عضضتُ بأذنه فقطعت منها ـ فرُفع شأننا إلى أبي بكر ، فقال: اذهبوا بهما إلى عمر فلينظر ، فإن كان الجارح قد بَلغ فليُقدْ منه. فلما انتُهيَ بنا إلى عمر رضي الله عنه ، قال: لَعَمْرِي لقد بلغَ هذا! ادعوا لي حجّاماً. قال: فلمّا ذكر الحجام ، قال: أما إنّي قد سمعتُ النّبيّ ﷺ يقول: قد أعطيت خالتي غلاماً ، وأنا أرجو أن يبارك الله لها فيه ، وقد نهيتُها أن تجعله حجّاماً أو قصّاباً أو صائغاً؛ فاقتصّ منه[1]. (٣: ٣٨٦).

٣٨ ـ وذكر الواقديّ ، عن عثمان بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، عن أبي وَجْزة يزيد بن عبيد ، عن أبيه ، أنّ أبا بكرٍ حجّ في سنة اثنتي عشرة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رحمه الله[2]. (٣: ٣٨٦).

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد الرواية التالية.

(٢) إسناده ضعيف لأنه من طريق الواقدي.

قلنا: والروايتان السابقتان تتفقان في أنه رضي الله عنه حجّ سنة اثنتي عشرة أي أنه حج في أواخر خلافته رضي الله عنه وهذا ما يكرره الطبري في الرواية (٣/ ٣٨٧/ ٢١١) عن ابن إسحاق معضلاً. ولكن الطبري نفسه ذكر قولاً آخر هو أنه رضي الله عنه لم يحج بنفسه وإنما بعث عمراً ليحج بالناس أو عبد الرحمن بن عوف (٣/ ٣٨٦/ ٢١٠) عن ابن إسحاق معضلاً.

قلنا: وكلا القولين عند الطبري بإسناد ضعيف إلاّ أنّا ذكرنا الروايتين (٢٠٨ ، ٢٠٩) في قسم الصحيح لأن لهما ما يؤيد أصلهما من أنه حج في خلافته رضي الله عنه فقد أخرج البخاري عن عبد الرحمن بن نوفل أنه سأل عروة بن الزبير فقال: (قد حج النبي ﷺ فأخبرتني عائشة رضي الله عنها أنه أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ ثم طاف بالبيت ثم لم تكن له عمرة. ثم حجّ أبو بكر رضي الله عنه فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة ، ثم حج عمر رضي الله عنه مثل ذلك . . . الحديث). (فتح الباري ٣/ ٥٨٠/ ٧٥٥).

وكذلك أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلى رسول الله ﷺ بمنى ركعتين وأبو بكر وعمر وعثمان صدراً من خلافته (فتح الباري ٣/ ٥٩٥).

فهاتان الروايتان في الصحيح تؤكدان استمرار الخلفاء على سيرته ﷺ من بعد وفاته وإلا فما الداعي للاستدلال بفضل الخلفاء الراشدين في عهد رسول الله ﷺ ـ وإنما العبرة من ذكر فعلهم أنهم ساروا على سنته من بعد وفاته ﷺ ـ ومرادنا من ذكر هاتين الروايتين أنه رضي الله عنه حج في خلافته فذلك تأييد لما ورد في الروايتين الضعيفتي الإسناد عند الطبري والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

٣٩ ـ ففيها وَجَّه أبو بكر رحمه الله الجيوشَ إلى الشام بعد منصرَفه من مكَّة إلى المدينة.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة عن محمَّد بن إسحاق، قال: لما قَفَل أبو بكر من الحجّ سنة اثنتي عشرة جهّز الجيوش إلى الشام، فبعث عمرو بن العاص قِبَلَ فلسْطِين، فأخذ طريق المُعْرِقة على أيْلَة، وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجرَّاح وشُرحبيل بن حَسَنة ـ وهو أحد الغَوْث ـ وأمرهم أن يسلُكوا التَّبُوكيَّة على البلقاء من عَلْياء الشام[1]. (٣: ٣٨٧).

٤٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب، عن سيف، عن أبي إسحاق الشيباني، عن أبي صفيَّة التَّيمي؛ تَيْم بن شيبان، وطلحة عن المغيرة، ومحمد عن أبي عثمان، قالوا: أمرَ أبو بكر خالداً بأن ينزلَ تَيْماء، ففصل ردءاً حتَّى ينزل بتَيْماءَ؛ وقد أمره أبو بكر ألاّ يبرَحها، وأنْ يدعُوَ مَن حَوْله بالانضمام إليه، وألاّ يقبل إلاّ ممَّن لم يرتدّ، ولا يقاتل إلاّ من قاتله؛ حتى يأتيَه أمرُه. فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة؛ وبلغ الرّوم عِظَمُ ذلك العسكر، فضربوا على العرب الضَّاحية البعوث بالشام إليهم؛ فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك، وبنزول من استنفرت الرّوم؛ ونفر إليهم من بَهْراء وكلْب وسليح وتَنُوخ ولَخْم وجُذام وغَسَّان من دون زِيزاءَ بثلاث؛ فكتب إليه أبو بكر: أن أقدم ولا تُحْجِم واستنصر الله؛ فسار إليهم خالد، فلمَّا دنا منهم تفرّقوا وأعروا منزلهم؛ فنزله ودخل عامة مَن كان تجمَّع له في الإسلام؛ وكتب خالد إلى أبي بكر بذلك؛ فكتب إليه أبو بكر: أقدِم ولا تقتحمنّ حتى لا تُؤتَى مِن خلفك. فسار فيمن كان خرج معه من تَيْماء وفيمَن لحق به من طَرَف الرمل؛ حتى نزلوا فيما بين آبل وزِيزاء والقسطل؛ فسار إليه

---

(١) إسناده ضعيف وكذلك أخرجه خليفة عن ابن إسحاق معضلاً ومختصراً (تأريخ خليفة ١١٩) وأخرجه الذهبي كما عند خليفة (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ٨١) وسنذكر ما يؤيده بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥) إن شاء الله.

بِطْريقٌ من بطارقة الرُّوم ، يُدعى : باهان ، فهزمه وقتل جندَه ، وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمدّه . وقد قدم على أبي بكر أوائلُ مستنفرِي اليمن ومَن بين مكّة واليمن ، وفيهم ذو الكَلاع ، وقدم عليه عِكْرمة قافلاً وغازياً فيمَن كان معه من تِهامة وعُمان والبحرين والسَّرْو . فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدّلوا من استبدل ، فكلّهم استبدل ، فسُمّيَ ذلك الجيش جيش البِدال . فقدموا على خالد بن سعيد ، وعند ذلك اهتاج أبو بكر للشام ، وعناه أمرُه . وقد كان أبو بكر ردّ عمرو بن العاص على عِمالة كان رسولُ الله ﷺ ولاّها إيّاه من صدقات سعد هُذَيْم ، وعُذْرة ، ومَنْ لَفَّها من جُذام ، وحَدَس قبل ذهابه إلى عُمان . فخرج إلى عُمان وهو على عِدَةٍ من عمله ؛ إذا هو رجع . فأنجز له ذلك أبو بكر .

فكتب أبو بكر عند اهتياجه للشام إلى عمرو : إني كنت قد رددتُك على العمل الذي كان رسولُ الله ﷺ ولاّكه مرّة ، وسمّاه لك أخرى ؛ مبعثَك إلى عُمان إنجازاً لمواعيد رسول الله ﷺ ؛ فقد وليتَه ثم وليتَه ؛ وقد أحببتُ ـ أبا عبد الله ـ أن أفرّغَك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه ؛ إلاّ أنْ يكون الذي أنتَ فيه أحبَّ إليك . فكتب إليه عمرو : إني سهمٌ من سهام الإسلام ، وأنت بعد الله الرامِي بها ، والجامعُ لها ، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلَها فارمِ به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحي . وكتب إلي الوليد بن عقبة بنحو ذلك ، فأجابه بإيثار الجهاد[1] . (٣ : ٣٨٨/ ٣٨٩) .

٤١ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعَيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : كتبَ أبو بكر إلى عمرو ، وإلى الوليد بن عُقْبة ـ وكان على النّصف من صدقات قُضاعة ـ وقد كان أبو بكر شيَّعهما مبعثَهما على الصدقة ، وأوصى كلّ واحد منهما بوصيّة واحدة : اتَّقِ الله في السرّ والعلانية ؛ فإنه مَنْ يتّق الله يجعلْ له مخرجاً ، ويرزقه مِنْ حيث لا يحتسب ؛ ومن يتَّق الله يكفِّرْ عنه سيِّئاته ويُعظِم له أجراً . فإنّ تقوى الله خيرُ ما تَوَاصَى به عباد الله ؛ إنَّك في سبيل من سبُل الله ؛ لا يَسَعُك فيه الإذهان والتفريط والغفلة عمَّا فيه قِوام دينكم ، وعصمة

---

(١) سنذكر ما ورد في الباب بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٠) .

أمركم ، فلا تَنِ ولا تفتُر. وكتب إليهما: استخلفا على أعمالكما ، واندُبا مَنْ يليكما.

فولَّى عمروٌ على عُليا قضاعة عَمرَو بن فلان العذريّ ، وولَّى الوليدُ على ضاحية قضاعة مما يلي دُومة امرأ القيس ، وندبا الناس ، فتتامّ إليهما بشر كثير ، وانتظرا أمرَ أبي بكر.

وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، فحمِد الله وأثنَى عليه ، وصلَّى على رسوله ، وقال: ألاَ إنّ لكلّ أمر جوامعَ ، فمن بلَغها فهي حسبُه؛ ومن عمل لله كفاه الله. عليكم بالجدّ والقصد؛ فإنّ القصد أبلَغ؛ ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجرَ لمن لا حِسْبة له ، ولا عمل لمن لا نيَّة له ، ألا وإنّ في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لَمَا ينبغي للمسلم أن يحبّ أن يُخَصَّ به ، هي التجارة التي دلّ الله عليها ، ونجّى بها من الخزي ، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة.

فأمدّ عمراً ببعض من انتدب إلى من اجتمع إليه ، وأمَّره على فِلِسطين ، وأمَرَه بطريق سمَّاها له؛ وكتب إلى الوليد وأمَرَه بالأرْدُنّ ، وأمدّه ببعضهم؛ ودعا يزيد بن أبي سفيان ، فأمّره على جُند عظيم ، هم جمهور مَن انتدب له ، وفي جنده سُهَيل بن عَمرو وأشباهه من أهل مكَّة ، وشيَّعه ماشياً. واستعمل أبا عبيدة بن الجرّاح علَى من اجتمع [إليه] ، وأمَّره على حِمْص وخرج معه وهما ماشيان والناس معهما وخلفهما ، وأوْصَى كلّ واحد منهما[1]. (٣: ٣٩٠).

٤٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم ، ومبشِّر عن سالم ، ويزيد بن أسيد الغسانيّ عن خالد ، وعبادة ، قالوا: ولمَّا قدِم الوليد على خالد بن سعيد فسانده ، وقدمت جنود المسلمين الَّذين كان أبو بكر أمدّه بهم وسُمّوا جيش البِدال ، وبلغه عن الأمراء وتوجُّههم إليه ، اقتحم على الرّوم طلبَ الحُظْوة ، وأعرى ظهرَه ، وبادر الأمراء بقتال الرّوم ، واستطرد له باهان فأرَزَ هو ومَن معه إلى دمشق؛ واقتحم خالد في الجيش ومعه ذو الكَلاع ، وعِكْرمة ، والوليد حتى ينزل مَرْج الصُّفَّر؛ من بين الواقوصة ودِمشق؛ فانطوت

(١) سنذكر ما ورد في الباب بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

مسالح باهان عليه ، وأخذوا عليه الطرق ولا يشعر ، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطِر في الناس ، فقتلوهم. وأتى الخبرُ خالداً ، فخرج هارباً في جريدة ، فأفلت مَن أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل ، وقد أجهضوا عن عسكرهم؛ ولم تنته بخالدِ بن سعيد الهزيمة عن ذي المروة ، وأقام عِكْرِمة في الناس ردءاً لهم ، فردّ عنهم باهانَ وجنوده أن يطلُبوه ، وأقام من الشام على قريب ، وقد قدم شرحبيل بن حَسَنة وافداً من عند خالد بن الوليد ، فندب معه النَّاس ، ثم استعمله أبو بكر على عمل الوليد ، وخرج معه يوصيه ، فأتى شرحبيل على خالد ، ففصل بأصحابه إلاّ القليل ، واجتمع إلى أبي بكر أناسٌ ، فأمَّر عليهم معاوية ، وأمرَه باللحاق بيزيد ، فخرج معاوية حتى لحق بيزيد؛ فلما مرّ بخالد فصل ببقيّة أصحابه[1] . (٣: ٣٩١) .

٤٣ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أنّ عمر بن الخطاب لم يزلْ يكلّم أبا بكر في خالد بن الوليد وفي خالد ابن سعيد؛ فأبى أن يعطيَه في خالد بن الوليد ، وقال: لا أشِيم سيَفاً سلَّه الله على الكُفَّار ، وأطاعه في خالد بن سعيد بعد ما فعل فَعْلته. فأخذ عمرو طريق المُعْرِقة ، وسلك أبو عبيدة طريقه ، وأخذ يزيد طريق التبوكيَّة؛ وسلك شُرحبيل طريقه ، وسمّى لهم أمصار الشام ، وعرف أن الرُّوم ستشغلهم؛ فأحبّ أن يصعّد المصوّب ويصوّب المصعِّد؛ لئلا يتواكلوا ، فكان كما ظنّ وصاروا إلى ما أحبّ[2] . (٣: ٣٩١) .

٤٤ - كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن مبشَّر وسهل وأبي عثمان ، عن خالد وعبادة وأبي حارثة ، قالوا: وأوعَبَ القوّاد بالنَّاس نحو الشام وعكرمة ردءٌ للناس ، وبلغ الرُّوم ذلك؛ فكتبوا إلى هِرَقل؛ وخرج هرقل حتى نزل بحِمْص ، فأعدّ لهم الجنودَ ، وعبّى لهم العساكر؛ وأرادَ اشتغال بعضهم عن بعض لكثرة جندِه ، وفضول رجاله؛ وأرسل إلى عمرو أخاه تَذَارِق لأبيه وأمّه ، فخرج نحوهم في تسعين ألفاً ، وبعث مَن يسوقهم ، حتَّى نزل صاحب

---

(١) سنذكر ما ورد في الباب بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).
(٢) سنذكر ما ورد في فتوح الشام في السنة ثلاث عشرة بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

الساقة ثنيَّة جِلَّق بأعلى فلسطين ، وبعث جَرَجة بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان ، فعسكر بإزائه ، وبعث الدُّراقص فاستقبَل شُرحبيل بن حَسَنة ، وبعث الفِيقار بن نَسْطُوس في ستّين ألفاً؛ نحو أبي عبيدة ، فهابهم المسلمون ، وجميع فرق المسلمين واحد وعشرون ألفاً ؛ سوى عكرمة في ستَّة آلاف؛ ففزِعوا جميعاً بالكتُب وبالرّسل إلى عمرو: أن ما الرأي؟ فكاتبهم وراسلهم: إنّ الرأي الاجتماع ، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلَب من قلَّة؛ وإذا نحن تفرّقْنا لم يبق الرّجل منا في عدد يُقْرِن فيه لأحد ممّن استقبلنا وأعِدَّ لنا لكلّ طائفة منّا. فاتَّعَدوا اليَرْموك ليجتمعوا به ، وقد كتب إلى أبي بكر بمثل ما كاتبوا به عمراً؛ فطلع عليهم كتابه بمثل رأي عمرو ، بأن اجتمعوا فتكونوا عسكراً واحداً ، والقَوْا زحوف المشركين بزحف المسلمين ، فإنكم أعوان الله؛ والله ناصرٌ مَن نصره ، وخاذلٌ من كَفره ، ولن يؤتَى مثلُكم من قلّة؛ وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتُوا مِنْ تلقاء الذنوب؛ فاحترسوا من الذّنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين وليصَلّ كلّ رجل منكم بأصحابه.

وبلغ ذلك هرقل ، فكتب إلى بطارقته: أن اجتمعُوا لهم ، وانزلوا بالرُّوم منزلاً واسع العَطَن ، واسع المطَّرَد ، ضيّق المهرَب؛ وعلى الناس التَّذارق وعلى المقدمة جَرجَة ، وعلى مجنِّبتَيْه باهان والدُّراقص ، وعلى الحرب الفيقار؛ وأبشروا فإن باهان في الأثر مددٌ لكم. ففعلوا فنزلوا الواقوصة وهي على ضفَّة اليَرموك ، وصار الوادي خَنْدقاً لهم؛ وهو لِهْبٌ لا يدرك؛ وإنما أراد باهان وأصحابـهُ أن تستفيق الرُّوم ويأنسوا بالمسلمين؛ وترجع إليهم أفئدتهم عن طِيَرَتها.

وانتقل المسلمون عن عسكرِهم الذي اجتمعوا به؛ فنزل عليهم بحذائهم على طريقهم؛ وليس للرُّوم طريق إلاّ عليهم. فقال عمرو: أيّها الناس! أبشِروا ، حُصِرت والله الرُّوم! وقلَّمَا جاء محصور بخير. فأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم؛ ومخرجهم صفر من سنة ثلاث عشرة وشهرَيْ ربيع ، لا يقدرون من الرّوم على شيء؛ ولا يخلصُون إليهم؛ اللّهْبُ ـ وهو الواقوصة ـ من ورائهم ، والخندق من أمامهم ، ولا يخرجون خرْجةً إلا أديل المسلمون منهم؛ حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول؛ وقد استمدُّوا أبا بكر وأعلموه الشأن في صفر؛ فكتب إلى خالد

ليلحق بهم ، وأمره أن يخلّف على العراق المثـنّى؛ فوافاهم في ربيع[(١)] . (٣: ٣٩٢/ ٣٩٣) .

٤٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمَّد ، وطلحة ، وعمرو ، والمهلَّب ، قالوا: ولما نزل المسلمون اليرمُوك ، واستمدُّوا أبا بكر ، قال: خالد لها. فبعث إليه وهو بالعراق ، وعَزَم عليه واستحثَّه في السَّير ، فنفذ خالد لذلك؛ فطلع عليهم خالد؛ وطلع باهان على الرُّوم ، وقد قدَّم قدّامَه الشَّمامِسةَ ، والرّهبان ، والقسِّيسين؛ يُغْرونهم ويحضّونهم على القتال؛ ووافق قدوم خالد قدومَ باهان ، فخرج بهم باهان كالمقتدر؛ فولي خالد قتالَه ، وقاتل الأمراءُ مَنْ بإزائهم؛ فهزم باهان ، وتتابع الروم على الهزيمة ، فاقتحموا خندقَهم؛ وتيمَّنت الروم بباهان؛ وفرح المسلمون بخالد وحَرِد المسلمون. وحَرِب المشركون وهم أربعون ومئتا ألف؛ منهم ثمانون ألف مقيَّد ، وأربعون ألفاً منهم مسلسل للموت ، وأربعون ألفاً مربَّطُون بالعمائم ، وثمانون ألف فارس وثمانون ألف راجل ، والمسلمون سبعة وعشرون ألفاً ممّن كان مقيماً؛ إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف؛ فصاروا ستة وثلاثين ألفاً.

ومرض أبو بكر رحمه الله في جمادى الأولى ، وتُـوُفِّيَ للنصف من جمادى الآخرة ، قبل الفتح بعشر ليال[(٢)] . (٣: ٣٩٢/ ٣٩٣) .

خبـر اليَرْمـوك

قال أبو جعفر: وكان أبو بكر قد سمّى لكلّ أمير من أمراء الشام كُورَةً؛ فسمَّى لأبي عُبيدة بن عبد الله بن الجرّاح حِمْص ، وليزيد بن أبي سفيان دِمَشق؛ ولشُرحبيل بن حَسَنة الأردنَّ ، ولعمرو بن العاصِ ولعلقمة بن مُجَزّز فِلسطين ، فلمّا فرغا منها نزل علقمة وسار إلى مِصْر. فلمَّا شارفوا الشام ، دهم كلَّ أمير منهم قومٌ كثير ، فأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد ، وأن يلقوْا جمعَ المشركين بجمع المسلمين.

---

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

(٢) سنذكر ما ورد في فتوح الشام في السنة ثلاث عشرة بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

ولما رأى خالد أنّ المسلمين يقاتلون متساندين قال لهم: هل لكم يا معشر الرؤساء في أمرٍ يُعزّ الله به الدّين، ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه؟!

٤٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سَيْف، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغسَّاني، عن خالد وعبادة، قالا: توافَى إليها مع الأمراء والجنود الأربعة سبعةٌ وعشرون ألفاً وثلاثة آلاف من فُلّال خالد بن سعيد، أمَّر عليهم أبو بكر معاويةَ وشُرحبيل، وعشرة آلاف من أمداد أهل العراق مع خالد بن الوليد سوى ستَّة آلاف ثبتوا مع عكرمة ردءاً بعد خالد بن سعيد؛ فكانوا ستّة وأربعين ألفاً، وكلّ قتالهم كان على تساند، كلّ جند وأميره؛ لا يجمعهم أحدٌ؛ حتَّى قدم عليهم خالد من العراق. وكان عسكر أبي عبيدة باليرْموك مجاوراً لعسكر عمرو بن العاص، وعسكر شُرَحبيل مجاوراً لعسكر يزيد بن أبي سفيان؛ فكان أبو عبيدة ربَّما صلَّى مع عمرو وشُرحبيل مع يزيد. فأما عمرو ويزيد فإنَّهما كانا لا يصلِّيان مع أبي عبيدة وشُرحبيل، وقدم خالد بن الوليد وهم على حالهم تلك؛ فعسكر على حِدَة؛ فصلَّى بأهلِ العراق، ووافق خالد بن الوليد المسلمين وهم متضايقُون بمدَدِ الرّوم؛ عليهم باهان، ووافق الروم وهو نِشاط بمددهم، فالتقوا، فهزمهم الله حتى ألجأهم وأمدادَهم إلى الخنادق ـ والواقوصة أحد حدوده ـ فلزموا خندقهم عامّة شهر، يُحَضِّضُهم القسِّيسون، والشَّمَامشة، والرّهبان، وينعَوْن لهم النَّصرانيَّة؛ حتى استبصروا. فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعدْ قتال مثله، في جمادى الآخرة.

فلمَّا أحسّ المسلمون خروجَهم، وأرادوا الخروجَ متساندين، سار فيهم خالد بن الوليد؛ فحمِد الله وأثنى عليه، وقال: إن هذا يومٌ من أيّام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي. أخلِصوا جهادَكم، وأريدوا الله بعملكم؛ فإن هذا يومٌ له ما بعده؛ ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية؛ على تساندُ وانتشار؛ فإن ذلك لا يحلّ ولا ينبغي. وإنّ مَن وراءَكم لو يعلم علمَكم حال بينكم وبين هذا؛ فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي تروْن أنَّه الرّأي من واليكم ومحبَّته، قالوا: فهات، فما الرأي؟ قال: إنّ أبا بكر لم يبعثْنا إلاّ وهو يرى أنا سنتياسر، ولو علم بالذي كان ويكون؛ لقد جمعكم. إنّ الذي أنتم فيه أشدُّ على المسلمين ممَّا قد

غشيَهم ، وأنفعُ للمشركين من أمدادهم؛ ولقد علمت: أنّ الدنيا فرّقت بينكم ، فاللهَ الله ، فقد أفرِدَ كلّ رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه أن دانوا له. إنّ تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله ﷺ. هلمّوا فإنّ هؤلاء تهيَّؤوا ، وهذا يوم له ما بعده ، إنْ رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردّهم ، وإن هزمونا لم نُفلح بعدها. فهلمّوا فلْنتعاور الإمارة ، فليكن عليها بعضُنا اليوم ، والآخر غداً ، والآخر بعد غد؛ حتى يتأمَّر كلّكم ، ودعوني ألِيكُم اليوم.

فأمَّروه ، وهم يرون أنها كخرجاتهم ، وأن الأمر أطولُ ممَّا صاروا إليه؛ فخرجت الرُّوم في تعبية لم يرَ الراؤون مثلَها قطّ ، وخرج خالد في تعبية لم تُعبِّها العرب قبل ذلك؛ فخرج في ستَّة وثلاثين كُردوساً إلى الأربعين ، وقال: إنّ عدوّكم قد كثُر وَطَغَى ، وليس من التعبية تعبية أكثر في رأي العين من الكراديس. فجعل القلب كراديسَ ، وأقام فيه أبا عبيدة ، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شُرَحْبيل بن حَسنة. وجعل الميسرة كَراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان. وكان على كُردوس من كراديس أهلِ العراق القَعْقاع بن عمرو ، وعلى كُردوس مذعور بن عديّ ، وعياض بن غَنْم على كرْدوس ، وهاشم بن عتبة على كُرْدوس ، وزياد بن حنظلة على كُردوس ، وخالد في كُردوس؛ وعلى فالّة خالد بن سعيد دحْيَة بن خليفة على كُردوس ، وامرؤ القيس على كُرْدُوس ، ويزيد بن يحنَّس على كُردوس ، وأبو عبيدة على كُردوس ، وعكْرمة على كُردوس ، وسهيل على كُردوس ، وعبد الرحمن بن خالد على كُردوس ـ وهو يومئذ ابن ثمانيَ عشرة سنة ـ وحبيب بن مَسلمة على كُرْدوس ، وصفوان بن أميّة على كُردوس ، وسعيد بن خالد على كُرْدوس ، وأبو الأعور بن سفيان على كُرْدوس ، وابن ذي الخِمار على كُرْدُوس؛ وفي الميمنة عُمارة بن مُخشّى بن خُوَيْلِد على كُردوس؛ وشُرَحْبيل على كُردوس ومعه خالد بن سعيد ، وعبد الله بن قيس على كُردُوس؛ وعمرو بن عَبَسَة على كُرْدوس ، والسِّمط بن الأسود على كُردوس ، وذو الكَلاَع على كُردوس ، ومعاوية بن حُدَيْج على آخر؛ وجُنْدب بن عمرو بن حُمَمَة على كُردوس ، وعمرو بن فلان على كردوس؛ ولَقيط بن عبد القيس بن بجرة حليف لبني ظَفَر من بني فزارة على كُرْدوس ، وفي

المَيْسَرة يزيد بن أبي سفيان على كُرْدوس ، والزُّبير على كُرْدوس ، وحَوْشب ذو ظُلَيْم على كُرْدوس ، وقيس بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن مازن بن صعصعة من هوازن ـ حليف لبني النَّجّار ـ على كُردوس ، وعِصْمة بن عبد الله ـ حليف لبني النجار من بني أسد ـ على كُردوس ، وضِرار بن الأزور على كُردوس ، ومسروق بن فلان على كُرْدُوس ، وعُتْبة بن ربيعة بن بَهْز ـ حليف لبني عِصْمة ـ على كُردوس ، وجارية بن عبد الله الأشجعيّ ـ حليف لبني سلِمة ـ على كُردوس ، وقَباث على كردوس.

وكان القاضي أبو الدرداء ، وكان القاصَّ أبو سفيان بن حرب ، وكان على الطَّلائع قَباث بن أشيَم؛ وكان على الأقباض عبد الله بن مسعود[١]. (٣: ٣٩٣/ ٣٩٤/ ٣٩٥/ ٣٩٦).

٤٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغَسَّاني ، عن عبادة وخالد؛ قالا: شهد اليَرْموكَ ألفٌ من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم نحو من مئة من أهل بدر. قالا: وكان أبو سفيان يسيرُ فيقِف على الكراديس ، فيقول: الله اللهَ! إنكم ذَادةُ العرب ، وأنصارُ الإسلام ، وإنهم ذَادة الرُّوم وأنصار الشرك! اللهمّ إنّ هذا يومٌ من أيّامك؛ اللهم أنزلْ نصرك على عبادك!

قالا: وقال رجل لخالد: ما أكثرَ الرومَ وأقلّ المسلمين! فقال خالد: ما أقلَّ الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثُر الجنود بالنَّصر وتقلّ بالخذلان؛ لا بعدد

---

(١) وذكرنا هذه الرواية في الصحيح لورود ما يؤيدها سوى عبارة واحدة ضعفها واضح للعيان وأغلب الظن أنها من دسّ شعيب تلميذ سيف فهو المعروف بتحامله على السلف كما سبق.
وهذه العبارة هي قولة خالد للأمراء الأربعة: (ولقد علمت أن الدنيا قد فرقت بينكم) فإن الروايات الأخرى التي سبقت هذه الرواية والتي بعدها تؤكد أن الأمراء الأربعة قد اختاروا أسلوب القتال الانفرادي أو ما سماه الراوي (متساندين) وذلك تنفيذاً لأوامر الخليفة الذي أرسلهم في بداية الأمر بهذه الخطة الحربية وما دخل الدنيا وأنّى لها أن تدخل في نفوس أناس خرجوا من ديارهم وابتعدوا عنها مسافات شاسعة ليحاربوا جيوشاً نظامية لأعتى امبراطوريتين في العالم آنذاك تفوقهم أضعافاً مضاعفة إلا أنها الشهادة في سبيل الله تحدوهم وهو ما تبينه روايات شعيب نفسه وغير شعيب. والحمد لله الذي وفقنا لمعرفة الدسّ في الروايات التاريخية هذه ، فله المن والفضل !.

الرِّجال؛ والله لوددت أنّ الأشقر بَراءٌ من توجّيه؛ وأنهم أضعفوا في العدد ـ وكان فرسه قد حفِيَ في مسيره ـ قالا: فأمر خالد عِكرمة والقَعْقاع، وكانا على مجنَّبتي القَلْب، فأنشبا القِتال، وارتجز القعقاع وقال:

يا ليتني ألقاك في الطِّرادِ قبلَ اعتِرام الجَحْفَلِ الوَرَّادِ

وأنت في حَلْبتك الوِرادِ

وقال عِكْرمة:

قد عَلِمتْ بَهْكَنةُ الجواري أنِّي على مَكْرُمةٍ أحامِي

فنشب القتال، والتحمَ النَّاس، وتطارد الفرسان؛ فإنَّهم على ذلك؛ إذ قدم البريد من المدينة؛ فأخذته الخيول؛ وسألوه الخَبر؛ فلم يخبرهم إلاّ بسلامة، وأخبرهم عن أمداد؛ وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله وتأمير أبي عبيدة، فأبلغوه خالداً، فأخبره خبَر أبي بكر، أسرّه إليه، وأخبره بالَّذي أخبر به الجندَ. قال: أحسنتَ فقفْ، وأخذ الكتاب وجعله في كنانته؛ وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند؛ فوقف محميَة بن زُنَيم مع خالد؛ وهو الرسول، وخرج جَرَجة؛ حتى كان بين الصفَّين، ونادى: ليخرجْ إليّ خالد، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه، فوافقه بين الصّفَّين؛ حتى اختلفت أعناق دابَّتيهما، وقد أمَّن أحدُهما صاحبه، فقال جَرَجَة: يا خالد! اصدقْني، ولا تكذِبْني؛ فإنّ الحرّ لا يكذِب، ولا تخادعني؛ فإنّ الكريم لا يخادع المسترسل بالله: هل أنزل الله على نبيّكم سيفاً من السماء فأعطاكه، فلا تسلّه على قوم إلاّ هزمتهم؟ قال: لا، قال: فبمَ سُميت سيف الله؟ قال: إن الله عزّ وجلّ بعث فينا نبيَّه ﷺ، فدعانا فنفرْنا عنه ونأيْنا عنه جميعاً. ثم إنّ بعضنا صدّقه وتابعه؛ وبعضنا باعده وكذّبه؛ فكنت فيمن كذّبه وباعده وقاتله. ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا؛ فهدانا به، فتابعناه. فقال: «أنت سيف من سيوف الله سلَّه الله على المشركين!». ودعا لي بالنّصر؛ فسُمِّيت سيف الله بذلك؛ فأنا من أشدّ المسلمين على المشركين. قال: صدقتَني، ثم أعاد عليه جَرَجة: يا خالد! أخبرْني إلامَ تدعوني؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله، قال: فَمنْ لم يُجبْكم؟ قال: فالجِزْيَة ونمنعهم، قال: فإن لم يعطِها، قال: نؤذنه بحرب، ثم نقاتله. قال: فما منزلةُ الَّذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر

اليوم؟ قال: منزلتُنا واحدة فيما افترضَ الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأوّلنا وآخرنا. ثم أعاد عليه جَرَجة: هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالدُ مثل ما لكم من الأجر والذُّخْر؟ قال: نعم، وأفضل؛ قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ قال: إنَّا دخلْنا في هذا الأمر، وبايَعْنا نبينا ﷺ وهو حيّ بين أظهرنا، تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب، ويرينا الآيات، وحقّ لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا، أن يُسْلِم ويبايع؛ وإنكم أنتم لم ترَوْا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحُجَج؛ فَمنْ دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونيَّة كان أفضَل منَّا. قال جرجة: بالله لقد صدَقتني ولم تخادعْني ولم تألّفْني! قال: بالله لقد صدقتُك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة! وإنَّ الله لَوليُّ ما سألت عنه. فقال: صدقتَني؛ وقلب التّرس ومال مع خالد، وقال: عَلِّمْني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه، فشنّ عليه قِربَة من ماء، ثم صلَّى ركعتيْن؛ وحملت الرُّوم مع انقلابه إلى خالد؛ وهم يروْن أنَّها منه حملة، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية، عليهم عِكرمة والحارث بن هشام. وركب خالدٌ ومعه جَرجة والرُّوم خلالَ المسلمين؛ فتنادَى الناس، فثابوا، وتراجعت الرُّوم إلى مواقفهم، فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيُّوف، فضرب فيهم خالد وجَرَجَة من لدن ارتفاع النهار إلى جُنُوح الشمس للغروب، ثم أصِيبَ جرجَة ولم يصلِّ صلاة سجد فيها إلا الرّكعتين اللّتيْن أسلم عليهما، وصلَّى الناس الأولى والعصر إيماءً، وتضعضع الروم، ونَهَد خالد بالقلب حتَّى كان بين خيلِهم ورجْلهم، وكان مقاتلهُم واسعَ المطَّرد، ضيّق المهرب؛ فلمَّا وجدت خيلُهم مذهَباً؛ ذهبت وتركوا رَجْلهم في مصافِّهم؛ وخرجت خيلُهم تشتدّ بهم في الصحراء، وأخَّر النَّاس الصلاة حتى صلّوا بعد الفتح. ولما رأى المسلمون خيلَ الروم توجَّهت للهَرب؛ أفرجوا لها، ولم يحرّجوها؛ فذهبت فتفرّقت في البلاد، وأقبل خالد والمسلمون على الرّجْل ففضّوهم؛ فكأنما هُدِم بهم حائط؛ فاقتحموا في خندقهم، فاقتحمه عليهم فعَمَدوا إلى الواقوصة، حتى هوى فيها المقترنون وغيرُهم، فمَنْ صبر من المقترنين للقتال هوى به من خَشَعتْ نفسُه، فيهوِي الواحد بالعشرة لا يطيقونه؛ كلَّما هوى اثنان كانت البقيَّة أضعف، فتهافت في الواقوصة عشرون ومئة ألف؛ ثمانون ألف مقترن وأربعون ألف مطلق؛ سوى مَنْ قُتِل في المعركة من الخيْل والرّجل؛ فكان سهم الفارس يومئذ ألفاً وخمسمئة، وتجلّل الفيقار وأشرافٌ من

أشراف الرُّوم برانسَهم ، ثم جلسوا وقالوا: لا نحبّ أن نرى يوم السَّوء إذْ لم نستطع أن نرى يوم السرور؛ وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانيَّة؛ فأصيبوا في تزمّلهم[١] . (٣: ٣٩٦/ ٣٩٧/ ٣٩٨/ ٣٩٩/ ٤٠٠) .

٤٨ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان ، عن خالد وعبادة؛ قالا: أصبح خالد من تلك اللَّيْلة ، وهو في رِواق تَذارِق ، لمَّا دخل الخندق نزله وأحاطت به خيله ، وقاتل الناسُ حتى أصبحوا[٢] . (٣: ٤٠٠/ ٤٠١) .

٤٩ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عُميس ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ـ وكان شهد اليَرْموكَ هو وعُبادة بن الصامت ـ أنّ النساء قَاتلْنَ يوم اليَرْموك في جَوْلة ، فخرجت جُوَيْرِية بنة أبي سفيان في جَوْلة ، وكانت مع زوجها [وأصيبت] بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عينُ أبي سفيان ، فأخرج السهم من عينه أبو حشْمة[٣] . (٣: ٤٠١) .

٥٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وخالد: وكان ممَّن أصيب في الثلاثة الآلاف الَّذين أصيبوا يوم اليَرْموك عِكرمة ، وعمرو بن عِكْرمة ، وسلمَة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ـ وأثبِت خالد بن سعيد فلا يُدرَى أين ماتَ بَعْد ـ وجُنْدَب بن عمرو بن حُمَمَة الدَّوْسِيّ ، والطّفَيْل بن عمرو ، وضرار بن الأزور أثبت ، فبقَي ، وطُلَيْب بن عُمَير بن وَهْب من بني عبد بن قُصيّ ، وهَبَّار بن سُفْيان ، وهشام بن العاصي[٤] . (٣: ٤٠٢) .

٥١ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن عمرو بن ميمون ، عن أبيه ، قال: لقي خالداً مقدمَه الشام مغيثاً لأهل اليرموك رجلٌ من روم العرب ، فقال: يا خالد ! إنّ الروم في جمع كثير؛ مئتي ألف أو يزيدون؛ فإن رأيت أن ترجعَ عَلَى حامِيتك فافعل؛ فقال خالد: أبالرّومِ تخوّفني ؟! والله لودِدْتُ أنّ

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).
(٢) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).
(٣) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).
(٤) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

الأشقر بَراءٌ من تَوَجّيه ، وأنَّهم أضعفوا ضعْفَهم ، فهزمهم الله على يديه![١]
(٣ : ٤٠٢) .

٥٢ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو بن ميمون ، قالوا : وقد كان هرقل حجّ قبل مهزم خالد بن سعيد ، فحجّ بيت المقدس ، فبينا هو مقيم به أتاه الخبر بقُرْب الجنود منه ، فجمع الرُّوم ، وقال : أرى من الرأي ألاّ تقاتِلُوا هؤلاء القوم ، وأن تُصالحوهم؛ فوالله لأن تُعطوهم نصفَ ما أخرجت الشام؛ وتأخذوا نصفاً وتقِرَّ لكم جبال الرُّوم؛ خيرٌ لكم من أن يبلغوكم على الشام ، ويشاركوكم في جبال الرّوم؛ فنخر أخوه ونخر خَتَنُه؛ وتصدّع عنه مَن كان حوله؛ فلمَّا رآهم يعصونه ويردّون عليه بعث أخاه ، وأمَّر الأمراء ، ووجَّه إلى كلّ جند جنداً. فلما اجتمع المسلمون ، أمرهم بمنزل واحد واسع جامع حصين ، فنزلوا بالواقوصة ، وخرج فنزل حِمْص ، فلمَّا بلغه أن خالداً قد طلع على سُوَى ، وانتسف أهلَه وأموالَهم ، وعَمَد إلى بُصْرَى وافتتحها وأباح عَذْراء ، قال لجلسائه : ألم أقل لكم لا تقاتلوهم! فإنَّه لا قِوامَ لكم مع هؤلاء القوم؛ إنّ دينهم دينٌ جديد يجدّد لهم ثِبارَهم ، فلا يقوم لهم أحد حتى يُبْلَى . فقالوا : قاتِل عن دينك ولا تُجبّن النَّاس ، واقض الذي عليك؛ قال : وأيَّ شيء أطلب إلاّ توفيرَ دينكم!

ولما نزلت جنود المسلمين اليَرْموك ، بعث إليهم المسلمون : إنَّا نريد كلامَ أميركم وملاقاته؛ فدعُونا نأتِه ونكلّمه ، فأبلغوه فأذِن لهم . فأتاه أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان كالرسول ، والحارث بن هشام وضِرار بن الأزور وأبو جَنْدل بن سُهيل؛ ومع أخي الملك يومئذ ثلاثون رِواقاً في عسكره وثلاثون سُرادِقاً ، كلُّها من ديباج؛ فلمَّا انتهوْا إليها أبوْا أن يدخلوا عليه فيها ، وقالوا : لا نستحلّ الحرير فابْرز لنا. فبرز إلى فُرُش ممهَّدة؛ وبلغ ذلك هرقل ، فقال : ألم أقل لكم! هذا أوّلُ الذُّلّ ، أما الشام فلا شام؛ وويل للروم من المولود المشؤوم! ولم يتأتّ بينهم وبين المسلمين صُلْح ، فرجع أبو عبيدة وأصحابه ، واتَّعدوا ، فكان القتال حتى جاء الفتح[٢] . (٣ : ٤٠٢/٤٠٣) .

---

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥) .

(٢) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥) .

٥٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مُطَّرح ، عن القاسم ، عن أبي أمامة وأبي عثمان ، عن يزيد بن سنان ، عن رجال من أهل الشام ومن أشياخهم؛ قالوا: لمَّا كان اليوم الَّذي تأمّر فيه خالد؛ هزم الله الرُّوم مع الليلِ ، وصعد المسلمون العَقَبة ، وأصابوا ما في العسكر ، وقتل الله صناديدَهم ورؤوسهم وفرسانهم ، وقتل الله أخا هِرَقْل ، وأخِذ التَّذارق ، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دُون مدينة حِمْص ، فارتحل فجعل حِمْص بينه وبينهم ، وأمَّر عليها أميراً وخلَّفه فيها ، كما كان أمَّر على دمشق ، وأتبع المسلمون الرُّوم حين هزموهم خيولاً يثْفِنونهم. ولمَّا صار إلى أبي عبيدة الأمرُ بعد الهزيمة؛ نادى بالرّحيل ، وارتحل المسلمون بزحْفهم حتى وضعوا عساكرَهم بمَرْج الصُّفَّر. قال أبو أمامة: فبُعِثت طليعة من مرَج الصُّفَّر ، معي فارسان؛ حتى دخلت الغُوطة فجُسْتها بين أبياتها وشجراتها ، فقال أحد صاحبَيّ: قد بلغتَ حيث أمِرت فانصرف لا تهلكْنا ، فقلت: قِفْ مكانَك حتى تصبح أو آتيَك. فسِرْتُ حتى دفعت إلى باب المدينة؛ وليس في الأرض أحدٌ ظاهر ، فنزعت لجام فرسِي وعلَّقت عليها مخلاتها ، وركزت رمحي ، ثم وضعت رأسي فلم أشعُر إلاّ بالمفتاح يحرَّك عند الباب ليُفتح؛ فقمت فصلَّيت الغداة ، ثم ركبت فرسي ، فحملت عليه ، فطعنت البوّاب فقتلته ، ثم انكفأت راجعاً؛ فخرجوا يطلبونني ، فجعلوا يكفون عنِّي مخافة أن يكون لي كمين ، فدفعت إلى صاحبي الأدْنى الَّذي أمرتُه أن يقف ، فلمَّا رأوْه قالوا: هذا كمين انتهى إلى كمينه. فانصرفوا وسرت أنا وصاحبي ، حتى دفعنا إلى صاحبنا الثاني ، فسِرْنا حتى انتهينا إلى المسلمين؛ وقد عزم أبو عبيدة ألاّ يبرح حتى يأتيَه رأيُ عمر وأمْرُه؛ فأتاه فرحلوا حتى نزلوا على دِمَشق ، وخلّف باليَرْمُوك بشير بن كعب بن أبيّ الحميريّ في خَيْل[1]. (٣: ٤٠٣/ ٤٠٤).

٥٤ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن صالح بن كيسان: أنّ أبا بكر رحمه الله حين سار القوم خرج مع يَزيد بن أبي سفيان يُوصِيه ، وأبو بكر يمشي ويزيد راكب ، فلمَّا فرغ من وصيَّته قال: أقرئُك

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

السلام ، وأستودعك الله. ثم انصرف ومضى يزيد ، فأخذ التَّبُوكيَّة ثم تبعه شُرَحبيل بن حَسَنة ثم أبو عبيدة بن الجرّاح مدداً لهما على رُبْع ، فسلكوا ذلك الطريق ، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل بغَمْر العَرَبات ، ونزلت الرُّوم بثَنِيَّة جِلّق بأعلَى فلسطين في سبعين ألفاً ، عليهم تَذَارِق أخو هِرَقْل لأبيه وأمِّه. فكتب عَمْرو بن العاص إلى أبي بكر ، يذكر له أمرَ الرُّوم ويستمدُّه. وخرج خالد بن سعيد بن العاصي؛ وهو بمرج الصُّفَّر من أرض الشام في يوم مَطِير يستمطر فيه؛ فتعاوَى عليه أعلاَجُ الروم ، فقتلوه ، وقد كان عمرو بن العاص كتب إلى أبي بكر يذكر له أمر الروم ويستمدّه.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: وكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحِيرة ، يأمره أن يمِدّ أهلَ الشام بِمَن معه من أهل القوّة ، ويخرج فيهم ، ويستخلف على ضَعفَة النَّاس رجلاً منهم؛ فلمّا أتى خالداً كتابُ أبي بكر بذلك ، قال خالد: هذا عمل الأعيسر بن أمّ شَمْلَة ـ يعني: عمر بن الخطاب ـ حسدني أن يكون فتْح العراق على يديّ. فسار خالد بأهل القوّة من الناس وردّ الضعفاء والنّساء إلى المدينة؛ مدينة رسول الله ﷺ ، وأمّر عليهم عُمير بن سعد الأنصاريّ ، واستخلف خالد على مَن أسلم بالعراق من رَبيعة وغيرهم المثنَّى بن حارثة الشيبانيّ. ثم سار حتى نزل على عَيْن التَّمْر ، فأغار على أهلها ، فأصاب منهم ، ورابط حِصْناً بها فيه مقاتلةٌ كان كسرى وضعهم فيه حتى استنزلهم ، فضرب أعناقهم ، وسَبَى من عَيْن التَّمْر ومن أبناء تلك المرابِطة سبايا كثيرة ، فبعث بها إلى أبي بكر؛ فكان مِن تلك السَّبَايا أبو عَمْرة مولى شبّان؛ وهو أبو عبد الأعلى بن أبي عمرة ، وأبو عبيدة مولى المعلَّى من الأنصار من بني زُريق ، وأبو عبد الله مولى زُهرة ، وخَيْر مولى أبي داود الأنصاريّ ثم أحد بني مازن بن النَّجار ، ويَسَار وهو جدّ محمد بن إسحاق مولى قيس بن مَخْرمة بن المطَّلب بن عبد مناف ، وأفلح مولى أبي أيوب الأنصاريّ ثم أحد بني مالك بن النَّجار ، وحُمران بن أبان مَوْلى عثمان بن عفان. وقَتَل خالد بن الوليد هلالَ بن عَقّة بن بشر النّمَريّ وصلَبه بعين التّمر ، ثم أراد السَّير مفوّزاً من قُراقر ـ وهو ماء لكلب إلى سُوَى ، وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال ـ فلم يهتدِ خالد الطريق ، فالتمس دليلاً ، فدُلّ على رافع بن عميرة الطائيّ؛ فقال له خالد: انطلق بالنَّاس ،

فقال له رافع: إنَّك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال؛ والله إنّ الراكب المفرد ليخافُها على نفسه وما يسلُكها إلا مغرّراً؛ إنها لخمس ليال جِياد لا يُصاب فيها ماء مع مَضَلَّتها، فقال له خالد: ويْحك! إنه والله إنْ لي بدٌّ من ذلك، إنه قد أتتني من الأمير عَزْمة بذلك، فمرْ بأمرك، قال: استكثروا من الماء؛ مَنِ استطاع منكم أن يصرّ أذنَ ناقته على ماء فليفعل؛ فإنها المهالك إلا ما دفع الله؛ ابْغِني عشرين جَزوراً عظاماً سماناً مَسانَّ. فأتاه بهنّ خالد، فعمد إليهنّ رافع فظمَّأهن، حتى إذا أجهدهنّ عطشاً أوردهنّ فشربن حتى إذا تملأْنَ عمَد إليهنّ، فقطع مشافرهنّ، ثم كَعمهنّ لئلا يجترزن، ثم أخلى أدبارهنّ.

ثم قال لخالد: سر؛ فسار خالد معه مُغِذّاً بالخيول والأثقال؛ فكُلَّما نزل منزلاً افتظّ أربعاً من تلك الشَّوارف؛ فأخذ ما في أكراشها، فسقاه الخيل؛ ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء؛ فلما خشِيَ خالد على أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة وهو أرمد: ويحكَ يا رافع! ما عندك؟ قال: أدركتَ الرِّيّ إن شاء الله؛ فلمَّا دنا من العلَميْن، قال للناس: انظروا هل ترون شُجيرة من عَوْسج كقِعْدة الرجل؟ قالوا: ما نراها. قال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون! هلكتم والله إذاً وهلكتُ؛ لا أبالكم! انظروا، فطلبوا فوجدوها قد قطعت وبقيت منها بقيَّة، فلمَّا رآها المسلمون كبَّروا وكبَّر رافع بن عميرة؛ ثم قال: احفروا في أصلها، فحفروا فاستخرجوا عيناً، فشربوا حتى رَوِيَ النَّاس، فاتّصلتْ بعد ذلك لخالد المنازل، فقال رافع: والله ما وردتُ هذا الماءَ قطّ إلا مرةً واحدة، وردته مع أبي وأنا غلام، فقال شاعر من المسلمين:

لله عَيْنــا رافِـــع أنّـــى اهْتَـــدَى ... فَــوّزَ مــن قُــراقــرٍ إلــى سُــوَى!
خمْسـاً إذا مـا سـارهـا الجَيْشُ بكـى ... مــا ســارهــا قَبْلــك إنسـيٌّ يُـرَى

فلمَّا انتهى خالد إلى سُوَى، أغار على أهله ـ وهم بَهْراء ـ قبيل الصُّبح، وناس منهم يشربونَ خَمْراً لهم في جَفْنة قد اجتمعوا عليها، ومغنِّيهم يقول:

ألا علّـلانِـي قبـل جيـش أبـي بكـرِ ... لعـلّ منـايـانـا قـريـب ومـا نَـدْرِي
ألا علّــلانــي بــالــزُّجــاج وكــرِّرا ... عَلـيَّ كُمَيْـتَ اللـونِ صـافيـةً تَجْـرِي
ألا علّــلانــي مــن سُــلافــة قهــوةٍ ... تسلِّي همومَ النفس من جيِّدِ الخمرِ
أظُـنُّ خيـولَ المسلميـن وخـالــداً ... ستطـرُقكـمْ قبـل الصَّبـاح مـن البِشْـرِ

فهل لكُمُ في السير قبل قتالهم وقبل خروج المعصراتِ من الخِدْر!

فيزعمون: أن مغنّيَهم ذلك قتِل تحت الغارة، فسال دمُه في تلك الجفنة. ثم سار خالدٌ على وجهه ذلك، حتى أغار على غَسَّان بمرْج راهط، ثم سار حتى نزلَ على قناة بُصْرَى، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشُرَحْبيل بن حَسَنة ويزيد بن أبي سفيان؛ فاجتمعوا عليها، فرابطوها حتى صالحت بُصرى على الجِزْية، وفتحها الله على المسلمين، فكانتْ أوّلَ مدينة من مَدائن الشام فتحت في خلافة أبي بكر. ثم ساروا جميعاً إلى فِلِسطين مدداً لعمرو بن العاص، وعمرو مقيم بالعَربات مِنْ غَوْر فِلِسطين، وسمعت الرُّوم بهم، فانكشفوا عن جلَّق إلى أجْنادِين؛ وعليهم تَذَارق أخُو هِرَقْل لأبيه وأمّه ـ وأجنادين بلد بين الرّملة وبيت جَبْرين من أرض فلسطين ـ وسار عمرو بن العاص حينَ سمع بأبي عبيدة بن الجرّاح وشُرَحبْيل بن حَسَنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيَهم، فاجتمعوا بأجنادين؛ حتى عسكروا عليهم[1]. (٣: ٤٠٥/ ٤٠٦/ ٤١٥/ ٤١٦/ ٤١٧).

---

(١) إسناده ضعيف ولكن ذكرناه في قسم الصحيح لورود ما يقوي بعضه ولكن وردت عبارات زيادات تنمُّ عن غضب خالد عندما جاءه أمر سيدنا أبي بكر رضي الله عنه بلحاقه مع نصف جيش المسلمين في العراق بجيوش الفاتحين في الشام، وأن خالداً رضي الله عنه اتهم عمراً رضي الله عنه بوقوفه وراء هذه الأوامر وتذكر هذه الروايات الضعيفة سنداً: أن خالداً قال: هذا حسد من عمر حسدني على فتح العراق وأن يكون على يدي فأحبّ أن يجعلني مدداً لعمرو...

وفي رواية الطبري كلام لا يليق بتعامل الصحابة مع بعضهم البعض وحاشاهم أن يقولوا ذلك إذ جاء فيه أن خالداً قال: (هذا عمل الأعيسر بن أم شملة؛ يعني: عمر بن الخطاب... حسدني أن يكون فتح العراق على يديّ)، وللوقوف على هذه العبارات راجع كلًّا من (تأريخ الطبري ٣/ ٤١٥) وتهذيب تأريخ دمشق (١/ ١٣١) وفتوح الشام للأزدي (ص ٦٨).

قلنا: (وبالله التوفيق): بالإضافة إلى كون هذه (الزيادة) ضعيفة الإسناد فإنها شاذة تخالف تماماً ما هو أصح منها في الروايات التي تحدثت عن ردة فعل خالد بن الوليد لمسألة أمره بالتوجه نحو الشام. وكذلك تخالف ما ذكره أئمة المغازي والسير في قضية تقدير عمر له وأما مسألة عزل سيدنا عمر لسيف الله خالد بعد ذلك فمسألة بعيدة تماماً عن الحقد والضغينة وما إلى ذلك. وإنما مسألة موازين إسلامية، وتقدير عسكري، وبُعْد استراتيجي (كما يقولون) ودراسة لطبيعة المرحلة الزمنية، ومراعاة للمصلحة المشتركة، كما سنبين إن شاء الله تعالى كالآتي:

١ ـ هنالك رواية توضح ردة فعل خالد لما هو أشدّ من أمره بالتوجه إلى الشام ألا وهو أمر=

= عزله عن قيادة الجيش وإسناد ذلك إلى أبي عبيدة رضي الله عنه؛ فقد أخرج ابن سعد في الطبقات (٧/ ١٣٦) وأحمد في المسند (٤/ ٩٠) عن عبد الملك بن عمير قال: استعمل عمر أبا عبيدة على الشام وعزل خالد بن الوليد فقال خالد: بعث عليكم أمين هذه الأمة سمعت رسول الله ﷺ يقوله ، فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خالد سيف من سيوف الله ، نعم فتى العشيرة!) وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد الملك بن عمير لم يدرك أبا عبيدة (مجمع الزوائد ٩/ ٣٥١).
٢ ـ أخرج ابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٤٣٠) من حديث الثوري: قيل لعمر عند موته: استخلف فقال: لو أدركت خالد بن الوليد ثم وليته ثم قدمت على ربي فقال لي: من استخلفت على أمة محمد؟ فقلت: سمعت عبدك وخليلك يقول: (خالد سيف من سيوف الله سلّه على المشركين) وكذلك أخرج (٢/ ٤٣٠) أن عمر رضي الله عنه قال عند وفاة خالد رضي الله عنه: (على مثل أبي سليمان تبكي البواكي).
٣ ـ وفي الجانب الآخر فإن خالداً رضي الله عنه لم يكن طالباً للإمارة بل كان محباً للجهاد تواقاً إلى الشهادة في سبيل الله فقد قال الحافظ ابن حجر: قال ابن المبارك في كتاب الجهاد عن حماد بن زيد: حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل ـ ثم شك حماد في أبي وائل ـ قال: لما حضرت خالداً الوفاة قال: لقد طلبت القتل في مَظَانِّه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي ، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد أن لا إله إلا الله من ليلة بتُّها أنا متترسٌ والسماء تهلني تمطر إلى صبح ، حتى نغير على الكفار؛ ثم قال: إذا أنا متُّ فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عدّة في سبيل الله ثم توفي (الإصابة ٢/ ٢١٩/ت ٢٢٠٦) وأخرج ابن سعد أن خالداً قال عند موته: ما كان في الأرض من ليلة أحبّ إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبّح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد.
فهذا هو سيف الله خالد عشق الجهاد وصهوة الجياد وغبار المعركة في سبيل الله حتى نهاية حياته: وقبل الرمق الأخير أوصى بسلاحه وفرسه عدة في سبيل الله من بعده ، فأين ذلك الأفق الرفيع الذي يعيش فيه صحابة رسول الله ﷺ وأين ذلك الخبط والتشويه لعدالة الصحابة ؟!.
ولو فرضنا أن سيدنا خالد حقاً قد قال عبارته هذه [هذا عمل الأعيسر بن أم شملة ـ يعني: عمر بن الخطاب ـ حسدني أن يكون فتح العراق على يديّ].
نقول: إن صحت نسبة هذه العبارة إلى خالد رضي الله عنه فهو توهم منه أدركه بعد ذلك وتراجع عنه ، والدليل على ذلك ما صح عنه حين مرضه الأخير لما عاده أبو الدرداء إذ قال خالد بن الوليد: [قد وجدت عليه في نفسي أموراً لمّا تدبرتها في مرضي هذا وحضرني من الله حاضر عرفت: أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل] أي: أن خالداً تيقن أخيراً وأقر بأن عمراً رضي الله عنه لم يفعل ما فعل إلاّ لحكمة لم يدركها خالد يومها وإنما أدركها متأخراً وأن فعلته كانت في سبيل الله لا حقداً ولا حسداً. =

٥٥ ـ قال أبو جعفر: وأمَّا أبو زيد؛ فحدّثني عن عليّ بن محمد بالإسناد الذي قد ذكرت قبلُ: أنَّ أبا بكر رحمه الله وجَّه بعد خروج يزيد بن أبي سفيان موجّهاً إلى الشام بأيام شُرَحبيلَ بن حَسَنة ـ قال: وهو شُرَحْبيل بن عبد الله بن المطاع بن عمرو، من كِنْدة، ويقال من الأزد ـ فسار في سبعة آلاف، ثم أبا عبيدة بن الجرّاح في سبعة آلاف، فنزل يزيد البَلْقاء، ونزل شُرحبيل الأرْدُنّ ـ ويقال بُصْرَى ـ ونزل أبو عبيدة الجابِيَة، ثم أمدّهم بعمرو بن العاص، فنزل بغَمْر العرَبات، ثم رغِب الناس في الجهاد؛ فكانوا يأتون المدينة فيوجّههم أبو بكر إلى

= والدليل الثاني الذي يردّ هذه الزيادة المنكرة هي قولة سيدنا عمر الشهيرة عندما عزل خالداً قائلاً: «حتى يعلم الناس أن الله ينصر دينه لا خالداً» ولا نريد أن نطيل هنا بل سنذكر بالتفصيل في مسألة عزل خالدٍ رضي الله عنه والله الموفق.

أما الرواية التي تؤيد رواية الطبري هذه في قصة عبوره الصحراء في رواية مسندة جاءت في المعرفة والتأريخ للإمام يعقوب بن سفيان الفسوي الجزء الثالث تحقيق المؤرخ العمري ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨: أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمي، ثنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ح. وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، وأبو بكر بن الطبري، قالا أنبأ أبو الحسين بن الفضل القطان، أنبأ عبد الله بن جعفر بن درستويه، ثنا يعقوب بن سفيان ثنا هشام بن عمار، ثنا عبد الملك بن محمد، ثنا راشد بن داؤد الصغاني، حدثني أبو عثمان الصغاني شراحيل بن مرثد قال: بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد إلى أهل اليمامة فلما قدمناها قاتلونا قتالاً شديداً فظفرنا بهم.

وهلك أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب فبعث أبا عبيدة بن الجراح إلى الشام ودمشق، واستمد أبو عبيدة عمر فكتب عمر إلى خالد أن سر إلى أبي عبيدة بالشام فدعا خالد بن الوليد الدليل فقال: في كم نأتي الحيرة؟ فقال: في كذا وكذا. فعطّش خالد بن الوليد الإبل ثم أساقها واستسقى وسقى الخيل، ثم كمّ أفواه الإبل وأدبارها. وقال له الدليل إن أصبحت عند الشجرة فقد نجوت ونجا من معك. فسار خالد بمن معه فأصبح عند إضاءة الفجر عند الشجرة فنحر الإبل ثم سقى ما في بطونها الخيل وأطعم لحومها الناس وسقى المسلمين من المزاد التي كانت تحمل معه... إلخ الرواية.

ورواية يعقوب بن سفيان هذه تخالف الروايات التي ذكرناها سابقاً والتي تبيّن أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي أمر خالداً بالمسير إلى الشام، وعلى أية حالٍ فإن بيت القصيد من هذه الرواية التي هي أصح سنداً من رواية ابن حميد الرازي لم تذكر الزيادة الشاذة التي تُنسب إلى خالد ولم تصحّ كما ذكرنا سابقاً، والله تعالى أعلم.

الشَّام فمنهم مَن يصير مع أبي عبيدة ، ومنهم مَن يصير مع يزيد ، يصير كلّ قوم مع من أحبّوا.

قالوا: فأوّل صُلْح كان بالشام صلح مَآبَ؛ وهي فسطاط ليست بمدينة ، مرّ أبو عبيدة بهم في طريقه ، وهي قرية من البَلْقاء ، فقاتلوه ، ثم سألوه الصُّلْح فصالحهم. واجتمع الرُّوم جمعاً بالعَرَبة من أرضِ فلسطين؛ فوجَّه إليهم يزيدُ بن أبي سفيان أبا أمامة الباهليّ؛ ففضَّ ذلك الجمع.

قالوا: فأوّل حرب كانت بالشام بعد سريّة أسامة بالعَرَبة. ثم أتوا الدّاثنة - ويقال: الدّاثن - فهزمهم أبو أمامة الباهليُّ ، وقتل بِطْريقاً منهم. ثم كانت مَرْج الصُّفَّر ، استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاصي ، أتاهم أدْرُنْجار في أربعة آلاف وهم غارُّون ، فاستُشهد خالد وعدّة من المسلمين.

قال أبو جعفر: وقيل: إنّ المقتول في هذه الغزوة كان ابناً لخالد بن سعيد ، وإنّ خالداً انحاز حين قُتل ابنه ، فوجَّه أبو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء الذين بالشام ، ضمَّهم إليه؛ فشخص خالد من الحِيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمئة - ويقال: في خَمْسمئة - واستخلف على عَمَلِهِ المثنّى بن حارثة ، فلَقيه عدوّ بَصَنْدَوْدَاء ، فظفر بهم ، وخلَّف بها ابن حَرام الأنصاريّ؛ ولقيَ جمعاً بالمُصيّخ ، والحُصَيْد ، عليهم ربيعة بن بُجيْر التَّغلبيّ ، فهزمهم وسَبَى وغَنِم ، وسار ففوّز من قُراقِر إلى سُوَى؛ فأغار على أهل سُوَى؛ واكتسح أموالَهم ، وقتل حُرْقُوص بن النُّعمان البَهرانيّ ، ثم أتى أرَكَ فصالحوه ، وأتى تَدْمُر فتحصّنوا ، ثم صالحوه؛ ثم أتى القريتيْن ، فقاتلهم ، فظفر بهم ، وغَنِم ، وأتى حُوَّارين؛ فقاتلهم فهَزَمهم وقتلَ وسبَى ، وأتى قُصَم فصالحه بنو مَشْجَعة من قُضاعة ، وأتى مَرْج راهِط ، فأغار على غَسَّان في يوم فِصْحهم ، فقتل وسَبَى ، ووجَّه بُسْر بن أبي أرطاة وحبيب بن مَسْلَمة إلى الغوطة ، فأتوْا كنيسة فسَبوا الرّجال والنِّساء ، وساقُوا العِيال إلى خالد.

قال: فوافى خالداً كتابُ أبي بكر بالحيرة منصرفَه من حجّهِ: أن سِرْ حتَّى تأتيَ جموعَ المسلمين باليَرْموك ، فإنهم قد شَجُوا وأشْجَوْا ، وإيّاك أن تعود لمثل ما فعلت ، فإنه لم يُشْجِ الجموع من الناس بعون الله شجاك ، ولم ينزع الشجَى من الناس نزعك. فليهنئك أبا سليمان النيّة والحُظوة؛ فأتمِم يُتمم الله لك ،

ولا يدخلنَّك عُجب فتخسَر وتُخْذَل؛ وإيّاك أن تُدِلّ بعمل ، فإن الله عزّ وجلّ له المنّ ، وهو وليّ الجَزاء.

رجع الحديث إلى حديث أبي زيد عن علي بن محمد بإسناده الذي قد مضى ذكره ، قال: وأتَى خالدٌ دمشقَ فجمع له صاحِب بصرى ، فسار إليه هو وأبو عُبيدة؛ فلقيَهم أدرنجا ، فظفِر بهم ، وهزمهم؛ فدخلوا حصنَهم؛ وطلبوا الصُّلْح ، فصالحهم على كلّ رأس دينار في كلِّ عام وجريب حنطة. ثم رجع العدوُّ للمسلمين ، فتوافَتْ جنود المسلمين والرُّوم بأجنادين ، فالتقَوْا يوم السبت لليلتين بقِيَتا من جُمادى الأولى سنة ثلاث عشرة؛ فظهر المسلمون ، وهزم الله المشركين ، وقتل خليفة هِرَقل ، واستشهد رجالٌ من المسلمين؛ ثم رجع هِرَقْل للمسلمين ، فالتقوْا بالواقوصة فقاتلوهم؛ وقاتلهم العدوّ ، وجاءتهم وفاة أبي بكر وهم مصافُّون وولاية أبي عبيدة ، وكانت هذه الوقعة في رجب[1]. (٣: ٤٠٦/٤٠٧/٤١٨/٤١٩).

٥٦ ـ كتب إليَّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن ظَفر بن دهي ، ومحمد بن عبد الله عن أبي عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، والمهلَّب بن عقبة عن عبد الرحمن بن سِياه الأحمريّ ، قالوا: كان أبو بكر قد وجّه خالدَ بن سعيد بن العاصي إلى الشام حيث وجّه خالد بن الوليد إلى العراق ، وأوصاه بمثل الّذي أوصى به خالداً. وإن خالد بن سعيد سار حتى نزلَ على الشام ولم يقتحم؛ واستجلب النَّاس فعزَّ ، فهابته الرُّوم ، فأحجموا عنه ، فلم يصبر على أمر أبي بكر ولكن تورّدها فاستطردت له الرُّوم ، حتى أوردوه الصُّفَّر ، ثم تعطَّفوا عليه بعد ما أمِن؛ فوافقوا ابنَه سعيد بن خالد مستمطِراً؛ فقتلوه هو ومَن معه ، وأتى الخبرُ خالداً ، فخرج هارباً؛ حتى يأتي البرّ ، فينزل منزلاً ، واجتمعت الرُّوم إلى اليَرْموك؛ فنزلوا به ، وقالوا: والله لنشغلن أبا بكر في نفسه عن تورّد بلادنا بخيوله.

وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بالّذي كان ، فكتب أبو بكر إلى عمرو بن العاص ـ وكان في بلاد قُضاعة ـ بالسَّير إلى اليرموك ، ففعل. وبعث أبا عبيدة بن

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

الجراح ويزيد بن أبي سفيان ، وأمر كلّ واحد منهما بالغارة ، وألاّ تُوغلوا حتى لا يكون وراءكم أحدٌ من عدوِّكم .

وقدم عليه شُرَحْبيل بن حَسَنة بفتح من فتوح خالد ، فسرّحه نحو الشام في جُنْد ، وسمّى لكلّ رجل من أمراء الأجناد كورةً من كور الشام؛ فتوافوا باليَرْموك ، فلمّا رأت الروم توافيَهم ندموا على الذي ظهر منهم ، ونَسوا الذي كانوا يتوعّدون به أبا بكر ، واهتموا وهمَّتهم أنفسهم ، وأشْجَوْهم وشجوا بهم ، ثم نزلوا الواقوصة. وقال أبو بكر: والله لأنْسِيَنّ الرُّوم وساوسَ الشيطان بخالد بن الوليد ، فكتب إليه بهذا الكتاب الَّذي فوق هذا الحديث ، وأمَره أن يستخلِف المثنّى بن حارثة على العِراق في نصف الناس ، فإذا فتح الله على المسلمين الشَّام ، فارجعْ إلى عملك بالعراق. وبعث خالد بالأخماس إلاّ ما نفّل منها مع عُمَير بن سعدِ الأنصاريّ وبمسيره إلى الشام. ودعا خالد الأدلَّة ، فارتحل من الحيرة سائراً إلى دُومة ، ثم طعن في البرّ إلى قراقر ، ثم قال: كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم! فإني إن استقبلتها حبستني عن غِياث المسلمين ، فكلّهم قال: لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الجيوش ، يأخذه الفذّ الراكب ، فإيّاك أن تغرّر بالمسلمين. فعزم عليهم ولم يُجِبْه إلى ذلك إلاّ رافع بن عُميرةَ على تهيُّبٍ شديد ، فقام فيهم ، فقال: لا يختلفنّ هَدْيُكم ، ولا يضعفنّ يقينكم ، واعلموا أنّ المعونة تأتي على قدر النيَّة ، والأجر على قدر الحِسْبة؛ وإنّ المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له ، فقالوا له: أنت رَجُلٌ قد جمع الله لك الخير ، فشأنَك. فطابقوه ونووا واحتسبوا ، واشتهوا مثلَ الذي اشتهى خالد ، فأمرهم خالد ، فتروَّوا للشَّفَة لخمس ، وأمر صاحب كلّ خيل بقدر ما يسقيها ، فظمَّأ كلُّ قائد من الإبل الشُّرُفِ الجِلال ما يكتفي به ، ثم سَقَوْها العَلَل بعد النَّهلِ؛ ثم صرُّوا آذان الإبل وكعموها ، وخلَّوا أدبارها ، ثم ركبوا من قراقر مفوّزين إلى سُوَى ـ وهي على جانبها الآخر ممَّا يلي الشام ـ فلما ساروا يوماً افتظّوا لكل عِدّة من الخيل عشراً من تلك الإبل فمزجوا ما في كُروشها بما كان من الألبان ، ثم سَقَوا الخيلَ ، وشربوا للشفة جَرْعاً ، ففعلوا ذلك أربعة أيام[1] . (٣: ٤٠٨/٤٠٩) .

---

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

٥٧ ـ قال أبو جعفر الطبريّ: وشاركهم محمَّد وطلحة، قالوا: لما نزل بسُوَى وخشِيَ أن يفضحهم حرُّ الشمس؛ نادى خالد رافعاً: ما عندك؟ قال: خير، أدركتم الرِّيّ، وأنتم على الماء! وشجَّعهم وهو متحيّر أرمد، وقال: أيُّها النَّاس، انظروا عَلَمَيْن كأنهما ثَدْيان. فأتوْا عليهما، وقالوا: عَلَمان، فقام عليهما فقال: اضربوا يمْنةً ويَسْرَةً ـ لعَوْسجة كقِعدة الرجل ـ فوجدوا جِذْمها، فقالوا: جذمٌ، ولا نرى شجرة، فقال: احتفروا حيث شئتمْ، فاستثاروا أوشالاً وأحساءً رَواءً، فقال رافع: أيّها الأمير، والله ما وردتُ هذا الماء منذ ثلاثين سنة، وما وردته إلاّ مرّة وأنا غلام مع أبي. فاستعدُّوا ثم أغاروا والقوم لا يروْن أنّ جيشاً يقطع إليهم[1]. (٣: ٤٠٩/ ٤١٠).

٥٨ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن ظفر بن دهي، قال: فأغار بنا خالد من سُوَى على مُصَيَّخ بَهْرَاءَ بالقُصْوانَى ـ ماء من المياه ـ فصبَّح المُصَيَّخ والنَّمِر؛ وإنهم لغارّون، وإن رفقة لتشرب في وجه الصُّبْح، وساقيهم يغنِّيهم، ويقول:

ألا صَبّحانـي قَبْـلَ جَيْـشِ أبـي بكـرِ

فضُربت عنُقه، فاختلط دمُه بخمره[2]. (٣: ٤١٠).

٥٩ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد بإسناده الذي تقدّم ذكره، قال: ولمّا بلغ غسَّان خروج خالد على سُوى وانتسافها، وغارتُه على مصَيَّخ بَهْراء وانتسافها، فاجتمعوا بمرْج راهط، وبلغ ذلك خالداً، وقد خلّف ثُغور الرُّوم وجنودها ممَّا يلي العراق، فصار بينهم وبين اليرموك، صمد لهم؛ فخرج من سُوَى بعد ما رجع إليها بسبْي بَهْراء، فنزل الرُّمانَتين ـ عَلَمَيْن على الطريق ـ ثم نزل الكَثَب؛ حتى صار إلى دمشق، ثم مَرْج الصُّفَّر، فلقِيَ عليه غَسّانَ وعليهم الحارث بن الأيْهَم، فانتسف عسكرهم وعيالاتِهم. ونزل بالمَرْج أيّاماً، وبعث إلى أبي بكر بالأخماس مع بلال بن الحارث المُزَنيّ، ثم خرج من المرْج حتى ينزل قناة بُصْرَى؛ فكانت أوّلَ مدينة افتُتحت بالشام على

---

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

(٢) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

يديْ خالد فيمن معه من جُنُود العراق ، وخرج منها ، فوافى المسلمين بالواقُوصة ، فنازلهم بها في تسعة آلاف[1] . (٣: ٤١٠/ ٤١١) .

٦٠ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب ، قالوا: ولما رجع خالدٌ من حجِّه وافاه كتاب أبي بكر بالخُروج في شَطْر الناس ، وأن يخلّف على الشَّطْر الباقي المثنَّى بن حارثة ، وقال: لا تأخذنْ نجداً إلاّ خلَّفت له نجداً ، فإذا فتح الله عليكم فارْدُدْهم إلى العراق ، وأنت معهم ، ثم أنت على عَمَلِك. وأحضر خالدٌ أصحابَ رسول الله ﷺ واستأثر بهم على المثنَّى ، وترك للمثنَّى أعدادهم من أهل القناعة ممن لم يكن له صحبة ، ثم نظر فيمن بقيَ ، فاختلج مَن كان قدِم على النبيّ ﷺ وافداً أو غير وافد ، وترك للمثنَّى أعدادَهم من أهل القناعة؛ ثم قسَم الجند نصفيْن ، فقال المثنّى: والله لا أقيم إلاّ على إنفاذ أمر أبي بكر كلِّه في استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف ، وبالله ما أرجو النَّصر إلاّ بهم ، فأنّى تُعرِيني منهم! فلما رأى ذلك خالد بعد ما تلكَّأ عليه أعاضه منهم حتى رضيَ ، وكان فيمن أعاضه منهم فُرات بن حيَّان العجليّ ، وبَشِير بن الخَصَاصِيّة ، والحارث بن حسّان الذُّهليّان ، ومعبَد بن أمّ معبد الأسلميّ ، وعبد الله بن أبي أوفى الأسلميّ ، والحارث بن بِلال المُزنيّ ، وعاصم بن عمرو التميميّ؛ حتى إذا رضيَ المثنَّى وأخذ حاجَتَه؛ انجذب خالد فمضَى لوجهه وشيَّعه المثنَّى إلى قُراقر ، ثم رجع إلى الحيرة في المرحّم ، فأقام في سلطانه ، ووضع في المسلحة التي كان فيها على السَّيْب أخاه ، ومكان ضرار بن الخطاب عتبةَ بن النّهاس ، ومكان ضرار بن الأزور مسعوداً أخاه الآخر ، وسدّ أماكن كلّ مَن خرج من الأمراء برجالٍ أمثالهم من أهل الغَناء ، ووضع مذعور بن عديّ في بعض تلك الأماكن ، واستقام أهل فارس ـ على رأس سنة من مقدَم خالد الحيرة؛ بعد خروج خالد بقليل؛ وذلك في سنة ثلاث عشرة ـ على شَهْرَبَراز بن أردشير بن شهريار ممّن يُناسب إلى كسرى ، ثم إلى سابور. فوجّه إلى المثنَّى جنداً عظيماً عليهم هُرْمُز جاذَوَيْه في عشرة آلاف ، ومعه فيل ، وكتبت المسالح إلى المثنَّى بإقباله ، فخرج المثنَّى من الحِيرة نحوه ، وضمّ إليه المسالح ، وجعل على مجنّبَتَيْه المُعَنَّى ومسعوداً ابنَي حارثة ، وأقام له ببابل ، وأقبلَ هُرمز جاذويه ، وعلى مجنّبَتَيْه

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

الكوكبد والخرُكبْذ. وكتب إلى المثنَّى: من شهر براز إلى المثنَّى؛ إني قد بعثتُ إليك جنداً من وخش أهل فارس، إنما هم رُعاة الدّجاج والخنازير؛ ولست أقاتلك إلاّ بهم. فأجابه المثنَّى: من المثنَّى إلى شهر براز؛ إنما أنتَ أحدُ رجليْن: إما باغٍ فذلك شرٌّ لك وخيرٌ لنا، وإمَّا كاذب فأعظم الكذّابين عقوبةً وفضيحة عند الله في الناس الملوك. وأما الذي يدلّنا عليه الرأي؛ فإنّكم إنما اضطررتم إليهم؛ فالحمد لله الذي ردّ كيدكم إلى رعاة الدّجاج والخنازير. فجزع أهلُ فارس من كتابه، وقالوا: إنما أُتِيَ شهربراز من شؤم مولده ولؤم مَنشئه ـ وكان يسكن ميسان ـ وبعض البلدان شَيْنٌ على مَنْ يسكنه.

وقالوا له: جرّأت علينا عدوَّنا بالَّذي كتبت به إليهم؛ فإذا كاتبت أحداً فاسْتَشِرْ. فالتقوْا ببابل، فاقتتلوا بعُدوة الصَّراة الدُّنيا على الطريق الأوّل قتالاً شديداً.

ثم إن المثنّى وناساً من المسلمين اعتورُوا الفيل ـ وقد كان يفرّق بين الصفوف والكراديس ـ فأصابوا مقتَله، فقتلوه وهزموا أهلَ فارس، واتّبعهم المسلمون يقتلونهم، حتى جازوا بهم مسالِحَهُمْ، فأقاموا فيها، وتتبَّع الطلب الفالَّة؛ حتى انتهوْا إلى المدائن؛ وفي ذلك يقول عَبْدة بن الطبيب السعديّ، وكان عَبْدة قد هاجَر لمهاجَرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل؛ فلما آيسته رجع إلى البادية، فقال:

هل حَبْلُ خَولَةَ بَعْدَ البَيْن موصولُ ... أم أنـت عنهـا بَعِيـدُ الـدارِ مشغـولُ!
ولِــلأَحِبَّــة أيّــامٌ تَــذكَّــرُهــا ... وللنّـوى قبـل يـوم البيـن تـأويـل
حَلَّـتْ خُـوَيلـةُ فـي حَـيّ عَهِـدتهُـمْ ... دُونَ المَـدائـنِ فيهـا الـدِّيكُ والفيلُ
يُقـارِعـون رؤوس العُجْـم ضـاحِيَـةً ... مِنْهُـم فـوارِسُ لا عُـزلٌ ولا مِيـلُ

القصيدة. وقال الفرزدق يعدّد بيوتات بكر بن وائل وذكر المثنّى وقَتْلَه الفيل:

وبَيْـتُ المُثنّـى قـاتِـلِ الفيـلِ عَنْـوةً ... ببـابـلَ إذ فـي فـارِسٍ مُلـكُ بـابِـل

ومات شهر براز منهزَمَ هرمز جاذويه.

واختلف أهل فارس، وبقي ما دون دِجْلة وبُرْس من السَّواد في يدي المثنَّى والمسلمين.

ثم إنّ أهل فارس اجتمعوا بعد شهر براز على دُخْت زَنان ابنة كسرى؛ فلم ينفذ لها أمرٌ فخُلعت.

ومُلِّكَ سابور بن شهربراز. قالوا: ولما ملك سابور بن شهر براز قام بأمره الفَرُّخزاذ بن البِنْدَوان، فسأله أن يزوّجه آزَرْمِيدُخْت ابنة كِسْرى، ففعل، فغضبت من ذلك، وقالت: يا بن عَمّ! أتزوّجني عبدي؟! قال: استحْيِي من هذا الكلام ولا تعيديه عليّ، فإنَّه زوجُك، فبعثت إلى سِياوَخْش الرازيّ - وكان من فتّاك الأعاجم - فشكَتْ إليه الّذي تخاف، فقال لها: إن كنتِ كارهة لهذا فلا تعاوِدِيه فيه، وأرسلي إليه وقولي له: فليقل له فليأتك؛ فأنا أكفيكه. ففعلت وفعل؛ واستعدّ سياوَخْش، فلمّا كان ليلة العُرْس أقبل الفرُّخزاذ حتى دخلَ، فثار به سياوَخْش فقتله ومَن معه، ثم نَهدَ بها معه إلى سابور، فحضرته ثم دخلوا عليه فقتلوه، ومُلّكَتْ آزر ميدخت بنت كسرى، وتشاغلوا بذلك؛ وأبطأ خبر أبي بكر على المسلمين فخلّف المثنّى على المسلمين بشير بن الخصاصيَّة، ووضع مكانه في المسالح سعيدَ بن مُرّة العِجْلي؛ وخرج المثنَّى نحو أبي بكر ليخبره خبر المسلمين والمشركين، وليستأذنه في الاستعانة بمن قد ظهرت توبتُه وندمُه من أهل الرّدة مِمن يستطعمه الغزوَ، وليخبره أنه لم يخلّف أحداً أنشط إلى قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين منهم. فقدم المدينة وأبو بكر مريض، وقد كان مرض أبو بكر بعد مخرج خالد إلى الشام - مرضته التي مرض فيها - بأشهر؛ فقدم المثنَّى وقد أشفى، وعقد لعمر، فأخبره الخبر، فقال: عليّ بعمر، فجاء فقال له: اسمع يا عمر ما أقول لك، ثم اعمل به؛ إنِّي لأرجُو أن أموتَ من يومي هذا - وذلك يوم الإثنين - فإن أنا مِتّ فلا تمسينّ حتى تندُب الناس مع المثنَّى، وإن تأخّرتُ إلى الليل فلا تُصْبحنّ حتى تندب الناس مع المثنَّى، ولا تشغلنّكم مصيبة وإنْ عَظُمت عن أمر دينكم، ووصية ربِّكم؛ وقد رأيتَنِي متوفَّى رسولِ الله ﷺ وما صنعت، ولم يصَب الخلق بمثله؛ وبالله لو أنّي أنِي عن أمر رسوله؛ لخذلَنا، ولعاقبَنا، فاضطرمت المدينة ناراً. وإن فتح الله على أمراء الشام؛ فارْدُدْ أصحابَ خالد إلى العراق، فإنَّهم أهله وولاة أمره وحدّه وأهل الضّراوة منهم والجراءة عليهم.

ومات أبو بكر رحمه الله مع الليل، فدفنه عمرُ ليلاً، وصلى عليه في المسجد، وندب الناس مع المثنَّى بعد ما سُوِّيَ على أبي بكر، وقال عمر: كان

أبو بكر قد عَلِم أنه يَسُوءني أنْ أؤمّر خالداً على حرب العراق؛ حين أمرني بصرف أصحابي ، وترَكَ ذكره .

قال أبو جعفر: وإلى آزر ميدخت انتهى شأن أبي بكر ، وأحدُ شِقَّيِ السَّواد في سلطانه ، ثم مات وتشاغل أهلُ فارس بينهم عن إزالة المسلمين عن السَّواد ، فيما بين ملك أبي بكر إلى قيام عمر ورجوع المثنَّى مع أبي عبيد إلى العراق ، والجمهور من جُنْد أهل العراق بالحيرة ، والمسالح بالسّيب ، والغارات تنتهي بهم إلى شاطىء دِجْلة ، ودجلة حجاز بين العرب والعجم . فهذا حديث العراق في إمارة أبي بكر من مبتدئه إلى منتهاه[١] . (٣: ٤١١/ ٤١٢/ ٤١٣/ ٤١٤) .

٦١ - حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سَلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزّبَير ، عن عُروة بن الزبير: أنَّه قال: كان على الرّوم رجل منهم يقال له: القُبُقْلار؛ وكان هِرَقل استخلفه على أمَرَاء الشام حين سار إلى القسطنطينيّة ، وإليه انصرف تذَارق بمنْ معه من الروم . فأمّا علماء الشام فيزعُمون أنّما كان على الرّوم تَذارِق . والله أعلم[٢] . (٣: ٤١٧) .

٦٢ - حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن محمّد بن إسحاق ، عن محمّد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة ، قال: لما تدانَى العسكران بعث القُبُقْلار رجلاً عربيّاً - قال: فحدّثت: أنّ ذلكَ الرجل رجلٌ من قضاعة من تزيد بن حَيْدَان ، يقال له ابن هزارف - فقال: ادْخُل في هؤلاء القوم فأقم فيهم يوماً وليلة ، ثم ائتني بخبرهم . قال: فدخل في النّاس رجلٌ عربي لا ينكَر؛ فأقام فيهم يوماً وليلة ، ثم أتاه فقال له: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان ، وبالنهار فرسان ، ولو سَرق ابنُ ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رُجِم؛ لإقامة الحقّ فيهم . فقال له القبقلار: لئن كنتَ صدقتني لَبَطنُ الأرض خيْرٌ من لقاء هؤلاء على ظهرها ، ولودِدْتُ: أنّ حظّي من الله أن يخلّى بيني وبينهم ، فلا ينصرني عليهم ، ولا ينصُرهم عليّ . قال: ثم تزاحف النّاس ، فاقتتلوا ، فلما رأى القُبُقْلار ما رأى من قتال المسلمين؛ قال للروم: لفُّوا رأسِي بثوب ، قالوا له: لِمَ؟ قال: يوم البئيس ، لا أحبّ أن أراه!

---

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥) .
(٢) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥) .

ما رأيت في الدُّنيا يوماً أشدّ من هذا! قال: فاحتزَّ المسلمون رأسَه ، وإنّه لملفَّف.

وكانت [وقعة] أجنادين في سنة ثلاث عشرة لليلتيْن بقِيَتَا من جُمادى الأولى. وقتل يومئذ من المسلمين جماعةٌ؛ منهم سلمة بن هشام بن المغيرة ، وهبّار بن الأسود بن عبد الأسد ، ونعيم بن عبد الله النحَّام ، وهشام بن العاصي بن وائل ، وجماعة أخَر من قُريش. قال: ولم يسمَّ لنا من الأنصار أحدٌ أصيب بها.

وفيها تُـوُفِّـي أبو بكر لثمانِ ليالٍ بقينَ ـ أو سبع بقينَ ـ من جُمادى الآخرة[1]. (٣: ٤١٧/ ٤١٨).

---

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

ذكر ما ورد عند غير الطبري في فتوحات الشام في السنة الثالثة عشرة
في عهد الخليفة الأول الصديق رضي الله عنه وأرضاه

١ ـ أخرج البخاري في صحيحه (٦/ كتاب الجهاد/ ح ٣٠٦٩) عن ابن عمر رضي الله عنه (أنه كان على فرس يوم لقي المسلمون وأمير المسلمين يومئذ خالد بن الوليد ، بعثه أبو بكر ، فأخذه العدو ، فلما هزم العدو رد خالد فرسه).
وروى عبد الرزاق: العبد الذي أبق لابن عمر كان يوم اليرموك (٥/ ١٩٤) أخرجه عن معمر عن أيوب عن نافع به (الفتح ٦/ ٢١٢).
٢ ـ وأخرج عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ١٩٤/ ح ٩٣٥٣) عن ابن عمر قال: أبق لي غلام يوم اليرموك ثم ظهر عليه المسلمون فردّوه إليّ. وإسناده صحيح.
٣ ـ وأخرج البخاري في صحيحه أيضاً (كتاب الجهاد/ ح ٣٠٦٨) عن نافع: أن عبداً لابن عمر أبق فلحق بالروم فظهر عليه خالد بن الوليد فردَّه على عبد الله وأن فرساً لابن عمر عارَ فلحق بالروم فظهر عليه فردّوه على عبد الله.
٤ ـ وأخرج ابن عساكر في تأريخ دمشق عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي قال: لما أراد أبو بكر غزو الروم دعا علياً وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبا عبيدة بن الجراح ، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه ـ قال عبد الله بن أبي أوفى: وأنا فيهم ـ فقال: إن الله عز وجل لا تحصى نعماؤه ولا يبلغ جزاءها الأعمال. فله الحمد ، قد جمع الله كلمتكم وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا به ولا تتخذوا إلهاً غيره فالعرب اليوم بنو أم وأب ، وقد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ، ويجعل الله كلمته العليا مع أن للمسلمين في ذلك الحظَّ الوافر لأنه من هلكَ منهم هلكَ شهيداً ، وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاشَ عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله ثواب=

= المجاهدين ، وهذا رأيي الذي رأيت ، ما شار امرؤ عليَّ برأيه ، فقام عمر بن الخطاب فقال : الحمد لله الذي يخص بالخير من يشاء من خلقه ، والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي رأيت . فما قضى أن يكون حتى ذكرته ، فقد أصبتَ أصاب الله فيك سبيل الرشاد ، سرّب إليهم الخيل إثر الخيل ، وابعث الرجال بعد الرجال ، والجنود تتبعها الجنود ، فإن الله ناصر دينه ومعز الإسلام وأهله .
ثم إن عبد الرحمن بن عوف قام فقال : يا خليفة رسول الله ! إنها الروم وبنو الأصفر ، حدّ حديد وركن شديد ، ما أرى أن تقحم عليهم إقحاماً . ولكن نبعث الخيل فنغير في قواصي أرضهم ثم نرجع إليك . فإذا فعلوا ذلك بهم مراراً أضروا بهم وغنموا من أدنى أرضهم فقووا بذلك على عدوهم ، ثم تبعث إلى أراضي أهل اليمن وأقاصي ربيعة ومضر ثم تجمعهم جميعاً إليك . فإن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم . ثم سكت وسكت الناس .
قال : فقال لهم أبو بكر : ماذا ترون؟ فقال عثمان بن عفان : إني أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين شفيق عليهم ، فإذا رأيت رأياً تراه لعامّتهم صلاحاً فاعزم على إمضائه ، فإنك غير ظنين . فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار : صدق عثمان ، ما رأيت من رأي فامضه ، فإنا لا نخالفك ولا نتهمك . وذكروا هذا وأشباهه ، وعليٌّ في القوم لم يتكلم . قال أبو بكر : ماذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال : أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت عليهم إن شاء الله . فقال : بشّرك الله بخير! ومن أين علمت ذلك؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون» . فقال : سبحان الله ما أحسن هذا الحديث . لقد سررتني به سرّك الله .
ثم إن أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه ﷺ ثم قال : أيها الناس ، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على كل دين فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام ، فإني مؤمّرٌ عليكم أمراء وعاقد لكم ، فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم لتحسُن نيتكم وشربكم وأطعمتكم . فـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ فسكت القوم ، فوالله ما أجابوا فقال عمر : يا معشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله ﷺ وقد ﴿ دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أما إنه ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾ لابتدرتموه . فقام عمرو بن سعيد فقال : يا بن الخطاب ! ألنا تضرب الأمثال أمثال المنافقين؟ ! فما منعك مما عِبت علينا فيه أن تبتدئ به؟ ! فقال عمر : إنه يعلم أني أجيبه لو يدعوني ، وأغزو لو يغزيني . قال عمرو بن سعيد : ولكن نحن لا نغزو لكم إن غزونا ، إنما نغزو لله ، فقال عمر : وفّقك الله فقد أحسنت . فقال أبو بكر لعَمرو : اجلس رحمك الله فإن عمر لم يُرد بما سمعت أذى مسلم ولا تأنيبه ، إنما أراد بما سمعت أن ينبعث المتثاقلون إلى=

الأرض إلى الجهاد. فقام خالد بن سعيد فقال: صدق خليفة رسول الله ﷺ اجلس ابن أخي. فجلس. وقال خالد: الحمد لله الذي لا إله إلا هو الذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. فالله مُنجز وعده ومظهر دينه ومهلك عدوه، ونحن غير مخالفين ولا مختلفين، وأنت الوالي الناصح الشفيق. ننفر إذا استنفرتنا ونطيعك إذا أمرتنا. ففرح بمقالته أبو بكر وقال: جزاك الله خيراً من أخٍ وخليل. فقد كنت أسلمت مرتغباً وهاجرت محتسباً، وقد كنت هربت بدينك من الكفار لكيما يطاع الله ورسوله وتعلو كلمته، وأنت أمير الناس، فسر يرحمك الله. ثم إنه نزل، ورجع خالد بن سعيد فتجهز، وأمر أبو بكر بلالاً فأذن في الناس أن انفروا أيها الناس إلى جهاد الروم بالشام، والناس يرون أن أميرهم خالد بن سعيد، وكان الناس لا يشكون أن خالد بن سعيد أميرهم، وكان أول خلق الله عسكر، ثم إن الناس خرجوا إلى معسكرهم من عشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومئة كل يوم، حتى اجتمع أناس كثير. فخرج أبو بكر ذات يوم ومعه رجال من الصحابة حتى انتهوا إلى عسكرهم فرأى عدة حسنة لم يرض عدتها للروم. فقال لأصحابه: ما ترون في هؤلاء؟ أن نشخصهم إلى الشام في هذه العدة؟ فقال عمر: ما أرضى هذه العدة لجموع بني الأصفر. فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: نحن نرى ما رأى عمر، فقال: ألا أكتب كتاباً إلى أهل اليمن ندعوهم إلى الجهاد فنرغبهم في ثوابه؟ فرأى ذلك جميع أصحابه، قالوا: نعم ما رأيت، افعل. فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من خليفة رسول الله ﷺ إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن: سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإن الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. والجهاد فريضة مفروضة. والثواب عند الله عظيم، وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا إلى ذلك. وقد حسُنت في ذلك نيتهم وعظمت حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه ولتحسن نيتكم فيه، فإنكم إلى إحدى الحسنيين، إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة، فإن الله تبارك وتعالى لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق ويُقروا بحكم الكتاب. حفظ الله لكم دينكم، وهدى قلوبكم، وزكّى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين. وبعث بهذا الكتاب مع أنس بن مالك رضي الله عنه. (مختصر تأريخ دمشق لابن منظور ١/ ١٨١ ـ ١٨٤) و(تأريخ دمشق لابن عساكر ١/ ١٢٦).

٥ ـ وأخرج ابن عساكر كذلك عن سعيد بن المسيب أنه قال:

لما بعث أبو بكر الجنود نحو الشام: يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة قال: لما ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودّعهم حتى بلغ ثنيّة الوداع فقالوا: يا خليفة رسول الله أتمشي ونحن ركبان؟! فقال: إني احتسبت خُطاي هذه في سبيل الله،

وفي رواية: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغبرّت قدماه في سبيل الله حرّمهما الله على النار» ثم جعل يوصيهم فقال: أوصيكم بتقوى الله اغزوا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله فإن الله ناصر دينه ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تجبُنوا ولاتُفسدوا في الأرض، ولا تعصوا ما تؤمرون. فإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادعوهم إلى ثلاث خصال فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفّوا عنهم: ادعوهم إلى الإسلام، فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفوا عنهم. ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن هم فعلوا فأخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين. وعليهم ما على المهاجرين. وإن هم دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي فرض على المؤمنين. وليس لهم في الفيء والغنائم شيء حتى يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا أن يدخلوا في الإسلام فادعوهم إلى الجزية فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وإن هم أبوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوهم، إن شاء الله، ولا تعزقن نخلاً ولا تحرِّقنها، ولا تعقروا بهيمة، ولا شجرة تثمر، ولا تهدموا بيعة، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له، وستجدون آخرين اتخذ الشيطان في أوساط رؤوسهم أفحاصاً، فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله (مختصر تأريخ دمشق ١/ ١٨٨).

٦ - وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن جبير أن أبا بكر الصديق كان جهّز بعد النبي ﷺ جيوشاً على بعضها شرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، فساروا حتى نزلوا الشام فجمعت لهم الروم جموعاً عظيمة، فحُدِّث أبو بكر بذلك فأرسل إلى خالد بن الوليد وهو بالعراق، وكتب أن انصرف بثلاثة آلاف فارس فأمدّ إخوانك بالشام، والعجل العجل، فأقبل خالد مُغِذاً جواداً، فاشتق الأرض بمن معه حتى خرج إلى خُمَيْر، فوجد المسلمين معسكرين بالجابية، وتسامع الأعراب الذين كانوا في مملكة الروم بخالد ففزعوا له، ففي ذلك يقول قائلهم:

ألا يا اصبحينا قبل خيل أبي بكر لعل منايانا قريب وما ندري

فنزل خالد على شرحبيل بن حسنة ويزيد وعمرو فاجتمع هؤلاء الأربعة أمراء. وسارت الروم من أنطاكية وحلب وقنسرين وحمص وما دون ذلك، وخرج هرقل كراهية لمسيرهم متوجهاً نحو الروم وسار باهان الرومي ابن الرومية إلى الناس بمن كان معه (مختصر تأريخ دمشق ١/ ١٨٩ - ١٩٠).

٧ - وأخرج ابن عساكر: حدث أبو عثمان الصغاني شراحيل بن مرثد قال:
بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته خالد بن الوليد إلى أهل اليمامة، وبعث يزيد بن أبي سفيان إلى الشام. قال: فكنت ممن سار مع خالد إلى اليمامة. فلما قدمنا قاتلنا قتالاً شديداً وظفرنا بهم. وهلك أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب فبعث أبا عبيدة بن

= الجراح إلى الشام ، فقدم دمشق فاستمد أبو عبيدة عمر ، فكتب عمر إلى خالد أن سر إلى أبي عبيدة بالشام فدعا خالد بن الوليد الدليل فقال: في كم تأتي إلى الحيرة؟ فقال: في كذا وكذا. قال: فعطش خالد الإبل ثم سقاها ، واستسقى وسقى الخيل ، ثم كعم أفواه الإبل وأدبارها ، وقال له الدليل: إن أنت أصبحت عند الشجرة نجوت ونجا من معك ، وإن أصبحت دون الشجرة هلكت وهلك من معك ، فسار خالد بمن معه فأصبح عند إضاءة الفجر عند الشجرة فنحر الإبل ، وسقى ما في بطونها الخيل ، وأطعم لحومها المسلمين وسقى المسلمين من المزاد التي كانت تحمل معه ، ثم أتى الحيرة أو الكوفة ، فصالحه أسقفها.
قال ابن عساكر: كذا قال ، وإنما كان هذا بعد رجوعه عن الحيرة. وأبو عبيدة كان بالشام في أيام أبي بكر. (مختصر تأريخ دمشق ١/ ١٩٠ ـ ١٩١).
٨ ـ أخرج ابن الجوزي: أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا عبد الصمد بن المأمون ، أخبرنا ابن حيوية ، حدثنا البغوي ، حدثنا أبو نصر بن التمار ، حدثنا ابن الحكم عن نافع عن ابن عمر قال: بعث أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان إلى الشام ومشى معهم نحواً من ميلين فقيل: يا خليفة رسول الله ، لو انصرفت. فقال: لا. إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمها الله على النار ، ثم بدا له الانصراف ، فقام في الجيش ، فقال: أوصيكم بتقوى الله ، لا تعصوا ، ولا تغلوا ، ولا تجبنوا ، ولا تهدموا بيعة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوا زرعاً ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تقتلوا شيخاً كبيراً ، ولا صبياً صغيراً ، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم للذي حبسوا أنفسهم له فذروهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستردون بلداً يغدو عليكم ويروح فيه ألوان الطعام فلا يأتيكم لون إلاّ ذكرتم اسم الله عليه. المنتظم في تأريخ الأمم والملوك (٤/ ١١٥ ـ ١١٦).
٩ ـ وأخرج ابن الجوزي (تأريخ الأمم والملوك ٤/ ١١٩) وأحمد في المسند (١/ ٤٩) وابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ح ١٥٦٨٠) عن عياض الأشعري قال: (شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان ، وابن حسنة ، وخالد بن الوليد ، وعياض ، (وليس عياض هذا بالذي حدث عنه سماك) قال: وقال عمر رضي الله عنه: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة ، قال: فكتبنا إليه ، إنه قد جاش إلينا الموت واستمددناه. فكتب إلينا: إنه قد جاء في كتابكم تستمدوني ، وإني أدلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جنداً ، الله عز وجل ، فاستنصروه ، فإن محمداً ﷺ قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم ، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني. قال: فقاتلناهم فهزمناهم ، وقتلناهم أربعة فراسخ) (وفي مصنف ابن أبي شيبة: في أربعة فراسخ).
قال: وأصبنا أموالاً فتشاوروا ، فأشار علينا عياض أن نعطي عن كل رأس عشرة ، قال: وقال أبو عبيدة: من يراهنني؟ فقال شاب: أنا إن لم تغضب ، قال: فسبقه فرأيت عقيصتي أبي عبيدة تنفزان وهو خلفه على فرس عربي ، واللفظ لابن الجوزي. =

= ١٠ ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ح ١٥٦٨٢): حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا مسعر عن سعد بن إبراهيم عن سعيد بن المسيب عمّن حدثه أنه لم يُسمع صوت أشد من صوته وهو تحت رايته يوم اليرموك وهو يقول: هذا يوم من أيام الله، اللهم نزل نصرك؛ يعني: أبا سفيان. وهذه الرواية عند الذهبي في تأريخ الإسلام مع بعض الاختلاف في السند والمتن: إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن المسيب عن أبيه: قال: خمدت الأصوات يوم اليرموك والمسلمون يقاتلون الروم إلاّ صوت رجل يقول: (يا نصر الله اقترب! يا نصر الله اقترب!) فرفعت رأسي فإذا هو أبو سفيان بن حرب تحت راية ابنه يزيد بن أبي سفيان (عهد الخلفاء الراشدين/ ١٤٠) وكذلك أخرجه الحافظ ابن كثير عن سعيد بن المسيب عن أبيه (البداية والنهاية ٧/ ١٤). والخبر عند يعقوب بن سفيان في المعرفة والتأريخ (٣/ ٣٠٠).

١١ ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ح ١٥٦٨٦): ثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي إسحاق قال: لما أسلم عكرمة بن أبي جهل أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله والله لا أترك مقاماً قمته لأصد به عن سبيل الله إلاّ قمت مثله في سبيل الله، ولا أترك نفقة أنفقتها لأصد بها عن سبيل الله إلاّ أنفقت مثلها في سبيل الله، فلما كان يوم اليرموك نزل فترجل فقاتل قتالاً شديداً فقتل فوجد به بضع وسبعون من بين طعنة وضربة ورمية.

١٢ ـ وقال الحافظ ابن كثير: وروى أحمد بن مروان المالكي في المجالسة: ثنا أبو إسماعيل الترمذي ثنا أبو معاوية عن عمرو عن أبي إسحاق قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء، فقال هرقل وهو على أنطاكية لما قدمت منهزمة الروم: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني ونركب الحرام، وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض. فقال: أنت صدقتني (البداية والنهاية ٧/ ١٦).

خلاصة القول في فتوحات الشام
في عهد الخليفة الراشد الأول الصديق رضي الله عنه وأرضاه

قلنا: (المحققان):

ـ قبل أن نذكر مآثر هذه الفتوحات المباركة، والدور القيادي الذي قام به خليفة رسول الله ﷺ في توجيه القادة وإرسال المدد ورسم الخطوط العريضة والتأكيد على المبادئ الإسلامية في الحروب ـ نقول: قبل ذلك نودّ أن نتحدث بعض الشيء عن اختلاف المؤرخين في تحديد السنة الهجرية التي كانت فيها واقعة اليرموك الكبرى ـ فنقول وبالله التوفيق: =

أما روايات الطبري التأريخية فإنها تؤكد حدوثها في السنة الأخيرة من خلافة الصديق رضي الله عنه وبإمرة سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه ، أما البلاذري وهو المعاصر للطبري وتوفي قبله (٢٧٩ هـ) فله رأي آخر إذ يقول: وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ (فتوح البلدان/ ١٨٦) وكذلك ذكر خليفة بن خياط هذه المعركة ضمن أحداث سنة خمس عشرة ونقل عن الكلبي قوله: كانت الواقعة يوم الإثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة (تاريخ خليفة/ ١٣٠) هذا بالنسبة للمؤرخين المتقدمين الثلاثة الذين اعتمدناهم كأساس في مقارناتنا للروايات التأريخية ـ أما الطبقة الوسطى (من الناحية الزمنية) من المؤرخين الذين اعتمدنا أقوالهم في المسائل الخلافية (التأريخية) فهم ابن عساكر والكلاعي وابن الجوزي (راجع المقدمة) فقد نقل ابن كثير في كتابه فقال:

وأما الحافظ ابن عساكر رحمه الله فإنه نقل عن يزيد بن أبي عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبي معشر أنها كانت في سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق. وقال محمد بن إسحاق: كانت في رجب سنة خمس عشرة. وقال خليفة بن خياط: قال ابن الكلبي: كانت وقعة اليرموك يوم الإثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة. قال ابن عساكر: وهذا هو المحفوظ ، وأما ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه (البداية والنهاية ٧/ ٤).

هذا بالنسبة لرأي ابن عساكر كمؤرخ إسلامي معتمد ، عصره وسط بين المتقدمين كالطبري والمتأخرين كالذهبي وابن كثير وغيرهما.

أما ابن الجوزي فقد ذكر خبر اليرموك ضمن أحداث سنة ١٣ من الهجرة.

قلت: وكانت وقعة اليرموك في سنة خمس عشرة في رجب منها عند الليث بن سعد وابن لهيعة وأبي معشر والوليد بن مسلم ويزيد بن عبيدة وخليفة بن خياط وابن الكلبي ومحمد بن عائذ وابن عساكر وشيخنا أبي عبد الله الذهبي الحافظ.

أما سيف بن عمرو وأبو جعفر الطبري فذكرا واقعة اليرموك في سنة (١٣) هـ وقد قدمنا ذكرها هنالك تبعاً لابن جرير (البداية والنهاية ٧).

وأما الذهبي فإنه يرجح في (تأريخ الإسلام) كون هذه المعركة قد حدثت في سنة (١٥ هـ) إذ يقول: كانت وقعة مشهورة نزلت الروم اليرموك في رجب سنة خمس عشرة وقيل: سنة ثلاث عشرة وأراه وهماً (عهد الخلفاء الراشدين/ ١٣٩).

قلنا: هذه أقوال الأئمة من المتقدمين إلى المتأخرين ممن علمنا آراءهم أما من المعاصرين فكنا نودّ أن نحصل على كتاب الأستاذ الكبير العمري عن عهد الخلفاء الراشدين فهو من المتثبتين في ذكر الروايات التأريخية ، ونرجو أن نحصل عليه لاحقاً إن شاء الله.

أما الدكتور الفاضل باشميل والمعروف بكتاباته التأريخية عن فتوح العراق والشام وغير ذلك فقد ذهب في كتابه القيّم إلى صحة الرأي الذي يحدد سنة (١٣) هـ تأريخاً لمعركة اليرموك ، =

= ومع ذلك فهو يذكر الآراء المختلفة ويناقشها بالتفصيل (ص ١٣٣ ـ ١٤١) ورغم أننا لا نوافقه في قوله بأن البلاذري انفرد بالقول بأن معركة اليرموك الكبرى الشهيرة إنما دارت عام (١٥ هـ) وليس عام (١٣ هـ) فقد ذكرنا آراء بقية المؤرخين في ذلك ، ولكننا نرى أن الدكتور باشميل كان دقيقاً في نقده وتحليله للروايات التأريخية في هذه المسألة ، والحق يقال ، فإن القارىء لكتاب باشميل في الفتوحات يتبيّن له الدقة الفائقة والتخطيط العسكري السليم واليقين القوي والحنكة والحكمة عند قادة الإسلام الفاتحين وعظمة هذا الدين العظيم الذي يفعل بصاحبه الأعاجيب.

أما بالنسبة لمسألة الخلاف هذا بين عام (١٣) و(١٥) هـ. والذي أراد المستشرقون أن يجعلوه من بين نقاط الضعف في تدوين التاريخ الإسلامي وخاصة عهد الخلافة الراشدة ، فإن باشميل له رأي قيم وخلاصته: أن الطبري يؤكد تكرار القتال في اليرموك قبل أجنادين ومعركة اليرموك الكبرى ، وإذا كان الطبري قد بوّب لمعركة اليرموك قبل معركة أجنادين (في فلسطين) فإنه قد ذكر أثناء سياقه عن أحداث الواقعتين أن أجنادين وقعت قبل اليرموك ، فأجنادين وقعت في (٢٨) من جمادى الأولى (١٣ هـ) بينما اليرموك انتهت في شهر رجب (١٣ هـ) كما يذكر الطبري نفسه فلعل التقديم والتأخير هذا خطأ فني ولعله حدث من بعض النساخ وحتى لو وقع من الطبري فهذا خطأ بسيط في تدوين التأريخ (لا يلام عليه من هو في مثل عصر الطبري) ، ونحن نضيف إلى قول الأستاذ باشميل بأن نقول: ولعل الطبري أو تلاميذه ذكروا معركة اليرموك وبوّبوا لها قبل أجنادين (علماً بأنهم ذكروا أن تأريخ أجنادين قبل اليرموك).

وقال الحافظ ابن حجر: ووقعة اليرموك كانت أول خلافة عمر بين المسلمين والروم سنة ثلاث عشرة وقيل: سنة خمس عشرة ويؤيد الأول قوله في الحديث الذي بعده ، لأن سن عبد الله بن الزبير كان عشر سنين (الفتح ٧/ ٣٤٩).

وذلك لسبب قوي جداً وهو أن معركة اليرموك هي المعركة الفاصلة في فتوحات الشام فالذي ينتصر في هذه المعركة تفتح له أبواب الشام والعكس بالعكس ، وكما كان خالد رضي الله عنه يدرك هذه الحقيقة ويبيّنها لقيادة أركانه وأمرائه قائلاً: (إن هذا اليوم له ما بعده) ولهذه الأهمية قدّموا ذكر اليرموك على غيرها والله أعلم. وأخيراً وليس آخراً فإنا(المحققان) نرى: أن الراجح ما ذكره سيف في أنها كانت سنة (١٣ هـ) وإن كان سيف ضعيفاً ، وذلك لسبب بسيط هو أنا لو جمعنا رواية البخاري السابقة الذكر مع رواية عبد الرزاق الصحيحة الإسناد في مصنفه لرجحت كفة رواية سيف القائلة بأنها وقعت عام (١٣ هـ) وليس (١٥ هـ).

فالبخاري روى في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه: (أنه كان على فرس يوم لقي المسلمون ، وأمير المسلمين يومئذ خالد بن الوليد بعثه أبو بكر فأخذه العدو ، فلما هزم العدو رد خالد فرسه. والرواية الأخرى عند البخاري: أن عبداً لابن عمر أبق فلحق بالروم =

= فظهر عليه خالد بن الوليد فرده على عبد الله ، وأن فرساً لابن عمر عار فلحق بالروم فظهر عليه فرده على عبد الله) (الفتح ٦/ ٢١١).

ورواية عبد الرزاق الصحيحة في مصنفه (٥/ ١٩٤) عن نافع: أن العبد الذي أبق لابن عمر كان يوم اليرموك. فحاصل الروايتين أن اليرموك كانت في عهد أبي بكر رضي الله عنه والأمير كان خالداً يومئذ فرد ما فقده ابن عمر رضي الله عنه ومعلوم: أن سيدنا عمر قد عزل خالداً عن إمارة الجيوش عند توليه الخلافة وانتهت إمرة خالد لتلك الجيوش (في الشام) بانتهاء معركة اليرموك. نقول قولنا هذا فإن كان صواباً فمن الله التوفيق وإن كان خطأ فمن أنفسنا ، ونستغفر الله.

٢ - نرجع إلى ذكر مآثر التأريخ الإسلامي في عهد الفتوحات المباركة فنقول وبالله التوفيق: إن هذه المعارك تبيّن بكل جلاء: أن هذه المعارك كانت معارك العقيدة وأن المجاهدين كانوا مدفوعين بدافع الإيمان. فالجهاد في سبيل الله ، ولو كان في سبيل مغانم ومكاسب دنيوية؛ لقبلوا بعروض قواد الروم المغرية وأن الصحابة ومن معهم من تابعين لو وضعوا الأمور مواضع مادية وحسبوا لها بالحسابات الأرضية لكانوا هم الأخسرين في جميع المقاييس المعهودة ، إلا أن العقيدة ونعني عقيدة التوحيد هي التي استقرت في قلوبهم فأذابوا الجبال وركبوا الأهوال وداسوا هيبة أكبر الجيوش النظامية وأكثرها عدة وعتاداً وإلاّ قل لي بربك أين التناسب بين عددهم وعدد أعدائهم فالمسلمون لم يجاوزوا أربعين ألفاً بينما عدد الروم بين مئة وعشرين ألفاً في أدنى حد إلى ثلاثمئة ألف في أقصى حد كما ذكرت الروايات التأريخية. والروم في مملكتهم والمسلمون خارج ديارهم وأهليهم ، وبينهم وبين الخلافة مفاوز وأمراء.

٣ - سر انتصار جماعة الصحابة ومن معهم في تلك المعارك هو ما ذكرته الروايات الآنفة الذكر: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ومن أجل أنا (أي الروم) نشرب الخمر ، ونزني ، ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض فقال: أنت صدقتني. فلتنظر الأمة اليوم في أي الجهتين تقف هي ، وعندها فلتنتظر النصر الرباني ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾.

٤ - الروايات التأريخية التي ذكرناها في قسم الصحيح تؤكد لنا بكل جلاء عظمة الإسلام المتمثلة في الرحمة والشفقة والعدالة والإحسان حتى في ساحات الوغى ، وذلك واضح من خلال توصيات الصديق رضي الله عنه وهو يودع الجيوش ويعيّن الأمراء ويوجههم إلى أرض المعركة: (أوصيكم بتقوى الله ، لا تعصوا ، ولا تغلوا ، ولا تجبنوا ، ولا تهدموا بيعة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوا زرعاً ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تقتلوا شيخاً كبيراً =

ذكر مرض أبي بكر ووفاته

٦٣ ـ وقال غير مَن ذكرت في سبب مرض أبي بكر الذي توفي فيه ما حدّثني الحارثُ، قال: حدّثَنا ابنُ سعد، قال: أخبَرنَا محمد بن عمر، قال: حدّثني أسامة بن زيد الليْثيّ عن محمد بن حمزة، عن عمرو، عن أبيه، قال: وأخبرنا

= ولا صبياً صغيراً، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم للذي حبسوا أنفسهم له فذروهم وما حبسوا أنفسهم له).

هذه مبادئ الحرب الإسلامية تذكرها الروايات التأريخية كصفحة مشرقة في السياسة الشرعية التي اتبعتها الخلافة الراشدة يوم أن كانت الدنيا ترزح تحت ظلم ووحشية القوتين الكسروية والقيصرية فأين دعاة حقوق الإنسان الذين يتشدقون بالكلمات الرنانة؟! أين هم من القتل والسلب والنهب وذبح الأطفال واغتصاب النساء واتباع سياسة الأرض المحروقة وغير ذلك من الفظائع والمظالم التي تحدث يومياً في الحروب الصليبية الحديثة في البوسنة ثم كوسوفو على مرأى ومسمع من منظمات حقوق الإنسان وأدعياء الحضارة والمدنية؟!.

ومهما حاول المستشرقون أن يثيروا الشبهات حول التأريخ الإسلامي ويتشبثوا بالروايات الموضوعة والمختلقة، فهذه هي الروايات الموثوقة مفخرة لكل موحد على مدار الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٥ ـ إن الإسلام هو سر العظمة في إبراز هذه القيادات والعبقريات، ففي أي مجال كان سيدنا أبو بكر وعمر وسيف الله خالد وأبو عبيدة وغيرهم يصرفون طاقاتهم وعبقرياتهم قبل الإسلام؟ ما الذي تغيّر في قلب الصحراء هل أنشئت كليات للأركان الحربية أم أكاديميات عسكرية أم مركز دراسات استراتيجية؟ كلاّ إنها صفوة البشرية وخيرتها وخيرها من بعد الأنبياء تربّت على يد خير خلق الله محمد ﷺ وفي المسجد النبوي الشريف وفي ساحات بدرٍ وأحدٍ والخندق بعد شِعْبِ أبي طالب وطريق الهجرتين ثم انطلقت هذه الجماعة المباركة منبعثة بقضاء الله وقدره لتنقذ البشرية من عبودية العبيد إلى عبادة الله الواحد الأحد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

٦ ـ إن الذي يدرس هذه الروايات بدقة يذهل أمام التخطيط والتنفيذ المترابطين والإمارة والطاعة المتلازمتين، والصبر والتحمل الشديدين، والإيمان والتوق إلى الشهادة القويين عند المسلمين الفاتحين قيادة وجنداً، وجزى الله عنا الأستاذ باشميل خير الجزاء فقد شرح هذه التفاصيل بلغة العصر وبأسلوب شيق وبارع يدخل الشعور بعظمة التأريخ الإسلامي في قلب القارئ وهو يتحدث عن معارك الفتوح في الشام في كتابه المعروف (حروب الإسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين). فليراجع هناك.

محمَّد بن عبد الله ، عن الزُّهريِّ ، عن عروة ، عن عائشة . قال : وأخبَرنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عن عمر بن الحسين مولى آل مظعون ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، قالوا : كان أوّل ما بدَأ مرضُ أبي بكر به أنَّه اغتسلَ يوم الإثنين لسبع خَلَوْن من جُمادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً فَحُمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة؛ وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يُصَلِّي بالنَّاس؛ ويدخل الناس يعودونه؛ وهو يَثْقل كلّ يوم ، وهو نازل في داره التي قطع له رسول الله ﷺ وجَاه دار عثمان بن عفان اليوم ، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه؛ وتوفي أبو بكر مُسْيَ ليلة الثلاثاء؛ لثماني ليالٍ بقين من جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . وكانت خلافتُه سنتيْن وثلاثة أشهر وعشر ليال(١) . (٣: ٤١٩/ ٤٢٠) .

٦٤ ـ وكان أبو مَعْشَر يقول : كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال ، فتُوُفِّي ، وهو ابن ثلاث وستين سنة؛ مجتمَعٌ على ذلك في الروّايات كلِّها ، استوفى سنّ النبي ﷺ، وكان أبو بكر وُلِد بعد الفيل بثلاث سنين(٢) . (٣: ٤٢٠) .

٦٥ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا جَرير عن يحيى بن سعيد ، قال : قال سعيد بن المسيَّب : استكمل أبو بكر بخلافته سنَّ رسول الله ﷺ ، فتوفِّيَ وهو بسنّ النبي ﷺ(٣) . (٣: ٤٢٠) .

٦٦ ـ حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا أبو نُعَيم عن يونس بن إسحاق ، عن أبي السَّفَر ، عن عامر ، عن جرير ، قال : كنت عند معاوية فقال : توفِّيَ النَّبيّ ﷺ وهو ابنُ ثلاث وستين سنة ، وتوفِّيَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة(٤) . (٣: ٤٢٠) .

---

(١) إسناده ضعيف وأخرج الحاكم كذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان أول بدء مرض أبي بكر : أنه اغتسل يوم الإثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوماً بارداً فحمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة ، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة .

(٢) إسناده ضعيف وهو صحيح .

(٣) إسناده ضعيف وهو صحيح .

(٤) إسناده صحيح .

٦٧ - وحدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن جرير ، قال: قال معاوية: قُبِضَ رسولُ الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين ، وقُتِلَ عمر وهو ابن ثلاث وستين ، وتُوفِّيَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين[١] . (٣: ٤٢٠) .

٦٨ - وقال عليّ بن محمد في خبره الذي ذكرت عنه: كانت ولاية أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، ويقال: عشرة أيام[٢] . (٣: ٤٢٠) .

ذكر الخبر عمّن غسّله والكفن الذي كفّن فيه أبو بكر ومن صلّى عليه والوقت الذي صلّي عليه فيه والوقت الذي توفّي فيه

٦٩ - حدّثني الحارث ، عن ابن سعد ، قال: أخبرَنا محمد بن عمر ، قال: حدّثني مالك بن أبي الرّحّال عن أبيه ، عن عائشة ، قالت: توفِّيَ أبو بكر رحمه الله بين المغرب والعشاء[٣] . (٣: ٤٢١) .

٧٠ - حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا يحيى بن واضح عن محمد بن عبد الله ، عن عطاء وابن أبي مُلَيكة: أنّ أسماءَ بنت عُمَيس ، قالت: قال لي أبو بكر: غَسِّليني ، قلت: لا أطيق ذلك ، قال: يعينُك عبد الرحمن بن أبي بكر ، يصبّ الماء[٤] . (٣: ٤٢١) .

---

(١) إسناده صحيح ، وحديث معاوية في سن أبي بكر رضي الله عنه في صحيح مسلم (٤/ ١٨٢٦) وعند الترمذي (٥/ كتاب المناقب/ ح ٣٦٥٣) حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن جرير بن عبد الله عن معاوية بن أبي سفيان: أنه قال: سمعته يخطب يقول: مات رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وعمر وأنا ابن ثلاث وستين. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) إسناده ضعيف ولكن له ما يشهد له كما ذكرنا عند الروايات الآنفة الذكر.

(٤) إسناده ضعيف ونسب السيوطي إلى ابن أبي الدنيا: أنه أخرج عن ابن أبي ملكة: أن أبا بكر أوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ويعينها عبد الرحمن بن أبي بكر (تأريخ الخلفاء/ ٧٨) وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عبادة بن قيس قال: لما حضرت أبا بكر الوفاة قال لعائشة: اغسلي ثوبي هذين وكفنيني بهما ، فإنما أبوك أحد رجلين إما مكسو أحسن الكسوة ، أو مسلوب أسوأ السلب (تأريخ الخلفاء للسيوطي/ ٧٨).

وأخرج ابن سعد في طبقاته (٣/ ٢٠٤) قال: أخبرنا معن بن عيسىٰ قال: أخبرنا أبو معشر عن=

٧١ ـ حدّثنا ابنُ وكيع ، قال: حدّثنا ابن عُيينة عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبي مليكه ، عن عائشة ، سألها أبو بكر: في كم كُفّن النبيّ ﷺ؟ قالت: في ثلاثة أثواب ، قال: اغسلوا ثوبَيَّ هذين ـ وكانا ممشَّقَيْن ـ وابتاعوا لي ثوباً آخر. قلت: يا أبَهْ ! إنّا موسرون ، قال: أيْ بُنيَّة ! الحيُّ أحقُّ بالجديد من الميِّت ، وإنما هما للمُهْلة والصَّديد[1]. (٣: ٤٢١).

٧٢ ـ حدّثني العبَّاس بن الوليد ، قال: أخبرَنا أبي قال: حدّثنا الأوزاعيّ؛ قال: حدّثني عبد الرحمن بن القاسم: أنّ أبا بكر تُوُفِّيَ عشاءً بعد ما غابت الشمس ليلَةَ الثلاثاء ، ودفن ليلاً ليلة الثلاثاء[2] (٣: ٤٢١).

٧٣ ـ حدّثنا أبو كُرَيب ، قال: حدّثنا غَنَّام عن هشام ، عن أبيه: أنّ أبا بكر مات ليلة الثلاثاء ودُفن ليلاً[3]. (٣: ٤٢١).

٧٤ ـ حدّثني أبو زيد ، عن عليّ بن محمد بإسناده الذي قد مَضَى ذكرِه: أنّ أبا بكر حُمِلَ على السَّرِير الذي حُمِل عليه رسولُ الله ﷺ ، وصلَّى عليه عمر في مسجد رسولِ الله ﷺ ، ودخل قبره عمر ، وعثمان؛ وطلحة؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر؛ وأراد عبد الله أن يدخلَ قَبره ، فقال له عمر: كُفِيت[4]. (٣: ٤٢٢).

= هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: أن أبا بكر غسلته أسماء بنت عميس.

(١) إسناده ضعيف والحديث صحيح فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخلت علىٰ أبي بكر رضي الله عنه فقال: في كم كفنتم النبي ﷺ؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة. وقال لها: في أي يوم توفي رسول الله ﷺ؟ قالت: يوم الإثنين. قال: فأي يوم هذا؟ قالت: يوم الإثنين قال: أرجو فيما بيني وبين الليل. فنظر إلى ثوب عليه كان يمرض فيه ، به ردع زعفران فقال: اغسلوا ثوبي هذ وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيهما ، قلت: إن هذا خلق. قال: إن الحي أحق بالجديد من الميت ، إنما هو للمهلة. فلم يتوف حتىٰ أمسىٰ من ليلة الثلاثاء ، ودفن قبل أن يصبح) (الفتح ٣/ ٢٩٧).
قلنا: ورواية الطبري والبخاري متفقتان علىٰ أنه أوصى أن يكفن في ثلاثة أثواب إلا أن رواية الطبري ذكرت: أنه أوصىٰ أن يزاد علىٰ ثوبين ثوب ، بينما رواية البخاري تؤكد: أنه رضي الله عنه كان له ثوب فأوصى أن يزاد عليه ثوبان. ورواية البخاري أصح كما هو معلوم. والله أعلم.

(٢) إسناده صحيح وانظر الأثر السابق.

(٣) إسناده صحيح وانظر الأثر السابق.

(٤) إسناده ضعيف وأخرج ابن سعد قال أخبرنا الفضل بن دكين قال أخبرنا خالد بن إلياس عن =

٧٥ ـ حدّثني عليّ بن مسلم الطوسيّ ، قال: حدّثنا ابنُ أبي فُدَيك ، قال: أخبرني عمرو بن عثمان بن هانىء عن القاسم بن محمد ، قال: دخلتُ على عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقلت: يا أمَّهْ ! اكشفي لي عن قبر النبيّ ﷺ وصاحبيْه؛ فكشفت لي عن ثلاثة قبور ، لا مُشرِفَة ولا لاطئة ، مبطوحة ببطحاء العَرْصة الحمراء؛ قال: فرأيتُ قبرَ النبيّ ﷺ مقدَّماً وقبر أبي بكر عند رأسه ، وعمر رأسه عند رِجْلِ النبيّ ﷺ[1] . (٣: ٤٢١/ ٤٢٢) .

ذكر نسب أبي بكر واسمِه وما كان يُعرف به

٧٦ ـ حدّثني أبو زيد ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد بإسناده الذي قد مَضى ذكرُه: أنَّهم أجمعوا على أنَّ اسم أبي بكر عبد الله ، وأنه إنما قيل له: عَتيق عن عتقه. قال: وقال بعضهم: قيل له ذلك؛ لأنّ النبيّ ﷺ قال له: أنت عَتِيقٌ من النار[2] . (٣: ٤٢٤) .

٧٧ ـ حدّثني الحارثُ ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال: حدثنا إسحاق بن يحيى بن طلحة عن معاوية بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عائشة: أنها سُئلت: لِمَ سُمِّيَ أبو بكر عتيقاً؟ فقالت: نظر إليه النبيّ ﷺ يوماً ، فقال: هذا عتيق الله من النار.

= صالح بن يزيد مولىٰ الأسود قال: كنت عند سعيد بن المسيب فمرّ عليه عليّ بن حسين فقال: أين صُلّي علىٰ أبي بكر؟ فقال: بين القبر والمنبر (الطبقات ٣/ ٢٠٧). وأخرج كذلك ثنا الفضل بن دكين قال أخبرنا خالد بن إلياس عن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار عن أبيه: أن عمر كبّر علىٰ أبي بكر أربعاً (الطبقات ٣/ ٢٠٧). أما نزول عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن إلىٰ حفرة قبره رضي الله عنهم أجمعين وقول ابن عمر رضي الله عنهما: فأردت أن أنزل فقال عمر: كفيت ، فقد أخرجه ابن سعد كذلك (٣/ ٢٠٨) من طريق الواقدي وهو متروك.

(١) والحديث أخرجه ابن سعد من طريق ابن أبي فديك به (الطبقات ٣/ ٢٠٩).

(٢) قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٨١): وما ذكرناه في أن اسم أبي بكر الصديق عبد الله هو الصحيح المشهور وقيل: اسمه عتيق. والصواب الذي عليه كافة العلماء: أن عتيقاً لقب له لا اسم ، ولُقِّب عتيقاً لعتقه من النار كما ورد في حديث رواه الترمذي ، وقيل: لعتاقة وجهه ؛ أي: حسنه وجماله ، قاله مصعب بن الزبير والليث بن سعد وجماعة (وكذلك ذكر السيوطي قول النووي هنا في تأريخ الخلفاء/ ٣١).

واسم أبيه عثمان ، وكنيته أبو قحافة ، قال: فأبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك ، وأمُّه أمّ الخيْر بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة[(١)] . (٣ : ٤٢٥) .

٧٨ ـ وقال الواقديّ: اسمه عبد الله بن أبي قُحافة ـ واسمه عثمان ـ بن عامر. وأمّه أمّ الخير ، واسمها سَلْمى بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة[(٢)] . (٣ : ٤٢٥) .

٧٩ ـ وحدثني يونس ، قال: أخبرَنا ابن وَهْب ، قال: أخبرَني ابن لَهيعة عن عُمارة بن غزيّة ، قال: سألتُ عبدَ الرحمن بن القاسم عن اسم أبي بكر الصديق ، فقال: عتيق؛ وكانوا إخوةً ثلاثة بني أبي قُحافة: عتيق ، ومُعْتق ، وعُتَيْق[(٣)] . (٣ : ٤٢٥) .

---

(١) إسناده ضعيف وهو في طبقات ابن سعد (٣/ ١٦٩) وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت: والله إني لفي بيتي ذات يوم ورسول الله ﷺ وأصحابه في الفناء والستر بيني وبينهم إذ أقبل أبو بكر فقال النبي ﷺ : (من سرّه أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر) وإن اسمه الذي سماه أهله عبد الله فغلب عليه اسم عتيق (المستدرك ٣/ ٦٢) وأخرج الترمذي (٣٦٧٩) عن عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ فقال: «يا أبا بكر ! أنت عتيق الله من النار». فمن يومئذ سمي عتيقاً.
وأخرج الطبراني والبزار عن عبد الله بن الزبير قال: كان اسم أبي بكر عبد الله ، فقال له رسول الله ﷺ : «أنت عتيق من النار». فسمّي عتيقاً وجوّد السيوطي إسناده (تأريخ الخلفاء/ ٣٣).

(٢) وكذلك قال أبو عبيد الله محمد بن يزيد في رسالة (تأريخ الخلفاء ص ٢٢) واسم أم أبي بكر أم الخير سلمىٰ بنت صخر بنت عامر.

(٣) فيه ابن لهيعة وهو ضعيف إلا ما كان من طريق رواية العبادلة عنه وهذه منها ، فهي حسنة الإسناد. وكذلك روىٰ الطبراني عن القاسم بن محمد: أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن اسم أبي بكر فقالت: عبد الله ، فقال: إن الناس يقولون: عتيق ، قالت: إن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد سمّاهم عتيقاً ومعتقاً ومعيتقاً.

ذكر أسماء قضاته وكتّابه وعُمَّاله على الصدقات

٨٠ ـ حدّثنا محمد بن عبد الله المُخَرّمي ، قال: حدّثنا أبو الفتح نَصْر بن المغيرة ، قال: قال سفيان ـ وذكره عن مِسْعَر: لمّا ولي أبو بكر؛ قال له أبو عبيدة: أنا أكفيك المال ـ يعني: الجزاء ـ وقال عمر: أنا أكفيك القضاء. فمكث عمر سنةً لا يأتيه رجلان[1]. (٣/ ٢٦).

٨١ ـ قال أبو جعفر: وكان رضي الله عنه سخيّاً ليّناً ، عالماً بأنساب العرب؛ وفيه يقول خِفاف بن نَدْبة ـ ونَدْبة أمُّه ، وأبوه عمير بن الحارث ـ في مرثيته أبا بكر:

أبْلَجُ ذو عُرْفٍ وذو مُنْكَرٍ ... مُقَسّمُ المعروف رَحْبُ الفِناء
للمجْدِ في منزِلِهِ بادِياً ... حوْضٌ رفيعٌ لم يَخُنْهُ الإزاء
واللهِ لا يُدْرِكُ أيّامَهُ ... ذو مِئْزَرٍ حافٍ ولا ذو رِدَاء
مَنْ يَسْعَ كَيْ يُدْرِكَ أيّامَهُ ... يجْتَهِدِ الشَّدَّ بأرضٍ فَضاء

(٣: ٤٢٧)[2].

٨٢ ـ وكان ـ فيما ذكر الحارث عن ابن سعد ، عن عمرو بن الهيثم أبي قَطَن؛ قال: حدثنا الربيع عن حَيّان الصائغ ، قال: كان نقش خاتم أبي بكر رحمه الله: «نعم القادر الله»[3] (٣: ٤٢٧).

٨٣ ـ قالوا: ولم يعش أبو قحافة بعد أبي بكر إلا ستة أشهر وأياماً ، وتوفي في المحرم سنة أربع عشرة بمكة وهو ابن سبع وتسعين سنة[4] (٣: ٤٢٧).

* * *

---

(١) وأخرج البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ٨٧) أن أبا بكر لما ولي الخلافة ولى عمر القضاء. وقوّىٰ الحافظ إسناده (الفتح ١٣/ ١٢٩).

(٢) الأبيات في الكامل للمبرد (٣/ ٧٦) ـ بشرح المرصفي مع اختلاف في الرواية (محمد أبو الفضل).

(٣) إسناده صحيح.

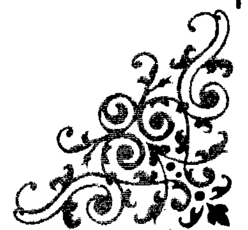
(٤) وكذلك قال الحافظ ابن حجر: مات أبو قحافة سنة أربع عشرة وله سبع وتسعون سنة (الإصابة/ ٤/ ٣٧٥/ ت ٥٤٥٨).






صحيح تاريخ
عمر بن الخطاب

رضي الله عنه



ذكر استخلاف عمر بن الخطاب[1]
وعقد أبو بكر في مرضته التي توفي فيها لعمر بن الخطاب

٨٤ ـ قال أبو جعفر: وقال الواقديّ: حدّثني إبراهيم بن أبي النّضر عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، قال: دعا أبو بكر عثمانَ خالياً، فقال: اكتُب:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قُحافة إلى المسلمين؛ أمّا بعد. قال: ثمّ أغمِيَ عليه، فذهب عنه، فكتب عثمان: أمّا بعد؛ فإني قد استخلفتُ عليكم عمرَ بن الخطاب، ولم آلُكم خيراً منه، ثم أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ عليّ، فقرأ عليه،

---

(١) ذكر استخلاف عمر

وقبل أن ندخل في الحديث عن ذكر استخلاف عمر بن الخطاب نذكر نبذة من فضائله:

١ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٣٦٩٧): عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدلُ بأبي بكر أحداً ثم عُمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم) صحيح. وأخرجه أبو داود رقم (٤٦٢٧).

٢ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٣٦٨٠): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «بينا أنا نائم رأيتُني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلىٰ جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبراً» فبكىٰ عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله! صحيح.

وأخرجه مسلم (٢٣٩٥) وابن ماجه حديث رقم (١٠٧) وأحمد (٢/ ٣٣٩) وابن أبي عاصم في السنة (١٢٧٠) والنسائي في فضائل الصحابة (٢٧).

٣ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٦٦٣٢): عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله! لأنت أحبُّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك!». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليّ من نفسي! فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر» صحيح.

وأخرجه أحمد رقم (٥/ ٢٩٣).

٤ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٣٦٨٧): عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: (سألني ابن عمر عن بعض شأنه ـ يعني عمر ـ فأخبرته فقال: ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله ﷺ من حين قبض كان أجدّ وأجود حتىٰ انتهىٰ من عمر بن الخطاب). صحيح.

= ٥ ـ أخرج الترمذي رحمه الله رقم (٣٦٨٢): عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» صحيح لغيره.
وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر أو قال ابن الخطاب فيه ـ شك خارجة ـ إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر.
وأخرجه أحمد (٢/ ٩٥) وفي فضائل الصحابة (٣١٣ ـ ٣١٤) وعبد بن حميد في المنتخب رقم (٧٥٦)، (٧٥٧) وابن حبان (موارد الظمآن ٢١٨٥).
٦ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٤٠٢): حدثنا عمرو بن عون قال حدثنا هشيم عن حميد عن أنس قال: قال عمر: (وافقت ربي في ثلاث فقلت: يا (رسول الله) لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلىٰ فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾ وآية الحجاب. قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البرُّ والفاجر فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾ فنزلت الآية). صحيح.
وأخرجه الترمذي مختصراً (٢٩٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه مختصراً (١٠٠٩) وعزاه المزي للنسائي، وأخرجه أحمد (١/ ٢٣ ـ ٢٤ و٣٦) وفي فضائل الصحابة (٤٣٤) و(٤٣٥) وابن أبي عاصم في السنة (١٢٧٧).
٧ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٤٦٧٢): عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لما توفي عبد الله بن أبيّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلىٰ رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ قال: «إنما خيّرني الله ـ أو أخبرني الله ـ ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ فقال: سأزيده على سبعين». قال: فصلىٰ عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ صحيح.
وأخرجه مسلم (٢٤٠٠) وأحمد بنحوه (٢/ ١٨).
٨ ـ أخرج الإمام مسلم رحمه الله رقم (٢٣٩٩): عن ابن عمر قال: قال عمر: (وافقت ربي في ثلاث، في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارىٰ بدرٍ) صحيح.
وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٢٧٧).
٩ ـ أخرج البخاري رحمه الله (١٣٦٦): عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم: أنه قال: (لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دُعيَ له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبتُ إليه فقلت: يا رسول الله! أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا: كذا وكذا وكذا؟! ـ أعدد عليه قوله ـ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أخّر عني يا عمر». فلما أكثرت عليه قال: «إني خُيِّرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له؛ لزدت

عليها». قال: فصلىٰ عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف لم يمكث إلا يسيراً حتىٰ نزلت الآيتان من براءة ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ والله ورسوله أعلم. صحيح.

وأخرجه الترمذي (٣٠٩٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وعزاه المزي للنسائي، وأخرجه أحمد (١/ ١٦).

١٠ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٣٦٨٣): عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن علىٰ صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب فأذن له رسولُ لله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله! فقال النبي ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب!».

قال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله! ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟! فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «إيهاً يا بن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك!». صحيح.

والحديث أخرجه مسلم (٢٣٩٦) وعزاه المزي في الأطراف للنسائي وأخرجه أحمد (١/ ١٧١ و١٨٧) وفي فضائل الصحابة (٣٠١)، (٣٠٢) و(٣٢٦) وأبو يعلى في المسند (٢/ ١٣٢) والنسائي في فضائل الصحابة (٢٨).

١١ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٣٦٧٧): عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إني لواقف في قومٍ فدعوا الله لعمر بن الخطاب ـ وقد وضع على سريره ـ إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله، إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كنت كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «كنت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر». فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما. فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب). صحيح.

وأخرجه مسلم (٢٣٨٩) وابن ماجه (٩٨) والنسائي في فضائل الصحابة (١٤) وأحمد (١/ ٣١٢) وفي فضائل الصحابة (٣٢٧).

١٢ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٣٦٨٤): حدثنا قيس قال: قال عبد الله: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر). صحيح.

وأخرجه أحمد في (فضائل الصحابة ٣٦٨)، (٣٧٢) وابن سعد في الطبقات (٣/ ١/ ١٩٣) وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٠٢٢).

١٣ ـ أخرج البخاري رقم (٤٦٤٢): عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان

فكبَّر أبو بكر ، وقال: أراك خِفْتَ أن يختلف الناس إن افتُلتتْ نفسي في غَشيتي! قال: نعم ، قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله ، وأقرّها أبو بكر رضي الله عنه من هذا الموضع[1]. (٣: ٤٢٩) .

= القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً فقال عُيينة لابن أخيه: يا بن أخي لك وجهٌ عند هذا الأمير ! فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال: هِيْ يا بن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل ! فغضب عمر حتىٰ هم به فقال له الحر: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ وإن هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله). صحيح.

وأخرجه القطيعي في زياداته علىٰ فضائل الصحابة (٥٠٦).

(١) إسناده ضعيف إلاّ أن متنه صحيح.

١ ـ والحديث أخرجه البيهقي (مع اختلاف بسيط) في السنن الكبرى (٨/ ١٤٩) باب الاستخلاف بسند فيه انقطاع من طريق يوسف بن محمد يقول: بلغني أن أبا بكر أوصى في مرضه فقال لعثمان . . . إلخ.

٢ ـ ولكن قال البيهقي (ورواه) محمد بن عبد الرحمن بن المجبر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة موصولاً.

٣ ـ وأخرج أبو الهلال العسكري قال: أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال: لما استقر بأبي بكر الوجع أرسل إلىٰ علي وعثمان ورجال من المهاجرين والأنصار فقال: قد حضر ما ترون ولا من قائم يأمركم فإن شئتم اخترتم لأنفسكم وإن شئتم اخترت لكم، قالوا: بل اختر لنا، فقال لعثمان: اكتب؛ هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يتوب الفاجر ويؤمن الكافر ويصدق الكاذب؛ عهد وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وقد استخلف ـ ثم رهقته غشية ـ فكتب عثمان عمر بن الخطاب فلما أفاق قال: أكتبت شيئاً؟ قال: نعم كتبت عمر بن الخطاب فقال: رحمك الله أما أنك لو كتبت لنفسك لكنت لها أهلاً فاكتب قد استخلفت عمر بن الخطاب بعدي ورضيته لكم. . . إلخ (الأوائل/ ١٤٨) وهذا إسناد معضل كما ترىٰ.

٤ ـ وأخرج ابن سعد في طبقاته قال: أخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي قال أخبرنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: أطفنا بغرفة أبي بكر الصديق في مرضته التي قبض فيها قال: فقلنا: كيف أصبح أو كيف أمسىٰ خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: فاطلع علينا اطلاعة، فقال: ألستم ترضون بما أصنع؟ قلنا: بلىٰ قد رضينا قال: وكانت عائشة هي تمرّضه قال: فقال: أما إني قد كنت حريصاً على أن أوفّد للمسلمين فيئهم مع أني قد أصبت من اللحم واللبن فانظروا إذا رجعتم مني فانظروا ما كان عندنا فأبلغوه عمر: قال: فذاك حيث عرفوا أنه استخلف عمر

٨٥ ـ قال أبو جعفر: وكان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمور المسلمين تاجراً ، وكان منزله بالسُّنْح ، ثم تحوّل إلى المدينة. فحدّثني الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة عن مَرْوان بن أبي سعيد بن المعلَّى ، قال: سمعتُ سعيد بن المسيَّب قال: وأخبرنا مُوسى بن محمَّد بن إبراهيم عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن صبيحة التميميّ ، عن أبيه ، قال. وأخبرَنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، قال: وأخبَرنا محمد بن عبد الله عن الزهريّ ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قال: وأخبرنا أبو قُدامة عُثْمان بن محمد عن أبي وَجْزة ، عن أبيه؛ قال. وغير هؤلاء أيضاً قد حدّثني ببعضه ، فدخلَ حديثُ بعضهم في حديث بعض ، قالوا: قالت عائشةُ: كان منزل أبي بالسُّنْح عند زوْجته حَبيبة بنة خارجة بن زيد بن أبي زُهير من بني الحارث بن الخزرج ، وكان قد حجَّر عليه حُجرة من سَعَف؛ فما زادَ على ذلك حتى تحوّل إلى منزله بالمدينة؛ فأقام هنالك بالسُّنْح بعد ما بويع له ستَّة أشهر ، يغدُو على رجليْه إلى المدينة ، وربما ركب على فرس له ، وعليه إزار ورِداء ممشَّق ، فيوافِي المدينةَ فيصلي الصَّلَواتِ بالنَّاس ، فإذا صلَّى العشاء؛ رجع إلى أهله بالسُّنْح؛ فكان إذا حَضَر صلَّى بالناس وإذا لم يحضر صلَّى بهم عمر بن

= قال وما كان عنده دينار ولا درهم ، ما كان إلاّ خادم ولقحة ومحلب ، فلما رأى ذلك عمر يُحْمل إليه قال: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده (الطبقات الكبرىٰ ٣/ ١٩٢).

قلنا: وهذا إسناده صحيح.

٥ ـ وأخرج ابن سعد في طبقاته قال: أخبرنا عفان بن مسلم قال أخبرنا حماد بن مسلمة عن ثابت عن سمية عن عائشة أن أبا بكر قال لها: يا عائشة ما عندي من مال إلاّ لقحة وقدح فإذا أنا مِتُّ فاذهبوا بهما إلى عمر. فلما مات ذهبوا بها إلىٰ عمر فقال: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده (الطبقات الكبرىٰ ٣/ ١٩٣).

وهذا إسناد صحيح وإن كان في حفظ حماد مقال إلاّ أنه من أثبت الناس في ثابت ولذا أخرج له مسلم في صحيحه عن ثابت والله تعالى أعلم.

٦ ـ وأخرج ابن سعد في طبقاته كذلك أخبرنا وكيع بن الجراح وعبد الله بن نمير قالا: أخبرنا الأعمش عن أبي وائل عن مسروق عن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلىٰ الخليفة من بعدي (الطبقات ٣/ ١٩٢). ورجال هذا الإسناد ثقات وإن كان الأعمش مدلساً فيشهد له ما ذكرنا قبله من الروايات الصحيحة.

الخطاب. قال: فكان يُقيم يوم الجمعة صدرَ النَّهار بالسُّنح يصبغ رأسه ولحيته ثم يروح لقَدَر الجمعة، فيُجمِّع بالنَّاس. وكان رجلاً تاجراً، فكان يغدُو كلّ يوم إلى السوق، فيبيع ويبتاع؛ وكانت له قطعة غنم تروحُ عليه؛ وربَّما خرج هو بنفسه فيها؛ وربما كُفِيَهَا فرُعيت له، وكان يحلب للحيّ أغنامَهم، فلمَّا بويع له بالخلافة قالتْ جارية من الحيّ: الآن لا تُحْلبُ لنا منائحُ دارنا، فسمعها أبو بكر، فقال: بلَى لعمري لأحلبنّها لكم؛ وإني لأرجو ألاّ يغيِّرني ما دخلت فيه عن خُلق كنت عليه. فكان يحلُب لهم، فربما قال للجارية من الحيّ: يا جارية! أتحبّين أن أرعَى لك، أو أصرِّح؟ فربما قالت: ارْعَ، وربما قالت: صرّح؛ فأيّ ذلك قالتْه فعل؛ فمكث كذلك بالسُّنْح ستَّة أشهر؛ ثم نزل إلى المدينة، فأقام بها، ونَظَر في أمرِه، فقال: لا والله، ما تصلِح أمور الناس التِّجارة، وما يصلِحُهم إلاّ التفرُّغ لهم والنَّظر في شأنهم، ولا بدّ لعيالي مما يُصلِحُهم. فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يُصلِحُه ويُصْلح عيالَه يوماً بيوم، ويحجّ ويعتمر. وكان الذي فرضوا له في كلّ سنة ستَّة آلاف درهم؛ فلما حضرتْه الوفاة، قال: رُدُّوا ما عندَنا من مال المسلمين؛ فإني لا أصيبُ من هذا المال شيئاً، وإنّ أرضي الَّتي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم؛ فدفع ذلك إلى عمر، ولقوحاً وعبداً صَيْقلاً، وقطيفة ما تُساوي خمسة دراهم؛ فقال عمر: لقد أتعب مَن بعده[1]. (٣: ٤٣١/ ٤٣٢/ ٤٣٣).

٨٦ ـ وقال عليّ بن محمد ـ فيما حدّثني أبو زيد عنه في حديثه عن القوم الذين ذكرتُ روايته عنهم ـ قال أبو بكر: انظروا كم أنفقت منذ وُلِّيتُ من بيت المال فاقضوه عنِّي. فوجدوا مبلَغه ثمانية آلاف درهم في ولايته[2]. (٣: ٤٣٣).

---

(١) إسناده ضعيف فهو من طريق الواقدي ولبعضه ما يشهد له كما سنذكر بعد قليل ولقد أخرج الطبري بعضه فيما سبق عند حديثه عن أبي بكر رضي الله عنه وصفاته وعلّقنا على تلك الروايات في حينها.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيد هذه الرواية وما قبلها فنقول وبالله التوفيق:

١ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٣) أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا ابن عون عن محمد قال: توفي أبو بكر الصديق وعليه ستة آلاف كان قد أخذها من بيت المال فلما حضرته الوفاة قال: إن عمر لم يدعني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم وإن حائطي الذي بمكان كذا وكذا فيها فلما توفي ذكر ذلك لعمر فقال: يرحم الله أبا بكر لقد أحبَّ.

٨٧ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حَدّثنا سَلمة عن ابن إسحاق ، عن الزهريّ ، عن القاسم بن محمد ، عن أسماءَ بنة عُمَيس ، قالت: دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر ، فقال: استخلفتَ على الناس عُمر ، وقد رأيتَ ما يلقى الناس منه وأنت معه؛ فكيف به إذا خلا بهم! وأنت لاقٍ ربَّك فسائلك عن رعيَّتك ؟! فقال أبو بكر ـ وكان مضطجعاً: أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال لطلحة: أبالله تفرّقني ؟! ـ أو أبالله تخوّفني ؟! ـ إذا لقيت الله ربِّي فساءلني قلت: استخلفتُ على أهلِك خيرَ أهلك[1]. (٣: ٤٣٣) .

٨٨ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحـاق ، عن محمَّد بن عبد الرحمن بن الحصين بمثل ذلك[2] (٣: ٤٣٣) .

= أن لا يدع لأحد بعد مقالاً وأنا ولي الأمر من بعده وقد رددتها عليكم. ا هـ. وإسناده صحيح إلى ابن سيرين. وكذلك سبق أن ذكرنا قبل قليل رواية ابن سعد في طبقاته (٣/ ١٩٢) من حديث أنس رضي الله عنه وفي آخرها وما كان عنده دينار ولا درهم ، ما كان إلاّ خادم ولقحة ومحلب ، فلما رأىٰ ذلك عمر يُحمل إليه قال: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده. ا. هـ. وكذلك ذكرنا آنفاً رواية ابن سعد الأخرىٰ (٣/ ١٩٣) من طريق عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر قال لعائشة: ما عندي من مالٍ إلا لقحة وقدح فإذا أنا متُّ فاذهبوا بهما إلى عمر. . . .إلخ.

(١) إسناده ضعيف ومتنه صحيح كما سنذكر بعد الرواية التالية.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده:

١ ـ أخرج البيهقي (٨/ ١٤٩) باب الاستخلاف: أخبرنا أبو الحسين بن بشران أنبأ أبو جعفر محمد بن عمرو الرزاز ثنا الحسن بن مكرم ثنا سعيد بن عامر ثنا صالح بن رستم أبو عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة قال: قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لما ثقل أبي دخل عليه فلان وفلان فقالوا: يا خليفة رسول الله ماذا تقول لربك غداً إذا قدمت عليه وقد استخلفت علينا ابن الخطاب ؟! قال: فأجلساه فقال: أبالله ترهبوني؟! أقول: استخلفت عليهم خيرهم. ا هـ.

قلنا: وفي إسناده صالح بن رستم (أبو عامر الخزاز) ضعفه ابن معين وابن أبي حاتم ولكن وثقه أبو داود الطيالسي والعجلي وقال أحمد: صالح الحديث وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحافظ ابن عدي: عزيز الحديث ولعل جميع ما أسنده خمسون حديثاً وقد روىٰ عنه يحيىٰ القطان مع شدة استقصائه. وهو عندي لا بأس به ولم أر له حديثاً منكراً (راجع تهذيب الكمال ٣/ ٤٧/ ت٢٨١٢) و(الكامل لابن عدي ٤/ ٧٢/ت ٩٢٢) وأخرج له مسلم والأربعة ووثقه البزار (راجع تهذيب التهذيب ٤/ ٣٩١) وقال الحافظ في التقريب: صدوق كثير الخطأ =

٨٩ - قال أبو جعفر: قد تقدّم ذكرنا وقت عقد أبي بكر لعُمر بن الخطاب الخلافة، ووقت وفاة أبي بكر، وأنّ عمر صلَّى عليه، وأنه دفن ليلةَ وفاته قبل أن يُصْبح الناس، فأصبح عمر صبيحةَ تلك الليلة، فكان أوّل ما عمل وقال - فيما ذُكِر - ما حدثنا أبو كُرَيب، قال: حدّثنا أبو بكر بن عيّاش عن الأعمش، عن جامع بن شدّاد، عن أبيه؛ قال: لمّا استُخلِف عمر صعِد المنبر، فقال: إني قائل كلمات فأمِّنوا عليهنّ، فكان أوّلِ منطق نطق به حين استُخلِف[1]. (٣: ٤٣٣).

٩٠ - حدّثنا عمر، قال: حدّثني عليّ عن عيسى بن يزيد، عن صالح بن كيسان، قال: كان أوّل كتاب كتبه عمر حين وُلِّي إلى أبي عبيدة يولّيه على جند

= وسكت المحرران عن قول الحافظ هذا (تحرير التقريب ٢/ ٢٨٦١) وكان الأولىٰ أن يقولا: صدوق والله تعالىٰ أعلم فإسناد البيهقي حسن والله أعلم.

٢ - وأخرج ابن سعد في طبقاته (٣/ ٢٧٤) قال: أخبرنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم النبيل قال أخبرنا عبيد الله بن أبي زياد عن يوسف بن ماهك عن عائشة قالت: لما حضرت أبا بكر الوفاة استخلف عمر فدخل عليه علي وطلحة فقالا: من استخلفت؟ قال: عمر. قالا: فماذا أنت قائل لربك؟! قال: أبالله تفرقاني؟! لأنا أعلم بالله وبعمر منكما، أقول: استخلفت عليهم خير أهلك.

وفي إسناده عبيد الله بن أبي زياد. قال الحافظ: ليس بقوي. فعقب المحرران (شعيب وبشار) بقولهما: بل ضعيف يعتبر به (تحرير التقريب ٢/ ٤٢٩٢) وهو كما قالا.

فهذه الرواية تتقوى بالتي قبلها وخلاصة القول أن الأسانيد الثلاثة لهذه الرواية (طريق ابن إسحاق عند الطبري، وطريق الضحاك بن مخلد عند ابن سعد، وطريق ابن أبي مليكة عند البيهقي) تجعل الرواية ترقىٰ إلى درجة الحسن بمجموع طرقه وإن كنا نرىٰ رواية البيهقي (من طريق صالح بن رستم) حسنة لثقتها والله تعالى أعلم.

(١) رجاله ثقات ولكن الأعمش مدلّس وقد عنعن هنا ولم يصرح بالتحديث، فقد أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٧٤) أخبرنا معاوية الضرير عن الأعمش عن جامع بن شداد عن أبيه قال: كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال: اللهم إني شديد فليّني وإني ضعيف فقوّني وإني بخيل فسخّني.

وأخرج ابن سعد كذلك قال: أخبرنا وهب بن جرير قال: أخبرنا شعبة عن جامع بن شداد عن ذي قرابة له قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: ثلاث كلمات إذا قلتها فأمِّنوا عليها: اللهم إني ضعيف فقوّني، اللهم إني غليظ فليّنّي اللهم إني بخيل فسخّني (الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢٧٥) ولقد علمنا من الروايتين السابقتين أن (ذي قرابة له) هو أبوه فالإسناد صحيح بمجموع طرقه والله تعالى أعلم.

خالد: أوصيك بتقوى الله الذي يبقَى ويفنَى ما سواه؛ الذي هدانا من الضّلالة، وأخرجَنا من الظُّلمات إلى النور. وقد استعملتك على جُنْد خالد بن الوليد، فقم بأمرهم الذي يحقّ عليك، لا تُقدِّم المسلمين إلى هَلَكة رجاء غنيمة؛ ولا تُنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم؛ وتعلمَ كيف مأتاه؛ ولا تبعث سريّة إلا في كَثْف من الناس؛ وإيّاك وإلقاء المسلمين في الهلَكة، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك؛ فغمِّضْ بَصَرك عن الدنيا، وألْه قلبك عنها؛ وإيّاك أن تُهلِكَك كما أهلكتْ مَن كان قبلك، فقد رأيتَ مصارعَهم[1]. (٣: ٤٣٤).

ذكر غزوة فِحْل وفتح دمشق

٩٠/أ ـ حدّثني عمر عن عليّ بن محمد بإسناده، عن النّفر الذين ذكرت

---

(١) في إسناده عيسىٰ بن يزيد ولم يبين الطبري اسمه بالكامل أو لقبه وأغلب الظن أنه عيسىٰ بن يزيد بن داب الليثي فهو الذي يروي عن صالح بن كيسان ويروي عنه حكام قال البخاري وغيره: منكر الحديث، وإن كان بعض علماء الجرح والتعديل يرونه منكر الحديث ولكنه خبير بالتأريخ كما قال ابن حجر: كان أخبارياً علامة نسابة لكن حديثه واه. (لسان الميزان ٥/٣٩٣/ت ٦٥١٠).

وقال الخطيب: كان عالماً بأيام الناس حافظاً للسير (تأريخ بغداد ١١/١٤٨/ت ٥٨٤٥) وروايته هذه رواية تأريخ وليست برواية حديث ولذلك بحثنا في الروايات التأريخية الصحيحة عن ما يؤيده، فأما عزله لخالد وتأميره لأبي عبيدة على قيادة الجيش فذلك ما اتفق عليه المؤرخون كما سبق أن ناقشنا، وأما كون أول كتاب كتبه هو إلى أبي عبيدة فلم نجد نصاً تأريخياً صحيحاً وصريحاً يؤكد ذلك، إلاّ أننا نستطيع أن نقول بأن كتابه إلى أبي عبيدة كان من أوائل ما كتب رضي الله عنه فمعركة اليرموك كانت في السنة الأولى أو الثانية من خلافته، وقد أرسل رضي الله عنه كتاباً إلى أبي عبيدة وبقية القادة يذكرهم بتقوى الله كما ذكرنا قبل وسنعيد الاستشهاد به هنا:

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده (١/ح٣٤٤ طبعة شاكر) عن سماك قال: سمعت عياضاً الأشعري قال. شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعياض ـ وليس عياض هذا بالذي حدث سماكاً ـ قال: وقال عمر: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة. قال: فكتبنا إليه أن قد جاش إلينا الموت أو استمددناه. فكتب إلينا: أنه قد جاءني كتابكم تستمدوني وإني أدلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جنداً؛ الله عز وجل، فاستغفروه فإن محمداً ﷺ قد نصر يوم بدرٍ في أقلّ من عددكم فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني قال: فقاتلناهم فهزمناهم.

وصحح العلامة شاكر إسناده والله تعالى أعلم.

روايتَهم عنهم في أول ذكري أمرَ أبي بكر: أنّهم قالوا: قدِم بوفاة أبي بكر إلى الشأم شدّاد بن أوْس بن ثابت الأنصاريّ ومَحْمِيَة بن جَزْء، ويَرْفأ، فكتموا الخبرَ الناس حتى ظفر المسلمون ـ وكانوا بالياقوصة يقاتلون عدوَّهم من الروم؛ وذلك في رجب ـ فأخبروا أبا عبيدة بوفاة أبي بكر وولايته حَرْب الشأم، وضمّ عمر إليه الأمراءَ، وعزلِ خالد بن الوليد[1]. (٣: ٤٣٤).

٩١ - فحدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق، قال: لما فرغ المسلمون من أجنَادين ساروا إلى فِحْل من أرض الأردنّ؛ وقد اجتمعت فيها رافضة الروم، والمسلمون على أمرائهم وخالد على مقدّمة الناس. فلمّا نزلت الروم بيْسان بثقوا أنهارها؛ وهي أرض سَبْخة، فكانت وحلاً، ونزلوا فِحْلاً ـ وبيسانُ بين فلسطين وبين الأردنّ ـ فلما غشيَها المسلمون ولم يعلموا بما صنعت الروم، وحلت خيولُهم، ولقوا فيها عَناءً، ثم سلَّمهم الله ـ وسميت بَيْسان ذات الرَّدغَة لما لقي المسلمون فيها ـ ثم نهضوا إلى الروم وهم بفِحْل؛ فاقتتلوا فهُزمت الروم، ودخل المسلمون فِحْلاً ولحقت رافضة الروم بدمشق؛ فكانت فِحْل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة، على ستّة أشهر من خلافة عمر. وأقام تلك الحجَّة للناس عبد الرحمن بن عوف. ثم ساروا إلى دمشق وخالد على مقدّمة الناس؛ وقد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال له: باهان بدمشق ـ وقد كان عمر عزلَ خالدَ بن الوليد واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس ـ فالتقى المسلمون والروم فيما حول دمشق، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم هزم الله الرّومَ، وأصاب منهم المسلمون، ودخلت الروم دمشق؛ فغلّقوا أبوابَها وجَثم المسلمون عليها فرابطوها حتى فُتحت دمشق، وأعطوا الجزية، وقد قدم الكتاب على أبي عبيدة بإمارته وعزل خالد، فاستحيا أبو عبيدة أن يقرىء خالداً الكتاب حتى فتحت دمشق، وجرى الصُّلْح على يديْ خالد، وكتب الكتاب باسمه. فلما صالحت دمشق لحِق باهان ـ صاحب الروم الّذي قاتل المسلمين ـ بهرقل. وكان فتح دمشق

---

(١) لقد مضىٰ الكلام عن عزل خالدٍ عن إمرة الجيش وإسناد القيادة لأبي عبيدة ووصول الخبر إلىٰ المسلمين وهم في الياقوصة، وسنتحدث مرة أخرىٰ وبالتفصيل عن هذا العزل ودواعيه وسنرد علىٰ شبهات المستشرقين وسنحاول الجمع بين الروايات التاريخية المتعارضة في هذا العزل إن شاء الله تعالىٰ بعد قليل.

في سنة أربع عشرة في رجب ، وأظهر أبو عبيدة إمارتَه وعَزْلَ خالد؛ وقد كان المسلمون التقوْا هم والرّوم ببلد يقال له: عيْن فِحْل بين فلسطين والأردنّ ، فاقتتلوا به قتالاً شديداً ، ثمّ لحقت الروم بدمشق[١] .(٣: ٤٣٤/ ٤٣٥) .

---

(١) إسناده ضعيف ويشهد لأصله ما أخرجه خليفة بن خياط فحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: كان خالد علىٰ الناس فصالحهم ، فلم يفرغ من الصلح حتىٰ عزل وولي أبو عبيدة فأمضىٰ أبو عبيدة صلح خالد ولم يغيّر الكتاب والكتاب عندهم باسم خالد. وهذا إسناد صحيح ولكن خليفة لم يقبله لأن في متنه غرابة ظاهرة فقال رحمه الله: هذا غلط لأن عمر عزل خالداً حين ولي.

قلنا: ولا نرىٰ غرابة في توقيت هذا العزل لأن العزل كان علىٰ مرحلتين (حسب استنباطنا من الروايات التأريخية في هذه المسألة) أي أن العزل الأول لخالد كان من القيادة العامة للجيش (أو ما يسمىٰ بهيئة الأركان) ، أما الثاني والذي نفذه أبو عبيدة بعد فتح دمشق كان عزلاً لخالد حتى من قيادته كجناح من أجنحة الجيش والله أعلم.

وإلى هذا الرأي ذهب كذلك الأستاذ الفاضل باشميل وإن لم يقدم دليلاً على ذلك. ويؤيد ما نذهب إليه والله أعلم حديثاً رواه الإمام أحمد في مسنده يؤكد أن خالداً كان أميراً يوم اليرموك مع بقية القادة كأبي عبيدة وغيره ومعلوم أن اليرموك كانت بعد تولي عمر الخلافة بمدة ولم تكن متزامنة بعد توليه الخلافة فيتقوى قولنا في أنه عزله مرتين مرة عند توليه الخلافة إذ عزله من قيادة هيئة الأركان (أو كما تسميه الروايات إمرة جميع الجند) والثانية خلال معركة اليرموك وهذه كانت عن إمارة جناح من أجنحة الجيش وأبلغه أبو عبيدة بخبر العزل بعد انتهاء المعركة.

أخرج أحمد في مسنده (١/ح ٣٤٤ طبعة شاكر) عن سماك قال: سمعت عياضاً الأشعري قال: شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعياض وليس عياض هذا بالذي حدث سماك...... إلخ الحديث. وصحح العلامة شاكر إسناده وإن كان ترجيحنا هذا لا ينفي قوة الرأي المقابل فللحديث وجه آخر يستدل به علىٰ أن عمراً رضي الله عنه عزل خالداً عن القيادة العامة للجيش عند اليرموك. إذ جاء في تكملة الحديث الآنف الذكر: وقال عمر: إن كان قتال فعليكم أبو عبيدة (مسند أحمد١/ ح٣٤٤).

وهذا الحديث يؤيد روايات سيف الضعيفة السند التي ذكرت أن خالداً سار مدداً إلىٰ جيوش الشام بأمر أبي بكر الذي لم يعينه قائداً عاماً لهم وإنما كان ذلك عن تشاور منهم (الأمراء الخمسة) فجاء أمر عمر بعزله.

وخليفة يرىٰ أن خالداً لم يصالحهم وإنما فتح الباب الذي كان عليه عنوة وهو الباب الشرقي (كما عند غير خليفة) أما باب الجابية فقد فتحه أبو عبيدة صلحاً إذ قال خليفة [سنة أربع عشرة (فتح دمشق)] فيها فتحت دمشق: سار أبو عبيدة بن الجراح ومعه خالد بن الوليد فحاصرهم =

خبر دمشق من رواية سيف:

٩٢ - كتب إليَّ السّريُّ عن شُعيب، عن سيف، عن أبي عثمان، عن خالد وعبادة؛ قالا: لما هزم الله جُنْد اليَرْموك، وتهافت أهلُ الواقوصة، وفُرغ من المقاسم والأنفال، وبُعِث بالأخماس، وسُرّحت الوفود؛ استخلف أبو عبيدة على اليَرموك بشير بن كعب بن أبَيّ الحِمْيَريّ كَيْلا يُغتال بردّةٍ؛ ولا تقطع الرُّوم على موادّه، وخرج أبو عبيدة حتى ينزل بالصُّفَّر؛ وهو يريد اتباع الفالّة؛ ولا يدري يجتمعون أو يفترقون؛ فأتاه الخبر بأنَّهم أرَزوا إلى فِحْل، وأتاه الخبر بأن المدد قد أتى أهل دمشق من حِمص، فهو لا يدري أبدمشق يبدأ أم بفِحْل من بلاد الأردنّ. فكتب في ذلك إلى عمر، وانتظر الجواب، وأقام بالصّفَّر، فلمَّا جاء عمرَ فتحُ اليرموك أقرّ الأمراء على ما كان استعملهم عليه أبو بكر إلاّ ما كان من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد، فإنه ضمّ خالداً إلى أبي عبيدة، وأمر عمراً بمعونة الناس؛ حتى يصير الحرب إلى فِلَسطين، ثم يتولّى حربَها. (٣: ٤٣٦).

٩٢/ أ - رجع الحديث إلى حديث سيف عن أبي عثمان، عن خالد وعبادة، قالا: ولمَّا جاء عمرَ الكتاب عن أبي عُبيدة بالذي ينبغي أن يبدأ به كتب إليه: أمَّا بعد؛ فابدؤوا بدمشق، فانْهَدوا لها؛ فإنَّها حِصن الشأم وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهلَ فِحْل بخيلٍ تكون بإزائهم في نحورهم وأهلَ فلسطين وأهل حِمْص؛ فإن فتحها الله قبل دمشق فذَاك الَّذي نحبّ، وإن تأخَّر فتحُها حتى يفتح الله دمشق فلينزل بدمشق مَن يمسك بها، ودعوها، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تُغيروا على فِحْل؛ فإن فتح الله عليكم؛ فانصرف أنت وخالد إلى حِمْص، ودَعْ شُرَحْبيل وعمراً وأخلِهما بالأردنّ وفلسطين، وأميرُ كلّ بلد وجُنْد على الناس حتى يخرجوا من إمارته. فسرّح أبو عبيدة إلى فِحْل عشرة قُوّاد: أبا الأعور السُّلَميّ، وعبدَ عمرو بن يزيد بن عامر الجُرَشيّ، وعامرَ بن حَثْمة، وعمرو بن كُليب من يَحْصُب، وعُمَارة بن الصَّعِق بن كعب، وصَيْفيَّ بن عُلْبة بن شامل، وعمرَو بن

فصالحوه وفتحوا له باب الجابية وفتح خالد أحد الأبواب عنوة وأتم لهم أبو عبيدة الصلح (تأريخ خليفة/ ١٢٥). ورواية ابن إسحاق الضعيفة هذه تبيّن أن فتح دمشق كان بعد فِحْل وهذا الذي رجحه غير واحد من أئمة التأريخ علىٰ ما رواه سيف من أن فتح دمشق كان قبل وقعة فحل وسنرجع إلى الحديث عن ذلك بعد الرواية التالية.

الحبيب بن عمرو ، ولبدة بن عامر بن خَثْعمة ، وبِشْرَ بن عصْمة ، وعُمارة بن مُخش قائد الناس؛ ومع كلّ رجل خمسة قوّاد؛ وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا مَن يحتمل ذلك منهم ، فساروا من الصُّفَّر حتَّى نزلوا قريباً من فِحْل ، فلمَّا رأت الرُّوم : أنّ الجنود تريدهم؛ بثقُوا المياه حوْلَ فِحْل ، فأردِغتْ الأرض ، ثم وحلَت ، واغتمّ المسلمون من ذلك ، فحبسوا عن المسلمين بها ثمانين ألف فارس. وكان أوّلَ محصور بالشأم أهل فِحْل ، ثم أهل دمشق. وبعث أبو عبيدة ذا الكَلاع حتَّى كان بين دمشق وحِمْص ردءاً. وبعث عَلْقمة بن حكيم ومَسْروقاً فكانا بين دمشق وفلَسطين ، والأمير يزيد. ففصَل ، وفصَل بأبي عبيدة من المرْج؛ وقدّم خالد بن الوليد ، وعلى مجنّبَتيه عمرو وأبو عبيدة وعلى الخيل عياض ، وعلى الرَّجْل شُرَحبيل ، فقدِموا على دمشق ، وعليهم نسطاس بن نُسْطُورس؛ فحصَروا أهلَ دمشق ، ونزلوا حواليْها ، فكان أبو عبيدة على ناحية ، وعمرو على ناحية ، ويزيد على ناحية ، وهِرَقل يومئذ بحِمْص ، ومدينة حِمْص بينه وبينهم. فحاصروا أهلَ دمشق نحواً من سبعين ليلة حِصاراً شديداً بالزُّحوف والتَّرامِي والمجانيق؛ وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغِياث ، وهِرَقل منهم قريب وقد استمدّوه. وذو الكَلاع بين المسلمين وبين حِمْص على رأس ليلة من دمشق؛ كأنه يريد حِمْص ، وجاءت خيولُ هِرقل مغيثةً لأهل دمشق ، فأشجتْها الخيول الَّتي مع ذي الكَلاع ، وشغلتها عن النَّاس ، فأرَزوا ، ونَزَلوا بإزائه ، وأهلُ دمشق على حالهم.

فلمَّا أيقن أهلُ دمشق : أنَّ الأمداد لا تصلُ إليهم فشلوا ووَهنوا وأبلسوا وازداد المسلمون طمعاً فيهم؛ وقد كانوا يروْن أنَّها كالغارات قبل ذلك؛ إذا هجم البرد قفَل الناس ، فسقط النَّجم والقوم مقيمون؛ فعند ذلك انقطع رجاؤهم ، وندِموا على دخول دمشق ، ووُلِد للبِطريق الَّذي دخل على أهل دمشق مولودٌ؛ فصنع عليه ، فأكل القوم وشربوا ، وغفلوا عن مواقفهم؛ ولا يشعر بذلك أحدٌ من المسلمين إلا ما كان من خالد؛ فإنه كان لا ينام ولا يُنيم ، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء؛ عيونُه ذاكية وهو معنيٌّ بما يليه ، قد اتَّخذ حبالاً كهيئة السلاليم وأوْهاقاً ، فلمَّا أمسى من ذلك اليوم نَهَد ومَنْ معه من جنده الذين قدم بهم عليهم ، وتقدّمهم هو والقعقاع بن عمرو ، ومذعور بن عديّ ، وأمثاله من

أصحابه في أول يومه ، وقالوا : إذا سمعتم تكبيرَنا على السّور فارقَوْا إلينا ، وانْهدوا للباب. فلما انتهى إلى الباب الذي يَليه هو وأصحابه المتقدّمون رَمَوْا بالحبال الشُّرَف وعلى ظهورهم القِرَب التي قطعوا بها خندقهم. فلمّا ثبت لهم وَهَقان تسلَّق فيهما القعقاع ومذعور ، ثم لم يدعا أحبولةً إلاّ أثبتاها ـ والأَوْهاق بالشُّرَف ـ وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق ، أكثرَه ماءً ، وأشدّه مدخلاً ، وتوافوا لذلك ، فلم يبقَ ممّن دخل معه أحدٌ إلا رقى أو دنا من الباب؛ حتى إذا استَوَوْا على السُّور حَدَر عامَّة أصحابه ، وانحدَر معهم؛ وخلَّف مَنْ يحمي ذلك المكان لمن يرتقي ، وأمرهم بالتَّكبير ، فكبَّر الذين على رأس السور ، فنهَد المسلمون إلى الباب ، ومال إلى الحِبال بشَرٌ كثير ، فوثَبُوا فيها ، وانتهى خالد إلى أوّل مَن يليه فأنامهم ، وانحدر إلِى الباب ، فقتل البوّابين ، وثار أهلُ المدينة ، وفزِع سائر الناس؛ فأخذوا مواقفهم ، ولا يدرون ما الشأن! وتشاغل أهلُ كلّ ناحية بما يليهم ، وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف ، وفتحوا للمسلمين ، فأقبلوا عليهم مِن داخل ، حتَّى ما بقيَ ممَّا يلي باب خالد مقاتل إلا أنيم. ولما شدّ خالد على من يليه؛ وبلغ منهم الذي أراد عَنْوة أرَزَ من أفلت إلى أهل الأبواب التي تَلِي غيرَه؛ وقد كان المسلمون دَعَوْهم إلى المشاطرة فأبوا وأبعدوا ، فلم يفجأهم إلاّ وهم يبُوحون لهم بالصُّلح ، فأجابوهم وقبلوا منهم ، وفتحوا لهم الأبواب ، وقالوا : ادخلوا وامنعونَا من أهلِ ذلك الباب. فدخل أهلُ كلّ باب بصلح ممَّا يليهم ، ودخل خالد مما يليه عَنْوة ، فالتقى خالد والقوّاد في وسطها؛ هذا استعراضاً وانتهاباً ، وهذا صلحاً وتسكيناً؛ فأجْرَوا ناحيةَ خالد مُجْرَى الصّلح ، فصار صُلْحاً ، وكان صلح دمشق على المقاسمة ، الدينار والعقار ، ودينارٌ عن كلّ رأس ، فاقتسموا الأسلاب؛ فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب سائر القوّاد ، وجَرَى على الديار ومَنْ بقي في الصّلح جَريب من كلّ جَريب أرض؛ ووَقف ما كان للملوك ومَن صوّب معهم فَيْئاً ، وقسموا لذي الكَلاع ومَن معه ، ولأبي الأعور ومَن معه ، ولبشير ومَن معه ، وبعثوا بالبِشارة إلى عمر ، وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر؛ بأن اصرِف جند العراق إلى العراق ، وأمرهم بالحثّ إلى سعد بن مالك ، فأمَّر على جُند العراق هاشم بن عُتْبة ، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو ، وعلى مجنِّبَتيه عمرو بن مالك الزُّهري ورِبْعيّ بن عامر ، وضربوا بعد دمشق نحو سعد ، فخرج

هاشم نحو العراق في جُنْد العراق؛ وخرج القوّاد نحو فِحْل وأصحاب هاشم عشرة آلاف إلاّ من أصيب منهم ، فأتمّوهم بأناس ممّن لم يكن منهم؛ ومنهم قيس والأشتر ، وخرج علقمة ومسروق إلى إيلياءَ ، فنزلا على طريقها ، وبقي بدمشق مع يزيد بن أبي سفيان من قوّاد أهلِ اليمن عددٌ؛ منهم عمرو بن شِمْر بن غزيّة ، وسَهْم بن المسافر بن هَزْمة ، ومشافع بن عبد الله بن شافع . وبعث يزيد دحْية بن خليفة الكلبيّ في خيل بعد ما فتح دمشق إلى تَدْمُر ، وأبا الزهراء القُشَيريّ إلى البَـثَنِيَّـة ، وحَوْران ، فصالحوهما على صلح دمشق ، ووليَا القيام على فَتْح ما بُعثا إليه[1] . (٣: ٤٣٦/ ٤٣٧/ ٤٣٨/ ٤٣٩/ ٤٤٠) .

---

(١) ١ - أخرج البلاذري في (فتوح البلدان/ ١٦٩) حدثني القاسم بن سلاّم قال: حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن أبي المهلب الصغاني عن أبي الأشعث الصغاني أو أبي عثمان الصغاني أن أبا عبيدة أقام بباب الجابية محاصراً لهم أربعة أشهر .
٢ - أما ابن عساكر فقد أخرج عن أبي عثمان الصغاني هذا قوله: حاصرنا دمشق فنزل يزيد بن أبي سفيان علىٰ باب الجابية ونزل خالد بن الوليد علىٰ باب الشرقي وكان أبو الدرداء في مسلحة برزة ، قال: فحاصرناها أربعة أشهر قال: وكان راهب دمشق قد طلب من خالد بن الوليد الصلح . . . إلخ وفيه: أن خالداً دخل صلحاً من باب الشرقي والتقىٰ (بيزيد بن أبي سفيان الذي دخلها قسراً من باب الصغير) عند المقسلاط ـ (مختصر تأريخ ابن عساكر ١/ ٢٠٣) .
٣ - وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي رحمه الله قال: كنت عند ابن سراقة حين أتاه أهل دمشق النصارىٰ بعهدهم فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل دمشق إني أمنتهم علىٰ دمائهم وأموالهم وكنائسهم ألاّ تُسكن ولا تهدم؛ شهد يزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة وقضاعي بن عامر وكتب في رجب من سنة أربع عشرة . (مختصر تأريخ ابن عساكر ١/ ٢٠٤) .
٤ - وأخرج ابن عساكر عن عباس بن سهل بن سعد أنه قال: تولىٰ أبو عبيدة حصار دمشق ، وولي خالد بن الوليد القتال على الباب الذي كان عليه وهو الباب الشرقي ، فحاصر دمشق بعد موت أبي بكر حولاً كاملاً وأياماً ، ثم إنه لما طال على صاحب دمشق انتظار مدد هرقل ورأى المسلمين لا يزدادون إلاّ كثرة وقوة . وأنهم لا يفارقونه أقبل يبعث إلىٰ أبي عبيدة بن الجراح يسأله الصلح ، وكان أبو عبيدة أحبّ إلى الروم وسكان الشام من خالد ، وأن يكون الكتاب منه أحبّ إليهم فكانت رسل صاحب دمشق إنما تأتي أبا عبيدة بن الجراح وخالد يلح علىٰ أهل الباب الذي يليه فأرسل صاحب الرجال إلىٰ أبي عبيدة فصالحه وفتح له باب الجابية وألح خالد بن الوليد علىٰ الباب الشرقي ففتحه عنوة فقال خالد لأبي عبيدة: اِسبهم فإني قد فتحتها عنوة. فقال أبو عبيدة: إني قد أمنتهم فتمم لهم أبو عبيدة الصلح وكتب لهم كتابه . . . (مختصر ابن عساكر ص ١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) .
=

= ٥ ـ وأخرج ابن عساكر عن أبي حذيفة قوله: وولي أبو عبيدة حصار دمشق وولي خالد بن الوليد القتال علىٰ باب الشرقي وولاه الخيل إذا كان يوم يجتمع فيه المسلمون للقتال فحاصروا دمشق بعد هلاك أبي بكر حولاً كاملاً وأياماً وساق الحديث (مختصر تأريخ ابن عساكر/ ١/ ٢٠٨).

٦ ـ وأخرج ابن عساكر أخبرنا أبو القاسم أن أبا الفضل عمر بن عبيد الله، أن علي بن محمد بن عبيد الله، نا حنبل بن إسحاق، نا عاصم بن علي، نا أبو معشر قال: استخلف أبو بكر في شهر ربيع الأول حين توفي رسول الله ﷺ ومات لثمان بقين من جمادى الآخرة يوم الإثنين في سنة ثلاث عشرة فكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلاّ عشر ليالٍ، قال: وكان فتح دمشق في العام المقبل في رجب سنة أربع عشرة. . . .إلخ (تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلد ٥٣) ص ٣٣٥ مؤسسة الرسالة تحقيق سكينة الشهابي).

٧ ـ وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٤٧٧/ت ٤٤١٨): وأخرج ابن سعد بسند حسن أن معاذ بن جبل بلغه أنّ بعض أهل الشام استعجز أبا عبيدة أيام حصار دمشق، ورجّح خالد بن الوليد فغضب معاذ وقال: بأبي عبيدة يظن، والله إنه لمن خيرة من يمشي علىٰ الأرض.

٨ ـ أما البلاذري فهو يرىٰ أن خالداً قد دخل دمشق صلحاً وأن أبا عبيدة أقره علىٰ ذلك وقال: يجيز علىٰ المسلمين أدناهم، وأجاز صلحه ـ والبلاذري يرى أن هذا أثبت من رواية فتحه عنوة من قبل خالد، وصلحاً من قبل أبي عبيدة ـ (فتوح البلدان/ ١٦٧) ولكن المحققين الفاضلين لكتاب البلاذري (عبد الله الطّباع وعمر الطّباع) قد ذكرا قولاً لمحمد بن عساكر وفيه:

اعتمد المؤلف علىٰ الرواية في فتح دمشق من باب الجابية عنوة بيد أبي عبيدة رضي الله عنه وأكدّ ذلك بقوله هنا والخبر الأول أثبت، وهو على الحقيقة أضعف الروايات في فتح دمشق والصحيح الثابت بالأخبار والآثار: أنّ خالداً رضي الله عنه دخلها من الباب الشرقي قسراً ودخلها أبو عبيدة سلماً من باب الجابية، هذا من حيث صحة الأخبار (حاشية فتوح البلدان/ ١٦٨).

٩ ـ وأخرج البلاذري: وحدثني القاسم بن سلام قال حدثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي، قال: دخل يزيد دمشق من الباب الشرقي صلحاً فالتقيا بالمقسلاط فأمضيت كلّها على الصلح (فتوح البلدان/ ١٦٩).

١٠ ـ وأخرج البلاذري: حدثني القاسم قال حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن أبي المهلب الصغاني عن أبي الأشعث الصغاني أن أبا عبيدة أقام بباب الجابية محاصراً لهم أربعة أشهر (فتوح البلدان/ ١٦٩).

١١ ـ أما الكلاعي فهو يرىٰ أن سيف بن عمر التميمي قد خالف في روايته التأريخية (ما تقدم

من المساق والتأريخ في أمر دمشق) ويشير الكلاعي إلىٰ رواية ابن إسحاق التي ذكرت فتح فحل قبل دمشق ـ ويقول الكلاعي: وزعم (أي سيف) أن فحلاً كانت بعد دمشق خلافاً لما ذكره ابن إسحاق أنها كانت قبلها وأن رافضة فحل هم الذين صاروا إلىٰ دمشق.

١٢ ـ أما ابن الجوزي فهو يرىٰ أن فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة في رجب، وكان حصارها ستة أشهر (المنتظم في فتوح البلدان/ ٤/ ١٤٣).

(خلاصـــة قولنا في فتـــح دمشق)

١ ـ يكاد يجمع المؤرخون المتقدمون ومن بعدهم على أن فتح دمشق كان في سنة (١٣ هـ).

٢ ـ اختلفت آراء المؤرخين في تحديد المعركة السابقة هل هي معركة فتح دمشق أم فحل، ومنشأ اختلافهما اختلاف رواية سيف بن عمر مع رواية ابن إسحاق وكلاهما ضعيف في إسناده.

٣ ـ وإذا اختلف المؤرخون في كون خالد فتح جزءاً من مدينة دمشق عنوة أو صلحاً وبعكسه فعل أبو عبيدة، فإنهم جميعاً اتفقوا علىٰ أن جزءاً منها فتح عنوة والآخر صلحاً ثم التقىٰ الجناحان داخل المدينة وكانت النتيجة النهائية هو إمضاء الصلح.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: واختلف العلماء في دمشق هل فتحت صلحاً أو عنوة؟ فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها علىٰ الصلح؛ لأنهم شكوا في المتقدم على الآخر أفتحت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة، أو فتحت صلحاً، أو اتفق الاستيلاء من الجانب الآخر قسراً؟ فلما شكوا في ذلك جعلوها صلحاً احتياطاً (البداية والنهاية ٧/ ٢٣).

٤ ـ ونحن لا نرىٰ غرابة في اختلاف الروايات (ونعني الروايات التي ذكرت كتاب الصلح باسم أبي عبيدة أو التي ذكرت ذلك باسم خالد). لأن الأمر الصادر من الخليفة بعزله النهائي شاع بعد فتح دمشق فلا ضير إن توجه قسم من الروم إلى خالد ليكتب لهم الصلح (وهو القائد الذائع الصيت بشجاعته المرهوب الجانب في الحروب). أو توجه قسم منهم إلىٰ أبي عبيدة ليمضي لهم الصلح.

وقال ابن كثير: ثم قيل: إن أبا عبيدة هو الذي كتب لهم كتاب الصلح وهذا هو الأنسب والأشهر، فإن خالداً كان قد عزل عن الإمارة، وقيل: بل الذي كتب لهم الصلح خالد بن الوليد، ولكن أقره علىٰ ذلك أبو عبيدة فالله أعلم (البداية والنهاية ٧/ ٢٣).

٥ ـ اختلفت الروايات في مدة الحصار (أي: حصار المسلمين لدمشق) فأقل الروايات ذكرت المدة سبعين يوماً وأكثرها حولاً أو يزيد.

٦ ـ إن النقلة السريعة التي نقل بها الإسلام جماعة الصحابة ومن تبعهم من التابعين تدل علىٰ عظمة عقيدة التوحيد التي ما إن تستقر في النفوس حتىٰ تتحول إلىٰ حركة ساعية للخير لا تبالي المصاعب والمشقات وحصار مدينة كدمشق محاطة بأسوار منيعة شيء جديد علىٰ الجيش

ذكر أمر فحل من رواية سيف:

قال أبو جعفر: ونذكر الآن أمر فحل إذ كان في الخبر الذي فيه من الاختلاف ما ذكرت من فتوح جند الشام والأمور التي تستنكر وقوع مثل هذا الاختلاف الذي ذكرته في وقته لقرب بعض ذلك من بعض.

= الفاتح ولكن ذلك الجديد لم يفتَّ من عضدهم وصبرهم وجهادهم ـ إن الناقد المنصف إذا تمعّن في الروايات التأريخية هذه يضحك علىٰ الذين يجعلون من الاقتصاد وغير ذلك دافعاً لجهاد المسلمين ومحفزاً يدفعهم نحو النصر ـ ألا هزلت أفكار المستشرقين ومن يتطفل علىٰ موائدهم ـ ألا إن السر كان في قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

مسألة تجريد خالد رضي الله عنه من نصف ما يملك

وذلك في خلافة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه

ذكرنا الرواية (٣/ ٤٣٦/ ٢٩٨) في قسم الضعيف ولكننا ذكرنا هنا في قسم الصحيح (بعد ذكر بيسان وطبرية) ما رواه ابن عساكر عن أبي الدرداء حين عاد خالداً في مرضه الأخير وفيه يقول خالد رضي الله عنه: [قد كنت وجدت عليه في نفسي من أمور لمّا تدبرتها في مرضي هذا عرفت: أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل؛ كنت وجدت عليه في نفسي حيث بعث إليّ من يقاسمني مالي حتىٰ أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل، فرأيته فعل ذلك بغيري من أهل السابقة ومن شهد بدراً، وكان يغلظ عليّ وكانت غلظته علىٰ غيري نحواً من غلظته عليّ، وكنت أدلّ عليه بقرابة، فرأيته لا يبالي قريباً، ولا لوم لائم في غير الله، فذاك الذي أذهب ما كنت أجد عليه] مختصر تأريخ دمشق لابن منظور (٨/ ٢٥) عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان به: وهذه الوقعة مفخرة من مفاخر التأريخ الإسلامي وخاصة الخلافة الراشدة إذ يعاقب الإمام الأعظم (الخليفة) أحد قادته ولا يبالي بالقرابة ولا بلومة لائم ويجرده من نصف ماله حتىٰ يأخذ منه أبسط الأشياء خشية أن يكون قد حاز شيئاً ولو يسيراً من مال المسلمين بغير حق، ولا يفرق بين قائد عسكري مرموق وبين أبسط شخص في الرعية، فأين هذه المفخرة من مخازي التأريخ الغربي قديماً وحديثاً وذلك عندما توضع الأوسمة والنياشين وتوزع الهبات والهدايا على قادة عسكريين ظلمة بمجرد انتصارهم في معركة من المعارك.

حقاً لا وجه للمقارنة بين الثرى والثريا.

فهؤلاء الصليبيون (ورثة الوثنية اليونانية) يقاتلون في سبيل الشيطان والمال والشهرة والجاه وغير ذلك فلا يهم عندهم أن يضعوا الأموال في غير محلها... أما الصحابة الكرام فهم خير خلق الله بعد الأنبياء... خرجوا جهاداً في سبيل الله وإعلاءً لكلمة الله...

ويا عجباً كيف تتحول المفخرة إلى شبهة عندما تُكتب بقلم من تتلمذ على موائد الغرب وتشرّب قلبه بالحقد علىٰ التأريخ الإسلامي وكل ما هو إسلامي، والحمد لله علىٰ نعمه التي أنعمها علىٰ هذه الأمة ومنها أنها أمة الإسناد كما قال الحافظ وغيره.

٩٣ _ فأما ما قال ابنُ إسحاق من ذلك وقصّ من قصّته ، فقد تقدّم ذكرِيه قبل . وأمَّا السَّرِيّ فإنَّه فيما كتب به إليّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان يزيد بن أسيِد الغسَّانيّ وأبي حارثة العبشمي ، قالا : خلَّف النَّاسُ بعد فتح دمشق يزيدَ بن أبي سفيان في خَيْله في دِمشق ، وساروا نحو فِحْل ، وعلى الناس شُرَحبيل بن حَسَنة ، فبعث خالداً على المقدّمة وأبا عبيدة وعمراً على مجنَّبتيه ، وعلى الخيل ضِرار بن الأزْور ، وعلى الرَّجْل عياض ، وكرهوا أن يصمُدوا لهرقل ، وخَلْفهم ثمانون ألفاً ، وعلِموا : أنّ مَنْ بإزاء فِحْل جُنَّة الرّوم وإليهم ينظرون ، وأن الشأم بعدهم سِلْم . فلما انتهوْا إلى أبي الأعور ، قدّموه إلى طَبَرِيَّة ، فحاصرهم ونزلوا على فِحْل من الأردن ، ـ وقد كان أهل فِحْل حين نزل بهم أبو الأعور تركوه وأرَزُوا إلى بَيْسان ـ فنزل شُرَحبيل بالناس فِحْلاً ، والروم بَيْسان ، وبينهم وبين المسلمين تلك المياه والأوحال ، وكتبوا إلى عمر بالخبر ، وهم يحدّثون أنفسهم بالمقام ، ولا يريدون أن يَرِيموا فِحْلاً حتَّى يرجع جواب كتابهم من عند عمر ، ولا يستطيعون الإقدام على عدوِّهم في مكانهم لما دونهم من الأوحال ؛ وكانت العرب تسمّي تلك الغزاة فِحْلاً وذاتَ الرَّدَغة وبَيْسان ، وأصاب المسلمون من ريف الأردنّ أفضلَ ممَّا فيه المشركون ؛ مادّتهم متواصِلة ، وخصبهم رَغْد ؛ فاغترّهم القوم ، وعلى القوم سَقِلّار بن مِخْراق ؛ ورجوا أن يكونوا على غِرَّة ، فأتوْهم والمسلمون لا يأمنون مجيئهم ، فهم على حَذَر . وكان شُرَحبيل لا يبيت ولا يصبح إلاّ على تعبية ، فلمَّا هجموا على المسلمين غافصوهم ، فلم يناظروهم ، واقتتلوا بفِحْل كأشدّ قِتال اقتتلوه قطّ ليلتَهم ويومَهم إلى الليل ، فأظلم الليلُ عليهم وقد حاروا ، فانهزموا وهم حيارَى ، وقد أصيب رئيسهم سَقلّار بن مخراق ؛ والذي يلِيه فيهم نسطورس ، وظفِر المسلمون أحسنَ ظفر وأهنأه ، وركبوهم وهم يرَون أنهم على قَصْد وجدَد ، فوجدوهم حيارَى لا يعرفون مأخذهم ، فأسلمتهم هزيمتُهم وحَيْرتهم إلى الوَحَل ، فركبوه ، ولحق أوائل المسلمين بهم ؛ وقد وحِلوا فركبوهم ؛ وما يمنعون يد لامس ؛ فوخَزُوهم بالرّماح ، فكانت الهزيمة في فِحْل ؛ وكان مقتلهم في الرّداغ ، فأصيب الثمانون ألفاً ، لم يُفلِت منهم إلاّ الشريد ؛ وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون ، كرهوا البُثوق فكانت عوناً لهم على عدوّهم ، وأناةً من الله ليزدادوا بصيرة وجِدّاً ،

واقتسموا ما أفاء الله عليهم ، وانصرف أبو عبيدة بخالد من فِحْل إلى حِمْص ، وصرفوا سُمَيْر بن كعب معهم ، ومضَوْا بذي الكَلاع ومَن معه ، وخلّفوا شُرَحبيل ومَن معه[١]. (٣: ٤٤٢/ ٤٤٣) .

ذكر بَيْســـان

٩٣/ أ ـ ولمَّا فرغ شُرَحبيل من وقعة فِحْل ؛ نَهَد في النَّاس ومعه عمرو إلى أهل بَيْسَان ، فنزلوا عليهم ، وأبو الأعور والقوّاد معه على طَبريَّة ، وقد بلغ أفناءَ أهل الأردنّ ما لقيت دمشق ، وما لقي سقلّار والرّوم بفِحْل وفي الردَغة ، ومسيرُ شرحبيل إليهم ، ومعه عمرو بن العاص والحارث بن هشام وسُهيل بن عمرو ،

---

(١) إسناده ضعيف.
ولقد تحدثنا عن فتح دمشق بالتفصيل وسنزيد هنا مالم نذكره هناك مع إضافة الحديث عن فحل دمشق والله أعلم:
جاء في المعرفة والتأريخ ليعقوب الفسوي عند الحديث عن أحداث سنة (١٣ هـ) ضمن خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه ما يلي:
أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السلمي ، نا أبو بكر الخطيب ح ، وأخبرنا أبو القاسم السمرقندي ، نا أبو بكر بن الطبري ، قالا: أنبأنا أبو الحسن بن الفضل القطان ، أنا عبد الله بن جعفر ، نا يعقوب ، نا حامد بن يحيىٰ ، نا صدقة ـ يعني: ابن سابق ـ عن محمد بن إسحاق قال: استخلف عمر على رأس اثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً من مهاجر رسول الله ﷺ وكان أمر الناس إلى خالد بن الوليد والأمراء على منازلهم فساروا قبل فِحل من الأردن ، وكانت فِحل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ، وعلى رأس ستة أشهر من خلافة عمر ـ (المعرفة والتأريخ ٣/ ٢٩٥).
ثم ذكر رواية أخرىٰ: قال: ونا يعقوب ، حدثني سلمة عن أحمد بن حنبل ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر: قال: وكانت فحل في ولاية عمر لستة أشهر مضين منها. (المعرفة والتأريخ ٣/ ٢٩٥).
ثم ذكر رواية ثالثة: قال: ونا يعقوب ، نا إبراهيم ، نا محمد بن فليح عن موسىٰ بن عقبة ، عن ابن شهاب ، وقال حسان بن عبد الله بن لهيعة: عن أبي الأسود عن عروة قالا: كانت وقعة أجنادين وفحل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ولما توفي أبو بكر واستخلف عمر نزع خالد بن الوليد وأمّر أبا عبيدة بن الجراح على الأجناد (المعرفة والتأريخ ٣/ ٢٩٦) وهذه روايات منها معضلة ، ومنها ما هي مرسلة ولكنها متعددة المخارج تذكر جميعها: أن وقعة فحل كانت سنة (١٣ هـ) والله تعالى أعلم بالصواب.

يريد بيسان؛ وتحصّنُوا بكلّ مكان ، فسار شُرَحبيل بالنَّاس إلى أهلِ بَيْسان ، فحصروهم أياماً ، ثم إنَّهم خرجُوا عليهم فقاتلوهم ، فأناموا مَن خرج إليهم ، وصالحوا بقيَّة أهلها ، فقبِل ذلك على صلْح دمشق. (٣: ٤٤٣) .

طبَرِيَّــــة

٩٣/ ب ـ وبلغ أهلَ طَبرِيّة الخبر ، فصالحوا أبا الأعور ، على أن يبلغهم شُرَحبيل ، ففعل؛ فصالحوهم وأهل بَيْسان على صلح دمشق؛ على أن يشاطروا المسلمين المنازلَ في المدائن ، وما أحاط بها ممَّا يصلُها ، فيدَعون لهم نصفاً ، ويجتمعون في النِّصف الآخر ، وعن كلّ رأس دينار كلَّ سنة ، وعن كلّ جريب أرض جَريب بُرّ أو شعير؛ أيّ ذلك حُرِث؛ وأشياء في ذلك صالحوها عليه ، ونزلت القوّاد وخيولُهم فيها ، وتمّ صلح الأردنّ ، وتفرّقت الأمداد في مدائن الأردنّ وقراها ، وكُتب إلى عمر بالفتح[1]. (٣: ٤٤٤) .

---

(١) واضح من خلال سرد الطبري لخبر بيسان وطبرية أنه تكملة لرواية سيف (٣/ ٤٤٢/ ٣٠٤) ولم نجد عند غيره (أي: سيف) هذه التفاصيل إلاّ أن لأصل الخبر شاهداً (ويعني فتح بقية الأردن عنوة خلا طبرية) فقد:

١ ـ أخرج ابن عساكر عن خليفة قال: وحدثني عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال: افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه ، وذلك بأمر أبي عبيدة (تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر/ المجلد ٥٣/ ص ٣٣٦).

٢ ـ في تأريخ خليفة: حدثنا عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال: صالحهم أبو عبيدة علىٰ أنصاف كنائسهم ومنازلهم وعلىٰ رؤوسهم علىٰ ألا يمنعوا من أعيادهم ولا يهدم شيء من كنائسهم ، صالح علىٰ ذلك أهل المدينة وأخذ سائر الأرض عنوة. (تأريخ خليفة/ ١٢٦).

٣ ـ وأخرج البلاذري قال: وحدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن عدة ، منهم: أبو بشر مؤذن مسجد دمشق: أن المسلمين لما قدموا الشام. . . الخبر وفيه: ثم ولي أبو عبيدة بن الجراح أمر الشام كلّه وأمّره الأمراء في الحرب والسلم من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه لما استخلف كتب إلىٰ خالد بن الوليد بعزله وولىٰ أبا عبيدة ، ففتح شرحبيل بن حسنة طبرية صلحاً بعد حصار أيّام علىٰ أن أمن أهلها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكنائسهم ومنازلهم إلاّ ما جلوا عنه وخلّوه ، واستثنىٰ لمسجد المسلمين موضعاً ، ثم إنهم نقضوا في خلافة عمر ، واجتمع إليهم قوم من الروم وغيرهم ، فأمر أبو عبيدة عمرو بن العاص ، بغزوهم فسار إليهم في أربعة آلاف فافتتحها علىٰ مثل صلح شرحبيل ويقال: بل فتحها شرحبيل ثانية ، وفتح شرحبيل جميع مدن الأردن وحصونها =

علىٰ هذا الصلح فتحاً يسيراً بغير قتال، ففتح بيسان وفتح موسية وفتح أفيق وجُرَش وبيت رأس وقَدَس، والجولان وغلب علىٰ سواد الأردن وجميع أرضها.

قال أبو حفص: قال أبو محمد سعيد بن عبد العزيز: وبلغني: أن الرضين بن عطاء قال: فتح شرحبيل عكا وصور وصفّورية، وقال أبو بشر المؤذن: إن أبا عبيدة وجّه عمرو بن العاص إلى سواحل الأردن فكثر به الروم، وجاءهم المدد من ناحية هرقل وهو بالقسطنطينية فكتب إلىٰ أبي عبيدة يستمده فوجّه أبو عبيدة يزيد وعمرو إلى سواحل الأردن، فكتب أبو عبيدة بفتحها لهما وكان لمعاوية في ذلك بلاء حسن وأثر جميل. (فتوح البلدان/ ١٦٠).

٤ - وقال ابن عساكر (بعد أن ذكر رواية خليفة عن المغيرة في فتح الأردن كلها عنوة خلا طبرية):

وقال ابن الكلبي نحوه وقالا (أي: خليفة والكلبي): ـ وبعث أبو عبيدة خالد بن الوليد فغلب على أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً، (تأريخ مدينة دمشق مجلد ٥٣/ ٣٣٦). وكذلك قال ابن كثير: قال خليفة بن خياط: حدثني عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال: افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه. وهكذا قال ابن الكلبي وقالا (أي: خليفة والكلبي): بعث أبو عبيدة خالداً فغلب علىٰ أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً (البداية والنهاية ٧/ ٢٥).

الأسباب الحقيقية وراء عزل سيدنا عمر لخالد رضي الله عنه:

١ - لقد كتب الله النصر لسيفه المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه في المعارك الواحدة تلو الأخرىٰ حتىٰ أنه أصبح في نظر أعداء الله أسطورة وبطلاً خارقاً فكان قادة الروم يتصورونه سيفاً أنزله الله من السماء علىٰ رسوله محمد ﷺ، ويبدو: أن سيدنا عمر رضي الله عنه خشيَ أن تنتقل هذه الفكرة إلى أوساط الجيش الإسلامي وتترسخ في أذهانهم فكرة الربط بين الانتصارات هذه وقيادة خالد لجيوش الفتح. ولم يكن عمر يخشىٰ ذلك علىٰ الصحابة وإنما من دخل بعدهم ممن دخل الإسلام حديثاً وقد سبق أن ذكرنا رواية ابن سعد أن بعض (أهل الشام) استعجز أبا عبيدة حصار دمشق ورجّح خالد بن الوليد فغضب معاذ وقال: أبأبي عبيدة يُظَنّ! والله إنه لمن خيرة من يمشي علىٰ الأرض. وحسن الحافظ إسناده (الإصابة ٣/ ٤٧٧/ ت ٤٤١٨).

فأراد عمر رضي الله عنه أن يمحو هذا الوهم من أذهان الناس ويبين لهم عملياً أن النصر من عند الله وليس من عند خالد وإنما هو (أي خالد) عامل من بين عوامل كثيرة من عوامل النصر وجندي من جنوده سبحانه لا يحصيها إلا هو ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

وأخرج خليفة بن خياط من طريق معاذ عن ابن عون عن محمد قال: لما ولي عمر قال: لأعزلن خالداً حتىٰ يعلم: أن الله إنما ينصر دينه (تأريخ خليفة/ ١٢٢) وأخرج ابن سعد في طبقاته الكبرىٰ (٣/ ٢٨٤) أخبرنا عفان بن مسلم قال: أخبرنا حماد بن زيد قال: أخبرنا أيوب

عن محمد بن سيرين قال: قال عمر بن الخطاب: لأعزلن خالد بن الوليد والمثنى مثنىٰ بن شيبان حتى يعلما أن الله إنما كان ينصر عباده وليس إياهما كان ينصر.
وهذا إسناد مرسل صحيح ومتنه يؤدي إلى معنىٰ آخر وهو خشية عمر من أن يدخل العجب إلىٰ قلبيهما (خالد والمثنى) فأراد أن يبعدهما عن هذا التلبيس خشية أن يقعوا فيه، والصحابة وإن كانوا عدولاً ولكنهم غير معصومين والله تعالى أعلم.
٢ - وإذا كان لعزل خالد سبب آخر فنراه والله أعلم ما ذكره الحافظ وغيره من أن طريقة تعامل أبي بكر رضي الله عنه مع عماله وقادته تختلف عن طريقة عمر رضي الله عنه وذلك من سعة أصول السياسة الشرعية التي تعاملا بها رضي الله عنهما، فعمر كان يفرض على قادته وأمرائه أن يرجعوا إليه في كل صغيرة وكبيرة بينما الصديق كان يترك صغائر الأمور ودقائقها لقادته بعد أن يختار الرجل المناسب منهم في المكان المناسب.
قال الزبير بن بكار (وهو أحد أئمة التأريخ الإسلامي من المتقدمين): وحدثني محمد بن مسلم، عن مالك بن أنس. قال: قال عمر لأبي بكر اكتب إلى خالد لا يعطي شيئاً إلاّ بأمرك، فكتب إليه بذلك فأجابه خالد: إما أن تدعني وعملي وإلاّ فشأنك بعملك، فأشار عليه عمر بعزله فقال أبو بكر: فمن يجزي عني جزاء خالد؟ قال عمر: أنا. قال: فأنت. فتجهز عمر حتىٰ أنيخ الظهر في الدار فمشىٰ أصحاب النبيﷺ إلى أبي بكر فقالوا: ما شأن عمر يخرج وأنت محتاج إليه ومالك عزلت خالداً وقد كفاك. قال: فما أصنع؟ قالوا: تعزم علىٰ عمر فيقيم وتكتب إلىٰ خالد فيقيم علىٰ عمله ففعل، فلما ولِّيَ عمر كتب إلى خالد: ألاّ تعطى شاة ولا بعيراً إلا بأمري، فكتب إليه خالد بمثل ما كتب إلى أبي بكر. فقال عمر: ما صدقت الله؛ إن كنت أشرت علىٰ أبي بكر بأمرٍ فلم أنفذه. فعزله (الإصابة ٢/ ٢١٩/ ت ٢٢٠٦).
ولقد توفي خالد رضي الله عنه وقد أيقن أن أمير المؤمنين عمر هو خير من يجعله وصياً علىٰ تركته (قد جعلت وصيتي وتركتي وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطاب) (ابن عساكر/ ترجمة خالد).
٣ - لقد كان خالد رضي الله عنه كأي قائد (عسكري ميداني) ينظر إلىٰ الأمور ويتفاعل معها بنظرة عسكرية. أما الخليفة عمر رضي الله عنه فكان يرىٰ الأمور ويسوسها بنظرة أكثر شمولية سياسية وعسكرية وغير ذلك وليس نظرة عسكرية فقط، فأصول السياسة الشرعية التي كان عمر يتعامل بها لا تختص بالجانب العسكري فقط وإنما جوانب أخرىٰ مجتمعة، وليس غريباً في التأريخ البشري الطويل وحتى يومنا هذا أن يعزلَ الرؤساءُ قادةَ الجيش، ويستبدلونهم بين الآونة والأخرىٰ، ولا يلزم في ذلك دائماً الأغراض والعوامل النفسية وما إلىٰ ذلك (فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بأحد الخلفاء الراشدين الذين أمرنا رسول اللهﷺ أن نتبع سنتهم وبالإضافة إلى ذلك فهم صحابة أجمع العلماء علىٰ عدالتهم سلفاً وخلفاً).

ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبي عبيد بن مسعود

٩٤ ـ قال أبو جعفر: وقد مضى ذكري ما رُوِي عن سيف، عَمَّن رَوى عنه؛ أنّ وقعة اليرموك كانتْ في سنة ثلاث عشرة؛ وأنّ المسلمين وَرَد عليهم البريد بوفاة أبي بكر باليَرْموك، في اليوم الذي هُزِمت الروم في آخره، وأنّ عمر أمرهم بعد فراغهم من اليَرْموك بالمسير إلى دمشق، وزعم أنّ فِحْلاً كانت بعد دمشق؛ وأنّ

= والمتدبر للروايات التأريخية يتبيّن: أن حروب الردة وشراستها كانت تقتضي من القيادة الإسلامية في المدينة والمتمثلة بسيدنا أبي بكر رضي الله عنه أن تختار رجلاً عسكرياً شديداً جداً نظراً لخطورة الموقف وحراجته، وقد ارتدت الجزيرة جُلّها سوىٰ مكة والمدينة وشيئاً مما حولهما ـ وكذلك بعد حروب الردة وبداية معارك الفتوح في العراق والشام، فلم يعهد المسلمون في معاركهم السابقة شراسة الفرس وطول صبرهم وكثرة عددهم، ولم يعهدوا كذلك جيوشاً نظامية هائلة الأعداد والعتاد كجيوش الروم، فكان لابد أن يكون رأس الحربة رجالاً أشداء كخالد، كأنهم خلقوا للمجالدة والمبارزة واقتحام قلب العدو. ولكن الأمور اختلفت بعد فتح قسط كبير من بلاد الشام والعراق وأصبحت طوائف وأقوام كثيرة تحت حكم المسلمين فكان لابد أن يروا بأم أعينهم رحمة الإسلام وشفقته ويده الحانية، فتألف قلوبهم الإسلام ويعتنقوه، فكان الرجل المناسب هو أبو عبيدة رضي الله عنه أمين هذه الأمة.

وإن كان خالد خلال تلك المعارك (كقائد ميداني) لم يبلغ في تقييمه للأمور سعة إدراك عمر كخليفة وكقائد عام لجميع الجيوش، فإن خالداً رضي الله عنه قد أدرك في نهاية حياته ما أدركه عمر فأنصفه وتكلم بكلمات تُكمم أفواه المستشرقين وأعداء التأريخ الإسلامي. فقد أخرج ابن عساكر (ترجمة خالد) رحمه الله: دخل أبو الدرداء علىٰ خالدٍ في مرض موته، فقال له خالد: يا أبا الدرداء لئن مات عمر؛ لترين أموراً تنكرها، فقال أبو الدرداء: وأنا والله أرىٰ ذلك. فقال خالد: قد وجدت عليه في نفسي في أمور، لما تدبّرتها في مرضي هذا وحضرني من الله حاضر؛ عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل، كنت وجدت عليه في نفسي حين بعث إليّ من يقاسمني مالي حتىٰ أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل، ولكنه فعل ذلك بغيري من أهل السابقة وممن شهد بدراً، وكان يغلظ عليّ، وكانت غلظته علىٰ غيري نحواً من غلظته عليّ، وكنت أدلّ عليه بقرابته، فرأيته لا يبالي قريباً ولا لوم لائم في غير الله. فذلك الذي أذهب عني ما كنت أجد عليه، وكان يكثر عليّ عنده، وما كان ذلك إلا علىٰ النظر: فقد كنت في حرب ومكابدة وكنت شاهداً وكان غائباً، فكنت أعطي علىٰ ذلك، فخالفه ذلك من أمري.

[مختصر تأريخ دمشق لابن عساكر] (٨/ ٢٥) عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان به.

حروباً بعد ذلك كانت بين المسلمين والرُّوم سوى ذلك ، قبل شخوص هِرَقل إلى قسطنطينية؛ سأذكرها إن شاء الله في مواضعها.

وفي هذه السنة ـ أعنِي سنة ثلاث عشرة ـ وجَّه عمر بن الخطاب أبا عُبيد بن مسعود الثقفيّ نحو العراق. وفيها استُشهد في قول الواقديّ.

وأمَّا ابن إسحاق؛ فإنه قال: كان يوم الجِسْر ، جِسْرِ أبي عُبيد بن مسعود الثَّقَفيّ في سنة أربع عشرة[١] . (٣: ٤٤١/ ٤٤٢) .

٩٥ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيْف بنِ عمر ، عن سهل ، عن القاسم ومُبشِّر ، عن سالم ، قال: كان أوّلَ بعث بعثه عمر بعثُ أبي عبيد ، ثم بعث يعلَى بن أميَّة إلى اليمن وأمَره بإجلاء أهل نجْران ، لوصيَّة رسولِ الله ﷺ في مرضه بذلك ، ولوصيَّة أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضِه ، وقال: ائْتِهِم ولا تفتنْهم عن دينهم ، ثمّ أجْلهم؛ مَن أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامْسح أرض كلّ مَنْ تُجْلِي منهم ، ثمّ خيّرهم البلدان ، وأعْلِمهم أنَّا نُجليهم بأمر الله ورسوله؛ ألاّ يُتْرك بجزيرة العرب دينان؛ فلْيخرجوا؛ مَن أقام على دينه منهم؛ ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم ، إقراراً لهم بالحقّ على أنفسنا ، ووفاء بذمَّتهم فيما أمر الله من ذلك بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالرّيف[٢] . (٣: ٤٤٦) .

خبر النّمــــارق

٩٦ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ومبشّر بإسنادهما ، ومُجالدٍ عن الشعبيّ ، قالوا: فخرج أبو عُبيد ومعه سعد بن عبيد ، وسَلِيط بن قيس؛ أخو بني عديّ بن النجار ، والمثنَّى بن حارثة أخو بني شيبان ، ثم أحد بني هند[٣] . (٣: ٤٤٦) .

---

(١) إسناده ضعيف ولكن متنه صحيح كما سنرىٰ بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف وله ما يقويه (أي الشطر المتعلق ببعث أبي عبيد) أما الشطر الثاني منه (أي إجلاء أهل نجران) فسنرجع إليه في حينه إن شاء الله.

(٣) إسناده ضعيف وهو صحيح كما سنذكر بعد قليل عن حديثنا عن واقعة الجسر إن شاء الله.

٩٧ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن الصلت بن بهرام ، عن أبي عمران الجُعْفيّ ، قال: ولَّت حربَها فارس رُستَمَ عشر سنين ، وملَّكوه ، وكان منجّماً عالماً بالنجوم ، فقال له قائل: ما دعاك إلى هذا الأمر وأنت ترى ما ترى! قال: الطَّمَع وحبّ الشَّرَف. فكاتب أهل السَّواد ، ودسّ إليهم الرؤساء ، فثاروا بالمسلمين؛ وقد كان عهد إلى القوم: أنّ الأمير عليكم أوّل مَنْ ثار ، فثار جابان في فُرات بَادَقْلَى ، وثار الناس بعده ، وأرَز المسلمون إلى المثنَّى بالحيرة ، فصمد لِخَفَّان ، ونزل خَفَّان حتى قدم عليه أبو عبيد وهو الأمير على المثنَّى وغيره ، ونزل جابان النَّمارق ، فسار إليه أبو عبيد من خَفَّان ، فالتقوْا بالنّمارق؛ فهزم الله أهلَ فارس ، وأصابوا منهم ما شاؤوا وبَصُر مَطَر بن فضّة ـ وكان ينسب إلى أمّه ـ وأبَيٌّ برجل عليه حَليٌ؛ فشدّا عليه فأخذاه أسيراً ، فوجداه شيخاً كبيراً فزهد فيه أبيّ ورغب مَطرَ في فدائه ، فاصطلحا على أنّ سلبه لأبيّ ، وأن إساره لمَطر ، فلما خَلص مطر به ، قال: إنّكم معاشر العرب أهل وفاء ، فهل لك أن تؤمّني وأعطيَك غلامَيْن أمرديْن خفيفين في عملك وكذا وكذا! قال: نعم ، قال: فأدخِلْني على مَلِككم؛ حتى يكون ذلك بمشهد منه ، ففعل فأدخله على أبي عبيد ، فتمَّ له على ذلك؛ فأجاز أبو عبيد ، فقام أبيّ وأنَاس من ربيعة؛ فأما أبيّ فقال: أسرتُه أنا وهو على غير أمان؛ وأمَّا الآخرون فعرفوه ، وقالوا: هذا الملك جابان؛ وهو الذي لقينا بهذا الجمع ، فقال: ما تروْني فاعلاً معاشر ربيعة؟ أيؤمِّنه صاحبكم وأقتله أنا! معاذ الله من ذلك! وقسَّم أبو عبيد الغنائم ، وكان فيها عِطْر كثير ونَفَل ، وبعث بالأخماس مع القاسم[1]. (٣: ٤٤٩/ ٤٥٠).

السَّقاطيـــة بكَسْـــكر

٩٨ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا: وقال أبو عبيد حين انهزموا وأخذوا نحو كَسْكَر ليلجؤوا إلى نَرْسِي ـ وكان نَرْسِي ابن خالة كسرى؛ وكانت كسكر قطيعة له ، وكان النَّرْسِيان له ، يحميه لا يأكله بشرٌ ، ولا يغرسه غيرهم أو ملك فارس إلاّ مَنْ

(١) إسناده ضعيف وله ما يقويه كما سنذكر.

أكرموه بشيء منه ، وكان ذلك مذكوراً من فِعْلهم في النَّاس ، وأنّ ثَمرهم هذا حِمىً ، فقال له رستم وبوران : اشخص إلى قطيعتك فاحمها من عدوّك وكن رجلاً ، فلمَّا انهزم الناس يوم النَّمارق ، ووجَّهت الفالَّة نحو نَرْسي ـ ونَرْسي في عسكره ـ نادى أبو عبيد بالرّحيل ، وقال للمجرّدة : اتبعوهم حتى تُدخِلوهم عسكر نَرْسِي ، أو تبيدوهم فيما بين النَّمارق إلى بارق إلى دُرْنا . وقال عاصم بن عمرو في ذلك :

لَعَمْرِي وما عمري عَلَيَّ بِهَيِّنٍ لَقَدْ صُبِّحَتْ بِالخِزْي أهلُ النَّمارِقِ
بأيْدِي رِجالٍ هاجروا نحو ربِّهمْ يجوسونهم ما بين دُرْنا وبارِقِ
قتلناهُم ما بين مَرْجٍ مُسَلَّح وبين الهَوافِي من طريق البَذارِقِ

ومضى أبو عُبَيْد حين ارتحلَ من النَّمارق حتى ينزل على نَرْسِي بكَسْكر ـ ونَرْسِي يومئذ بأسفل كَسْكر ـ والمثنَّى في تعبيته الّتي قاتل فيها جابان ، ونَرْسي على مجنَّبتيه ابنا خاله ـ وهما ابنا خال كسرى بِنْدَوَيْه وتِيرَويه ابنا بسْطام ـ وأهل بارُوسْما ونهر جَوْبَر والزّوابي معه إلى جنده ، وقد أتى الخبر بُوران ورستمَ بهزيمة جابان ، فبعثوا إلى الجالِنُوس ، وبلغ ذلك نَرْسِي وأهل كَسْكَر وبارُوسْما ونهر جَوْبَر والزّاب ، فرجوا أن يلحق قبل الوقعة ، وعاجَلَهم أبو عُبيد فالتقوْا أسفلَ من كَسْكر بمكان يدعى السَّقاطية فاقتتلوا في صحاريَ مُلْس قتالاً شديداً ، ثمّ إنّ الله هزم فارس ، وهرب نَرْسِي ، وغُلِب على عسكره وأرضه ، وأخرب أبو عبيد ما كان حول معسكرهم من كسكر ، وجمع الغنائم ، فرأى من الأطعمة شيئاً عظيماً ، فبعث فيمَن يليه من العرب فانتفلوا ما شاؤوا ، وأخذت خزائن نَرْسِي؛ فلم يكونوا بشيء ممَّا خزن أفرح منهم بالنّرسِيان؛ لأنّه كان يحميه ويمالئه عليه ملوكهم؛ فاقتسموه فجعلوا يُطعمونه الفلاحين؛ وبعثوا بخُمسه إلى عمر ، وكتبوا إليه : إنّ الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها ، وأحببنا أن تروها ، ولتذكروا إنعام الله وإفضاله .

وأقام أبو عبيد وسرّح المثنَّى إلى بارُوسما ، وبث والقاً إلى الزَّوابي وعاصِماً إلى نهر جَوْبر؛ فهزموا مَن كان تجمّع وأخربوا وسبوْا ، وكان ممَّا أخرب المثنَّى وسَبى أهل زَنْدَوَرْد وبسوسيا ، وكان أبو زَعْبل من سَبْي زَنْدوَرْد؛ وهرب ذلك الجند إلى الجالِنوس ، فكان ممَّن أسر عاصم أهل بيتيق من نهر جوبر ، وممَّن

أسر والق أبو الصَّلْت ، وخرج فرُّوخ وفَرْوَنداذ إلى المثنَّى ، يطلبان الجزاء والذّمة ، دفعاً عن أرضهم ، فأبلغهما أبا عبيد: أحدهما بارُوسْما والآخر نهر جوبر ، فأعطياه عن كلّ رأس أربعة ، فرّوخ عن باروسما وفرونداذ عن نهر جَوْبر ، ومثل ذلك الزّوابي وكَسْكر ، وضمّنا لهم الرّجال عن التعجيل ، ففعلوا وصاروا صُلْحاً ، وجاء فرُّوخ وفرونداذ إلى أبي عُبيد بآنية فيها أنواع أطعمة فارس من الألوان والأخبصة وغيرها؛ فقالوا: هذه كرامة أكرمناك بها ، وقِرًى لك. قال: أأكرمتم الجند وقريتمُوهم مثله؟ قالوا: لم يتيسَّر ونحن فاعلون؛ وإنما يتربَّصون بهم قدوم الجالِنُوس وما يصنع ، فقال أبو عُبيد: فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند ، فردّه ، وخرج أبو عُبيد حتى ينزل ببارُوسما فبلغه مسير الجالِنوس[1]. (٣: ٤٥٠/ ٤٥١/ ٤٥٢).

٩٩ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السريّ الضّبيّ ، قال: فأتاه الأنْدَرْزَغَر بن الخركبذ بمثل ما جاء به فرُّوخ وفرونداذ. فقال لهم: أأكرمتُم الجند بمثلِه وقريتموهم؟ قالوا: لا ، فردّه ، وقال: لا حاجة لنا فيه؛ بئس المرءُ أبو عبيد؛ إن صحب قوماً من بلادهم أهراقوا دماءَهم دُونه ، أو لم يُهريقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه! لا والله لا يأكل ممَّا أفاء الله عليهم إلا مثْل ما يأكل أوساطهم[2]! (٣: ٤٥٢).

١٠٠ ـ قال أبو جعفر: وقد حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق بنحو من حديث سيف هذا عن رجاله في توجِيه عمر المثنَّى وأبا عبيد بن مسعود إلى العراق في حرب مَن بها من الكُفَّار وحروبهم ، ومن حاربهم بها؛ غير أنه قال: لما هُزِم جالنوس وأصحابه ، ودخل أبو عبيد باروسما ، نزل هو وأصحابه قريةً من قراها؛ فاشتملت عليهم ، فصُنع لأبي عبيد طعامٌ فأُتِيَ به؛ فلمَّا رآه قال: ما أنا بالذي آكل هذا دون المسلمين! فقالوا له: كُلْ فإنَّه ليس من أصحابك أحدٌ إلا وهو يؤتَى في منزله بمثل هذا أو أفضل؛ فأكل ، فلمَّا رجعوا إليه سألهم عن طعامهم ، فأخبروه بما جاءهم من الطعام[3]. (٣: ٤٥٢).

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر شواهده الصحيحة إن شاء الله.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف وسنذكر شواهده بعد قليل.

١٠١ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا: وقد كان جابان ونَرْسِي استمدّا بوران ، فأمدتهما بالجالنوس في جُنْدجابان ، وأمِر أن يبدأ بنَرْسي؛ ثم يقاتل أبا عُبيد بعد ، فبادره أبو عُبيد ، فنهض في جنده قبل أن يدنُوَ ، فلمَّا دنا استقبله أبو عبيد ، فنزل الجالِنُوس بباقُسياثا من بارُوسما ، فنَهد إليه أبو عُبيد في المسلمين؛ وهو على تعبيته؛ فالتقوْا على باقُسياثا ، فهزمهم المسلمون وهرب الجالنوس ، وأقام أبو عُبيد ، قد غلَب على تلك البلاد[١] . (٣: ٤٥٢/ ٤٥٣) .

١٠٢ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضرْ بن السريّ ، والمجالد بنحو من وقعة باقُسياثا[٢] . (٣: ٤٥٣) .

وقعة القَرْقس

١٠٣ ـ ويقال لها: القُسّ قَسّ النَّاطِف ، ويقال لها: الجِسر ، ويقال لها: المَرْوحَة .

قال أبو جعفر الطبريّ رحمه الله: كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا: ولمَّا رجع الجالنوس إلى رستمَ ومَن أفلت من جنوده ، قال رستم: أيُّ العجم أشدّ على العرب فيما ترون؟ قالوا: بَهْمَن جاذويه؛ فوجهه ومعه فيَلة وردّ الجالِنوس معه ، وقال له: قدّم الجالنوس ، فإن عاد لمثلها فاضرب عنقه ، فأقبل بهمن جاذويه ومعه «دِرَفْش كابيان» راية كسرى ـ وكانت من جلود النَّمِر ، عرض ثمانية أذرع في طول اثني عشر ذراعاً ـ وأقبل أبو عبيد ، فنزل المَرْوحة ، موضع البُرْج والعاقول ، فبعث إليه بهمن جاذويه: إمّا أن تعبروا إلينا ونَدَعكم والعبور وإمّا أن تَدَعونا نعبر إليكم! فقال الناس: لا تعبر يا أبا عُبيد ، ننهاك عن العبور ! وقالوا له: قل لهم: فليعبروا ـ وكان من أشدّ الناس عليه في ذلك سَلِيط ـ فلجّ أبو عبيد ، وترك الرّأي ، وقال: لا يكونون أجرأ على الموت منّا؛ بل نعبُر إليهم ، فعبروا إليهم وهم في منزل

---

(١) إسناده ضعيف وستتحدث عنه بعد قليل .

(٢) إسناده ضعيف وراجع الحديث عن واقعة الجسر بعد قليل .

ضيّق المطّرد والمذهب ، فاقتتلوا يوماً ـ وأبو عبيد فيما بين الستّة والعشرة ـ حتى إذا كان من آخر النهار ، واستبطأ رجلٌ من ثَقِيف الفتح ، ألّف بين الناس ، فتصافحوا بالسيوف وضرب أبو عبيد الفيل ، وخبط الفيلُ أبا عبيد ، وقد أسرعت السيوف في أهلِ فارس ، وأصيب منهم ستة آلاف في المعركة ، ولم يبقَ ولم يُنتظر إلا الهزيمة ، فلما خُبِط أبو عبيد ، وقام عليه الفيل جالَ المسلمون جولَة ، ثم تمّوا عليها ، وركبهم أهلُ فارس ، فبادر رجل من ثَقِيف إلى الجسر فقطعه ، فانتهى النَّاس إليه والسيوف تأخذهم من خَلْفهم ، فتهافتوا في الفرات ، فأصابوا يومئذ من المسلمين أربعة آلاف؛ من بين غريق وقتيل ، وحمى المثنَّى الناس وعاصمٌ والكلَج الضّبِّي ومذعور ، حتى عقدوا الجسر وعبّروهم ثم عبروا في آثارهم ، فأقاموا بالمروحة والمثنّى جَرِيح ، والكلَج ومذعور وعاصم ـ وكانوا حماة الناس ـ مع المثنَّى ، وهرب من الناس بشرٌ كثير على وجوههم؛ وافتضحوا في أنفسهم ، واستحيَوْا ممَّا نزل بهم ، [وبلغ ذلك] عمر عن بعض مَنْ أوى إلى المدينة فقال: عبادَ الله! اللهمّ إنّ كلّ مسلم في حلٍّ منِّي ، أنا فئة كلّ مسلم ، يرحم الله أبا عُبيد! لو كان عَبَر فاعتصم بالخَيْف ، أو تحيّزَ إلينا ولم يستقتِل لكنّا له فئة!

وبينا أهلُ فارس يحاولون العبور أتاهم الخبر أنّ النَّاس بالمدائن قد ثاروا برستمَ ، ونقضوا الذي بينهم وبينه فصاروا فرقتين: الفَهْلوج على رستم ، وأهل فارس على الفَيْرُزان؛ وكان بين وقعة اليَرْموك والجِسر أربعون ليلة ، وكان الذي جاء بالخبر عن اليَرْموك جرير بن عبد الله الحميريّ؛ والذي جاء بالخبر عن الجسر عبد الله بن زيد الأنصاريّ ـ وليس بالَّذي رأى الرؤيا ـ فانتهى إلى عمر وعمر على المنبر. فنادى عمر: الخبر يا عبد الله بن زيد! قال: أتاك الخبر اليقين؛ ثم صعد إليه المنبر فأسرّ ذلك إليه.

وكانت اليرموك في أيام من جمادى الآخرة ، والجسر في شعبان[١]. (٣: ٤٥٤/ ٤٥٥).

١٠٤ - كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يقويه بعد قليل.

وسعيد بن المَرْزُبان ، قالا : واستعمل رستم على حرب أبي عُبيد بهمن جاذويه؛ وهو ذو الحاجب ، وردّ معه الجالنوس ومعه الفيَلة ، فيها فيل أبيض عليه النَّخل ، وأقبل في الدَّهْم ، وقد استقبله أبو عُبيد حتى انتهى إلى بابل؛ فلمَّا بلغه انحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه؛ فعسكر بالمرْوحَة .

ثم إن أبا عبيد ندم حين نزلوا به وقالوا : إمَّا أن تعبروا إلينا وإمَّا أن نعبر ، فحلف ليقطعنّ الفرات إليهم ، وليمحّصنّ ما صنع ، فناشده سَلِيط بن قيس ووجوه النَّاس ، وقالوا : إنّ العرب لم تلق مثل جنود فارس منذ كانوا ، وإنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزُّهاء والعُدّة بما لم يلقَنَا به أحد منهم ؛ وقد نزلتَ منزلاً لنا فيه مجال وملجأ ومرجع ؛ من فَرّة إلى كَرّة . فقال : لا أفعل ؛ جبُنت والله ! وكان الرَّسول فيما بين ذي الحاجب وأبي عبيد مردانْشاه الخصيّ ؛ فأخبرهم أنّ أهل فارس قد عيَّروهم ؛ فازداد أبو عبيد مَحَكاً ، وردّ على أصحابه الرأي ، وجبّن سَلِيطاً ، فقال سليط : أنا والله أجرأ منك نفساً ؛ وقد أشرنا عليك الرأيّ فستعلم ! [١] . (٣ : ٤٥٥/٤٥٦) .

١٠٥ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السريّ ، عن الأغرّ العِجليّ ، قال : أقبل ذو الحاجب حتى وقف على شاطىء الفُرات بقُسّ النَّاطف ، وأبو عبيد معسكرٌ على شاطىء الفرات بالمَرْوحة فقال : إما أن تعبُروا إلينا وإما أن نعبُر إليكم . فقال أبو عبيد : بل نعبُر إليكم . فعقد ابن صلوبا الجسر للفريقين جميعاً ؛ وقبل ذلك ما قد رأت دَوْمة امرأة أبي عبيد رُؤيا وهي بالمَرْوحة : أنّ رجلاً نزل من السماء بإناء فيه شراب ، فشرب أبو عُبيد وجَبْر في أناس من أهله ؛ فأخبرت بها أبا عبيد ، فقال : هذه الشهادة ؛ وعهد أبو عبيد إلى الناس ، فقال : إن قتِلتُ فعلَى الناس جَبْر ، فإن قتل فعليكم فلان ، حتى أمَّر الذين شربوا من الإناء على الوِلاء من كلامه . ثم قال : إن قتل أبو القاسم فعليكم المثنَّى ، ثم نَهَد بالناس فعبَر وعبروا إليهم ، وعضَّلت الأرض بأهلها ، وألحم الناس الحربَ . فلمَّا نظرت الخيول إلى الفيَلة عليها النخل ؛ والخيل عليها التَّجافيف والفرسان عليهم الشُّعُر رأت شيئاً منكراً لم تكن ترى مثله ، فجعل

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يقويه بعد قليل .

المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم ، وإذا حملوا على المسلمين بالفِيَلة والجلاجل فرّقت بين كراديسهم؛ لا تقوم لها الخيلُ إلاّ على نِفار ، وخَزقهم الفُرْس بالنّشّاب ، وعضّ المسلمين الألم؛ وجعلوا لا يصلون إليهم؛ فترجَّل أبو عبيد وترجَّل الناس ، ثم مشوا إليهم فصافحوهم بالسيوف؛ فجعلت الفِيَلة لا تحمل على جماعة إلاّ دفعتهم؛ فنادى أبو عبيد: احتوِشوا الفيلة؛ وقطّعوا بُطُنَها واقلبوا عنها أهلها؛ وواثب هو الفيل الأبيض ، فتعلّق بِبطانه فقطعه؛ ووقع الذين عليه ، وفعل القوم مثل ذلك؛ فما تركوا فيلاً إلا حطّوا رحله؛ وقتلوا أصحابه ، وأهوى الفيل لأبي عُبيد ، فنفح مِشْفره بالسيف ، فاتَّقاه الفيل بيده؛ وأبو عبيد يتجرثمه؛ فأصابه بيده فوقع فخبطه الفيل ، وقام عليه؛ فلما بصُر الناس بأبي عبيد تحت الفيل ، خشعت أنفس بعضهم ، وأخذ اللواء الذي كان أمَّره بعده ، فقاتل الفيل حتى تنحَّى عن أبي عبيد ، فاجترّه إلى المسلمين ، وأحرزوا شِلوه؛ وتجرثم الفيلَ فاتّقاه الفيل بيده ، دأبَ أبي عبيد وخبطه الفيل. وقام عليه وتتابع سبعة من ثَقيف؛ كلُّهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت. ثم أخذ اللواء المثنَّى ، وهرب النَّاس ، فلما رأى عبد الله بن مَرثَد الثقفيّ ما لقيَ أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس ، بادرهم إلى الجسر فقطعه ، وقال: يا أيّها الناس ، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا. وحاز المشركون المسلمين إلى الجِسر؛ وخشع ناس فتواثبوا في الفُرات؛ فغرق من لم يصبِر وأسرعوا فيمن صَبَر ، وحَمى المثنّى وفرسانٌ من المسلمين الناس ، ونادى: يا أيُّها الناس ! إنَّا دونكم فاعبُروا على هِينتكم ولا تدهَشوا؛ فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تغرِّقوا أنفسكم. فوجدوا الجسر وعبد الله بن مرثَد قائم عليه يمنع الناس من العبور ، فأخذوه فأتوا به المثنَّى ، فضربه وقال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ليقاتلوا ، ونادى مَن عبر فجاؤوا بعلوج ، فضمّوا إلى السفينة التي قُطِعتْ سفائنها ، وعبر الناس ، وكان آخر من قُتِل عند الجسر سَلِيط بن قيس ، وعَبَر المثنَّى وحمى جانبه؛ فاضطرب عسكره ، ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم؛ فلمَّا عبر المثنَّى [وحمى جانبه] ارفضّ عنه أهلُ المدينة حتى لحقوا بالمدينة وتركها بعضهم ونزلوا البوادي وبقي المثنَّى في فلَّة[١] . (٣: ٤٥٦/ ٤٥٧)

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد قليل.

١٠٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد وعطية والنّضر ، أنّ أهل المدينة لما لحقوا بالمدينة وأخبروا عمّن سار في البلاد استحياءً من الهزيمة ، اشتدّ على عمر ذلك ورحمهم . قال الشعبيّ : قال عمر : اللهمّ كلّ مسلم في حلّ مِنّي ، أنا فئة كلّ مسلم ، مَن لقي العدوّ ففظِع بشيء من أمره فأنا له فئة ؛ يرحم الله أبا عُبَيد لو كان انحاز إليّ لكنت له فئة ! وبعث المثنّى بالخبر إلى عمر مع عبد الله بن زيد ، وكان أوّل من قدم على عمر[١] . (٣ : ٤٥٨) .

١٠٧ ـ حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عَمْرة بنة عبد الرحمن ، عن عائشة زوْج النبيّ ﷺ ، قالت : سمعتُ عمر بن الخطاب حين قدم عبد الله بن زيد ، فنادى : الخبر يا عبد الله بن زيد! وهو داخل المسجد ، وهو يمرّ على باب حُجرتي ، فقال : ما عندك يا عبد الله بن زيد؟! قال : أتاك الخبرُ يا أمير المؤمنين ! فلمَّا انتهى إليه أخبره خبرَ الناس ، فما سمعت برجل حضر أمراً فحدّث عنه كان أثبتَ خبراً منه . فلما قدم فلّ الناس ، ورأى عمر جَزَع المسلمين من المهاجرين والأنصار من الفِرار ، قال : لا تجزعوا يا معشر المسلمين ! أنا فئتكم ، إنما انحزتم إليّ[٢] (٣ : ٤٥٩) .

---

(١) إسناده ضعيف وهو صحيح كما سنذكر بعد قليل .

(٢) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد قليل .

واقعة الجسر ، أو جسر أبي عبيد أو وقعة القرقس أو قس الناطف

ذكرنا هذه الروايات في قسم الصحيح وإن كان إسنادها ضعيفاً [٩٥/ ٩٦/ ٩٧/ ٩٨/ ٩٩/ ١٠٠/ ١٠١/ ١٠٢/ ١٠٣/ ١٠٤/ ١٠٥/ ١٠٦/ ١٠٧] .

وهذه الروايات الثلاث عشرة عند الطبري جلّها من رواية سيف ، وقد وضحنا سابقاً : أن سيفاً يذكر تفاصيل المعارك والأحداث وبدقة عجيبة لا تكاد توجد عند غيره كاملة ، ولكننا واعتباراً بضعفه في الحديث وإن كان معتمداً في التأريخ عند أئمة التأريخ الذين ذكرناهم فلم نذكر رواياته التأريخية في قسم الصحيح إلا بعد شروط منها :

١ ـ أن تكون لقصة روايته أصل .

٢ ـ أن لا يكون حديثاً مرفوعاً .

٣ ـ أن لا تكون الرواية في العقيدة أو الانتصار لمذهب سياسي معروف آنذاك .

= ٤ - أن لا تكون الرواية في مسائل الحلال والحرام.
٥ - وبعد كل ما سبق: ألا تكون رواية سيف مخالفة لما هو أصح إسناداً.
وسنذكر هنا ما يشهد لأصل القصة (أي وقعة الجسر) وأن عمراً رضي الله عنه بعث أبا عبيد بن مسعود ومعه المثنىٰ بن حارثة وغيره وأنه رضي الله عنه استشهد بعد معركة حامية مع الفرس، ثم كان أنجىٰ الله بقية المسلمين على يد المثنى ومن معه كما سنذكر:
١ - أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه بسند صحيح (١٢/ ٥٥٦/ ح ١٥٥٨٣) حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن قيس قال: كان أبو عبيد بن مسعود عبر الفرات إلىٰ مهران فقطعوا الجسر خلفه فقتلوه هو وأصحابه قال: فأوصىٰ إلى عمر بن الخطاب قال: فرثاه أبو محجن الثقفي فقال:

أمسىٰ أبو خير خلاء بيوته ... بما كان يغشاه الجياع الأرامل
أمسىٰ أبو عمر ولدى الجسر منهم ... إلى جانب الأبيات حرم ونابل
فما زلت حتى كنت آخر رائح ... وقتل حولي الصالحون الأماثل
وقد كنت في نحر خيارهم ... لدىٰ القتل يرمى نحرها والشواكل

وأخرج بإسناد صحيح (١٢/ ٥٥٦/ ح ١٥٥٨٤) حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن قيس قال: عبر أبو عبيد بن مسعود يوم مهران في أناس فقطع بهم الجسر فأصيبوا قال: قال قيس: فلما كان يوم مهران؛ قال أناس فيهم خالد بن عرفطة لجرير: يا جرير لا والله لا نريم عن عرضتنا هذه، فقال: اعبر يا جرير بها إليهم، فقلت: أتريدون أن تفعلوا بنا ما فعلوا بأبي عبيد، إنا قوم لسنا لساح أن نبرح أو أن نريم العرصة حتىٰ يحكم الله بيننا وبينهم، فعبره المشركون فأصيب يومئذ مهران وهم عند النخيلة، وإسناده صحيح.
٢ - وأخرج الطبري في تفسيره (١٣/ ٤٣٩/ ح ١٥٨١٢) حدثني يعقوب قال حدثنا ابن علية قال حدثنا ابن عون عن محمد: أن عمر رحمة الله عليه بلغه قتل أبي عبيد فقال: لو تحيّز إليّ، إن كنت لفئة! وإسناده صحيح.
وأخرجه كذلك ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٥٥٧/ ح ١٥٥١٧). ثنا وكيع قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين قال: لما بلغ عمر قتل أبي عبيد الثقفي، قال: إن كنت له فئة لو انحاز إليّ.
وأخرجه ابن الأثير الجزري في أسد الغابة في ترجمة أبي عبيد بن مسعود (٦/ ٢٠١/ت ٦٠٨٣) بسنده المتصل من طريق عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين به ونقل ابن حجر في الإصابة عن البلاذري قوله: يقال إن الفيل برك على أبي عبيد فمات تحته فأخذ الراية أخوه الحكن فقُتل، فأخذها جبير بن أبي عبيد فقتل (الإصابة ٦/ ٢٢٣/ت ١٠٢٢٦).
وقال ابن عبد البر في ترجمته: صاحب يوم الجسر المعروف بجسر أبي عبيد. وقال أيضاً: وولىٰ (أي عمر) أبا عبيد بن مسعود الثقفي وذلك سنة ثلاث عشرة فلقي أبو عبيد جابان بين الحيرة والقادسية ففض جمعه، وقتل أصحابه، وأسره ففدىٰ جابان نفسه منه، ثم جمع=

يزدجر جموعاً عظيمة ووجهم نحو أبي عبيد فالتقوا بعد أن عبر أبو عبيد الجسر في المضيق فاقتتلوا قتالاً شديداً وضرب أبو عبيد شفر الفيل وضرب أبو محجن عرقوبه وقتل أبو عبيد وذلك في آخر شهر رمضان أو أول شوال من سنة ثلاث عشرة واستشهد يومئذ من المسلمين ألف وثمانمئة (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ٢٧٢/ ت ٣١٠٧).

٣ - وقد ذكر خليفة بن خياط نحواً مما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق بكر عن ابن إسحاق معضلاً ثم ذكر بعد ذلك أن القتل استحرّ في المسلمين فمضوا نحو الجسر ، وفي نهاية المعركة عقد المثنىٰ الجسر وعبر المسلمون واستشهد يومئذ من المسلمين ألف وثمانمئة ويقال أربعة آلاف بين قتيل وغريق ، وانحاز بالناس المثنىٰ بن حارثة الشيباني فبعث عمر جرير بن عبد الله البجلي. وقد ذكر خليفة هذه الرواية بلا إسناد ولكنه أسنده آخراً إذ قال: وقال الوليد بن هشام عن أبيه عن جده نحو ذلك وإن لم يذكر خليفة سنده عن الوليد بن هشام في هذه الرواية والله أعلم (تأريخ خليفة/ ص ١٢٥). وكذلك ذكر الذهبي وقعة الجسر في أحداث سنة أربع عشرة ولكنه عندما تحدث عنها بالتفصيل أكّد سنة ثلاث عشرة وذكر أربع عشرة بصيغة التمريض فقال: كان عمر قد بعث في سنة ثلاث عشرة جيشاً ، عليهم أبو عبيد الثقفي ، فلقي جابان في سنة ثلاث عشرة ، وقيل: في أول سنة أربعة عشرة (تأريخ الإسلام/ عهد الخلفاء الراشدين/ ١٢٧).

٤ - وذكر البلاذري في فتوح البلدان (ص ٣٥٠ ـ ٣٥١) هذه الوقعة وسمّاها (يوم قُسّ الناطف وهو يوم الجسر) بلا إسناد ثم ذكر رواية مسندة في ص (٣٣٥) حدثني أبو عبيد القاسم بن سلاّم قال: حدثنا محمد بن كثير ، عن زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن حازم قال: عبر أبو عبيد في ناسٍ من أصحابه فقطع المشركون الجسر ، فأصيب ناس من أصحابه ، قال إسماعيل وقال أبو عمرو الشيباني: كان يوم مهران في أول السنة والقادسية في آخرها. ا هـ. وإسناده صحيح.

٥ - وأخرج البلاذري في فتوح البلدان (٣٥٤) حدثني عفان بن مسلم قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا داود بن أبي هند قال: أخبرني الشعبي: أن عمر وجّه جرير بن عبد الله إلىٰ الكوفة بعد قتل أبي عبيد أوّل من وجّه ، وقال: هل لك في العراق وأنفلك الثلث بعد الخمس؟ قال: نعم ـ وخبر وقعة الجسر ذكره الدينوري كذلك في الأخبار الطوال ص (١١٣) والنويري في نهاية الأرب (٢/ ١٨٣) والله تعالىٰ أعلم ـ أما المدائني فقد ذكر كما نقل عنه الكلاعي أن تحرك عمر لهذا البعث إنما كان بكتاب المثنى إليه يستمده ويحرضه على أرض فارس واستعمل علىٰ البعث أبا عبيد بن مسعود الثقفي (الاكتفاء/ ٤/ ١١٥) أما خبر نجران فسنعود إليه لاحقاً إن شاء الله.

٦ - قال الحافظ ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري كتاب المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد: ووقع عند أحمد من طريق حماد عن ثابت عن أنس نحو حديث قتادة في=

البوَيْب

١٠٨ ـ كتبَ إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا: وبعث المثنَّى بعد الجسر فيمَن يليه من الممِدّين ، فتوافوْا إليه في جمع عظيم ، أو بلغ رستَم والفَيْرُزان ذلك ، وأتتهم العيون به وبما ينتظرون من الأمداد ، واجتمعا على أن يبعثا مِهْران الهمَذانيّ؛ حتى يريا مِن رأيهما ، فخرج مِهْران في الخيول وأمَراه بالحيرة ، وبلغ المثنَّى الخبر وهو معسكر بمرْج السِّباخ بين القادسيَّة وخَفَّان في الذين أمدّوه من العرب عن خبر بشير وكِنانة ـ وبشير يومئذ بالحيرة ـ فاستبطن فُرات بادَقْلى ، وأرسل إلى جرير ومَن معه: إنَّا جاءنا أمر لم نستِطع معه المقام حتى تقدموا علينا. فعجِّلوا اللّحاق بنا ، وموعدكم البُوَيْب .

= عدة من قتل من الأنصار وزاد: ويوم مؤتة سبعون ، وصححه أبو عوانة وأخرجه الحاكم في (الإكليل) ولفظه (عن أنس أنه كان يقول: يا رب سبعين من الأنصار يوم أحد ، وسبعين يوم بئر معونة ، وسبعين يوم مؤتة ، وسبعين يوم مسيلمة) ثم أخرج من طريق إبراهيم بن المنذر أن هذه الزيادة خطأ ـ ثم أسند من وجهين عن سعيد بن المسيب فذكر بدل يوم مؤتة يوم جسر أبي عبيد ، قال إبراهيم بن المنذر: وهذا هو المعروف. قلت (ابن حجر): وهي وقعة بالعراق كانت في خلافة عمر. ا هـ. (فتح الباري ٧/ ٣٧٦).

قلنا: وكذلك ذكر ابن عساكر بعث عمر لأبي عبيد الثقفي إلىٰ العراق ضمن أحداث سنة ثلاث عشرة اعتماداً علىٰ ما ذكره خليفة بن خياط ، ونقل ابن عساكر عن ابن إسحاق قوله:

(وفيها «أي ١٣») بعث عمر أبا عبيد بن مسعود الثقفي إلىٰ العراق ، فلقي جابان بين الحيرة والقادسية ففض جمعه وأسره وقتل مردانشاه ففدىٰ جابان نفسه بغلامين وهو لا يعرف. قال: ثم سار إلىٰ كسكر فلقي نرسي فهزمهم الله ـ ثم أغار علىٰ مسلحة بالسن فانهزموا (مختصر تأريخ دمشق لابن منظور ١٩/ ٢٧).

والحديث الذي أخرجه البلاذري في فتوح البلدان (كما ذكرنا) من طريق أبي عبيد وجدناه بصيغة أوضح وأطول في كتاب الأموال (٨٤/ح ٢١٨) إذ قال الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثني محمد بن كثير عن زائدة بن قدامة عن إسماعيل بن قيس قال: عبر أبو عبيد بانقيا في ناس من أصحابه فقطع المشركون الجسر ، فأصيب ناس من أصحابه ثم كان يوم مهران بعد ذلك فيهم يومئذ خالد بن عرفطة ، والمثنىٰ بعد حارثة وجرير بن عبد الله ، قال قيس: فعبر إليهم المشركون فأصيب منهم يومئذ مهران وهم عند النخيلة.

وكان جرير مُمِدّاً له ، وكتب إلى عِصْمة ومَن معه ، وكان ممِدّاً له بمثل ذلك ، وإلى كل قائد أظلَّه بمثل ذلك ، وقال: خذوا على الجَوْف ، فسلكوا القادسيَّة والجَوْف ، وسلك المثنَّى وسط السَّواد ، فطلع على النَّهريْن ثم على الخوَرْنَق ، وطلع عصمة على النَّجَف ، ومَن سلك معه طريقه ، وطلع جرير على الجوْف ومَن سلك معه طريقه ، فانتهوْا إلى المثنَّى ، وهو على البُويب ، ومِهران من وراء الفرات بإزائه ، فاجتمع عسكر المسلمين على البُويب ممَّا يلي موضع الكوفة اليوم؛ وعليهم المثنّى وهم بإزاء مِهران وعسكره. فقال المثنّى لرجل من أهل السواد: ما يقال للرُّقْعة التي فيها مِهران وعسكره؟ قال: بَسُوسْيا. فقال: أكْدَى مِهران وهلك! نزل منزلاً هو البَسوس؛ وأقام بمكانه حتى كاتبه مِهران: إمّا أن تعبُروا إلينا ، وإمّا أن نعبَر إليكم؛ فقال المثنَّى: اعبُروا؛ فعبر مِهْران ، فنزل على شاطىء الفرات معهم في الملطـاط ، فقال المثنّى لذلك الرجل: ما يُقال لهذه الرقعة التي نزلها مِهران وعسكره؟ قال: شُوميا ـ وذلك في رمضان ـ فنادى في الناس: انهدوا لعدوّكم ، فتناهدوا ، وقـد كان المثنّى عَبَّى جيشه ، فجعل على مجنَّبتيه مذعوراً والنُّسَير ، وعلى المجرّدة عاصماً ، وعلى الطلائع عِصْمة ، واصطفّ الفريقان؛ وقـام المثنَّى فيهم خطيبـاً ، فقال: إنكم صُوّام؛ والصوم مَرَقَّـة ومَضعفة؛ وإنّي أرى من الرأي أن تُفطِروا ثم تقوَوْا بالطعام على قتال عدوّكم. قالوا: نعم ، فأفطروا؛ فأبصر رجلاً يستوفز ويستنتلِ من الصّفّ ، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: هو ممَّنّ فرّ من الزّحف يوم الجِسر؛ وهو يريد أن يستقتِل ، فقرعه بالرّمح ، وقال: لا أبالك! الزَمْ موقفَك ، فإذا أتاك قِرنك فأغْنِه عن صاحبك ولا تستقتل ، قال: إني بذلك لَجدير ، فاستقرّ ، ولزم الصّفّ[١]. (٣: ٤٦٠/ ٤٦١/ ٤٦٢) .

١٠٩ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي إسحاق الشيبانيّ بمثله[٢] . (٣: ٤٦٢) .

١١٠ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى ، عن شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد سرد هذه الروايات.

(٢) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد سرد هذه الروايات.

عمر ، عن عطيَّة والمجالد بإسنادهما ، قالا: وقدما على عُمر غُزاة بني كنانة والأزْد في سبعمئة جميعاً ، فقال: أيّ الوجوه أحبّ إليكم؟ قالوا: الشأم ، أسلافنا أسلافنا! فقال: ذلك قد كُفيتموه؛ العراقَ العراقَ! ذَرُوا بلدة قد قَلَّل الله شوكتها وعددَها ، واستقبلوا جهاد قوم قد حوَوْا فنون العيش ، لعلّ الله أن يورثَكم بقِسْطكم من ذلك فتعيشوا مع مَن عاش من الناس ، فقال غالب بن عبد الله الليثيّ وعرفجة البارقيّ ، كلّ واحد منهما لقومه ، وقاما فيهم: يا عشيرتاه! أجيبوا أميرَ المؤمنين إلى ما يرى ، وأمضوا له ما يُسكنكم. قالوا: إنَّا قد أطعناك وأجبنا أميرَ المؤمنين إلى ما رأى وأراد. فدعا لهم عمر بخير وقاله لهم ، وأمَّر على بني كنانة غالب بن عبد الله وسرّحه ، وأمَّر على الأزْد عَرْفَجة بن هَرْثمة وعامَّتُهم من بارق ، وفرحوا برجوع عَرْفجة إليهم. فخرج هذا في قومه ، وهذا في قومه ، حتى قدما على المثنّى[1]. (٣: ٤٦٣).

١١١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سَيْف ، عن محمد وعمرو بإسنادهما ، قالا: وجاء رِبْعِيّ في أناس من بني حنظلة ، فأمَّره عليهم وسرّحهم ، وخرجوا حتى قدم بهم على المثنَّى ، فرأس بعده ابنه شَبَث بن رِبْعيّ ، وقدم عليه أناسٌ من بني عمرو ، فأمَّر عليهم رِبْعِيّ بن عامر بن خالد العَنُود ، وألحقه بالمثنَّى ، وقدم عليه قومٌ من بني ضبَّة ، فجعلهم فرقتيْن ، فجعل على إحدى الفرقتين ابن الهَوْبَر ، وعلى الأخرى المنذر بن حسَّان ، وقدم عليه قُرْط بن جمَّاع في عبد القيس ، فوجَّهه ، وقالوا جميعاً: اجتمع الفيرزان ورستَم على أن يبعثَا مِهْران لقتال المثنَّى واستأذنا بُوران ـ وكانا إذا أرادَا شيئاً دنَوَا من حجابها حتى يكلّماها به ـ فقالا بالذي رأيا وأخبراها بعدد الجيش ـ وكانت فارس لا تُكثِر البعوث؛ حتى كان من أمر العرب ما كان ـ فلمَّا أخبراها بكثرة عدد الجيش ، قالت: ما بالُ أهلِ فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم؟ ومالكما لا تبعثان كما كانت الملوك تبعث قبل اليوم! قالا: إنَّ الهيبة كانت مع عدوّنا يومئذ ، وإنها فينا اليوم؛ فمالأتْهما وعرفت ما جاءاها به ، فمضى مِهْران في جنده حتى نزلَ من دون الفرات والمثنّى وجنده على شاطىء الفرات؛ والفرات بينهما؛ وقدم أنس بن هلال النَّمَرِيّ ممدّاً للمثنَّى في أناس من النَّمِر نصارى

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد سرد هذه الروايات.

وجلّاب جلبوا خيلاً ، وقدم ابن مِرْدَى الفِهْريّ التغلبيّ في أناس من بني تَغْلِب نصارى وجلّاب جلبوا خيلاً ـ وهو عبد الله بن كُلَيب بن خالد ـ وقالوا حين رأوا نزولَ العرب بالعجم: نقاتل مع قومنا ، وقال مهران: إمَّا أن تعبُروا إلينا ، وإمّا أن نعبُر إليكم ، فقال المسلمون: اعبُروا إلينا ، فارتحلوا من بَسُوسْيا إلى شُومِيا ، وهي موضع دار الرّزق[1] . (٣: ٤٦٤/ ٤٦٥) .

١١٢ ـ كتب إليَّ السَّريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن مُحَفِّز ، عن أبيه: أنّ العَجم لمَّا أذِن لهم في العبور ونزلوا شوميا موضع دار الرّزق ، فتعبَّوْا هنالك؛ فأقبلوا إلى المسلمين في صُفوف ثلاثة مع كلّ صفّ فيل ، ورَجْلُهم أمام فيلهم ، وجاؤوا ولهم زَجَل ، فقال المثنَّى للمسلمين: إنّ الَّذي تسمعون فَشَلٌ ، فالزموا الصَّمْت وائتمِروا هَمْساً ، فدنوا من المسلمين وجاؤوهم من قِبَل نهر بني سُليم نحو موضع نهر بني سُلَيم ، فلمَّا دنوا زحفوا ، وصُفَّ المسلمون فيما بين نهر بني سليم اليوم وما وراءها[2] . (٣: ٤٦٥) .

١١٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمَّد وطلحة ، قالا: وكان على مجنّبَتي المثنَّى وبُسْر بن أبي رُهْم ، وعلى مجرَّدته المُعنَّى ، وعلى الرَّجْل مسعود ، وعلى الطلائع قبل ذلك اليوم النُّسَيْر ، وعلى الرّدء مذعور؛ وكان على مجنَّبتي مِهران ابنُ الآزاذبه مرزُبان الحيرة ومَرْدانْشاه. ولمّا خرج المثنّى؛ طاف في صفوفه يعهد إليهم عهدَه ، وهو على فرسه الشَّمُوس ـ وكان يُدعَى الشَّموس من لين عريكته وطهارته ، فكان إذا ركبه قاتَل؛ وكان لا يركبه إلاّ لقتال ويدَعُه مالم يكن قتال ـ فوقف على الرّايات رايةً رايةً يحضّضهم ، ويأمرهم بأمرِهِ ، ويهزّهم بأحسن ما فيهم ، تحضيضاً لهم ، ولكلّهم يقول: إنّي لأرجو ألاّ تُؤتَى العرب اليوم من قِبَلكم؛ والله ما يسرُّني اليوم لنفسي شيء إلاّ وهو يسرّني لعامّتكم؛ فيجيبونه بمثل ذلك ، وأنصفهم المثنَّى في القول والفعل ، وخلَط النَّاس في المكروه والمحبوب؛ فلم يستطع أحدٌ منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً ، ثم قال: إنِّي مكبّر ثلاثاً فتهيّؤوا؛ ثم احمِلوا مع الرابعة ، فلمَّا كبَّر أوّل تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم فخالطوهم مع أوّل تكبيرة؛ وركدت حَرْبُهم

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يقويه بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد سرد الروايات.

مَلِيّاً ، فرأى المثنَّى خللاً في بعض صُفوفه ، فأرسل إليهم رجلاً ، وقال: إنّ الأمير يقرأ عليكم السّلام ، ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم ، فقالوا: نعم ! واعتدلوا ، وجعلوا قبل ذلك يروْنه وهو يمدّ لحيته لما يرى منهم ، فاعتنوْا بأمر لم يجىء به أحد من المسلمين يومئذ فرمقوه ، فرأوه يضحك فَرَحاً والقوم بنو عِجْل. فلمَّا طال القتالُ واشتدّ ، عمَد المثنَّى إلى أنس بن هلال ، فقال: يا أنس ! إنَّك امرؤ عربيّ ، وإن لم تكن على ديننا؛ فإذا رأيتَني قد حملت على مِهران فاحمِل معي ، وقال لابن مِرْدَى الفِهْر مثلَ ذلك فأجابه ، فحمل المثنَّى على مِهران؛ فأزاله حتى دخل في ميمنته ، ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنَّبات تقتَتِل ، لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم ، لا المشركون ولا المسلمون ، وارتُثَّ مسعود يومئذ وقُوّاد من قُوّاد المسلمين؛ وقد كان قال لهم: إن رأيتمونا أصِبنا؛ فلا تَدَعوا ما أنتم فيه؛ فإنّ الجيش ينكشف ثم ينصرف؛ الزموا مصافَّكم ، واغْنُوا غَناء من يليكم ، وأوجِع قلبَ المسلمين في قلْب المشركين ، وقَتَلَ غلام من التغلبيّين نصرانيّ مِهرانَ واستوى على فرسه ، فجعل المثنَّى سلبه لصاحب خَيْله؛ وكذلك إذا كان المشرك في خيل رجل فقتل وسلب فهو للذي هو أمير على مَن قتل؛ وكان له قائدان: أحدهما جَرير والآخر ابن الهوبر؛ فاقتسما سلاحَه[1]. (٣: ٤٦٥/ ٤٦٦).

١١٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا: وقف المثنَّى عند ارتفاع الغُبار؛ حتى أسفر الغبار ، وقد فنِيَ قلب المشركين ، والمجنَّبات قد هزّ بعضها بعضاً ، فلمَّا رأوه وقد أزال القلب ، وأفنى أهلَه ، قوِيت المجنَّبات ـ مجنَّبات المسلمين ـ على المشركين وجعلوا يردّون الأعاجم على أدبارهم ، وجعل المثنَّى والمسلمون في القلْب يدعُون لهم بالنَّصر ، ويرسل عليهم مَنْ يذمُرهم ، ويقول: إنّ المثنَّى يقول: عاداتكم في أمثالهم؛ انصروا الله ينصركم؛ حتى هزموا القوم ، فسابقهم المثنَّى إلى الجسر فسبقهم وأخذ الأعاجم ، فافترقوا بشاطىء الفرات مصعِّدين ومصوّبين ، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلُوهم ، ثمّ جعلوهم جُثثاً؛ فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبقى رِمَّةً منها. ولما ارتُثّ مسعود بن حارثة يومئذ ـ وكان صُرِع قبل

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد بعد قليل.

الهزيمة ، فتضعضع مَن معه ، فرأى ذلك وهو دَنِف ـ قال: يا معشر بكر بن وائل ! ارفعوا رايَتكم ، رفعكم الله! لا يهولنّكم مَصْرعي ، وقاتل أنس بن هلال النَمِريّ يومئذ حتى ارتُثّ ، ارتثَّه المثنَّى ، وضمَّه وضمّ مسعوداً إليه. وقاتل قُرْط بن جَمَّاع العبديّ يومئذ حتى دقَّ قناً ، وقطع أسيافاً ، وقتِل شَهْربراز من دهاقين فارس وصاحب مجرّدة مِهران.

قال: ولما فرغوا؛ جلس المثنَّى للناس من بعد الفراغ يحدّثهم ويحدّثونه ، وكلّما جاء رجل فتحدّث قال له: أخبرْني عنك؛ فقال له قُرْط بن جمّاح: قتلتُ رجلاً فوجدتُ منه رائحة المسك ، فقلتُ: مِهران ، ورجوت أن يكون إيّاه ، فإذا هو صاحب الخيل شَهْربراز ، فوالله ما رأيتهُ إذ لم يكن مِهران شيئاً.

فقال المثنَّى: قد قاتلت العرب والعجم في الجاهليَّة والإسلام؛ والله لمئة من العجم في الجاهليَّة كانوا أشدّ عليّ من ألف من العرب ، ولمئة اليومَ من العرب أشدّ عليّ من ألف من العجم؛ إن الله أذهب مصدوقتَهم ، ووهَّن كيدَهم؛ فلا يروعنّكم زُهّاء ترونه ، ولا سَواد ولا قِسِيٌّ فُجٌّ ، ولا نِبال طوال ، فإنَّهم إذا أعجِلوا عنها أو فقدوها ، كالبهائم أيْنما وجَّهتموها اتَّجهت.

وقال رِبْعيّ وهو يحدّث المثنَّى: لمّا رأيتُ ركود الحرب واحتدامها ، قلتُ: تترّسوا بالمجانّ ، فإنهم شادّون عليكم؛ فاصبروا لشدّتَيْن وأنا زعيم لكم بالظفر في الثالثة؛ فأجابوني والله ! فوفَّى اللهُ كفالتي.

وقال ابن ذي السَّهمين محدّثاً: قلت لأصحابي: إنّي سمعت الأميرَ يقرأ ويذكر في قراءته الرُّعْب؛ فما ذكره إلا لفضل عنده؛ اقتدوا برايتكم ، وليَحْمِ راجلَكم خيلُكم ، ثم احملوا ، فما لقول الله من خُلْف؛ فأنجز الله لهم وعده ، وكان كما رجوت.

وقال عَرْفجة محدّثاً: حُزْنا كتيبةً منهم إلى الفرات ، ورجوت أن يكون الله تعالى قد أذِن في غَرَقِهم ، وسلّى عنّا بها مصيبة الجسر ، فلمّا دخلوا في حدّ الإحراج ، كرّوا علينا ، فقاتلناهم قتالاً شديداً حتى قال بعض قومي: لو أخّرت رايَتك! فقلت: عليّ إقدامُها ، وحملت بها على حاميتهم فقتلتُه ، فولّوْا نحو الفرات ، فما بلغه منهم أحد فيه الرّوح.

وقال رِبْعِيّ بن عامر بن خالد: كنت مع أبي يوم البُويب ـ قال: وسُمِّيَ البُويب يوم الأعشار ـ أحصِي مئة رجل، قَتَل كلّ رجل منهم عشرة في المعركة يومئذ، وكان عُرْوة بن زيد الخيل من أصحاب التّسعة، وغالِب في بني كنانة من أصحاب التسعة، وعرفجة في الأزْد من أصحاب التسعة.

وقتِل المشركون فيما بين السَّكون اليوم إلى شاطئ الفرات، ضفَّة البويب الشرقيّة؛ وذلك: أنّ المثنّى بادرهم عند الهزيمة بالجَسْرَ، فأخذه عليهم، فأخَذوا يَمْنة ويَسْرة، وتبِعهم المسلمون إلى الليل، ومن الغد إلى اللَّيل، وندم المثنَّى على أخذه بالجسر، وقال: لقد عجزتُ عجزة وَقَى الله شرّها بمسابقتي إيّاهم إلى الجسر وقَطْعِه؛ حتى أحرجتُهم؛ فإني غير عائد؛ فلا تعودوا ولا تقتدوا بي أيّها الناس! فإنها كانت منّي زلَّة لا ينبغي إحراج أحد إلاّ مَن لا يقوى على امتناع، ومات أناس من الجرحى من أعلام المسلمين، منهم خالد بن هلال ومسعود بن حارثة، فصلَّى عليهم المثنَّى، وقدّمهم على الأسنان والقرآن؛ وقال: والله إنَّه ليُهوِّن عليّ وجْدي أن شهِدوا البُويب، أقدَموا وصَبَرُوا، ولم يجزَعوا ولم ينكِلوا، وإن كان في الشهادة كفَّارة لِتجوُّز الذنوب[1]. (٣: ٤٦٦/٤٦٧/٤٦٨).

١١٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، قالوا: وقد كان المثنَّى وعصمة وجرير أصابُوا في أيَّام البُويب على الظّهر نُزْل مِهْران غنماً ودقيقاً وبقراً، فبعثوا بها إلى عِيالات مَن قدم من المدينة وقد خلَّفوهنّ بالقوادس، وإلى عِيالات أهل الأيَّام قبلَهم، وهم بالحيرة. وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العِيالات الَّذين بالقوادس عَمْرو بن عبد المسيح بن بُقَيلة، فلمَّا رُفِعوا للنسوة فرأين الخيلَ، تصَايحن وحسبنها غارةً، فقمْنَ دون الصبيان بالحجارة والعُمُد، فقال عمرو: هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش! وبشّروهنّ بالفتح، وقالوا: هذا أوّله، وعلى الخيل التي أتتهم بالنُّزل النُّسَيْر؛ وأقام في خيله حاميةً لهم، ورجع عمرو بن عبد المسيح فبات بالحيرة، وقال المثنَّى يومئذ: من يتبع الناس حتَّى ينتهي إلى السِّيب؟

فقام جرير بن عبد الله في قومه، فقال: يا معشر بَجِيلة! إنَّكم وجميع مَن

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد القصة بعد قليل.

شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخُمس غداً من النَّفَل مثل الذي لكم منه؛ ولكم رُبع خمسه نفَلاً من أمير المؤمنين؛ فلا يكوننَّ أحدٌ أسرع إلى هذا العدوّ ولا أشدّ عليه منكم للذي لكم منه ، ونِيَّة إلى ما ترجون؛ فإنما تنتظرون إحدى الحُسنَيَيْن : الشهادة والجنَّة أو الغنيمة والجنَّة .

ومال المثنَّى على الَّذين أرادوا أن يستقتلوا من مُنهزِمة يوم الجسر ، ثم قال : أين المستبسل بالأمس وأصحابه! انتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السِّيب ، وابلغوا من عدوّكم ما تغيظونهم به ، فهو خيرٌ لكم وأعْظَمُ أجراً؛ واستغفروا الله إنّ الله غفورٌ رحيم(١) . (٣ : ٤٦٩) .

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد القصة بعد قليل .

وقعة البويب عند الطبري وغيره

لقد تطرقنا إلى ذكر هذه الوقعة عند حديثنا عن وقعة الجسر وسنتحدث ما ذكرناه هناك ونضيف إليه مالم نذكر قبل :

١ ـ أخرج الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني محمد بن كثير عن زائدة بن قدامة عن إسماعيل عن قيس قال : عبر أبو عبيد نانقيا في ناس من أصحابه فقطع المشركون الجسر فأصيب ناس من أصحابه ثم كان يوم مهران بعد ذلك فيهم يومئذ خالد بن عرفطة والمثنىٰ بن حارثة وجرير بن عبد الله ، قال قيس : فعبر إليهم المشركون فأصيب منهم يومئذ مهران وهم عند النخيلة (الأموال ٨٤/ح ٢١٨) وإسناده صحيح .

٢ ـ وأخرج الحافظ ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ح ١٥٥٨٢) ثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد سمعت أبا عمرو الشيباني يقول : كان مهران أول السنة وكانت القادسية في آخر السنة فجاء رستم فقال : إنما كان مهران يعمل عمل الصبيان .

٣ ـ وأخرج (١٢/ح ١٥٥٨٥) ثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن قيس قال : قال لي جرير : انطلق بنا إلى مهران فانطلقت معه حيث أقبلوا فقال لي : لقد رأيتني فيما هاهنا في مثل حريق المنار يطعنوني من كل جانب بنيازكهم فلما رأيت الهلكة جعلت أقول : يا فرسي ألا يا جرير! فسمعوا صوتي فجاءت قيس ما يردهم مني حتىٰ يخلصوني : قلت قد عبرت شهراً ما أرفع لي حياً من أثر النيازك قال : قال قيس : لقد رأينا غوض دجلة وإن أبواب المدائن لمعلقة . وإسناده صحيح .

٤ ـ وأخرج (١٢/ح ١٥٨٨) ثنا محبوب القواريري عن حنش بن الحارث النخعي قال : ثنا أشياخ النخع : أن جريراً لما قتل مهران نصب أو رفع رأسه على رمح .

٥ ـ ولقد ذكر الكلاعي في كتابه القيّم (الاكتفاء) تفاصيل هذه الوقعة وقارن بين مرويات سيف =

ـ ثم دخلت سنة أربع عشرة ـ

ذكر ابتداء أمر القادسية

١١٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن خُلَيْد بن ذَفْرَة ، عن أبيه ، قال : كتب المثنَّى إلى عُمر باجتماع فارس على يَزْدَجرد وبعوثهم ، وبحالِ أهل الذمَّة ، فكتب إليه عمر ؛ أن تَنَحَّ إلى البَرّ ، وادعُ مَن يليك ، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم ؛ حتى يأتيَك أمري .

وعاجلتهم الأعاجم فزاحفتهم الزُّحوف ، وثار بهم أهل الذمَّة ؛ فخرج المثنَّى بالناس حتى ينزلَ الطّفّ ، ففرّقهم فيه من أوّله إلى آخره ، فأقام ما بين غُضَيّ إلى القُطْقُطانة مسالحه ، وعادت مسالحُ كسرى وثغورُه ، واستقرّ أمرُ فارس وهم في

= ومرويات المؤرخ المعروف المدائني . فقال : وذكر المدائني : أن يزدجر وجه مهران بعد وقعة الجسر وأمره أن يبعث المسالح إلىٰ أداني أرض العرب ، ويقتل كل عربي قدر عليه ، وفيما ذكره الطبري عن سيف أن رستم والفيرزان هما اللذان رأيا إنفاذ مهران بعد أن طالعا برأيهما في ذلك ابنة كسرىٰ وذلك عندما علما بتوافي أمداد العرب إلى المثنىٰ (الاكتفاء/ ٤/ ١٣٩) .
قلنا : ولا يشكل هذا الخلاف شيئاً يذكر لأن كلا الراويين أو المؤرخين (سيف والمدائني) اتفقا علىٰ قيادة مهران لمعركة البويب مقابل الجيش الإسلامي .
وأخيراً فإن الروايات التأريخية التي تحت أيدينا تختلف في مسألة إمارة الجيش أكانت للمثنىٰ وحده أم كان المثنىٰ أميراً وجرير أميراً ، وكلا النوعين من الروايات بنفس الدرجة من ضعف الإسناد أما رواية الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام وهي صحيحة الإسناد توضح أن ثلاثة من القادة كانوا في ذلك الجيش (أي يوم البويب) . وهم خالد بن عرفطة والمثنى بن حارثة وجرير بن عبد الله ـ ومن مراجعة أخرىٰ للروايات التي ذكرناها في قسم الصحيح يتبين لنا أن المثنى كان يدير القيادة العامة وأن جريراً كان رأس الحربة في قيادة المقدمة التي كسرت شوكة العدوّ . ولو راجعنا روايات الفتوح بصورة عامة فإننا نرىٰ أن جيش المدد يكون تحت قيادة الجيش الميداني السابق في أرض المعركة ، وإلاّ فما معنىٰ أن يستقل جيش المدد بنفسه ولا يقبل بإمارة الجيش الأصلي ، ولذلك نميل إلى كون الروايات التي سمّت المثنى بن حارثة كقائد عام للجيش أقوىٰ وأظهر والله تعالى أعلم .
ومن الأمور التي تميز بها الإمام الكلاعي في سرده للروايات التأريخية : أنه يقارن أحياناً بين المصادر ويرجح أحياناً وهو يقول في هذه المسألة : [والأظهر مما تقدم من الأخبار : أن المثنىٰ كان الأمير في تلك الحرب] . الاكتفاء (٤/ ١٤٨) .

ذلك هائبون مُشْفِقُون ، والمسلمون متدفِّقون قد ضَرُوا بهم كالأسد ينازَع فريستَه، ثم يعاود الكرّ ، وأمراؤهم يكفكفونهم بِكتاب عمر وأمداد المسلمين[١]. (٣: ٤٨٢) .

١١٧ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال: قد كان أبو بكر استعمل سعداً على صدقات هوازن بنجْد ، فأقرّه عمر ، وكتب إليه فيمن كتب إليه من العُمَّال حين استنفر الناس أن ينتخب أهلَ الخيل والسّلاح ممَّن له رأي ونجدة ، فرجع إليه كتاب سعد بمَن جمع الله له من ذلك الضرب؛ فوافق عمرَ وقد استشارهم في رجل ، فأشاروا عليه به عند ذكره[٢]. (٣: ٤٨٢) .

١١٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمَّد وطلحة ، عن ماهان ، وزياد بإسناده ، قالوا: وأمدّ عمر سعداً بعد خروجه بألفَيْ يمانيّ ، وألفي نجديّ مُؤْدٍ من غَطفَان وسائر قَيْس ، فقدِم سعد زَرُودَ في أوّل الشتاء ، فنزلها وتفرّقت الجنود فيما حولَها من أمواه بني تميم وأسد، وانتظر اجتماع الناس، وأمْر عمر ، وانتخب من بني تميم والرّباب أربعة آلاف؛ ثلاثة آلاف تميميّ ، وألف رِبيّ ، وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف ، وأمرهم أن ينزلوا على حدّ أرضهم بين الحَزْن والبَسيطة ، فأقاموا هنالك بين سَعْد بن أبي وقّاص وبين المثنَّى بن حارثة ، وكان المثنَّى في ثمانية آلاف؛ مِنْ ربيعة ستة آلاف من بكر بن وائل ، وألفان من سائر ربيعة؛ أربعة آلاف ممَّن كان انتخب بعد فصول خالد ، وأربعة آلاف كانوا معه ممَّن بقيَ يوم الجسر ، وكان معه من أهل اليمن ألفان من بَجِيلة ، وألفان من قُضاعة؛ وطيِّء ممَّن انتُخبوا إلى ما كان قبل ذلك ، على طيِّئ عديّ بن حاتم ، وعلى قُضاعة عمرو بن وَبَرة ، وعلى بَجِيلة جرير بن عبد الله؛ فبينا النَّاس كذلك ـ سعد يرجو أن يقدَم عليه المثنَّى ، والمثنَّى يرجو أن يقدَم عليه سعد ـ مات المثنّى من جراحته التي كان جُرِحها يوم الجِسْر ، انتقضت به؛ فاستخلف المثنَّى على النَّاس بشير بن الخَصاصيَّة ، وسعد يومئذ بزَرُود ، ومع بشير يومئذ وجوهُ أهل

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر المتابعات والشواهد في نهاية سردنا لهذه الروايات.

(٢) إسناده ضعيف وسنتحدث عن وقعة القادسية بعد قليل.

العراق، ومع سعد وفود أهل العراق الَّذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فُرات بن حيَّان العجلي وعتيبة ، فردّهم مع سعد[١]. (٣: ٤٨٦).

١١٩ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي ضَمْرة ، عن ابن سيرين ، وإسماعيل بن أبي خالد عن قَيْس بن أبي حازم ، قالا: لمَّا بلغ سعداً فصولُ رستم إلى ساباط؛ أقام في عسكره لاجتماع الناس؛ فأمّا إسماعيل فإنه قال: كتب إليه سعد أنّ رستم قد ضرب عسكره بساباط دون المدائن وزحف إلينا؛ وأمَّا أبو ضَمْرة فإنه قال: كتب إليه أنّ رستم قد عسكر بسَاباط ، وزحف إلينا بالخيول والفيول وزُهاء فارس ، وليس شيء أهمَّ إليَّ ولا أنا له أكثر ذكراً منّي لما أحببت أن أكون عليه؛ ونستعين بالله ، ونتوكَّل عليه ، وقد بعث فلاناً وفلاناً وهم ما وصفت[٢]. (٣: ٤٩٥).

١٢٠ ـ حدّثني محمد بن عبد الله بن صَفْوان الثّقفيّ ، قال: حدّثنا أمَيَّة بن خالد ، قال: حدّثنا أبو عوانة ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، قال: قال أبو وائل: جاء سعد حتى نزل القادسيَّة ، ومعه النَّاس ، قال: لا أدري لعلَّنا لا نزيد على سبعة آلاف أو نحو من ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفاً أو نحو ذلك. فقالوا لنا: لا يدي لكم ولا قوّة ولا سلاح ، ما جاء بكم؟ ارجعوا ، قال: قلنا: لا نرجع؛ وما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من نَبْلنا ، ويقولون: «دُوك دوك» ، ويشبّهونها بالمغازل. قال: فلما أبينا عليهم أن نرجع ، قالوا: ابعثوا إلينا رجلاً منكم ، عاقلاً يبيِّن لنا ما جاء بكم؛ فقال المغيرة بن شعبة: أنا ، فَعَبَر إليهم فقعد مع رستم على السرير ، فنخَروا وصاحوا ، فقال: إنَّ هذا لم يزدني رفعة ، ولم ينقص صاحبكم ، قال رستم: صدقت ، ما جاء بكم؟ قال: إنَّا كنا قوماً في شرٍّ وضلالة؛ فبعث الله فينا نبيّاً ، فهدانا الله به ورزقنا على يديه؛ فكان ممَّا رزقنا حَبَّة زُعمت تنبُتُ بهذا البلد؛ فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا: لا صبر لنا عن هذه ، أنزلونا هذه الأرضَ حتى نأكل من هذه الحبَّة ، فقال رستم: إذاً نقتلُكم ، فقال: إن قتلتمونا دَخلْنا الجنَّة ، وإن قتلناكم دخلتم النار؛ أو أدّيتم الجِزْية ،

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده بعد سرد الروايات في الباب.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر ما ورد في قصة القادسية عند غير الطبري بعد انتهائنا من سرد روايات الطبري.

قال: فلمّا قال: أدّيتم الجزية، نخروا وصاحوا، وقالوا: لا صلحَ بيننا وبينكم، فقال المغيرة: تعبرون إلينا أو نعبر إليكم؟ فقال رستم: بل نعبُر إليكم، فاستأخَر المسلمون حتى عَبَر منهم مَن عبر، فحملوا عليهم فهزموهم.

قال حصين: فحدّثني رجل منّا يقال له عُبيد بن جَحْش السُّلميّ، قال: لقد رأيتُنا وإنّا لنَطَأ على ظهور الرجال، ما مسَّهم سلاح، قتل بعضهم بعضاً، ولقد رأيتُنا أصبْنا جِراباً من كافور، فحسبْناه ملحاً لا نشكّ أنه مِلْح؛ فطبخنا لحماً، فجعلنا نُلقيه في القِدْر فلا نجد له طعماً، فمرّ بنا عِباديّ معه قميص فقال: يا معشرَ المُعرِبين! لا تفسدُوا طعامَكم؛ فإنَّ ملح هذه الأرض لا خيرَ فيه، هل لكم أن تأخذوا هذا القميصَ به؟ فأخذناه منه، وأعطيناه منّا رجلاً يلبسه، فجعلنا نُطيف به ونعجب منه، فلمّا عرفنا الثياب؛ إذا ثمن ذلك القميص درهمان. قال: ولقد رأيتُني أقربُ إلى رجل عليه سِواران من ذهب، وسلاحُه، فجاء فما كلّمته حتى ضربتُ عنقه.

قال: فانهزموا حتى انتهوا إلى الصَّراة؛ فطلبناهم فانهزموا حتى انتهوا إلى المدائن؛ فكان المسلمون بكُوثَى وكان مسلحة المشركين بدَيْر المسلاخ، فأتاهم المسلمون فالتقوْا، فهُزم المشركون حتى نزلوا بشاطىء دِجلة، فمنهم مَن عبر من كَلْواذَى، ومنهم مَن عبَر من أسفل المدائن، فحصروهم حتى ما يجدون طعاماً يأكلونه، إلاّ كلابَهم وسنانيرهم، فخرجوا ليلاً، فلحقوا بجَلولاء، فأتاهم المسلمون؛ وعلى مقدّمة سعد هاشم بن عُتْبة، وموضع الوقعة التي ألحقهم منها فريد. قال أبو وائل: فبعث عمر بن الخطاب حذيفةَ بن اليمان على أهل الكوفة، ومُجاشع بن مسعود على أهل البصرة[١]. (٣: ٤٩٦/٤٩٧).

١٢١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو بإسنادهم، قالوا: وعجَّ أهلُ السَّواد إلى يَزْدَجرد بن شهريار، وأرسلوا إليه: أنَّ العرب قد نزلوا القادسيَّة بأمر ليس يُشبه إلاّ الحرب، وإنّ فعل العرب مذ نزلوا القادسيَّة لا يبقى عليه شيء؛ وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات؛ وليس فيما

(١) حديث أبي وائل هذا أخرجه غير الطبري من الحفاظ مع اختلاف بسيط كما سنذكر بعد سردنا للروايات.

هنالك أنيس إلاّ في الحصون ، وقد ذهب الدوابّ وكلّ شيء لم تحتمله الحصون من الأطعمة ، ولم يبق إلاّ أن يستنزِلونا ، فإن أبطأ عنّا الغياث أعطيناهم بأيدينا ، وكتب إليه بذلك المُلُوك الَّذين لهم الضّياع بالطفّ ، وأعانوهم عليه ، وهيَّجوه على بعثه رستم.

ولما بدا ليزدَجِرْد أن يرسلَ رستَم أرسلَ إليه ، فدخل عليه ، فقال له: إنِّي أريد أن أوَجهك في هذا الوجه؛ وإنما يُعَدّ للأمور على قدرها ، وأنت رجل أهل فارس اليوم ، وقد ترى ما جاء أهلَ فارس مِن أمر لم يأتِهم مثلُه منذ وليَ آلُ أردشير ، فأراه أن قد قبِل منه ، وأثنى عليه. فقال له الملك: قد أحبُّ أن أنظر فيما لديك لأعرفَ ما عندك ، فصفْ لِي العرب وفعلَهم منذ نزلوا القادِسيَّة ، وصف لي العَجَم وما يلقوْن منهم.

فقال رستم: صفَة ذئابٍ صادفت غِرَّةً من رِعاء فأفسدت. فقال: ليس كذلك؛ إني إنما سألتك رجاء أن تُعرِب صفتهم فأقوّيك لتعمل على قَدْر ذلك فلم تُصِبْ ، فافهم عنّي؛ إنَّما مَثَلُهم ومثَلُ أهل فارس كَمَثل عُقَاب أوفَى على جبل يأوي إليه الطير بالليل ، فتبيت في سَفْحه في أوكارها ، فلمّا أصبحت تجلَّت الطير ، فأبصرته يرقبها ، فإن شذّ منها شيء اختطفه ، فلمّا أبصرته الطير لم تنهض من مخافته؛ وجعلت كلَّما شذّ منها طائر اختطَفه ، فلو نهضت نهضةً واحدة ردَّته؛ وأشدُّ شيء يكون في ذلك أن تنجُوَ كلُّها إلا واحداً؛ وإن اختلفت؛ لم تنهض فرقة إلاَّ هلكت؛ فهذا مثلُهم ومثل الأعاجم؛ فاعمل على قَدْرِ ذلك. فقال له رستُم: أيّها الملك ، دَعْني؛ فإنَّ العرب لا تزالُ تهاب العجم مالم تُضَرِّهم بي؛ ولعلّ الدولة أن تثبت بي فيكون الله قد كَفَى ، وتكون قد أصبْنَا المكيدة ورأيَ الحرب؛ فإنّ الرّأي فيها والمكيدة أنفع من بعض الظَّفر. فأبَى عليه ، وقال: أيّ شيء بقي! فقال رستم: إنَّ الأناة في الحرْب خيرٌ من العجلة ، وللأناة اليومَ موضع ، وقتال جيش بعد جيش أمثلُ من هزيمة بمرّة وأشدّ على عدوِّنا ، فلجَّ وأبَى ، فخرج حتى ضرب عسكره بساباط ، وجعلت تختلف إلى الملك الرُّسل ليرى موضعاً لإعفائه وبعثةِ غيره ، ويجتمع إليه النَّاس. وجاء العيون إلى سعد بذلك من قبَل الحيرة وبني صلوبا ، وكتب إلى عمر بذلك. ولما كثرت الاستغاثة على يَزْدَجرد من أهل السَّواد على يدي الآزاذمرد بن الآزاذبه جشعت نفسه ، واتّقى الحرب برستم ،

وترك الرّأي ـ وكان ضيّقاً لجوجاً ـ فاستحثّ رستم ، فأعاد عليه رستم القول ، وقال: أيّها الملك ! لقد اضطرني تضييع الرأي إلى إعظام نفسي وتزكيتها؛ ولو أجدُ من ذلك بدّاً لم أتكلَّمْ به ، فأنشدك الله في نفسِك وأهلك ومُلْكك؛ دعني أقم بعسكري وأسرّح الجالنوس؛ فإن تكن لنا فذلك؛ وإلاّ فأنا على رِجْل ، وأبعث غيره ، حتى إذا لم نجد بدّاً ولا حيلة؛ صَبَرْنا لهم؛ وقد وهَّنَّاهم وحسَّرناهم ونحن جامُّون. فأبى إلاّ أن يسير[1]. (٣: ٥٠٣/ ٥٠٤).

١٢٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر بن السريّ الضّبيّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال: لمَّا نزل رستم بساباط ، وجمع آلة الحرب وأدَاتها بعثَ على مقدّمته الجالنوس في أربعين ألفاً ، وقال: ازحف زحفاً ، ولا تنْجذب إلاّ بأمري؛ واستعملَ على ميمنته الهُرْمزان ، وعلى ميسرته مِهْران بن بَهْرام الرازيّ ، وعلى ساقته البيرزان ، وقال رستم ليشجّع الملك: إن فتح الله علينا القوم ، فهو وجْهنا إلى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في أصلهم وبلادهم ، إلى أن يقبلوا المسالَمة أو يرضوْا بما كانوا يرضوْن به. فلمّا قدمت وفود سعد على الملك ، ورجعوا من عنده؛ رأى رستم فيما يرى النائم رؤيا فكرهها ، وأحسّ بالشرّ ، وكره لها الخروج ولقاء القوم ، واختلف عليه رأيه واضطرب ، وسأل الملك أن يُمضيَ الجالنوس ، ويُقيم حتَّى ينظر ما يصنعون ، وقال: إن غَناء الجالنوس كغَنائي ، وإن كان اسمي أشدّ عليهم من اسمه ، فإن ظفِر فهو الذي نريد ، وإن تكن الأخرىٰ وجهْتُ مثله ، ودفعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما؛ فإنّي لا أزال مرجوّاً في أهل فارس ، مالم أهزَم ينشَطون ، ولا أزال مهيباً في صدور العرب ، ولا يزالون يهابون الإقدام مالم أباشرهم؛ فإن باشرتهم اجترؤوا آخرَ دهرهم ، وانكسر أهلُ فارس آخرَ دهرهم ، فبعث مقدّمته أربعين ألفاً؛ وخرج في ستين ألفاً ، وساقته في عشرين ألفاً[2]. (٣: ٥٠٤/ ٥٠٥).

١٢٣ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السّريّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال: كان الذي جرّأ يزدجِرد على إرسال رستم غلام جابان منجِّم كسرى ، وكان من أهل فُرات بادَقلَى ، فأرسل إليه فقال: ما ترى في مسير

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما ورد في القادسية عند غير الطبري بعد قليل.
(٢) إسناده ضعيف وسنتحدث عن قصة القادسية بعد سرد هذه الروايات.

رستم وحرب العرب اليوم؟ فخافه على الصّدق فكذبه ، وكان رستم يعلَم نحواً من علمه ، فثقُل عليه مسيرُه لعلمه ، وخفّ على الملكِ لما غرّه منه ، وقال: إنِّي أحبّ أن تخبرَنِي بشيء أراه أطمئنّ به إلى قولك ، فقال الغلام لزُرنا الهنديّ: أخبِره ، فقال: سَلْنِي ، فسأله فقال: أيها الملك ! يُقبل طائر فيقع على إيوانِك فيقع منه شيء في فيه هاهنا ـ وخطّ دارةً ـ فقال العبد: صدَق ، والطائر غراب ، والذي في فيه درهم ، وبلغ جابان: أنّ الملك طلبه ، فأقبل حتّى دخل عليه ، فسأله عمّا قال غلامُه ، فحسِب فقال: صدق ولم يُصب؛ هو عقعق ، والذي في فيه درهم ، فيقع منه على هذا المكان ، وكذب زرنا ، ينزو الدرهم فيستقرّ هاهنا ـ ودوّر دارة أخرى ـ فما قاموا حتّى وقع على الشُّرفات عَقعق ، فسقط منهُ الدرهم في الخط الأول ، فنزا فاستقرّ في الخطّ الآخر ، ونافر الهنديُّ جابان حيث خَطَّأه؛ فأتيا ببقرة نَتُوج؛ فقال الهنديُّ: سَخْلتها غرّاء سَوداء ، فقال جابان: كذبْتَ ، بل سوداء صبغاء ، فنُحرت البقرة فاستُخرجت سخلتها ، فإذا هي ذنَبها بين عينيها ، فقال جابان: من هاهنا أتِيَ زرنا ، وشجّعاه على إخراج رستم ، فأمضاه ، وكتب جابان إلى جُشْنَسْماه: إنّ أهل فارس قد زالَ أمرهم ، وأدِيلَ عدوُّهم عليهم ، وذهب مُلك المجوسيَّة ، وأقبل مُلك العرب ، وأديل دينهم؛ فاعتقد منهم الذمّة ، ولا تخلُبنَّك الأمور ، والعجل العجل قبل أن تُؤخذ ! فلمّا وقع الكتاب إليه خرج جشنسماه إليهم حتى أتى المعنَّى؛ وهو في خيل بالعَتِيق ، وأرسله إلى سعد ، فاعتقد منه على نفسه وأهل بيته ومَن استجاب له وردّه ، وكان صاحبَ أخبارهم ، وأهدى للمعنّى فالوذق ، فقال لامرأتـه: ما هذا؟ فقالت: أظنّ البائسة امرأته أراغت العصيدةَ فأخطأتْها ، فقال المعنَّى: بؤساً لها[1]. (٣: ٥٠٦/٥٠٧) .

١٢٤ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السريّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال: لمَّا فصَل رستم ، وأمر الجالنوس بالتقدّم إلى الحيرة؛ أمره أن يصيبَ له رجلاً من العَرب ، فخرج هو والآزاذمرد سريّةً في مئةٍ؛ حتى انتهيا إلى القادسيَّة ، فأصابا رجلاً دون قنطرة القادسيّة فاختطفاه ، فنفر النَّاس فأعجزوهم إلاّ ما أصاب المسلِمون في أخْرَياتهم. فلمَّا انتهيا إلى النَّجَف

(١) إسناده ضعيف.

سرّحا به إلى رستم ، وهو بكُوثَى ، فقال له رستم : ما جَاء بكم؟ وماذا تطلبون؟ قال : جئنا نطلب موعود الله ، قال : وما هو؟ قال : أرضكم وأبناؤكم ودماؤكم إن أبيتم أن تُسْلموا . قال رستم : فإن قُتلتم قبل ذلك؟ قال : في موعود الله أنَّ من قُتِل منَّا قبل ذلك أدخله الجنة . وأنجز لمن بقي منّا ما قلت لك ، فنحن على يقين . فقال رستم : قد وُضِعْنا إذاً في أيديكم ! قال : ويحك يا رستم! إنّ أعمالَكم وضعتْكم فأسلمكم الله بها؛ فلا يغرنَّك ما ترى حولَك ، فإنك لست تُحاول الإنس؛ إنما تحاول القضاءَ والقدر! فاستشاط غضباً؛ فأمر به فضرِبت عنقه ، وخرج رستم من كُوثَى؛ حتى ينزل ببُرس ، فغصب أصحابُه الناسَ أموالَهم ووقعوا على النساء ، وشربوا الخمور ، فضجّ العلُوج إلى رستم ، وشكَوْا إليه ما يلقوْن في أموالهم وأبنائهم ، فقام فيهم ، فقال : يا معشر أهل فارس ! والله لقد صدَق العربيّ؛ والله ما أسلَمنا إلا أعمالنا ، والله للعرب في هؤلاء وهم لهم ولنا حربٌ أحسنُ سيرةً منكم ، إنّ الله كان ينصركم على العدوّ ، ويمكّن لكم في البلاد بحُسن السيرة وكفِّ الظلم والوفاءِ بالعهود والإحسان؛ فأمَّا إذ تحوَّلتم عن ذلك إلى هذه الأعمال ، فلا أرى الله إلا مغيّراً ما بكم ، وما أنا بآمنٍ أن ينزع الله سلطانه منكم . وبعث الرجال؛ فلقطوا له بعض من يُشكى فأتِيَ بنفر ، فضرب أعناقهم ، ثم ركب ونادى في الناس بالرّحيل ، فخرج ونزل بحيال دير الأعور ، ثم انصبّ إلى الملطاط؛ فعسكر ممّا يلي الفرات بحيال أهلِ النَّجَف بحيال الخَوَرْنق إلى الغَرِيَّين ، ودعا بأهل الحيرة ، فأوعدهم وهمّ بهم ، فقال له ابن بُقَيْلة : لا تجمع علينا اثنتين : أن تعجز عن نُصرتنا ، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا وبلادنا . فسكت[1] . (٣ : ٥٠٧/٥٠٨) .

يــوم أرمــاث

١٢٥ - كتبَ إليّ السريُّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : قال رستم : إنَّما ضَغَا الثعلب حين مات الأسد - يذكرّهم موتَ كسرى - ثم قال لأصحابه : قد خشيتُ أن تكونَ هذه سنة القرود ، ولما عَبر

---

(١) إسناده ضعيف .

أهل فارس أخذوا مصافَّهم ، وجلس رستم على سريره وضُرب عليه طيّارة ، وعبَّى في القلب ثمانية عشر فيلاً ، عليهَا الصناديق والرّجال ، وفي المجنَّبتين ثمانية وسبعة ، وعليها الصناديق والرّجال ، وأقام الجالِنوس بينه وبين ميمنته والبِيرزان بينه وبين ميسرته ، وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين ، وكان يزدجرد وضع رجلاً على باب إيوانه؛ إذ سرّح رستم ، وأمرَه بلزومه وإخباره وآخر حيث يسمعه من الدار ، وآخر خارج الدار ، وكذلك على كل دعوة رجلاً؛ فلما نزل رستم ، قال الذي بساباط : قد نزل ، فقال الآخر . . . حتى قاله الذي على باب الإيوان؛ وجعل بين كلّ مرحلتَيْن على كلّ دعوة رجلاً؛ فكلّما نزل وارتحل أو حدث أمرٌ قاله؛ فقاله الذي يليه ، حتى يقوله الذي يلي باب الإيوان؛ فنظّم ما بين العتيق والمدائن رجالاً ، وترك البُرُد ، وكان ذلك هو الشأن .

وأخذ المسلمون مصافَّهم ، وجُعِل زُهرة وعاصم بين عبد الله وشُرَحبيل ، ووكّل صاحبَ الطلائع بالطِّراد ، وخلَط بين الناس في القلب والمجنَّبات ، ونادى مناديه : ألا إنّ الحسد لا يحلّ إلاّ على الجهاد في أمر الله يا أيّها الناس؛ فتحاسدوا وتغَايروا على الجِهاد ، وكان سعد يومئذ لا يستطيعُ أن يركبَ ولا يجلس ، به حُبون ، فإنَّما هو على وجهه في صدره وسادة ، هو مُكِبّ عليها ، مُشرِف على الناس من القَصْر ، يرمي بالرّقاع فيها أمرُه ونهيُه ، إلى خالد بن عُرْفُطة ، وهو أسفل منه؛ وكان الصفّ إلى جنب القَصْر ، وكان خالد كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهداً مُشرِفاً[1] . (٣: ٥٣٠/ ٥٣١) .

١٢٦ ـ كتب إليّ السريُّ ، قال : حدّثنا شعيب عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وأرسل سعدٌ الذين انتهى إليهم رأيُ الناس ، والذين انتهت إليهم نجدتُهم وأصناف الفَضْل منهم إلى الناس ، فكان منهم من ذوِي الرأي النَّفرُ الذي أتوا رستم المغيرةُ ، وحُذَيْفة ، وعاصم؛ وأصحابهم؛ ومن أهل النجدة طُلَيْحة ، وقَيس الأسديّ ، وغالب ، وعمرو بن مَعْديكرب وأمثالهم ، ومن الشعراء الشَّمَّاخ والحُطَيْئَة ، وأوس بن مَغْراء ، وعبْدة بن الطبيب؛ ومن

(١) إسناده ضعيف ولبعضه ما يقويه كما سنذكر بعد قليل .

سائر الأصناف أمثالهم. وقال قبل أن يُرسلهم: انطلقوا فقومُوا في النَّاس بما يحقّ عليكم ويحقّ عليهم عند مواطن البأس؛ فإنَّكم من العرب بالمكان الذي أنتم به، وأنتم شُعراء العرب وخُطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في الناس، فذكِّروهم وحَرّضوهم على القتال. فساروا فيهم، فقال قيس بن هُبَيرة الأسَديّ: أيُّها الناس! احمَدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم يَزِدْكم، واذكروا آلاءَ الله، وارغَبوا إليه في عاداته؛ فإنّ الجنّة أو الغنيمة أمامكم؛ وإنه ليس وراء هذا القصْر إلا العراء والأرض القَفْر، والظِّراب الخُشْن، والفلوات التي لا تقطعها الأدِلّة.

وقال غالب: أيُّها الناس! احمَدوا الله على ما أبلاكم، وسلوه يزدْكم، وادعوه يُجبْكم؛ يا معاشر مَعَدّ! ما علَّتُكم اليوم وأنتم في حصونكم - يعني: الخيل - ومعكم من لا يعصيكم - يعني: السيوف - اذكروا حديث الناس في غدٍ؛ فإنه بكم غداً يُـبْـدَأ عنده، وبمن بعدكم يُـثنَّى.

وقال ابن الهُذيْل الأسديّ: يا معاشر معدّ! اجعلوا حصونكم السيوف، وكونوا عليهم كأسود الأجَم، وترَبَّدوا لهم تربُّد النُّمور، وادَّرِعوا العَجاج، وثقوا بالله، وغُضّوا الأبصار، فإذا كلَّت السيوف فإنها مأمورة، فأرسلوا عليهم الجنادل، فإنها يؤْذن فيما لا يؤذن للحديد فيه.

وقال بُسْر بن أبي رُهْم الجُهَنيّ: احمَدوا الله، وصدّقوا قولكم بفعل، فقد حمِدتم الله على ما هداكم له ووحّدتموه ولا إله غيره، وكبّرتموه، وآمنتم بنبيّه ورُسُله فلا تَموتُنّ إلا وأنْتم مُسْلِمُون؛ ولا يكونَنّ شيء بأهونَ عليكم من الدُّنيا، فإنها تأتي مَن تهاون بها، ولا تميلوا إليها فتهرُب منكم لتميلَ بكم. انصُرُوا الله ينصُركم.

وقال عاصم بن عمرو: يا معاشرَ العرب! إنّكم أعيانُ العرب، وقد صمدتم الأعيان من العجم؛ وإنما تخاطرون بالجنَّة، ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونُنّ على دنياهم أحوطَ منكم على آخرتكم. لا تحدِثوا اليوم أمراً تكونون به شَيْئاً على العَرَب غداً.

وقال ربيع بن البلاد السعديّ: يا معاشرَ العرب! قاتلوا للدّين والدُّنيا؛ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ

لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، وإن عظَّم الشيطان عليكم الأمْرَ ، فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل.

وقال رِبْعيّ بن عامر: إنّ الله قد هداكم للإسلام ، وجمعكم به ، وأراكم الزّيادة ، وفي الصبر الرّاحة ، فعَوّدوا أنفسَكم الصبر تعتادوه ، ولا تعوّدوها الجَزَع فتعتادوه.

وقام كلّهم بنحو من هذا الكلام ، وتواثَق الناس ، وتعاهدوا ، واهتاجوا لكلّ ما كان ينبغي لهم ، وفعل أهلُ فارس فيما بينهم مثلَ ذلك ، وتعاهدوا وتواصوْا؛ واقترنوا بالسلاسل؛ وكان المقترنون ثلاثين ألفاً[1]. (٣: ٥٣٣/ ٥٣٤/ ٥٣٥).

١٢٧ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال: مرّ بنا عمرو بن معديكرب وهو يحضّض الناس بين الصّفين ، وهو يقول: إنَّ الرجل مِن هذه الأعاجم إذا ألقى مِزراقه؛ فإنّما هو تيْس. فبينا هو كذلك يحرّضنا إذ خرج إليه رجلٌ من الأعاجم ، فوقف بين الصّفّين فرمى بنُشَّابة ، فما أخطأت سِيَةَ قوسِه وهو متنكِّبها ، فالتفت إليه فحمل عليه ، فاعتنقه ، ثم أخذ بِمنْطَقته ، فاحتمله فوضعه بين يديه ، فجاء به حتى إذا دنا؛ منّا كسر عنقَه ، ثم وضع سيفَه على حَلْقه فذبحه؛ ثم ألقاه ، ثم قال: هكذا فاصنعوا بهم! فقلنا: يا أبا ثَور ! مَن يستطيع أن يصنع كما تصنع[2]؟!

١٢٨ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال: كانت ـ يعني: وقعة القادسيَّة ـ في المحرّم سنة أربع عشرة في أوله. وكان قد خرج من الناس إليهم ، فقال له أهل فارس: أحِلْنا ، فأحالهم على بَجِيلة ، فصرفوا إليها ستَّة عشر فيلاً[3]. (٣: ٥٣٨).

يــوم أغـــواث

١٢٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا:

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عن القادسية بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر ما يقويه بعد سرد هذه الروايات.

(٣) إسناده ضعيف وسنذكر ما يقويه بعد سرد هذه الروايات.

وكان سعد قد تزوّج سلْمَى بنت خَصَفة؛ امرأة المثنَّى بن حارثة قبله بشَراف، فنزل بها القادسيَّة، فلمَّا كان يوم أرماث، وجال الناسُ، وكان لا يُطيق جِلْسةً إلاَّ مستوفِزاً أو على بطنه؛ جعل سعد يَتَمَلمل ويحُول جَزَعاً فوق القصر؛ فلمَّا رأت ما يصنع أهلُ فارس، قالت: وامُثنَّيَاهُ ولا مُثنَّى للخيل اليوم! ـ وهي عند رجل قد أضجره ما يَرى من أصحابه وفي نفسه ـ فلطَم وجهها، وقال: أين المثنَّى من هذه الكتيبة التي تدورُ عليها الرّحى! ـ يعني: أسداً وعاصماً وخيله ـ فقالت: أغَيْرةً وجُبْناً! قال: والله لا يعذِرني اليوم أحد إذا أنتِ لم تعذريني وأنتِ تَرَيْنَ ما بي، والناس أحقُّ ألاّ يعذِروني! فتعلَّقها الناس؛ فلمَّا ظهر النَّاس؛ لم يبقَ شاعر إلاّ اعتدّ بها عليه؛ وكان غير جَبان، ولا ملوم، ولمَّا أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبية، وقد وكّل سعد رجالاً بنقل الشهداء إلى العُذيْب ونقلِ الرّثيث؛ فأمَّا الرّثيث فأسلِمَ إلى النساء يقمْن عليهم إلى قضاء الله عزّ وجل عليهم؛ وأمَّا الشُّهداء فدفنوهم هنالك على مُشَرّق ـ وهو وادٍ بين العُذيْب وبين عين الشمس في عُدْوتَيْه جميعاً؛ الدنيا منهما إلى العُذَيب والقُصَوى منهما من العُذيب ـ والنَّاس ينتظرون بالقتال حَمْلَ الرّثِيث والأموات؛ فلمَّا استقلَّت بهم الإبل وتوجَّهت بهم نحو العُذَيب طلعت نواصي الخيل من الشأم ـ وكان فتح دِمَشْق قبل القادسيَّة بشهر ـ فلمَّا قدم على أبي عُبَيدة كتاب عمر بصَرف أهلِ العراق أصحاب خالد؛ ولم يذكر خالداً ضنَّ بخالد فحبسه وسرّح الجيش؛ وهم ستة آلاف؛ خمسة آلاف من ربيعة ومُضر وألف من أفناء اليَمن مَن أهل الحجاز؛ وأمَّر عليهم هاشم بن عُتبة بن أبي وقَّاص، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو، فجعله أمامه؛ وجعل على إحدى مجنّبتَيْه قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث المراديّ ـ ولم يكن شهد الأيّام، أتاهم وهم باليرموك حين صُرِف أهل العراق وصُرف معهم ـ وعلى المجنَّبة الأخرى الهَزهاز بن عمرو العِجليّ، وعلى الساقة أنس بن عبَّاس. فانجذب القعقاع وطوى وتعجَّل، فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطَّعوا أعشاراً؛ وهم ألف، فكُلَّما بلغ عشرة مَدَى البَصَر سرَّحوا في آثارهم عشرة، فقدّم القعقاع أصحابه في عشرة، فأتى النَّاس فسلَّم عليهم، وبشّرهم بالجنود، فقال: يا أيّها الناس! إنّي قد جئتكم في قوم؛ والله أن لو كانوا بمكانكم، ثم أحسُّوكم حسدوكم حُظْوتَها، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم، فاصنعوا كما أصنع. فتقدّم ثم نادى: مَن يبارز؟ فقالوا فيه بقول أبي بكر: لا يُهْزَم

جيشٌ فيهم مثل هذا ، وسكنوا إليه ، فخرج إليه ذو الحاجب ، فقال له القعقاع : مَن أنت؟ قال : أنا بهْمَن جاذَوَيْه ، فنادى : يا لِثارات أبي عبيد وسَلِيط وأصحاب يوم الجِسْر! فاجتلدا ، فقتله القعقاع ، وجعلت خيله تَرِد قِطَعاً ، وما زالت ترِدُ إلى الليل وتنشّط الناس؛ وكأن لم يكن بالأمس مصيبة؛ وكأنَّما استقبلوا قتالَهم بقتل الحاجبيّ وللحاق القِطَع ، وانكسرت الأعاجم لذلك ، ونادى القعقاع أيضاً : مَن يبارز؟ فخرج إليه رجلان : أحدهما البِيرزان والآخر البِندوان؛ فانضمّ إلى القعقاع الحارث بن ظَبْيان بن الحارث أخو بني تَيْم اللاّت ، فبارز القعقاع البِيرزان ، فضربه فأذرى رأسَه ، وبارز ابن ظَبْيان البِندوان ، فضربه فأذرى رأسَه ، وتورَّدهم فرسان المسلمين ، وجعل القعقاع يقول : يا معاشِرَ المسلمين ! باشروهم بالسيوف ، فإنَّما يُحْصَد الناس بها! فتواصَى النَّاس ، وتشايعوا إليهم ، فاجتلدوا بها حتَّى المساء ، فلم ير أهل فارس في هذا اليوم شيئاً ممَّا يعجبهم ، وأكثر المسلمون فيهم القتْل ، ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فِيل ، كانت توابيتها تكسَّرت بالأمس ، فاستأنفوا علاجها حين أصبحوا فلم ترتفع حتى كان الغد[1] . (٣ : ٥٤٢/ ٥٤٣/ ٥٤٤) .

١٣٠ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن سُليم بن عبد الرحمن السعديّ ، عن أبيه ، قال : كان يكون أوّل القتال في كلّ أيامها المطاردة ، فلمَّا قدم القعقاع قال : يا أيّها الناس ! اصنعوا كما أصنع ، ونادَى : مَنْ يبارزُ؟ فبرز له ذو الحاجب فقتلَه ، ثم البِيرزان فقتله ، ثم خرج الناس من كلِّ ناحية ، وبدأ الحرب والطِّعان ، وحمل بنو عمّ القعقاع يومئذ ، عشرة عشرة من الرجَّالة ، على إبل قد ألبسوها فهي مجلَّلة مبرقعة ، وأطافت بهم خيولُهم ، تحميهم ، وأمرهم أن يحملوا على خيلهم بين الصّفين يتشبَّهون بالفيَلة ، ففعلوا بهم يوم أغواث كما فعلت فارس يوم أرماث ، فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلاَّ نفرت بهم خيلهم ، وركبتهم خيول المسلمين ، فلمَّا رأى ذلك الناس استنُّوا بهم ، فلقيَ فارس من الإبل يوم أغواث أعظَم ممَّا لقي المسلمون من الفيَلة يوم أرماث .

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد بعد قليل .

وحمل رجلٌ من بني تميم ممَّن كان يحمي العشيرة يقال له: سواد ، وجعل يتعرَّض للشهادة ، فقُتل بعدما حمل ، وأبطأت عليه الشهادة؛ حتى تعرَّض لرستم يريده ، فأصيب دونه[1]. (٣: ٥٤٥) .

١٣١ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا: قَتل القعقاع يوم أغواث ثلاثين في ثلاثين حملة ، كلَّما حمل حملة قتل فيها ، فكان آخرهم بُزُرْجُمِهر الهمَذانيّ ، وقال في ذلك القعقاع :

حَبَوْتُهُ جَيَّاشَةً بالنّفس هَدَّارةً مثلَ شُعاع الشمسِ
في يوم أغواثٍ فَلَيْلِ الفُرْس أَنْخُسُ بالقوم أشَدَّ النَّخْس
حتى تَفِيضَ مَعْشَري ونَفْسي

وبارز الأعْوَر بن قُطبة شَهْرَبَرازَ سِجْستان ، فقتل كلّ واحد منهما صاحبه ، فقال أخوه في ذلك :

لم أرَ يوماً كان أحلَى وأمَرْ من يوم أغواثٍ إذِ افترَّ الثَّغَرْ
من غير ضَحْكٍ كان أَسْوَا وَأَبَرّ[2]

(٣: ٥٤٧) .

١٣٢ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد؛ وشاركهم ابن مِخراق عن رجل من طَيّىء ، قالوا: وقاتلت الفرسان يوم الكتائب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف النهار؛ فلمَّا عدَل النهار تزاحف الناس، فاقتتلوا بها صَتيتاً حتى انتصف الليل؛ فكانت ليلة أرماث تُدعى الهَدْأة ، وليلة أغواث تُدعى السَّواد ، والنّصف الأول يدعى السَّواد ، ثم لم يزل المسلمون يروْن في يوم أغواث في القادسيَّة الظَّفَر ، وقتلوا فيه عامّة أعلامهم؛ وجالت فيه خيل القلب ، وثبتَ رَجْلهم؛ فلولا أنَّ خيلهم كرّت أخذ رستم أخذاً ، فلمَّا ذهب السواد بات النَّاس على مثل ما بات عليه القوم ليلة أرماث؛ ولم يزل المسلمون ينتمون لَدُن أمسوا حتى تفايؤوا. فلمَّا أمسى سعد وسمع ذلك نام ، وقال لبعض من عنده: إن تمّ الناس على الانتماء فلا تُوقِظْني ، فإنهم أقوياء على عدوّهم؛ وإن سكتوا ولم

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عن متابعات وشواهد روايات القادسية (عند الطبري) بعد قليل.
(٢) إسناده ضعيف وسنذكر شواهده بعد سرد الروايات.

ينتَم الآخرون فلا توقظني ، فإنَّهم على السَّواء فإن سمعتَهم ينتمون فأيقظِني ؛ فإن انتماءهم عن السَّوء .

فقالوا : ولما اشتدّ القتال بالسواد ، وكان أبو مِحْجَن قد حُبس وقُيّد ، فهو في القصر ، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقيله ، فزبره وردّه ، فنزل ، فأتى سلْمَى بنت خَصَفة ، فقال : يا سلمى يا بنت آل خَصَفة ! هل لكِ إلى خير؟ قالت : وما ذاك؟ قال : تخلِّين عنِّي وتُعيرينني البَلقاء ؛ فلله عليَّ إن سلَّمني الله أن أرجع إليكِ حتى أضعَ رجلي في قَيْدي ، فقالت : وما أنا وذاك! فرجع يرسُف في قيوده ، ويقول :

كَفَى حَزَناً أن تَرْدِيَ الخَيْلُ بالقَنا ... وأُتْرَكَ مشدوداً عليَّ وثاقيا

إذا قُمْتُ عَنَّاني الحديدُ وأُغلِقَتْ ... مصاريعُ دوني قد تُصِمُّ المُناديا

وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرةٍ وإخْوَةٍ ... فقد تركوني واحداً لا أخا لِيَا

ولله عَهْدٌ لا أخيسُ بعهده ... لئن فُرِجَتْ ألاَّ أزورَ الحوانيا

فقالت سَلْمى : إنِّي استخرتُ الله ورضيتُ بعهدك ، فأطلقَتْه . وقالت : أمَّا الفَرَس فلا أعِيرها ؛ ورجعتْ إلى بيتها ، فاقتادها فأخرجها من باب القصر الذي يلِي الخندق فركبها ؛ ثم دبّ عليها ؛ حتى إذا كان بحيال الميمنة كبَّر ، ثم حمل على ميسرة القَوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصَّفَّين ؛ فقالوا : بسرجها ، وقال سعيد والقاسم : عُرْياً ؛ ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة فكبَّر وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصَّفين برمحه وسلاحه ، ثم رجع من خلْف المسلمين إلى القلب فندَر أمام النَّاس ، فحمل على القوم يلعب بين الصّفين برمحه وسلاحه ؛ وكان يقصِف الناس ليلتئذٍ قصْفاً منكراً وتعجَّب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروْه من النَّهار ، فقال بعضهم : أوائل أصحاب هاشم أو هاشم نفسه ، وجعل سعد يقول وهو مُشرِف على النَّاس مُكِبّ من فوق القصر : والله لولا مَحْبس أبي مِحْجَن لقلتُ : هذا أبو مِحْجن وهذه البلقاء! وقال بعض الناس : إنْ كان الخَضِر يشهد الحروب فنظنّ صاحب البلقاء الخَضِر ، وقال بعضهم : لولا أنّ الملائكة لا تُباشر القتال لقلنا : مَلَكٌ يثبّتنا ؛ ولا يذكره الناس ولا يأبهون له ؛ لأنَّه بات في محبسه ، فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس ، وتراجع المسلمون ،

وأقبل أبو محْجَن حتى دخل من حيث خرج؛ ووضع عن نفسه وعن دابته ، وأعاد رجلَيْه في قيديْه ، وقال:

لقد علِمَتْ ثَقيفٌ غيرَ فَخْرٍ ... بأنّا نحن أكرَمُهم سُيُوفا
وأكثَرُهُمْ دُروعاً سابغَاتٍ ... وأصبَرُهم إذا كَرِهوا الوُقُوفا
وأنّا وَفدُهم في كلّ يومٍ ... فإن عَمِيُوا فَسَل بِهِمُ عَرِيفا
وليلةَ قادِسٍ لم يَشْعُروا بي ... ولم أُشْعِرْ بمَخْرَجِيَ الزُّحُوفَا
فإن أُحْبَسْ فذلكُمُ بلائي ... وإنْ أترَكْ أذيقُهُمُ الحُتوفا

فقالت له سلْمى: يا أبا مِحْجَن ! في أيّ شيء حبسك هذا الرجل؟ قال: أمَا والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته؛ ولكني كنت صاحبَ شراب في الجاهليَّة ، وأنا امرؤ شاعر يدِبّ الشعر على لساني ، يبعثه على شفتي أحياناً ، فيُساء لذلك ثنائي؛ ولذلك حبسني ، قلت:

إذا مِتُّ فادْفِنِّي إلى أصل كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظامي بعد موتي عُرُوقها
ولا تَدْفِنِّي بالفَلاة فإنني ... أخافُ إذا ما مِتُّ ألاَّ أذوقها
وتُرَوِّي بخمر الحُصِّ لَحدِي فإنني ... أسيرٌ لها من بعدِ ما قد أسوقُها

ولم تزل سلْمى مغاضبة لسعد عشيَّة أرماث ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد؛ حتى إذا أصبحتْ أتته وصالحتْه وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن ، فدعا به فأطلقه ، وقال: اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، قال: لا جَرَم ، والله لا أجيب لساني على صفة قبيح أبداً[١] . (٣: ٥٤٧/ ٥٤٨/ ٥٤٩/ ٥٥٠) .

يوم عِماس

١٣٣ ـ كتب إليّ السريُّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، وابن مخراق عن رجل من طيّئ ، قالوا: فأصبحوا من اليوم الثالث؛ وهم على مواقفهم؛ وأصبحت الأعاجم على مواقفهم ، وأصبح ما بين النّاس كالرِّجلة الحَمراء ـ يعني: الحَرَّة ـ ميلٌ في عرض ما بين الصّفين ، وقد قتل

(١) إسناده ضعيف وسنتطرق إلى ذكر الروايات الصحيحة عند غير الطبري بعد قليل إن شاء الله تعالى.

من المسلمين ألفان من رثيث ومَيّت ، ومن المشركين عشرة آلاف من رثيث وميّت. وقال سعد: مَنْ شاء غَسَل الشهداء ، ومن شاء فليدفنْهم بدمائهم ، وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم ، فجعلوهم من وراء ظهورهم ، وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر ، ويُبلّغون الرّثيث إلى النساء، وحاجب بن زيد على الشهداء ، وكان النِّساء والصبيان يحفرون القبور في اليومين: يوم أغواث ، ويوم أرماث ، بِعُدْوتَي مشرّق ، فدُفن ألفان وخمسمئة من أهل القادسيَّة وأهل الأيّام ، فمرّ حاجب وبعض أهلِ الشهادة ووُلاةِ الشهداء في أصل نخلة بين القادسيَّة والعُذَيْب ، وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها ، فكان الرّثيث إذا حُملوا فانتهيَ بهم إليها وأحدهم يَعقِل سألهم أن يقفوا به تحتها يستَرْوح إلى ظلّها ، ورجل من الجرْحَى يُدعى بُجَيراً ، يقول وهو مستظلّ بظلها:

ألا يا اسْلَمِي يا نَخْلَةً بين قادسٍ   وبين العُذَيْبِ لا يُجاوِرُكِ النَّخْلُ

ورجل من بني ضبَّة ، أو من بني ثوْر يُدعى غَيْلان ، يقول:

أَلا يا اسلَمِي يا نخلةً بين جَرْعةٍ   يجاوِرُكِ الجُمّانُ دونكِ والرَّغْلُ

ورجل من بني تيْم الله ، يقال له: رِبْعيّ يقول:

أيا نخلة الجرعاءِ يا جَرْعةَ العِدَى   سقَتْكِ الغوادي والغيوث الهواطِل

وقال الأعور بن قطبة:

أيا نخلة الرُّكبان لازُلْتِ فانضرِي   ولا زال في أكناف جَرْعَائِكِ النَّخل

وقال عوف بن مالك التميميّ ـ ويقال التيْميّ تَيْم الرّباب:

أَيا نخلةً دون العُذَيب بتَلْعةٍ   سُقِيتِ الغَوادِي المُدْجناتِ من النّخل[1]

(٣: ٥٥٠/٥٥١).

١٣٤ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا: وبات القعقاع ليلته كلَّها يسرّب أصحابَه إلى المكان الذي فارقهم فيه من الأمس ، ثم قال: إذا طلعتْ لكم الشمس ، فأقبلوا مئة مئة ، كلّما توارى عنكم مئة فليتبعها مئة؛ فإن جاء هاشم فذاك وإلاّ جدَّدتم للناس رَجاءً وجدّاً ، ففعلوا ،

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده بعد قليل وأرقام هذه الرواية أقرب إلىٰ الصحة من غيرها وأبعدها عن المبالغة من غيرها كما سنرىٰ والله تعالىٰ أعلم.

ولا يشعر بذلك أحدٌ ، وأصبح الناس على مواقفهم قد أحرزوا قتلاهم؛ وخلَّوْا بينهم وبين حاجِب بن زيد وقتلى المشركين بين الصّفَّين قد أضيعوا ، وكانوا لا يعرضون لأمواتهم ، وكان مكانهم مما صنع الله للمسلمين مكيدة فتحها ليشدّ بها أعضاد المسلمين. فلمّا ذرّ قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيلَ ، وطلعت نواصيها كبَّر وكبَّر الناس ، وقالوا: جاء المَدَد ، وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها ، فجاؤوا من قِبَل خَفَّان ، فتقدمَ الفرسان وتكتَّبت الكتائب ، فاختلفوا الضّرب والطَّعن ، ومددُهم متتابع؛ فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم ، وقد طلعوا في سبعمئة ، فأخبروه برأي القعقاع وما صنع في يوميه ، فعبَّى أصحابه سبعين سبعين ، فلمَّا جاء آخر أصحاب القعقاع خرَج هاشم في سبعين معه ، فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث ـ ولم يكن من أهل الأيَّام؛ إنما أتى من اليمن اليَرموك ـ فانتدب مع هاشم ، فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب؛ كبَّر وكبَّر المسلمون؛ وقد أخذوا مصافَّهم ، وقال هاشم: أوّل القتال المطاردة ثم المراماة؛ فأخذ قوسَه ، فوضع سهماً على كَبِدها ، ثمّ نزع فيها ، فرفعت فرسُه رأسها ، فخلّ أذنها ، فضحك وقال: واسوأتاه من رمية رجل! كلّ من رأى ينتظره! أين ترون سهمي كان بالغاً؟ فقيل: العتيق ، فنزّقها وقد نزع السهم ، ثم ضربها حتى بلغت العتيق ، ثم ضربها فأقبلت به تخرقها ، حتى عاد إلى موقفه ، وما زالت مَقَانبه تطلع إلى الأولى ، وقد بات المشركون في علاج توابيتهم ، حتى أعادوها ، وأصبحوا على مواقفهم ، وأقبلت الفِيَلة معها الرجّالة يحمُونها أن تقطعَ وُضُنها ، ومع الرّجَّالة فرسان يحمونهم ، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه؛ ليُنفِّروا بهم خيلَهم فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس ، لأنّ الفيل إذا كان وحْده ليس معه أحد كان أوحشَ ، وإذا أطافوا به كان آنس ، فكان القتال كذلك ، حتى عدَل النهار ، وكان يومُ عِماس من أوّله إلى آخره شديداً؛ العرب والعجم فيه على السواء ، ولا يكون بينهم نُقطة إلاّ تعاوَرَها الرجال بالأصوات حتى تبلغ يزدجِرْد ، فيبعث إليهم أهل النَّجَدات ممَّن بقي عنده ، فيَقْوَون بهم ، وأصبحت عنده للّذي لقيَ بالأمس الأمداد على البُرد ، فلولا الذي

صنع الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاعَ في اليومين وأتاح لهم بهاشم ، كسر ذلك المسلمين[١] . (٣: ٥٥١/ ٥٥٢) .

١٣٥ ـ كتب إليّ السَّريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي كِبْران الحسن بن عُقبة : أنّ قيس بن المكشوح ، قال مقدَمَه من الشأم مع هاشم ، وقام فيمن يليه ، فقال لهم: يا معشرَ العرب ! إنّ الله قد منّ عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بمحمَّد ﷺ ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً. دَعْوَتُكم واحدة ، وأمركم واحد ، بعد إذ أنتم يعدُو بعضكم على بعض عَدْوَ الأسْد ، ويختطف بعضكم بعضاً اختطاف الذئاب ، فانصروا الله ينصركم ، وتنجَّزوا من الله فتح فارس؛ فإنّ إخوانكم من أهل الشأم قد أنجز الله لهم فتح الشأم ، وانتثال القصور الحُمر والحصون الحُمر[٢] . (٣: ٥٥٤) .

١٣٦ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المقدام الحارثيّ ، عن الشعبيّ ، قال: قال عمرو بن معد يكرب: إنّي حاملٌ على الفيل ومَنْ حوله ـ لفيل بإزائهم ـ فلا تَدَعوني أكثر من جَزْر جَزور؛ فإن تأخَّرْتم عنّي فقدتم أبا ثور؛ فإنَّي لكم مثل أبي ثور! فإن أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف. فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم ، وستره الغبار ، فقال أصحابه: ما تنتظرون! ما أنتم بخُلَقاء أن تُدركوه ، وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسَهم ، فحملوا حملة ، فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه وطعنوه ، وإنْ سيفه لفي يده يضاربهم ، وقد طُعن فرسه ، فلمَّا رأى أصحابه ، وانفرج عنه أهل فارس أخذ برجْل فرس رجل من أهل فارس ، فحرّكه الفارسيّ ، فاضطرب الفرس ، فالتفت الفارسيّ إلى عمرو؛ فهمّ به وأبصره المسلمون؛ فغشُوه ، فنزل عنه الفارسيّ ، وحاضر إلى أصحابه ، فقال عمرو: أمكِنوني من لجامه ، فأمكنوه منه فركبه[٣] . (٣: ٥٥٤) .

١٣٧ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن المغيرة العبديّ ، عن الأسود بن قيس ، عن أشياخ لهم شهدوا القادسيَّة ، قالوا: لمّا كان يوم عِماس؛ خرج رجل من العجم حتى إذا كان بين الصّفين هدر وشقشق ونادى:

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف وسنتطرق إلىٰ الشواهد والمتابعات بعد انتهائنا من سرد روايات الطبري هذه.

مَنْ يبارز؟ فخرج رجل منَّا يقال له شَبْر بن علقمة ـ وكان قصيراً قليلاً دميماً ـ فقال: يا معشر المسلمين قد أنصفكم الرّجل ! فلم يُجبه أحدٌ؛ ولم يخرج إليه أحد ، فقال: أما والله لولا أن تزدروني لخرجت إليه ، فلمّا رأى أنه لا يُمنع أخذ سيفه وحَجَفته ، وتقدّم ، فلمّا رآه الفارسيّ هدَر ، ثم نزل إليه فاحتمله ، فجلس على صدره ، ثم أخذ سيفه ليذبحه ومِقْوَدُ فرسه مشدود بمِنْطقه ، فلما استلّ السيف حاص الفرس حيصة فجذبه المقود ، فقلبه عنه ، فأقبل عليه وهو يُسْحب ، فافترشه ، فجعل أصحابه يصيحون به ، فقال: صيحوا ما بدا لكم؛ فوالله لا أفارقه حتى أقتله وأسلبه. فذبحه وسلبه ، ثم أتى به سعداً ، فقال: إذا كان حين الظُّهر فائتني ، فوافاه بالسَّلَب ، فحمِد الله سعد وأثنى عليه ، ثم قال: إنِّي قد رأيتُ أن أنحلَه إيّاه ، وكلّ مَن سلب سلباً فهو له ، فباعه باثني عشر ألفاً[1]. (٣: ٥٥٤/ ٥٥٥).

ليلـــة القادسيّـــة

١٣٨ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة وزياد ، قالوا: وأصبحوا ليلة القادسيَّة؛ وهي صُبْحة ليلة الهرير ، وهي تسمّى ليلة القادسيَّة ، من بين تلك الأيام والناس حَسْرَى ، لم يغمضوا ليلتهم كلَّها ، فسار القعقاع في النَّاس ، فقال: إن الدّبْرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة واحملوا ، فإنّ النّصر مع الصّبر ، فآثروا الصّبر على الجزَع؛ فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء ، وصمدوا لرستم ، حتى خالطوا الّذين دونه مع الصُّبح. ولما رأت ذلك القبائل قامَ فيها رجال ، فقام قيس بن عبد يَغوث والأشعث بن قيس وعمرو بن معديكرب وابن ذي السَّهْمَيْن الخثعميّ وابن ذي البُرْدَيْنِ الهلاليّ، فقالوا: لا يكوننّ هؤلاء أجدّ في أمر الله منكم ، ولا يكوننّ هؤلاء ـ لأهل فارس ـ أجرأ على الموت منكم؛ ولا أسخَى أنفساً عن الدنيا ، تَنافسوها ، فحملوا ممَّا يليهم حتى خالطوا الّذِين بإزائهم، وقام في ربيعة رجال ، فقالوا: أنتم أعلم الناس بفارس وأجرؤهم عليهم فيما مضى؛ فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم بالجرْأة! فكان أوّل مَن زال حين قام قائم الظهيرة الهُرْمزان والبيرزان، فتأخّرا وثبتا

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده بعد قليل.

حيث انتهيا ، وانفرج القلْب حين قام قائم الظهيرة ، وركد عليهم النَّقْع ، وهبَّت ريحٌ عاصف ، فقلعت طيَّارة رستم عن سريره ، فهوت في العتيق؛ وهي دَبُور ، ومال الغبار عليهم، وانتهى القعقاع ومَن معه إلى السرير فعثروا به، وقد قام رستم عنه حين طارت الرّيح بالطيّارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقفة ، فاستظلّ في ظلّ بغل وحِمْله ، وضرب هلال بن عُلَّفة الحِمْل الذي رستم تحته؛ فقطع حباله ، ووقع عليه أحد العِدْلين ، ولا يراه هلال ولا يشعر به؛ فأزال من ظهره فَقاراً ، ويضربه ضربة فنفحت مِسْكاً ، ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحمه هلال عليه؛ فتناوله وقد عام؛ وهلال قائم، فأخذه برجله، ثم خرج به إلى الجُدّ ، فضرب جبينه بالسَّيف حتى قتله ، ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال ، وصعد السرير ، ثم نادى: قتلتُ رستم وربّ الكعبة ! إليّ ! فأطافوا به وما يُحسُّون السرير ولا يروْنه؛ وكبَّروا وتنادَوْا ، وانبتّ قلب المشركين عندها وانهزموا ، وقام الجالنوس على الرّدْم ، ونادى أهل فارس إلى العبور ، وانسفر الغبار؛ فأمّا المقترنون فإنَّهم جشعوا فتهافتوا في العتيق، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبِّر ، وهم ثلاثون ألفاً ، وأخذ ضِرار بن الخطاب «دِرَفْش كابيان»، فعُوّض منها ثلاثين ألفاً، وكانت قيمتها ألف ألف ومئتي ألف ، وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى مَنْ قتلوا في الأيّام قبله[١]. (٣: ٥٦٣/ ٥٦٤).

١٣٩ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عَطيَّة ، عن عمرو بن سَلمة ، قال: قتَل هلال بن عَلَّفة رستمَ يوم القادسيّة[٢]. (٣: ٥٦٤).

١٤٠ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا: لما انكشف أهلُ فارس؛ فلم يَبْقَ منهم بين الخَنْدق والعتيق أحد ، وطبّقت القتلى ما بين قُدَيْس والعتيق أمر سعد زُهرة باتّباعهم ، فنادى زهرة في المقدّمات ، وأمر القعقاعَ بمَن سفَل ، وشُرَحْبيل بمن علا ، وأمر خالد بن عُرْفَطة بسَلْب القتلى وبدَفْن الشهداء ، فدُفن الشهداء ، شهداء ليلة الهرير ويوم القادسيَّة حول قُديْس ألفان وخمسمئة وراءَ العتيق بحِيال مُشرِّق ، ودُفن شهداء ما كان قبل ليلة الهرير على مشرِّق ، وجُمعت الأسلاب والأموالُ فجُمع منها شيءٌ لم يُجمَع

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر متابعات وشواهد القصة بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف.

قبله ولا بعده مثله؛ وأرسل سعد إلى هلال ، فدعَا له ، فقال: أين صاحبُك؟ قال: رميتُ به تحت أبغُل؛ قال: اذهبْ فجىء به ، فذهب فجاء به ، فقال: جَرّدْه إلاّ ما شئتَ ، فأخذ سلبه فلم يَدَعْ عليه شيئاً ، ولما رجع القعقاع وشُرحبيل قال لهذا: اغدُ فيما طلب هذا ، وقال لهذا: اغد فيما طلب هذا؛ فعلا هذا ، وسفل هذا ، حتى بلغا مقدار الخرّارة من القادسيَّة ، وخرج زُهرة بن الحَوِيَّةِ في آثارهم ، وانتهى إلى الرّدْم وقد بثقوه ليمنعوهم به من الطَّلَب ، فقال زهرة: يا بُكَيْر ، أقدِم ، فضرب فرسه ، وكان يقاتل على الإناث ، فقال: ثِبِي أطلالُ ، فتجمَّعت وقال: وَثْباً وسورة البَقَرَةِ! ووثب زهرةُ ـ وكان على حصان ـ وسائرُ الخيل فاقتحمته ، وتتابع على ذلك ثلاثمئة فارس ، ونادى زُهرة حيث كاعت الخيل: خذوا أيّها الناس على القنطرة ، وعارضونا ، فمضى ومضى الناس إلى القنطرةِ يتَّبعونه فلحق بالقوم والجالنوس في آخرِهم يحميهم ، فشاوله زهرة ، فاختلفا ضربتين ، فقتله زهرة ، وأخذ سلبَه ، وقتلوا ما بين الخرّارة إلى السَّيْلَحين ، إلى النَّجَف؛ وأمسَوا فرجعوا فباتوا بالقادسيّة[1] . (٣: ٥٦٥/ ٥٦٦) .

١٤١ ـ كتب إليّ السريُّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن شُبْرُمَة ، عن شقيق ، قال: اقتحمنا القادسيَّة صدرَ النهار ، فتراجَعْنا وقد أتى الصلاة؛ وقد أصيب المـؤذّن ، فتشاحَّ النَّاس في الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف ، فأقرع سعد بينهم؛ فخرج سهم رجل فأذَّن[2] . (٣: ٥٦٦) .

١٤٢ ـ ثم رجع الحديث: وتراجع الطلبُ الّذين طلبوا مَنْ علا على القادسيَّة ومَن سفَل عنها ، وقد أتَى الصلاة وقد قتل المؤذن فتشاحّوا على الأذان ، فأقرع بينهم سعد ، وأقاموا بقيَّة يومهم ذلك وليلتَهم حتى رجع زهرة ، وأصبحوا وهم جميعٌ لا ينتظرون أحداً من جندهم؛ وكتب سعد بالفتح وبعدّة مَنْ قتلوا ومن أصيب من المسلمين ، وسمّي لعُمَر مَن يعرف مع سعد بن عُمَيْلة الفزاريّ[3] . (٣: ٥٦٦) .

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر متابعات وشواهد القصة بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده بعد قليل.

(٣) سنذكر ما يؤيده بعد قليل.

١٤٣ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المَرْزبان ، قال: خرج زهرة حتى أدرك الجالنوس؛ ملكاً من ملوكهم؛ بين الخرَّارة والسَّيْلَحين ، وعليه يارقَان وقُلْبان وقُرْطان على بِرْذَوْن له قد خَضِدَ ، فحمل عليه ، فقتله ، قال: والله إنَّ زهرة يومئذ لعلَى فرس له ما عنانها إلا من حَبْل مضفور كالمِقْودِ ، وكذلك حزامها شَعْرٌ منسوج ، فجاء بسلبه إلى سعد ، فعرف الأسارى الذين عند سعد سلَبه ، فقالوا: هذا سلَب الجالنوس ، فقال له سعد: هل أعانك عليه أحد؟ قال: نعم ، قال: مَنْ؟ قال: الله ، فنفَّله سلبَه[١]. (٣: ٥٦٧) .

١٤٤ ـ كتب إليَّ السَّريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم ، قال: كان سعد استكثر له سلبَه ، فكتب فيه إلى عمر ، فكتب إليه عمر: إنّي قد نفَّلت مَنْ قتل رجلاً سلبَه؛ فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً[٢]. (٣: ٥٦٧) .

١٤٥ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سَلمة عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر: غير براذع الرّحال ، قد عرضوا فيها الجريد ، يتَّرسون بها عن أنفسهم ، وما عامَّة ما وضعوه على رؤوسهم إلا أنساع الرّحَال ، يطوي الرجل نِسْع رحْله على رأسه يتَّقي به ، والفُرس فيما بينها من الحديد واليلامق؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وسعد في القصر ينظر ، معه سلمَى بنت خَصَفة؛ وكانت قبله عند المثنّى بن حارثة ، فجالت الخيل ، فرعبت سلمَى حين رأت الخيل جالت ، فقالت: وامثنّياه ولا مُثنّى لي اليوم! فغار سعد فلطم وجهها ، فقالت: أغَيْرةً وجُبْناً! فلمَّا رأى أبو مِحْجن ما تصنع الخيل حين جالت ، وهو ينظر من قصر العُذيب وكان مع سعد فيه ، قال:

كَفَى حَزَناً أن تَرْدِيَ الخَيْل بالقنا ... وأُتْـرَكَ مشـدوداً عَلـيّ وثـاقِيـا
إذا قمْـتُ عَنَّانـي الحديـدُ وأُغلقَـتْ ... مَصـاريعُ دونـي لا تُجِيـبُ المُناديـا
وقـدْ كُنْـتُ ذَا مـالٍ كثيـرٍ وإخـوة ... فقَـدْ تَـركـونـي واحِـداً لا أخـا لِيـا

فكلَّم زَبْراءَ أمَّ ولد سعد ـ وكان عندها محبوساً ، وسعد في رأس الحصن ينظر

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

إلى الناس ـ فقال: يا زَبْراءُ، أطلقيني ولك عليَّ عهد الله وميثاقه: لئن لم أقتل لأرجعنّ إليك حتى تجعلي الحديد في رجليّ، فأطلقته وحملته على فرس لسعد بلْقَاءَ وخلَّت سبيله، فجعل يشدّ على العدوّ وسعد ينظر، فجعل سعد يعرف فرسَه ويُنكرها، فلمَّا أنْ فرغوا من القتال؛ وهزم الله جموع فارس، رجع أبو مِحْجن إلى زَبْراء، فأدخل رِجْله في قيده، فلمّا نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه تعرق، فعرف: أنها قد رُكِبَتْ، فسأل عن ذلك زَبْراء، فأخبرته خبر أبي مِحْجن فخلّى سبيله[1]. (٣: ٥٧٥).

١٤٧ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سَلمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، قال: وقد كان عمرو بن مَعْديكرب شهِد القادسيَّة مع المسلمين[2]. (٣: ٥٧٦).

١٤٨ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن سُليم بن عبد الرحمن السعديّ، عن عثمان بن رجاء السعديّ، قال: كان سعد بن مالك أجرَأ النَّاس وأشجعَهمْ: إنه نزل قصراً غير حصين بين الصّفَّين، فأشرف منه على النَّاس، ولو أعراه الصّفّ فُواقَ ناقة أخِذ برُمَّته؛ فوالله ما أكرثه هول تلك الأيام ولا أقلقه[3]! (٣: ٥٨٠).

١٤٩ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن محمَّد والمهلَّب وطلحة، قالوا: وكتب سعد بالفتح وبعدّة مَنْ قتلوا، وبعدّة مَن أصيب من المسلمين، وسَمَّى لعمر مَن يعرف مع سعد بن عُمَيلة الفزاريّ، وشاركهم النَّضْر بن السريّ عن ابن الرُّفيل بن مَيْسور، وكان كتابه: أمَّا بعد: فإن الله نصرَنا على أهل فارس، ومنحهم سُنَن مَن كان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل وزِلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعِدّة لم ير الراؤون مثل زُهائها فلم ينفعهم الله بذلك، بل سَلَبَهموه ونقله عنهم إلى المسلمين، واتّبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج؛ وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارىء، وفلان، وفلان، ورجال من المسلمين لا نَعلَمُهم، اللهُ بهم عالم،

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر شواهده بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف وهو صحيح كما سنذكر.

(٣) إسناده ضعيف.

كانوا يُدَوُّون بالقرآن إذا جنّ عليهم الليل دَويَّ النحل ، وهم آساد النَّاس؛ لا يشبِهِهم الأسود ، ولم يفضُل مَن مضى منهم مَن بقي إلاّ بفضل الشهادة؛ إذ لم تُكتَب لهم[١] . (٣ : ٥٨٣) .

---

(١) إسناده ضعيف.

متابعات وشواهد روايات الطبري في معركة القادسية

١ ـ أخرج الحافظ ابن أبي شيبة بسند صحيح في مصنفه (١٢/ح ١٥٥٩٠): حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن قيس وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٧٧) من طريق هيثم عن إسماعيل عن قيس قال: شهدت القادسية وكان سعد علىٰ الناس وجاء رستم فجعل عمرو بن معديكرب الزبيدي يمر علىٰ الصفوف ويقول: يا معشر المهاجرين كونوا أسوداً أشداء أغنى شأناً إنما الفارسي تيس هوان يلقي بنيزكه ، قال: وكان معهم أسوار لا تسقط له نشابة فقلنا له: يا أبا ثور ! اتق ذاك ، قال: فإنا لنقول ذاك إذ رمانا فأصاب فرسه ، فحمل عمرو عليه فاعتنقه ثم ذبحه فأخذ سلبه سواري ذهب كانا عليه ومنطقة وقباء ديباح ، وفر رجل من ثقيف فخلا بالمشركين فأخبرهم فقال: إن الناس في هذا الجانب وأشار إلىٰ بجيلة قال: فرموا إلينا ستة عشر فيلاً عليها المقاتلة وإلىٰ سائر الناس فيلين ، قال: وكان سعد يقول يومئذ: سابجيلة ، قال قيس: وكنا ربع الناس يوم القادسية ، فأعطانا عمر ربع السواد فأخذناه ثلاث سنين. . . إلى آخر الحديث.

وقال ابن كثير: وقد روىٰ محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم البجلي وكان ممن شهد القادسية قال: كان معنا رجل من ثقيف فلحق بالفرس مرتداً ، فأخبرهم أن بأس الناس في الجانب الذي فيه بجيلة ، قال: وكنا ربع الناس ، قال: فوجهوا إلينا ستة عشر فيلاً وجعلوا يلقون تحت أرجل خيولنا حسك الحديد ويرشقوننا بالنشاب ، فلكأنه المطر وقربوا خيولهم بعضها إلىٰ بعض لئلا ينفروا. قال: وكان عمرو بن معديكرب الزبيدي يمر بنا فيقول: يا معشر المهاجرين كونوا أسوداً فإنما الفارسي تيس. قال: وكان فيهم أسوار لا تكاد تسقط له نشابة. فقلنا له: يا أبا ثور نق ذاك الفارسي فإنه لا تسقط له نشابة فوجه إليه الفارسي ورماه بنشابة فأصاب فرسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه فاستلبه سوارين من ذهب ومنطقة من ذهب ويلمقاً من ديباح. قال: وكان المسلمون ستة آلاف أو سبعة آلاف فقتل الله رستماً ، وكان الذي قتله رجل يقال له: هلال بن علقمة التميمي ، رماه رستم بنشابة فأصاب قدمه وحمل عليه هلال فقتله واحتز رأسه وولت الفرس فاتبعهم المسلمون يقتلونهم فأدركوهم في مكان قد نزلوا فيه واطمأنوا ، فبينما هم سكارىٰ قد شربوا ولعبوا إذ هجم عليهم المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل هنالك الجالينوس ، قتله زهرة بن حوية التميمي ، ثم ساروا خلفهم فكلما تواجه الفريقان نصر الله حزب الرحمن وخذل حزب الشيطان وعبدة النيران ، واحتاز المسلمون من الأموال ما يعجز عن حصره =

= ميزان وقبان ، حتىٰ أن منهم من يقول: من يقايض بيضاء بصفراء لكثرة ما غنموا من الفرسان ، ولم يزالوا يتبعونهم حتى جازوا الفرات وراءهم وفتحوا المدائن وجلولا على ما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالىٰ وبه الثقة . ا هـ. (البداية والنهاية ٧/ ٤٦).

٢ ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٥٦٠/ح ١٥٥٩١) حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن قيس قال: كان سعد قد اشتكىٰ قرحة في رجله يومئذ فلم يخرج إلىٰ القتال ، قال: فكانت من الناس انكشافة قال: فقالت امرأة سعد وكانت قبله تحت المثنىٰ بن حارثة الشيباني: لا مثنّى للخيل ، فلطمها سعد ، فقالت: جبناً وغيرةً. قال: ثم هزمناهم. وإسناده صحيح.

٣ ـ أخرج سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢١١) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ١٥٥٩٣): حدثنا أبو معاوية عن عمرو بن مهاجر عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه قال: أتى سعد بأبي محجن يوم القادسية وقد شرب الخمر فأمر به إلى القيد ، قال: وكان بسعد جراحة فلم يخرج يومئذ إلىٰ الناس ، قال: فصعدوا به فوق العذيب لينظر إلىٰ الناس ، قال: واستعمل على الخيل خالد بن عرفطة ، فلما التقىٰ الناس قال أبو محجن:

كفىٰ حزناً أن تردي الخيل بالقنا ... وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا

فقال لابنة خصفة (امرأة سعد): أطلقيني ولك عليّ إن سلمني الله أن أرجع حتىٰ أضع رجلي في القيد ، وإن قتلت استرحتم ، قال: فحلته حين التقىٰ الناس ، قال: فوثب علىٰ فرس لسعد يقال لها: البلقاء ، قال: ثم أخذ رمحاً ثم خرج ، فجعل لا يحمل علىٰ ناحية من العدو إلا هزمهم ، قال: وجعل الناس يقولون: هذا ملك ! لما يرونه يصنع. قال: وجعل سعد يقول: الضبر ضبر البلقاء والطعن طعن أبي محجن ، وأبو محجن في القيد. قال: فلما هُزم العدو رجع أبو محجن حتىٰ وضع رجليه في القيد ، فأخبرت ابنة خصفة سعداً بالذي كان من أمره ، قال: فقال سعد: والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلىٰ الله المسلمين علىٰ يديه ما أبلاهم ، قال: فخلى سبيله. قال: فقال أبو محجن: قد كنت أشربها حيث كان يقام عليّ الحد فأطهر منها ، فأما إذا بهرجتني فلا والله لا أشربها. ا هـ. وإسناده صحيح.

٤ ـ وأخرج ابن أبي شيبة أيضاً في مصنفه (١٢/ ح ١٥٥٩٤) حدثنا عفان قال ثنا أبو عوانة قال ثنا حصين عن أبي وائل قال: جاء سعد بن أبي وقاص حين نزل القادسية ومعه الناس ، قال: فما أدري لعلنا ألا نزيد على سبعة آلاف أو ثمانية آلاف بين ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفاً أو نحو ذلك ، معهم الفيول ، قال: فلما نزلوا قالوا لنا: ارجعوا! إنا لا نرىٰ لكم عدداً ، ولا نرى لكم قوة ولا سلاحاً فارجعوا ، قال: قلنا: ما نحن براجعين ، قال: وجعلوا يضحكون بنبلنا ويقولون: دوك ـ يُشبهونها بالمغازل ، قال: فلما أبينا عليهم قالوا: ابعثوا إلينا رجلاً عاقلاً يخبرنا بالذي جاء بكم من بلادكم ، فإنا لا نرىٰ لكم عدداً ولا عدة ، قال: فقال المغيرة بن شعبة: أنا. قال: فعبر إليهم. قال: فجلس مع رستم على السرير ، قال: =

= فنخر ونخروا حين جلس معه على السرير ، قال: قال المغيرة ما زادني في مجلسي هذا ولا نقص صاحبكم. قال: فقال: أخبروني ما جاء بكم من بلادكم؟ فإني لا أرىٰ لكم عدداً ولا عدة ، قال: فقال: كنا قوم في شقاء وضلالة فبعث الله فينا نبينا فهدانا الله علىٰ يديه ورزقنا علىٰ يديه فكان فيما رزقنا حبة زعموا: أنها تنبت بهذه الأرض ، فلما أكلنا منها وأطعمنا منها أهلينا قالوا: لا خير لنا حتىٰ تنزلوا هذه البلاد فنأكل هذه الحبة ، قال رستم: إذاً نقتلكم. قال: فإن قتلتمونا دخلنا الجنة وإن قتلناكم دخلتم النار ، وإلا أعطيتم الجزية قال: فلما قال: أعطيتم الجزية قال: صاحوا ونخروا وقالوا: لا صلح بيننا وبينكم قال: فقال المغيرة: أتعبرون إلينا أو نعبر إليكم. قال فقال رستم: بل نعبر إليكم قال: فاستأخر منه المسلمون حتىٰ عبر منهم من عبر قال: فحمل عليهم المسلمون فقاتلوهم وهزموهم قال حصين: كان ملكهم رستم من أهل أذربيجان ، قال حصين: وسمعت شيخاً منا يقال له: عبيد بن جحش: قال: لقد رأيتنا نمشي علىٰ ظهور الرجال ، نعبر الخندق علىٰ ظهور الرجال ، ما مسهم سلاح قد قتل بعضهم بعضاً ، قال: ووجدنا جراباً فيه كافور ، قال: فحسبناه ملحاً لا نشك فيه أنه أملح قال: فطبخنا لحماً فطرحنا منه فيه ، فلما لم نجد له طعماً فمر بنا عبادي معه قميص ، قال: فقال يا معشر المغربين لا تفسدوا طعامكم فإن ملح هذه الأرض لا خير فيه ، هل لكم أن أعطيكم فيه هذا القميص قال: فأعطانا به قميصاً ، فأعطيناه صاحباً لنا فلبسه ، قال: فجعلنا نطيف به ونعجب منه قال: فإذا ثمن القميص حين عرفنا الثياب درهمان ، قال ولقد رأيتني أشرت إلىٰ رجل وإن عليه لسوارين من ذهب وإن سلاحه تحت في قبر من تلك القبور ، وأشرت إليه فخرج إلينا ، قال: فما كلمناه حتىٰ ضربنا عنقه فهزمناهم حتىٰ بلغوا الفرات ، قال: فركبنا فطلبناهم فانهزموا حتىٰ انتهوا إلىٰ المدائن قال: فنزلنا كوثى قال: ومسلحة للمشركين بدير المسلاخ فأتتهم خيل المسلمين تقاتلهم ، فانهزمت مسلحة المشركين حتىٰ لحقوا بالمدائن وسار المسلمون حتى نزلوا علىٰ شاطئ دجلة ، وعبر طائفة من المسلمين من كلواذي من أسفل من المدائن فحصروهم حتىٰ ما يجدون طعاماً إلا كلابهم وسنانيرهم ، إلى آخر الرواية التي سنذكر تكملتها عند الحديث عن وقعة جلولاء ونهاوند إن شاء الله تعالىٰ وإسناد الرواية صحيح والله أعلم.

٥ ـ وأخرج الحافظ ابن أبي شيبة أيضاً (١٢/ح ١٥٦٠١): حدثنا أبو الأحوص عن الأسود عن قيس عن شبر بن علقمة قال: بارزت رجلاً يوم القادسية من الأعاجم فقتلته وأخذت سلبه فأتيت به سعداً ، فخطب سعد أصحابه ثم قال: هذا سلب شبر وهو خير من اثني عشر ألف درهم ، وإنّا قد نفلناه إياه ، وإسناده صحيح.

٦ ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٢/١٥٦٠٦): حدثنا الفضل بن دكين قال ثنا حنش بن الحارث قال: سمعت أبي يذكر قال: قدمنا من اليمن ، نزلنا المدينة فخرج علينا عمر فطاف في النخع ونظر إليهم فقال: يا معشر النخع! إني أرىٰ الشرف فيكم متربعاً ، فعليكم بالعراق وجموع =

= فارس ، فقلنا: يا أمير المؤمنين ! لا بل الشام نريد الهجرة إليها ، قال: لا بل العراق ، فإني قد رضيتها لكم ، قال: حتىٰ قال بعضنا: يا أمير المؤمنين لا إكراه في الدين ، قال: فلا إكراه في الدين ، عليكم بالعراق قال: فيها جموع العجم ونحن ألفان وخمسمئة قال: فأتينا القادسية فقتل من النخع واحد وكذا وكذا رجلاً من سائر الناس ثمانون ، فقال عمر: ما شأن النخع؟ أصيبوا من بين سائر الناس أفر الناس عنهم؟ قالوا: لا بل وُلّوا أعظم الأمر وحدهم ـ وإسناده حسن والله أعلم.

٧ ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٢/ح ١٥٦٠٨) حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة قال: كتب عمر إلىٰ سعد وغيره من أمراء الكوفة: أما بعد: فقد جاءني ما بين العذيب وحلوان وفي ذلكم ما يكفيكم إن اتقيتم وأصلحتم، قال: وكتب: اجعلوا بينكم وبين العدو مفازة ، وفي إسناده أبو بكر بن عمرو بن عتبة ترجم له ابن أبي حاتم فسكت عنه (٤/ ٢/ ١٥١٤). وأخرج سعيد بن منصور الشطر الأخير من هذه الرواية في سننه (٢/ ٣٤٥) من طريق مسعر به.

٨ ـ وأخرج الحافظ عبد الرزاق في مصنفه (١/ ١٩٥/ ح ٧٦٠) عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن ابن عمر رأىٰ سعد بن أبي وقاص يمسح علىٰ خفيه فأنكر ذلك عبد الله . . . الحديث.

وأخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١٥٦٢٠) حدثنا هيشم قال: أخبرنا حصين عن محارث بن دثار عن ابن عمر قال: اختلفت أنا وسعد بالقادسية في المسح علىٰ الخفين ـ وإسناده صحيح.

٩ ـ أخرج ابن خياط في تأريخه (١٣١) حدثني غير واحد عن أبي عوانة عن حصين عن أبي وائل قال: كان المسلمون ما بين السبعة آلاف إلىٰ الثمانية ورستم في ستين ألفاً ـ وفي أول إسناده مبهم وإن كان الشطر الأول من متنه يوافق ما ذكرنا من الرواية الصحيحة في عدد المسلمين يوم ذاك إلاّ أن (ستين ألفاً) أي: عدد المشركين يخالف الرواية الصحيحة التي ذكرناها في تحديد عدد المشركين الفرس بـ (٣٠ ألفاً) وعلىٰ أية حال فإننا لا نرىٰ في ذلك غضاضة لأن من السهل على المسلمين أن يحصوا جندهم إلاّ أن إحصاء عدد المشركين تخمين ظني ، واستناداً إلىٰ قوة الإسناد فإننا نرىٰ: أن أقوىٰ الآراء في تحديد عدد المشركين هو القول القائل بأنهم كانوا (٣٠) ألفاً لأنه أصح إسناداً من الرواية التي حددتها بـ (٦٠) ألفاً ومع ذلك فإن عدد (٦٠) ألفاً وارد وأقرب إلىٰ الصحة من بقية الأرقام المبالغ فيها جداً كمن قال بأن المشركين كانوا (مئة ألف أو يزيدون) وهي روايات ضعيفة السند كما بيّنا والله تعالى أعلم.

١٠ ـ وأخرج خليفة (تأريخ خليفة/ ١٣١) من طريق يزيد بن زريع عن الحجاج عن حميد بن هلال عن خالد بن عمير قال: كانوا أربعين ألفاً. قال الحجاج: فحدثني عبد الله: أنه كان معهم سبعون فيلاً. ا هـ.

=

= وأخرج خليفة عن ابن إسحاق (معضلاً): كان رستم في ستين ألفاً من أحصن ديدانه والمسلمون ستة آلاف أو سبعة.

وأخرج (تأريخ خليفة/ ١٣٢) حدثنا من سمع شريكاً عن عبيدة عن إبراهيم قال: كانوا ما بين الثمانية آلاف إلىٰ التسعة آلاف وجاءهم قدر ألفين فأقاموا قدر شهر لا يلقاهم العدو، وفي إسناده مبهم (من سمع شريكاً). وأخرج (تأريخ خليفة/ ١٣٢) قال ابن زريع: عن حجاج عن حميد بن هلال عن خالد بن عمير قال: أمدّهم أهل البصرة بألف وخمسمئة كنت فيهم.

١١ - قال البخاري في صحيحه / كتاب الأذان/ ٩ - باب الاستهام في الأذان: ويذكر: أن أقواماً اختلفوا في الأذان فأقرع بينهم سعد. ا هـ. وعقب الحافظ ابن حجر على قول البخاري هذا قائلاً:

قوله: (ويذكر أن أقواماً اختلفوا) أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي من طريق أبي عبيد كلاهما عن هيثم عن عبد الله بن شبرمة قال: تشاح الناس في الأذان في القادسية فاختصموا إلى سعد بن أبي وقاص فأقرع بينهم. وهذا منقطع (فتح الباري ٢/ ٩٦).

قلنا: ورواية البيهقي التي أشار إليها ابن حجر هي في السنن الكبرى (١/ ٤٢٩).

١٢ - وأخرج البلاذري قال: وحدثني العباس بن الوليد النرسي قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد عن مجالد، عن الشعبي قال: كتب عمر إلى أبي عبيدة: ابعث قيس بن مكشوح إلىٰ القادسية فيمن انتدب معه، فانتدب معه خلق فقدم متعجلاً في سبعمئة؛ وقد فتح علىٰ سعد فسألوه الغنيمة، فكتب إلىٰ عمر بذلك، فكتب إليه عمر إن كان قيس قدم قبل دفن القتلىٰ فاقسم له نصيبه (فتوح البلدان/ ٣٥٨) وهذا إسناد مرسل. وأخرج البلاذري: حدثني أحمد بن سلمان الباهلي عن السَّهمي، عن أشياخه: أن سلمان بن ربيعة غزا الشام مع أبي أمامة الصُّعديّ بن عجلان الباهلي فشهد شاهد المسلمين هناك ثم خرج إلىٰ العراق فيمن خرج من المدد إلىٰ القادسية متعجلاً فشهد الواقعة وأقام بالكوفة وقتل ببُلُنْجُر (فتوح البلدان/ ٣٦١) وفي إسناده مبهم.

وذكر البلاذري عن بشر بن ربيعة عن عمرو الخثعمي (بلا إسناد) أنه قال: واستشهد يومئذ سعد بن عبيد الأنصاري فاغتم عمر لمصابه وقال: لقد كان قتله ينغص عليّ هذا الفتح. (فتوح/ ٣٦٥).

١٣ - وأخرج ابن عساكر في تأريخه: أن عمراً كتب إلىٰ سعد: أي فارسٍ أيام القادسية كان أفرس، وأي راجل كان أرجل، وأي راكب كان أثبت؟ فكتب إليه: لم أر فارساً مثل القعقاع بن عمرو، حمل في يوم ثلاثين حملة ويقتل في كل حملة كميّاً. (مختصر تأريخ دمشق لابن منظور/ ٢١/ ٩١).

١٤ - أخرج الإمام أبو يوسف في كتاب الخراج (٢٩) حدثني حصين عن أبي وائل قال: جاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حتىٰ نزل بالقادسية ومعه الناس قال: فما أدري لعلنا كنا=

= لا نزيد على سبعة آلاف أو ثمانية آلاف ، بين ذلك ، والمشركون يومئذ ستون ألفاً أو نحو ذلك معهم الفيول. . . إلى آخر الرواية الطويلة التي ذكرناها آنفاً عن أبي وائل ، وإسناده حسن.

١٥ ـ وأخرج أبو يوسف قال: وحدثني إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: كانت بجيلة يوم القادسية ربع الناس قال: ولحق رجل من ثقيف بالفرس يومئذ فقال لهم: إن بأس الناس هاهنا لبجيلة قال: فوجهوا لنا ستة عشر فيلاً وإلى سائر الناس فيلين. (الخراج/ ٣١) وإسناده حسن.

مسألة إجلاء نصارىٰ نجران عن الجزيرة
من قبل سيدنا عمر رضي الله عنه

سنذكر هنا ما يؤيد رواية الطبري في إجلاء أهل نجران فقد قال البخاري في صحيحه: (وعامل الناس على إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر ، وإن جاء بالبذر فلهم كذا) وقال الحافظ معقباً علىٰ قول البخاري هذا: وصله ابن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر عن يحيىٰ بن سعيد: أن عمراً أجلىٰ أهل نجران واليهود والنصارىٰ واشترىٰ بياض أرضهم وكرومهم ، فعامل عمر الناس إن هم جاؤوا بالبقر والحديد من عندهم فلهم الثلثان ولعمر الثلث وإن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر ، وعاملهم في النخل علىٰ أن لهم الخمس وله الباقي ، وعاملهم في الكرم على أن لهم الثلث وله الثلثان وهذا مرسل. قلنا: وخبر ابن أبي شيبة هذا الذي أشار إليه الحافظ هو في المصنف برقم (١٤/ ٥٥٠) ثم قال الحافظ: وأخرجه البيهقي من طريق إسماعيل بن أبي حكيم عن عمر بن عبد العزيز ، قال: لما استخلف عمر أجلىٰ أهل نجران وأهل فدك وتيماء وأهل خيبر ، واشترىٰ عقارهم وأموالهم واستعمل يعلى بن منية فأعطىٰ البياض. . . إلى آخر الرواية ثم قال الحافظ: وهذا مرسل أيضاً.

قلنا: ورواية البيهقي هذه في السنن الكبرىٰ (٦/ ١٣٥) ثم قال الحافظ: فيتقوى أحدهما بالآخر (الفتح ٥/ ١٥ ـ ١٦) والحديث أخرجه كذلك الطحاوي في (شرح معاني الآثار ٤/ ١١٤) ولفظه: إن عمر بن الخطاب بعث يعلى بن منية إلىٰ اليمن فأمر أن يعطيهم الأرض. . . إلخ.

مسألة اختلاف المؤرخين في تحديد السنة التي وقعت فيها القادسية
مع بيان مذهب الأكثرين في ذلك

لقد سرد الطبري روايات مطولة في أحداث معركة القادسية وتفاصيلها ، ثم ذكر في نهاية المطاف ثلاثة آراء:

الأول: أنها وقعت سنة أربع عشرة.

١٤٩/أ- قال: والثَّبَت عندنا: أنَّها كانت في سنة أربع عشرة.

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال: كانت سنة خمس عشرة، وقد مضى ذكري الروايةَ عنه بذلك. (٣: ٥٩٠).

ذكر أحوال أهل السواد

١٥٠ - كتب إليَّ السَّريُّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، عن عامر الشَّعبيّ، قال: قلت له: السّواد ما حاله؟ قال: أخِذ عَنْوَةً، وكذلك كلّ أرض إلاّ الحصون، فجلا أهلها؛ فدُعوا إلى الصّلح والذّمة، فأجابوا وتراجعوا، فصاروا ذمَّة، وعليهم الجِزاء، ولهم المَنَعة، وذلك هو السنَّة، كذلك صنع رسول الله ﷺ بدُومة، وبقيَ ما كان لآل كسرى ومَن خرج معهم فيئاً لمن أفاءه الله عليه[1]. (٣: ٥٨٧).

١٥١ - كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: عامَّة ما أخذ المسلمون عَنْوة فدعوهم إلى

= الثاني: أنها وقعت سنة خمسة عشرة وبهذا قال ابن إسحاق.

الثالث: أنها وقعت سنة ستة عشرة وهو قول الواقدي وهو متروك.

أما الطبري فقد اختار الرأي الأول إذ قال: والثبت عندنا أنها كانت في سنة أربع عشرة (تأريخ الطبري (٣/ ٥٩٠) وهذا الرأي هو الواضح من خلال مرويات سيف.

وأما خليفة بن خياط فهو يوافق محمد بن إسحاق في أنها وقعت سنة خمس عشرة للهجرة (تأريخ خليفة/ ١٣١) وكذلك ذكر الذهبي هذه المعركة ضمن أحداث سنة خمس عشرة (تأريخ الإسلام عهد الخلفاء/ ١٤٢ ـ ١٤٤) أما الباقون فقد ذهبوا إلىٰ ما رجحه الطبري؛ أي: أنها وقعت سنة (١٤ هـ) ومنهم ابن الجوزي في كتابه المنتظم (٤/ ١٦٠) وابن كثير في كتابه (البداية والنهاية (٧/ ٤٨).

وقال ابن كثير أيضاً: وهكذا وقعة القادسية عند بعض الحفاظ أنها كانت في أواخر هذه السنة (سنة خمس عشرة) وتبعهم في ذلك شيخنا الذهبي والمشهور أنها كانت في سنة أربع عشرة كما تقدم (البداية والنهاية ٧/ ٦٣).

ولقد ناقش الأستاذ المؤرخ (أحمد عادل كمال) هذه المسألة في كتابه القيّم (القادسية).

قلنا: ونميل نحن (المحققان) إلىٰ كونها وقعت سنة (١٤ هـ) وأما قول من قال بأنها حدثت سنة (١٦ هـ) فبعيد والله تعالىٰ أعلم.

(١) إسناده ضعيف.

الرجوع والذمّة ، وعرضوا عليهم الجِزاء فقبلوه ومنعوهم[١] . (٣ : ٥٨٧) .

١٥٢ ـ وعن سيف عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، قال : قلت له : إنّ أناساً يزعُمون أنّ أهل السّواد عبيد ، فقال : فعلام يؤخذ الجِزاء من العبيد؟ أخِذ السَّواد عَنْوة ، وكلّ أرض علمتَها إلاّ حصناً في جبل أو نحوه . فدُعوا إلى الرجوع فرجعوا ، وقبل منهم الجِزاء ، وصاروا ذمّة ؛ وإنَّما يُقْسَم من الغنائم ما تُغنِّم ؛ فأمَّا مالم يُغْنَم وأجاب أهله إلى الجِزاء من قبل أن يُتغنَّم ، فلهم جرت السنَّة بذلك[٢] . (٣ : ٥٨٧) .

١٥٣ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي ضَمْرة ، عن عبد الله بن المستورِد ، عن محمد بن سيرين ، قال : البلدان كلّها أخذت عَنْوة إلاّ حصون قليلة ، عاهدوا قبل أن يُنزَلوا ، ثم دُعوا ـ يعني الذين أخذوا عَنْوة ـ إلى الرّجوع والجِزاء ، فصاروا ذمَّة أهل السَّواد ، والجبَل كلّه أمر لم يزل يُصنع في أهل الفيء ، وإنما عمل عمر والمسلمون في هذا الجِزاء والذمّة على إجريًّا ما عمل به رسول الله ﷺ في ذلك ، وقد كان بعث خالد بن الوليد من تَبُوك إلى دُومة الجنْدل ، فأخذها عَنْوة ، وأخذ ملِكها أكَيْدِرَ بن عبد الملك أسيراً ، فدعاه إلى الذمَّة والجِزاء ، وقد أخذت بلاده عَنْوة ، وأخذ أسيراً ؛ وكذلك فعل بابني عريض ، وقد أخذا فادّعيا أنهما أودّاؤه ، فعقد لهما على الجِزاء والذمَّة ، وكذلك كان أمر يُحنَّه بن رُؤية صاحب أيْلة . وليس المعمول به من الأشياء كرواية الخاصّة ، مَن روى غير ما عمل به الأئمة العدول المسلمون ، فقد كذب وطعن عليهم[٣] . (٣ : ٥٨٧/٥٨٨) .

---

(١) إسناده ضعيف .

(٢) إسناده ضعيف .

(٣) إسناده ضعيف .

لقد سبق أن ذكرنا بعض هذه الروايات عند الحديث عن بدايات فتوح العراق بقيادة سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه وسنذكر هنا مالم نذكر :

١ ـ أخرج أبو يوسف فقال : حدثني مجالد عن الشعبي أنه سئل عن أهل السواد فقال : لم يكن لهم عهد فلما رضي منهم بالخراج صار لهم عهد ، فأما غيره من الفقهاء فقالوا : ليس لهم عهد إلا لأهل الحيرة وأهل عين التمر وأهل ألّيس وبانقيا . وإسناده مرسل . (الخراج/٢٨) . =

= ٢ ـ وأخرج يحيىٰ بن آدم القرشي من طريق حاتم بن إسماعيل وغيره عن محمد بن قيس عن الشعبي مثله (أي سئل الشعبي في زمن عمر بن عبد العزيز عن أهل السواد: ألهم عهد؟ فقال: لم يكن لهم عهد فلما رضي منهم بالخراج صار لهم عهد. (الخراج/ح ١٢٦).

٣ ـ وأخرج يحيىٰ بن آدم من طريق شريك حجاج عن الحكم عن ابن مغفل قال: ليس لأهل السواد عهد إلا أهل الحيرة وأليس وبانقيا. قال شريك: إن أهل بانقيا كانوا دلوا جرير بن عبد الله علىٰ مخاضة وأهل أليس كانوا أنزلوا أبا عبيدة ودلوه على شيء. قال يحيىٰ: أظنه؛ يعني: عورة العدو (الخراج ح ١٣٩).

٤ ـ وأخرج يحيىٰ من طريق حسن بن صالح عن أشعث عن الشعبي قال: صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة وأهل عين التمر قال: وكتب بذلك إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه فأجازه. (الخراج/ح ١٤١).

٥ ـ وأخرج يحيى من طريق أبي زيد عن أشعث عن ابن سيرين قال: السواد منه صلح ومنه عنوة فما كان منه عنوة فهو للمسلمين وما كان منه صلحاً فلهم أموالهم، ورجاله ثقات (الخراج/ح ١٤٨).

٦ ـ وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر قال: لولا آخر الناس ما افتتحت قرية إلا قسمتها (كتاب الأموال/ ٦٠/ ح ١٤٨) قال أبو عبيد القاسم بن سلام: تواترت الآثار في افتتاح الأرضين عنوة بهذين الحكمين:

أما الأول منها: فحكم رسول الله ﷺ في خيبر وذلك أنه جعلها غنيمة فخمسها وقسمها وبذا الرأي أشار بلال على عمر في بلاد الشام وأشار به الزبير بن العوام علىٰ عمرو بن العاص من أرض مصر وبهذا كان يأخذ مالك بن أنس، كذلك يروىٰ عنه.

وأما الحكم الآخر: فحكم عمر في السواد وغيره وذلك أنه جعله فيئاً موقوفاً علىٰ المسلمين ما تناسلوا ولم يخمسه، وهو الرأي الذي أشار به عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه (الأموال/ ٦١).

٧ ـ وأخرج أبو عبيد القاسم من طريق هيثم قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: كانت بجيلة ربع الناس يوم القادسية فجعل لهم عمر ربع السواد فأخذوا سنتين أو ثلاثاً فوفد عمار بن ياسر إلىٰ عمر ومعه جرير بن عبد الله وقال عمر لجرير: يا جرير لولا أني قاسم مسؤول لكنتم علىٰ ما جعل لكم وأرىٰ الناس قد كثروا فأرىٰ أن ترده عليهم، ففعل جرير ذلك فأجازه عمر بثمانين ديناراً. (الأموال/ح ١٥٤).

وراجع ما ذكرنا من الروايات في هذه المسألة عند الحديث عن فتح الحيرة وعين التمر علىٰ يد خالد رضي الله عنه، والله أعلم.

ذكر بناء البَصْرة

١٥٤ ـ قال أبو جعفر: وفي سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطّاب رحمه الله ـ فيما زعم الواقديّ ـ النّاس بالقيام في المساجد في شهر رمضان بالمدينة، وكتب إلى الأمصار يأمر المسلمين بذلك.

وفي هذه السنة ـ أعني: سنة أربع عشرة ـ وجَّه عمر بن الخطاب عُتْبة بن غَزْوان إلى البصرة، وأمره بنزولها بمَن معه، وقطع مادّة أهلِ فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائنيّ وروايته.

وزعم سيف أن البصرة مُصّرت في ربيع سنة ست عشرة، وأنّ عُتبة بن غَزْوان إنّما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جَلولاء وتَكْرِيت والحِصْنين؛ وجَّهه إليها سعد بأمر عمر[1]. (٣: ٥٩٠).

١٥٤/أ ـ وأمّا محمد بن بَشَّار، فإنَّه حدّثنا، قال: حدّثنا صفوان بن عيسى الزُّهريّ، قال: حدّثنا عمرو بن عيسى أبو نَعامة العَدَوِيّ، قال: سمعت خالد بن عُمَير وشُوَيْساً أبا الرُّقاد، قالا: بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان، فقال له: انطلق أنت ومَن معك؛ حتَّى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم، فأقيموا، فأقبلوا حتى إذا كانوا بالمِرْبَد وجدوا هذا الكذّان. قالوا: ما هذه البَصرةُ؟ فساروا حتى بلغوا حيال الجِسْر الصغير، فإذا فيه حَلْفاء وقصبٌ نابتة، فقالوا: هاهنا أمرتم، فنزلوا دون صاحب الفُرات، فأتوه فقالوا: إنّ هاهنا قوماً معهم راية، وهم يريدونك، فأقبل في أربعة آلاف أسوار، فقال: ما هم إلا ما أرى؛ اجعلوا في أعناقهم الحبال؛ وائْتُوني بهم، فجعل عتبة يَزْجَل، وقال: إني شهدت الحرب مع النبيّ ﷺ؛ حتى إذا زالت الشمس، قال: احملوا؛ فحملوا عليهم فقتلوهم أجمعين، فلم يبق منهم أحد إلاّ صاحب الفرات، أخذوه

(١) ذكرنا عبارة الطبري هذه التي نقل فيها رأي سيف وغيره دون أن نعقب عليها، وهذه مسألة اختلف فيها المؤرخون كذلك، وسنعرج عليها بعد ذكر الروايات الصحيحة في هذا الباب إن شاء الله تعالىٰ ونذكر الرأي الظاهر فيها، والله أعلم.

أسيراً ، فقال عتبة بن غَزْوان: ابغوا لنا منزلاً هو أنزه من هذا ـ وكان يوم عِكاك وَومَد ـ فرفعوا له منبراً ، فقام يخطب ، فقال: إنَّ الدنيا قد تصرّمت وولّت حَذّاء ، ولم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء ، ألا وإنَّكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، وقد ذكر لي: لو أنّ صخرة ألقيت من شفير جهنّم هوت سبعين خريفاً ، ولتُملأنّها؛ أوعجِبتم! ولقد ذكر لي أنَّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنَّة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتينّ عليه يوم وهو كظيظ بزحام ، ولقد رأيتُني وأنا سابع سبعة مع النبيّ ﷺ ، مالنا طعام إلا ورق السَّمُر ، حتى تقرّحت أشداقنا؛ والتقطت بُردة فشققتها بيني وبين سعد ، فما منَّا من أولئك السبعة من أحدٍ إلا وهو أمير مِصْر من الأمصار ، وسيُجرِّبون الناس بعدنا[١]. (٣: ٥٩١/٥٩٢).

١٥٥ ـ فيما حدّثني عمر ، قال: حدّثنا المدائنيّ عن النّضر بن إسحاق السُّلَميّ ، عن قطبة بن قتادة السّدُوسيّ ـ يُغير بناحية الخُرَيبة من البصرة ، كما كان

---

(١) هذا إسناد لا بأس به وأخرجه كذلك الترمذي في كتاب الشمائل (ح ٣٧٥) من طريق محمد بن بشار وبالإسناد نفسه ، وأخرج جزءاً منه في السنن (أبواب صفة جهنم ح/ ٢٧١٤) وفيه قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا ـ منبر البصرة ـ: وإن الصخرة لتلقىٰ من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عاماً ما تقضي إلىٰ قرارها ـ وحسنه الألباني.
وأخرج مسلم في صحيحه (٤/٢٢٧٨/ح ٢٩٦٧) ثنا شيبان بن فروخ ثنا سلمان بن المغيرة ثنا حميد بن هلال عن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولّت حذّاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابّها صاحبها ، وإنكم منتقلون منها إلىٰ دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما حضرتم ، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفة جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها مقراً ووالله لتملأن جهنم ، ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام ، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلا ورق الشجر حتىٰ قرحت أشداقنا فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها فما أصبح اليوم منا أحد إلاّ أصبح أميراً علىٰ مصر من الأمصار ، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً ـ وإنها لم تكن نبوة قط إلاّ تناسخت حتىٰ يكون عاقبتها ملكاً فستعبرون وتجربون الأمراء بعدنا) اهـ.
وأخرج مسلم رواية أخرىٰ بعد هذه الرواية مباشرة من طريق إسحاق بن عمر بن سليط ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن خالد بن عمير وقد أدرك الجاهلية: قال: خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميراً على البصرة فذكر نحو حديث شيبان.

المثنّى بن حارثة الشيبانيّ يُغير بناحية الحبيرة ، فكتب إلى عمر يُعلمه مكانه ، وأنه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن قِبَله من العجم ، فنفاهم من بلادهم . وكانت الأعاجم بتلك الناحية قد هابوه بعد وقعة خالد بنهر المرأة ، فكتب إليه عمر : إنَّه أتاني كتابك أنَّك تغيرُ على مَنْ قِبَلك من الأعاجم ، وقد أصبت ووُفِّقت؛ أقم مكانك ، واحذر على مَن معك من أصحابك حتى يأتيَك أمري . فوجَّه عمر شريح بن عامر ، أحد بني سعد بن بَكْر إلى البصرة؛ فقال له : كن ردءاً للمسلمين بهذه الجيزة ، فأقبلَ إلى البصرة؛ فترك بها قطبة ، ومضى إلى الأهواز حتى انتهى إلى دارس ، وفيها مسلحة للأعاجم ، فقتلوه ، وبعث عمر عُتْبة بن غزوان[1] . (٣ : ٥٩٣) .

١٥٦ ـ حدّثنا عمر ، قال: حدّثني عليّ عن عيسى بن يزيد ، عن عبد المَلِك بن حذيفة ومحمد بن الحجّاج ، عن عبد الملك بن عُمَير ، قال: إنّ عمر قال لعتبة بن غزوان إذ وجَّهه إلى البصرة: يا عتبة ! إنّي قد استعملتك على أرض الهند ، وهي حوْمة من حوْمة العدوّ ، وأرجو أن يكفيَك الله ما حولها ، وأن يُعينك عليها ، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرميّ أن يُمدّك بعَرْفجة بن هرثمة؛ وهو ذو مجاهدة العدوّ ومكايدته؛ فإذا قدم عليك فاستشره وقرّبه ، وادع إلى الله؛ فمن أجابك فاقبل منه ، ومَنْ أبى فالجزية عن صَغَار وذلّة ، وإلاّ فالسيف في غير هوادة. واتّق الله فيما وُلِّيت ، وإيّاك أن تنازعك نفسك إلى كِبْر يفسد عليك إخوتك ، وقد صحبتَ رسول الله ﷺ فعززتَ به بعد الذِّلَّة ، وقويتَ به بعد الضعف ، حتى صرتَ أميراً مسلّطاً ومَلِكاً مطاعاً ، تقول فيُسمع منك ، وتأمر فيطاع أمرُك ، فيالها نعمة؛ إن لم ترفعك فوق قدرك وتُبطرك على مَنْ دونك! احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية؛ ولَهِيَ أخوَفُهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك ، فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنّم ، أعيذك بالله ونفسي من ذلك ، إنّ الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأرد الله ولا ترد الدنيا ، واتّق مصارع الظالمين[2] . (٣ : ٥٩٣/ ٥٩٤) .

١٥٧ ـ حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: حدّثنا أبو إسماعيل

(١) في إسناده النضر بن إسحاق السُلَمي لم يوثقه سوىٰ ابن حبان .
(٢) إسناده ضعيف ولبعضه ما يشهد له كما ذكرنا وسنذكره إن شاء الله .

الهمدانيّ وأبو مخنف ، عن مجالد بن سعيد ، عن الشعبيّ ، قال : قدم عتبة بن غزْوان البصرة في ثلاثمئة ، فلما رأى منبت القصب ، وسمع نقيق الضفادع قال : إنّ أمير المؤمنين أمرني أن أنزل أقصى البَرّ من أرض العرب ، وأدنى أرض الرّيف من أرض العجم ؛ فهذا حيث واجب علينا فيه طاعة إمامنا . فنزل الخُرَيبة وبالأبلّة خمسمئة من الأساورة يحمونها . وكانت مرفأ السفن من الصين وما دونها ، فسار عُتْبة فنزل دون الإجّانة ، فأقام نحواً من شهر ، ثم خرج إليه أهل الأبلّة فناهضهم عُتْبة ، وجعل قطبة بن قتادة السدوسيّ وقسامة بن زهير المازنيّ في عشرة فوارس ، وقال لهما : كونا في ظهرنا ، فتردّا المنهزم ، وتمنعا مَن أرادنا من ورائنا . ثم التقوْا فما اقتتلوا مقدار جَزْر جَزور وقسمِها ؛ حتى منحهم الله أكتافهم ، وولّوا منهزمين ؛ حتى دخلوا المدينة ، ورجع عتبة إلى عسكره ، فأقاموا أياماً ، وألقى الله في قلوبهم الرّعب ، فخرجوا عن المدينة ، وحملوا ما خفّ لهم ، وعَبَروا إلى الفرات ، وخلّوا المدينة ، فدخلها المسلمون فأصابوا متاعاً وسلاحاً وسبياً وعيناً ، فاقتسموا العين ، فأصاب كلَّ رجل منهم درهمان ، وولّى عُتْبة نافعَ بن الحارث أقباضَ الأبُلَّة ؛ فأخرج خُمسه ، ثم قسّم الباقي مَنْ أفاءه الله عليه ؛ وكتب بذلك مع نافع بن الحارث[١] . (٣ : ٥٩٤) .

١٥٨ ـ وعن حارثة بن مُضرّب ، قال : فُتحت الأبُلَّة عَنوة ، فقسم بينهم عتبة كَكَّة ـ يعني : خبزاً أبيض ـ . وعن محمَّد بن سيرين مثله .

قال الطَّبريّ : وكان ممَّن سُبِيَ من مَيْسان يَسار أبو الحسن البصريّ ، وأرطَبان جدّ عبد الله بن عون بن أرطَبان[٢] . (٣ : ٥٩٦) .

---

(١) هذه رواية بإسنادين أحدهما من طريق أبي مخنف وهو تالف والثاني من طريق (أبي إسماعيل الهمداني) فإن كان هو إسماعيل الهمداني الذي ذكره الحافظ المزي في تهذيب الكمال والحافظ ابن حجر في التهذيب فالإسناد حسن والله تعالى أعلم.

(٢) إسناده ضعيف ولكن يشهد له (دون تقسيم الخبز الأبيض) ما سبق من الروايات. وكذلك ما أخرجه خليفة بن خياط قال: ثنا عبد الله بن ميمون عن عوف عن الحسن قال: افتتح عتبة بن غزوان الأبلة فقتل من المسلمين سبعون رجلاً في موضع مسجد الأبلة ثم عبر إلى الفرات فأخذها عنوة (تأريخ خليفة/ ١٢٨) وإسناده مرسل وهو صحيح إلى مرسله الحسن.
وأخرج خليفة كذلك: صفوان بن عيسىٰ قال: نا أبو نعامة عن خالد بن عمير العدوي قال: مرّ عتبة بن غزوان بموضع المربد فوجد الكذّان الغليظ فقال: هذه البصرة انزلوها باسم الله. (تأريخ خليفة/ ١٢٨).

=

=

وأخرج خليفة: مسلم والضحاك قالا: أخبرنا سوادة بن أبي الأسود عن قتادة أن عمر بعث عتبة بن غزوان فغزا الأبلة (١٢٧). وأخرج كذلك: مرحوم بن عبد العزيز قال حدثني أبي عن خالد بن عمير العدوي قال: غزونا مع عتبة بن غزوان الأبلة فافتتحناها ثم عبرنا إلىٰ الفرات (تأريخ خليفة/ ١٢٧).

وأخرج الدينوري في الأخبار الطوال (١٢٣) أن عتبة بن غزوان رضي الله عنه كتب إلىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أما بعد فإن لله الحمد وله الحمد فتح علينا الأبلة وهي مرفأ سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين، وأغنمنا ذهبهم وفضتهم وذراريهم وأنا كاتب إليك ببيان ذلك إن شاء الله.

وقد أشار محمد حميد الله في كتابه القيم (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) ص ٤١٩ إلىٰ أن خبر كتاب عتبة بن غزوان إلىٰ عمر عن فتح الأبلة وجوابه مذكور في كتاب الأموال لابن زنجويه (خطية) ورقة ٢١/ ب والله تعالى أعلم.

مسألة اختلاف المؤرخين في تاريخ بناء البصرة
بعد فتح مينائها المعروف آنذاك بالأبلة

أكثر المؤرخين على أن عتبة بن غزوان هو الأمير الذي فتح منطقة الأبلة بما فيها الميناء (الثغر) ثم سمّاها البصرة وخطط لمساكنها وبنىٰ مسجدها، ولكن اختلف المؤرخون في تحديد سنة غزوها وفتحها وسنة تمصيرها وسنة وفاة أميرها الأول الصحابي الجليل عتبة بن غزوان رضي الله عنه وأرضاه.

وإليك أخي القارىء ما علمنا في هذه المسألة (وعلمنا قاصر ونسأل الله أن يعلمنا ما جهلنا وأن ينفعنا بما علمنا):

١ ـ أما المؤرخ المتقدم (خليفة بن خياط) ت ٢٢٦ هـ، فهو يرىٰ أن الأبلة (البصرة) فتحت علىٰ يد عتبة بن غزوان رضي الله عنه وأن قول قطبة بن قتادة السدوسي في إنها غُزيت سنة (١٢ هـ) بإمرة خالد بن الوليد غلط، ويشير خليفة إلىٰ ما رواه هو في تأريخه عن عون بن كهمس عن عمران بن حديد قال: حدثنا رجل يقال له مقاتل عن قطبة بن قتادة السدوسي... وفي آخره قال (أي: قطبة): وحمل علينا خالد بن الوليد في خيله فقلنا: إنا مسلمون، فتركنا وغدونا معه الأبلة فقسمناها بأيدينا (تأريخ خليفة/ ١١٧) ولقد ذكر ابن حجر أن الحسن بن سفيان أخرج هذه الرواية في مسنده عن خليفة (شباب) عن عون به (الإصابة ٥/ ٢٣٩/ ت ٧١٣٥).

ويرىٰ خليفة أن الصواب أن خالداً قد مرّ مروراً بالبصرة ولم يفتحها (هذا مفاد كلام خليفة في ص ١٢٨).

=

= قلنا: عون بن كهمس هذا قال فيه الحافظ في التقريب: مقبول، وسنرجع إلىٰ هذه الرواية لاحقاً.
ويرىٰ خليفة بن خياط: أن عتبة بن غزوان فتح البصرة وكانت تسمىٰ آنذاك (الأبلّة) سنة (١٤ هـ) ثم عبر الفرات أو غزاها والذي افتتح الفرات هو مجاشع بن مسعود بولاية عتبة إياه... ويذكر خليفة هذا الخبر نقلاً عن علي بن محمد المدائني عن بعض أشياخه (تأريخ خليفة/ ١٢٧).
٢ ـ أما الطبري فقد ذهب إلىٰ ما ذهب إليه خليفة من قبله؛ أي: أن البصرة فتحت سنة (١٤ هـ) ولقد ذكرنا رواياته هذه في قسم الصحيح من خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه فراجعها هناك.
٣ ـ أما البلاذري فهو يرىٰ أن عتبة بن غزوان بدأ بناء مساكن البصرة ومسجدها سنة (١٤ هـ) بأمر من سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويذكر هذا الخبر من طريق شيخه علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة (فتوح البلدان/ ٤٨٣).
٤ ـ أما الخطيب البغدادي فقد نحىٰ منحىً آخر في إثبات السنة التي فيها بُنيت البصرة فهو يبحث في وفاة أمير البصرة (عتبة بن غزوان) ومدة ولايته ومن ثم يرجّح متىٰ كان البدء ببناء البصرة.
فالخطيب أخرج عدة روايات منها ما أخرجه بسنده إلىٰ عمرو بن علي: أنه قال: مات عتبة سنة سبع عشرة، قدم المدينة في الهجرة وهو ابن أربعين سنة فتوفي وهو ابن سبع وخمسين (تأريخ بغداد ١/ ١٥٦) وأخرج بسنده إلىٰ أبي بكر بن البرقي قال: ومات عتبة بن غزوان بطريق البصرة سنة سبع عشرة ويقال عشرين، وهو الذي مصّر البصرة واختط بها المنازل وبنىٰ مسجدها بقصب وهو الذي افتتح الأبلة، وكانت ولايته بالبصرة ستة أشهر ولاه إياها عمر بن الخطاب (تأريخ بغداد/ ١٥٧). ثم أبدىٰ الخطيب رأيه في هذه المسألة بعد سرده لروايات عدة. (قائلاً): والأشبه بالصواب أن عتبة مات سنة سبع عشرة لأن المدائن فتحت سنة ستة عشرة ثم مُصّرت البصرة بعد ذلك ونزلها المسلمون على ما شرحناه فيما تقدم، وعتبة أول من اختطها وسكنها، فالله أعلم (تأريخ بغداد ١/ ١٥٧).
قلنا: وكذلك يوافق رأي يعقوب بن سفيان رأي الخطيب في أن عتبة بن غزوان توفي بالبصرة سنة سبع عشرة (المعرفة والتأريخ ٣/ ٣٠٥). ولا بأس هنا أن نستذكر ما رجحه الطبري في تأريخه عندما ردّ روايات سيف التأريخية التي ذكرت أن فتح الأبلّة علىٰ يد خالد، فقال (الطبري) رحمه الله: وهذه القصة في أمر الأبلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير، وخلاف ما جاءت به الآثار الصحاح، وإنما كان فتح الأبلة أيام عمر رحمه الله، وعلىٰ يد عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة (تأريخ الطبري ٣/ ٣٥٠). ولكن الطبري رحمه الله لم يرجح متىٰ بدأ عتبة بن غزوان بتمصير البصرة ـ. =

ـ ثم دخلت سنة خمس عشرة ـ

قال ابن جرير: قال بعضهم: فيها مصَّر سعد بن أبي وقّاص الكُوفة؛ دلّهم عليها ابن بُقَيلة؛ قال لسعد: أدلُّك على أرض ارتفعت عن البقّ، وانحدرت عن

= وعوداً علىٰ بدء نقول: لقد اعتبر خليفة بن خياط أن قول قطبة بن قتادة السدوسي (في أن فتح البصرة كان على يد خالد في عهد أبي بكر) غلط وبيّن: أن خالداً إنما مرّ بالأبلة ولم يفتحها وثقيفاً على كلام خليفة، نقول: الراجح كما قال خليفة والطبري أي أن وقعة الأبلة (البصرة حالياً) كانت على يد عتبة بن غزوان سنة (١٤ هـ)، إلا أنا نرىٰ وجهاً للجمع بين الروايتين (إن صحت رواية قطبة بن قتادة من طريق عون بن كهمس) فالأبلة منطقة واسعة وميناؤها المعروف بالأبلة كذلك (أو خرج الهند) جزء من هذه المدينة الواسعة، فلعلّ خالداً مرّ بأطرافها ولكن لم يصل إلىٰ الميناء الرئيسي وحارب من كان في المنطقة الخارجة عن الميناء وانتصر عليهم ولكنه لم يذهب أبعد من ذلك ولم يصل إلىٰ الميناء الرئيسي وذلك سنة (١٣ هـ)، حتىٰ جاءت سنة (١٤ هـ) فغزاها عتبة بن غزوان وفتح ميناءها المعروف ثم بدأ بعد ذلك بتمصيرها والله تعالىٰ أعلم.

أما الكلاعي الذي عاش في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري وهو محدث ومؤرخ معتمد فقد قال: والأخبار في شأن هذين المصرين (يعني البصرة والكوفة) يوهم ظاهرها الاختلاف المتباين في وقت عمارة المسلمين لها فأكثرها على أن ذلك كان بعد المدائن وبعد جلولاء، ثم ذكر الكلاعي الرأي الآخر المخالف لهذا الرأي والذي ذكره الطبري عن خالد بن عمير العدوي وعقب قائلاً: ولعلّ نزول المسلمين بهذين الموضعين كان متقدماً علىٰ تمصيرهما وبنيانهما بزمان، ومع ذلك فلا يرتفع الخلاف في ذلك بين الأخبار كل الارتفاع، والله تعالى أعلم. (الاكتفاء ٤/ ٣٠٧).

قلنا: وما دام الحديث عن بناء البصرة وتمصيرها فمن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلىٰ معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فقد أخبر عن بناء هذه المدينة وسمّاها باسمها قبل فتحها بسنين طويلة ولم تكن يومها معروفة بالبصرة وإنما كان ثغرها (ميناؤها) يسمّىٰ بالأبلة. فقد أخرج أبو داود في سننه (٤/ كتاب الملاحم/ باب في ذكر البصرة/ ح ٤٣٠٦) عن مسلم بن أبي بكرة قال: سمعت أبي يقول: ينزل ناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له: دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين. وحسنه الألباني، وكذلك أخرج أبو داود في الباب نفسه (ح ٤٣٠٧) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: يا أنس إن الناس يمصرون أمصاراً وإن مصراً منها يقال له: البصرة أو البصيرة. وصححه الألباني.

الفلاة! فدلّهم على موضع الكوفة اليوم[1]. (٣: ٥٩٨).

ذكر فتح حمْص

١٥٩ - حكى الطبريّ عن سيف في كتابه، عن أبي عثمان، قال: ولما بلغ هرقل الخبر بمقتل أهل المرْج أمر أمير حمص بالسَّير والمضيّ إلى حِمْص، وقال: إنّه بلغني أنّ طعامهم لحوم الإبل، وشرابهم ألبانها، وهذا الشتاء فلا تقاتلوهم إلاّ في كلّ يوم بارد، فإنه لا يبقى إلى الصيف منهم أحد، هذا جُلّ طعامهم وشرابهم. وارتحل من عسكره ذلك، فأتى الرُّهاء، وأخذه عامله بحمص، وأقبل أبو عبيدة حتى نزل على حِمْص، وأقبل خالد بعده حتى ينزل

(١) ذكر الطبري هنا مقالته هكذا مبهماً (قال بعضهم) وسنذكر ما يحضرنا في تمصير الكوفة وتأريخها وبالله التوفيق:
١ - أخرج أبو يوسف قال: وحدثني حصين عن أبي وائل قال: جاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حتى نزل القادسية (أو حين نزل القادسية)... الخبر وفي آخره: فلما هزم سعد المشركين بجلولاء ولحقوا بنهاوند، رجع فبعث عمار بن ياسر فسار حتىٰ نزل بالمدائن، فأراد أن ينزلها بالناس فاجتواها الناس وكرهوها، فبلغ عمر رضي الله عنه ذلك فسأل: هل يصلح بها الإبل؟ قالوا: لا، لأن بها البعوض. فقال عمر رضي الله تعالى عنه: إن العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها الإبل ارجعوا، فلقي سعد عبادياً فقال: أنا أدلكم على أرض ارتفعت عن البقة وتطأطأت عن السبخة وتوسطت الريف وظعنت في أنف البرية قالوا: هات. قال: أرض بين الحيرة والفرات. فاختط الناس الكوفة ونزلوها (الخراج/ ٣٠) وإسناده حسن.
٢ - وأخرج البلاذري عن محمد بن سعد عن الواقدي (وهو متروك) أن عمر بن الخطاب كتب إلىٰ سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيرواناً... إلخ وفيه: فتحول إلى الكوفة فاختطها وأقطع الناس المنازل وأنزل القبائل منازلهم وبنىٰ مسجدها وذلك سنة (١٧ هـ). (فتوح البلدان/ ٣٨٧).
وأخرج البلاذري كذلك عن شيخه علي بن المغيرة الأثرم قال: وحدثني أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ عن أشياخه قال: وأخبرني هشام بن الكلبي عن أبيه ومشايخ الكوفيين قالوا: لما فرغ سعد بن أبي وقاص من وقعة القادسية... الخبر وفيه: ثم افتتح المدائن وأخذ أسبانبر وكردبنداذ عنوة فأنزلها جندها فاجتووها فكتب إلىٰ سعد أن حوّلهم إلى سوق الحكمة. وبعضهم يقول: إلىٰ كويفة والكوفة (فتوح البلدان/ ٣٨٧). ولايخفىٰ ضعف هذا الإسناد. والله أعلم.

عليها ، فكانوا يُغادون المسلمين ويراوحونهم في كلّ يوم بارد؛ ولقيَ المسلمون بها برداً شديداً ، والرّوم حصاراً طويلاً ، فأمّا المسلمون فصبروا ورابطوا ، وأفرغ الله عليهم الصَّبْر ، وأعقبهم النصر ، حتى اضطرب الشتاء ، وإنّما تمسَّك القوم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء[1] . (٣ : ٥٩٩) .

---

(١) إسناده ضعيف جداً ، ولقد تطرقنا إلىٰ فتح حمص عند الحديث عن فتوح الشام والأردن وغير ذلك فراجعها هناك ، وسنعيد ذكر بعضه وغيره والله تعالىٰ أعلم .
١ ـ أخرج خليفة بن خياط في تأريخه ضمن أحداث سنة خمس عشرة بسند ضعيف ، قال الكلبي: ثم خرج أبو عبيدة يريد حمص فسألوه الصلح وقدم خالداً أمامه فقاتلوه قتالاً شديداً ، ثم هزمت الروم حتىٰ دخلوا مدينتهم فحصرهم فسألوه الصلح على أموالهم وأنفسهم وكنائسهم وعلى أرض حمص مئة ألف دينار (تأريخ خليفة/ ١٣٠) .
وأخرج خليفة قال: وحدثني عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال: صالحهم أبو عبيدة على المدينة على ما صالح عليه أهل دمشق ، وأخذ سائر مدائنهم عنوة (تأريخ خليفة/ ١٣٠) .
قلنا: وهذا إسناد مرسل. وقال خليفة: وحدثني حاتم بن مسلم عمن حدثه عن ابن إسحاق نحوه. قلنا: وهذا إسناد ضعيف كما ترىٰ.
٢ ـ وأخرج البلاذري قال: حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف أن أبا عبيدة الجراح لما فرغ من دمشق قدّم أمامه خالد بن الوليد وملحان بن زيّاد الطائي ثم اتبعهما فلمّا توافوا بحمص قاتلهم أهلها ، ثم لجؤوا إلىٰ المدينة وطلبوا الأمان والصلح فصالحوه على مئة ألف وسبعين ألف دينار (فتوح البلدان/ ١٧٨). وهذا إسناد ضعيف جداً لأنه من طريق أبي مخنف وهو تالف ولكن متنه كما ترىٰ يقارب رواية الكلبي عند ابن خياط وهي ضعيفة الإسناد كذلك.
وأخرج البلاذري كذلك قال: وحدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق ، استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق وعمرو بن العاص علىٰ فلسطين وشرحبيل علىٰ الأردن ، وأتىٰ حمص فصالح أهلها على نحو صلح بعلبك ثم خلف بحمص عبادة بن الصامت الأنصاري. . . . إلخ (فتوح البلدان ١٧٩) وإسناده معضل كما ترىٰ. وذكر البلاذري عن الواقدي وغيره أن أبا عبيدة قدم حمص بعد أن استخلف على دمشق يزيد بن أبي سفيان فنزل بباب الرّستن ، فصالحه أهل حمص على أن أمنهم علىٰ أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وأرحامهم (فتوح البلدان/ ١٧٩) .
وأخرج كذلك قال: حدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز وحدثني موسىٰ بن إبراهيم التنوخي ، عن أبيه عن مشايخ أهل حمص قال: استخلف أبو عبيدة عبادة بن الصامت الأنصاري علىٰ حمص (فتوح البلدان/ ١٨٠). وقد ذكر خليفة بن خياط فتح حمص ضمن أحداث سنة أربع عشرة فقال: قال ابن إسحاق وغيره: وفيها ـ يعنون سنة أربعة عشرة ـ فتحت حمص وبعلبك صلحاً علىٰ يدي أبي عبيدة في ذي القعدة ، ويقال: في سنة خمس عشرة (تأريخ خليفة/ ١٢٧) وقد ذكر خليفة هذا عن ابن إسحاق بلاغاً كما ترىٰ والله أعلم. =

حديث قِنَّسرين

١٦٠ - وعن أبي عثمان وجارية ، قالا : وبعث أبو عبيدة بعد فتح حِمْص خالدَ بن الوليد إلى قِنَّسْرين ، فلمّا نزل بالحاضر زحف إليهم الرّوم ، وعليهم مِيناس ، وهو رأس الرّوم وأعظمُهم فيهم بعد هرَقل ، فالتقوْا بالحاضر ، فقتِل مِيناس ومَن معه مقتلةً لم يُقتَلوا مثلها ، فأما الرّوم فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحد ، وأمّا أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد أنهم عرب ، وأنّهم إنما حُشِروا ولم يكن من رأيهم حربُه ، فقبل منهم وتركهم. ولمّا بلغ عمَر ذلك قال: أمّر خالد نفسَه؛ يرحم الله أبا بكر؛ هو كان أعلمَ بالرّجال منِّي ، وقد كان عزله والمثنّى مع قيامه ، وقال: إنيّ لم أعزلهما عن ريبة؛ ولكن الناس عظّموهما ، فخشيت أن يوكّلوا إليهما. فلمّا كان من أمره وأمر قِنَّسرين ما كان ، رجع عن رأيه. وسار خالد حتى نزل قِنّسرين ، فتحصّنوا منه ، فقال: إنّكم لو كنتم في السحاب لحمَلنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا. قال: فنظروا في أمرهم ، وذكروا ما لقيَ أهلُ حمص؛ فصالحوه على صُلْح حمص ، فأبى إلاّ على إخراب المدينة فأخربها ، واتّطأت حمْص وقنّسرين؛ فعند ذلك خَنس هرَقل؛ وإنّما كان سبب خنوسه أنّ خالداً حين قتل مِيناس ومات الرّوم على دمه ، وعقد لأهل الحاضر وترك قِنَّسرين ، طلع من قبَل الكوفة عمر بن مالك من قبل قَرْقيسيَا ، وعبد الله بن المُعتمّ من قِبَل الموْصل ، والوليد بن عقبة من بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة ، وطووا مدائن الجزيرة من نحو هرَقل ، وأهل الجزيرة في حرّان والرّقة ونَصِيبين وذواتَها لم يُغرِضوا غرضَهم؛ حتى يرجعوا إليهم؛ إلاّ أنهم خلّفوا في الجزيرة الوليدَ لئلاّ يؤتَوْا من خلفهم؛ فأدرب خالد وعياض ممّا يلي الشأم ، وأدرب عمر وعبد الله مما يلِي الجزيرة؛ ولم يكونوا أدربوا قبله؛ ثم رجعوا ، فهي أوّل مُدرِبة كانت في الإسلام سنة ست عشرة. فرجع خالد إلى قِنّسرين فنزلها ، وأتته امرأته ، فلمّا عزلـه قال: إنّ عمر ولاّني الشأم حتى إذا صارت بثنيّةً وعَسَلاً عَزلني.

قال أبو جعفر الطبريّ: ثم خرج هِرقل نحو القسطنطينية ، فاختُلِف في حين شخوصه إليها وتركه بلاد الشأم ، فقال ابن إسحاق: كان ذلك سنة خمس عشرة؛

وقال سيف: كان سنة ستّ عشرة[١]. (٣: ٦٠١/ ٦٠٢).

(١) إسناده ضعيف.
أخرج البلاذري قال: حدثني هشام بن عمار الدمشقي قال: حدثنا يحيىٰ بن حمزة عن أبي عبد العزيز عن عبادة بن نُسَيّ عن عبد الرحمن بن غنم قال: رابطنا مدينة قِنسرين مع السِّمِط (أو قال: شرحبيل بن السمط) فلما فتحها أصاب فيها بقراً وغنماً فقسم فينا طائفة منها وجعل بقيتها في المغنم (فتوح البلدان/ ١٩٧).
قلنا: وهذا إسناد صحيح (والله تعالىٰ أعلم) وإن هشام بن عمار الدمشقي قد تقوى فإنا قد أخذنا بروايته هذه لأمرين:
الأول: لوجود الشواهد وإن كان أقلها ضعيفة.
والثاني: لأنا اتبعنا ما عرف عن ابن حجر بالاستقراء في أنه لا يعتد أحياناً على الراوي (في أمثال محمد بن إسحاق) إذا عنعن ولم يعرج بالتحديث وذلك في الحلال والحرام والأصول ولكنه يعتد في المغازي والسير ويقارن بين روايات ابن إسحاق وغيره من المؤرخين الثقات الذين لم يدلسوا، وللمزيد راجع مقدمتنا لتأريخ الطبري، والله تعالىٰ أعلم.
٢ - وقد أخرج خليفة بن خياط: حدثنا عبد الله بن المغيرة حدثني أبي أن أبا عبيدة بعث عمرو بن العاص بعد فراغه من اليرموك إلى قِنسرين فصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية وافتتح سائر أرض قنسرين عنوة (تأريخ خليفة/ ٢٣٦).
وقد نسب ابن عساكر كذلك هذا الخبر إلىٰ خليفة عن عبد الله بن المغيرة عن أبيه به (تأريخ دمشق المجلد الثالث والخمسون/ ٢٣٦، تحقيق الشهابي).
قلنا: وشيخ خليفة في هذه الرواية (عبد الله بن المغيرة) لم نجد له ترجمة، والله تعالىٰ أعلم، وقد ذكر أبوه الخبر مرسلاً.
٣ - وأخرج البلاذري من طريق شيخه هشام بن عمار عن الوليد عن الأوزاعي أن أبا عبيدة فتح قِنسرين وكورها سنة (١٦ هـ) (فتوح البلدان/ ١٨٩)، وهذا إسناد مرسل أيضاً. وأخرج البلاذري كذلك من طريق شيخه أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز عن أشياخه وعن بقية بن الوليد عن مشايخ من أهل العلم قالوا... الخبر... وفيه: وقدم عليه أبو عبيدة بعد أن فتح قِنسرين ونواحيها وذلك في سنة (١٦ هـ) وهو محاصر إيليا.... إلخ. (فتوح البلدان/ ١٨٩).
٤ - وأخرج ابن عساكر (مختصر تأريخ دمشق لابن منظور ١/ ٢٠٣) عن أبي عثمان الصنعاني قال: لما فتح الله علينا دمشق خرجنا مع أبي الدرداء في مسلحة برزة ثم تقدمنا مع أبي عبيدة بن الجراح ففتح الله بنا حمص، ثم تقدمنا مع شرحبيل بن السمط أوطأ الله بنا ماء دون النهر ـ يعني: الفرات ـ وحاصرنا عانات وأصابنا لأواء وقدم علينا سليمان في مدد لنا.
وهذه الرواية عند أبي عثمان الصنعاني في تأريخ يعقوب بن سفيان (٣/ ٢٩٩) تحقيق العمري وفيه تصحيف أبي الجماهر محمد بن عثمان الصنعاني قال: لما فتح الله دمشق. والصواب=

ذكر فتح بيت المقدس

١٦١ ـ وعن أبي عثمان وأبي حارثة ، قالا : افتتحت إيلياء وأرضها على يدي عمر في ربيع الآخر سنة ستّ عشرة[١] . (٣: ٦١٠) .

١٦٢ ـ وعن رجاء بن حيْوَة ، عمّن شهد؛ قال: لما شخص عمر من الجابية إلى إيلياء ، فدنا من باب المسجد ، قال: ارقبُوا لي كعباً ، فلمّا انفرق به الباب ، قال: لبَّيْك ، اللهم لبّيك ، بما هو أحبُّ إليك! ثم قصد المحراب؛ محراب داود عليه السلام ، وذلك ليلاً ، فصلى فيه ، ولم يلبث أن طلع الفجر ، فأمر المؤذّن بالإقامة ، فتقدّم فصلّى بالناس ، وقرأ بهم «ص» ، وسجد فيها ، ثم قام ، وقرأ بهم في الثانية صدْرَ «بني إسرائيل» ، ثم ركع ثم انصرف ، فقال: عليّ بكعب ، فأتِي به ، فقال: أين ترى أن نجعل المصلّى؟ فقال: إلى الصخرة ، فقال: ضاهيتَ والله اليهوديّة يا كعب ، وقد رأيتك وخلعَك نعليك ، فقال: أحببتُ أن أباشره بقدميّ ، فقال: قد رأيتُك ، بل نجعل قبلته صدره ، كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صدورَها ، اذهب إليك ، فإنا لم نؤمر بالصّخرة ، ولكنّا أمِرنا بالكعبة ، فجعل قبلته صدَره ، ثم قام من مُصلاّه إلى كُناسة قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس في زمان بني إسرائيل؛ فلمّا صار إليهم أبرزوا بعضها ، وتركوا سائرها ، وقال: يا أيّها الناس ! اصنعوا كما أصنع ، وجثا في أصلها ، وجثا في فَرْج من فروج قبائله ، وسمع التكبير من خلْفه ، وكان يكره سُوء الرِّعةَ في كلّ شيء ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: كبّر كعب وكبّر الناس بتكبيره فقال: عليّ به فأتِيَ به ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ! إنه قد تنبّأ على ما صنعت اليوم نبيّ منذ خمسمئة سنة ، فقال: وكيف؟ فقال: إنّ الرّوم أغاروا على بني إسرائيل فأدِيلوا

= ما نقلناه من تأريخ ابن عساكر وذلك لأن أبا الجماهر محمد بن عثمان ولد سنة ١٤٠ هـ بينما دارت المعركة سنة ١٦ أو ١٧ هـ وأما أبو عثمان الصنعاني الذي أثبتنا اسمه فهو تابعي أدرك الصديق رضي الله عنه وشهد اليمامة مع خالد وفتح دمشق (تهذيب الكمال ١٢/ ٤١٠).
وأما أبو الجماهر فهو أحد رجال السند والله تعالىٰ أعلم. ولقد ذكر يعقوب بن سفيان هذه المعركة ضمن أحداث سنة (١٤ هـ).

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده بعد قليل.

عليهم، فدفنوه ، ثم أُدِيلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبَغوا على بني إسرائيل ، ثم أديلت الرّوم عليهم إلى أن وَلِيتَ ، فبعث الله نبياً على الكُناسة ، فقـال: أبشـرِي أورى شَلَـم! عليـكِ الفـاروق ينقّيـك ممـا فيـك ، وبعـث إلـى القسطنطينيّة نبيّ؛ فقام على تلّها ، فقال: يا قُسطنطينيّة ، ما فعل أهلك ببيتي! أخربوه وشبّهوك كعرشي؛ وتأوّلوا عليّ ، فقد قضيت عليك أن أجعلك جَلْحاء يوماً ما ، لا يأوي إليك أحـد ، ولا يستظلّ فيك على أيدي بني القاذر سَبَأ وودّان؛ فما أمسوْا حتى ما بقي منه شيء. وعن ربيعة الشاميّ بمثله؛ وزاد: أتاك الفاروق في جندي المُطيع ، ويُدركون لأهلك بثأرك في الرّوم ، وقال في قسطنطينيّة: أدعُك جَلْحاء بارزة للشمس ، لا يأوي إليك أحد ، ولا تظلّينه[1] (٣: ٦١١/ ٦١٢) .

---

(١) إسناده ضعيف ولبعضه ما يشهد له كما سنذكر إن شاء الله تعالىٰ.
أخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٨٢) أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أنبأنا بشر بن موسىٰ ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا أيوب الطائي عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عمر عن بعيره ونزع خفيه أو قال موقيه ، ثم أخذ عظام راحلته وخاض المخاضة فقال له أبو عبيدة بن الجراح : لقد فعلت يا أمير المؤمنين فعلاً عظيماً عند أهل الأرض نزعت خفيك وقدمت راحلتك وخضت المخاضة. قال: فصك عمر بيده في صدر أبي عبيدة فقال أوه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ! أنتم كنتم أقل الناس وأذل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلك الله تعالىٰ. وسكت عنه الحاكم وكذا الذهبي والله أعلم.
٢ ـ أخرج خليفة بن خياط (في أحداث سنة ستة عشرة) قال: حدثنا بكر عن ابن إسحاق قال أخبرنا محمد بن طلحة بن ركانة عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: خرج أهل إيلياء إلى عمر فصالحوه على الجزية وفتحوها ـ (تأريخ خليفة/ ١٣٥) قلنا: وشيخ خليفة في هذا الإسناد هو بكر بن سليمان البصري ترجم له البخاري فسكت عنه ، وأما أبو حاتم فقد قال: مجهول ، فرده الذهبي قائلاً روىٰ عنه شهاب بن معمر وخليفة بن خياط ولا بأس به إن شاء الله تعالىٰ.
(ميزان الاعتدال ١/ ٣٤٥/ت ١٢٨٣).
وكذلك قال الحافظ ابن حجر في اللسان (٢/ ٩٠/ت ١٧٢٧) وبكر هذا راوية ابن إسحاق في السيرة وتأريخ الخلفاء كما هو معروف ـ وإسناد خليفة هذا لا بأس به (والله أعلم) إلىٰ سالم بن عبد الله إلاّ أن سالماً لم يعاصر هذه الأحداث ، فلعله أخذه عن أبيه الصحابي الجليل عبد الله بن عمر ، والله تعالىٰ أعلم.
أما البلاذري فقد كذر ثلاث روايات في فتح بيت المقدس.

= ٣ ـ أما الأولىٰ فقد قال فيها: حدثني القاسم بن سلام قال حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب: أن عمر بن الخطاب بعث خالد بن ثابت الفهمي إلىٰ بيت المقدس في جيش وهو يومئذ بالجابية فقاتلهم فأعطوه على ما أحاط به حصنهم شيئاً يؤدّونه، ويكون للمسلمين ما كان خارجاً فقدم عمر فأجاز ذلك ثم رجع إلىٰ المدينة (فتوح البلدان/ ١٨٩). ورواية البلاذري هذه في كتاب الأموال للحافظ أبي عبيد القاسم بن سلام مع شيء من التفصيل وفيه: وكتب إلىٰ عمر يخبره بالذي صنع الله له فكتب إليه (أن قف على حالك حتىٰ أقدم عليك) فوقف خالد عن قتالهم، وقدم عمر مكانه ففتحوا له بيت المقدس على ما بايعهم عليه خالد بن ثابت قال: فبيت المقدس يسمىٰ فتح عمر بن الخطاب (كتاب الأموال/ ١٥٢/ح ٤٢٩). ورجال هذا الإسناد ثقات إلاّ أن في حفظ عبد الله بن صالح (كاتب الليث) شيء ولقد ناقش المحرران قول الحافظ (صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة) فقالا: بل صدوق في حفظه شيء حسن الحديث في المتابعات (تحرير التقريب ٢/ت ٣٣٨٨).

قلنا: ونحن نرىٰ: أنهما لو قالا بكلام الحافظ ابن عدي في الكامل؛ لكان أولىٰ؛ إذ قال فيه (بعد سرده لرواياته وأقوال العلماء فيه): وهو عندي مستقيم الحديث إلاّ أنه يقع في أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمد الكذب وقد روىٰ عنه يحيىٰ بن معين كما ذكرت (الكامل ٤/ت ١٠١٥) قلنا: وكذلك حسن أبو زرعة الرازي حديثه، والله أعلم.

٤ ـ وأخرج البلاذري كذلك قال: وحدثني هشام بن عمار عن الوليد عن الأوزاعي أن أبا عبيدة فتح قنسرين وكورها سنة ١٦ هـ، ثم أتىٰ فلسطين فنزل إيلياء فسألوه أن يصالحهم فصالحهم سنة ١٧ هـ؛ على أن يقدم عمر رحمه الله فينفذ ذلك ويكتب لهم به (فتوح البلدان/ ١٨٩). وإسناد الرواية عند البلاذري أقوىٰ من هذه الرواية كما ترى وإن كانا متفقين في المتن إلا في تحديد السنة، والله تعالىٰ أعلم.

٥ ـ والرواية الثالثة إذ قال البلاذري: حدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز عن أشياخه وعن بقية بن الوليد عن مشايخ من أهل العلم قالوا... إلخ. وفيه: وقدم عليه أبو عبيدة بعد أن فتح قِنسرين ونواحيها وذلك في سنة ١٦ هـ وهو محاصر إيليا. وإيلياء مدينة بيت المقدس، فيقال: إنه وجّهه إلىٰ أنطاكية من إيلياء وقد عذر أهلها ففتحها ثم عاد فأقام يومين أو ثلاثة، ثم طلب أهل إيلياء من أبي عبيدة الأمان والصلح، على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم، على أن يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه، فكتب أبو عبيدة إلىٰ عمر بذلك، فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق ثم صار إلىٰ إيلياء فأنفذ صلح أهلها، وكتب لهم به وكان فتح إيلياء في سنة ١٧ هـ. وقد روي في فتح إيلياء وجه آخر (فتوح البلدان/ ١٨٩). =

ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

١٦٣ ـ وفي هذه السنة فرض عمر للمسلمين الفروض ، ودوّن الدّواوين ، وأعطى العطايا على السابقة ، وأعطى صفوان بن أميّة ، والحارث بن هشام ،

= قلنا : وهذا إسناد ضعيف كذلك لإبهام أسماء بعض الرواة (عن أشياخه ، عن مشايخ من أهل العلم) والله تعالىٰ أعلم .

٦ ـ وأخرج أحمد في مسنده (١/ ٣٨) في قصة سيدنا عمر مع كعب الأحبار حديثاً وفيه : لما دخل بيت المقدس قال : أصلي حيث صلىٰ رسول الله ﷺ ، فتقدم إلى القبلة فصلىٰ ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس. وأخرج عبد الرزاق في مصنفه (١/ ح ٦٦١٠) من طريق نافع عن أسلم مولىٰ عمر قال : لما قدم عمر الشام صنع له رجل من عظماء النصارىٰ طعاماً ودعاه فقال عمر : إنا لا ندخل كنائسكم من الصور التي فيها ، يعني : التماثيل .

قلنا : ومعروف عند علماء التأريخ أن أمير المؤمنين عمراً رضي الله عنه سافر إلىٰ الشام أكثر من مرة ، وسنعود إلى الحديث عن أسفاره هذه في أحداث السنة (١٧ هـ) إن شاء الله تعالىٰ عندما يتحدث عنها الطبري في الجزء الرابع من تأريخه .

ونرجع إلى حديثنا عن فتح بيت المقدس :

وفي تأريخ يعقوب بن سفيان : ثم فتح الجابية وإيلياء سنة ست عشرة (المعرفة والتأريخ ٣/ ٣٠٥) .

٧ ـ وأخرج ابن عساكر بسنده المتصل إلىٰ الليث بن سعد رحمه الله أنه قال فيما قال : . . . ثم كانت إيلياء وتسرع لسنة سبع عشرة (تأريخ دمشق ، المجلد الثالث والخمسون/ ٣٣٤) تحقيق سكينة الشهابي .

أما بالنسبة للأئمة المتأخرين فقد ذكر الذهبي فتح بيت المقدس ضمن أحداث سنة ست عشرة (تأريخ الإسلام/ عهد الخلفاء الراشدين/ ١٦٢) .

وأما تلميذه ابن كثير فقد قال : قال محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصن بن علاق قال يزيد بن عبيدة : فتحت بيت المقدس سنة ستة عشرة ، وفيها قدم عمر بن الخطاب الجابية . وقال أبو زرعة الدمشقي : عن دحيم عن الوليد بن مسلم قال : ثم عاد في سنة سبع عشرة فرجع من سرغ ثم قدم سنة ثماني عشرة(البداية والنهاية ٧/ ٥٨) .

قلنا : وإسناد الأول إلىٰ يزيد بن عبيدة مرسل صحيح . قلنا : ورواية ابن كثير هذه عند ابن عساكر في تأريخه ورقم هذه الرواية عن يزيد بن عبيدة في مختصر تأريخ دمشق لابن منظور . (١/ ٢٢٤) .

وسُهيل بن عمرو في أهل الفتح أقلّ ما أخذ مَن قبلهم ، فامتنعوا من أخذه وقالوا: لا نعترف أن يكون أحد أكرم مِنّا ، فقال: إنّي إنّما أعطيتكم على السابقة في الإسلام لا على الأحساب؛ قالوا: فنعم إذاً ، وأخذوا ، وخرج الحارث وسُهَيل بأهليهما نحو الشأم؛ فلم يزالا مجاهدين حتى أصِيبا في بعض تلك الدّروب؛ وقيل: ماتا في طاعون عَمْواس[1]. (٣: ٦١٣).

١٦٣/أ ـ ولما أراد عمر وضعَ الديوان؛ قال له عليّ ، وعبد الرحمن بن عوف: ابدأ بنفسك ، قال: لا ، بل أبدأ بعمّ رسول الله ﷺ ، ثم الأقرب فالأقرب؛ ففرض للعبّاس وبدأ به ، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ثم فرض لمَن بعد بدر إلى الحُديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ، ثم فرض لمن بعد الحُديْبِية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف؛ في ذلك مَن شهد الفتح ، وقاتل عن أبي بكر ، ومَن ولي الأيام قبل القادسيّة؛ كلُّ هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، ثم فرض لأهل القادسيّة وأهل الشأم ألفين ألفين؛ وفرض لأهل البَلاء البارع منهم ألفين وخمسمئة ، ألفين وخمسمئة ، فقيل له: لو ألحقت أهلَ القادسيّة بأهل الأيّام! فقال: لم أكن لألحقهم بدرجة مَن لم يدركوا ، وقيل له: قد سوّيت من بَعُدتْ داره بمَن قربت داره وقاتلهم عن فنائه ، فقال: مَن قربت داره أحقّ بالزيادة ، لأنهم كانوا ردءاً للُحوِق وشجىً للعدوّ ، فهلاّ قال المهاجرون مثل قولكم حين سوّينا بين السابقين منهم والأنصار! فقد كانت نُصرة الأنصار بفنائهم؛ وهاجر إليهم المهاجرون من بعد؛ وفرض لمن بعد القادسيّة واليرموك ألفاً ألفاً ، ثم فرض للروادف: المثنّى خمسمئة خمسمئة ، ثم للروادف الثّلِيث بعدهم ثلاثمئة ثلاثمئة؛ سوَّى كلَّ طبقة في العطاء ، قويَّهم وضعيفهم ، عربَهم وعَجمهم ، وفرض للرّوادف الرّبيع على مئتين وخمسين ، وفرض لمن بعدهم وهم أهل هَجَر والعباد على مئتين ، وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها: الحسن ، والحسين ، وأبا ذَرّ ، وسلمان. وكان فرض للعبّاس خمسة وعشرين

---

(١) ذكر الطبري: أن عمل الفاروق هذا كان في سنة (١٥ هـ) ولا نستطيع أن نجزم بذلك اعتماداً علىٰ الروايات التأريخية المعروفة ، ولكن المتفق عليه بين أئمة التأريخ: أن عمراً رضي الله عنه هو الذي بدأ بعمل الدواوين وكان ذلك بعد الفتوح ، أما السنة فمختلف فيها كما سنبين إن شاء الله.

ألفاً ـ وقيل: اثني عشر ألفاً ـ وأعطى نساء النبيّ ﷺ عشرة آلاف؛ إلا من جرى عليها الملك؛ فقال نسوة رسول الله ﷺ: ما كان رسول الله ﷺ يفضّلنا عليهنّ في القِسمة؛ فسوِّ بيننا؛ ففعل وفضَّل عائشة بألفين لمحبّة رسول الله ﷺ إيّاها فلم تأخذ؛ وجعل نساء أهل بدر في خمسمئة خمسمئة، ونساءَ مَن بعدهم إلى الحديبيَة على أربعمئة أربعمئة؛ ونساء من بعد ذلك إلى الأيّام ثلاثمئة ثلاثمئة، ونساء أهل القادسيّة مئتين مئتين، ثم سوّى بين النساء بعد ذلك؛ وجعل الصبيان سواء على مئة مئة، ثم جمع ستين مسكيناً، وأطعمهم الخبز، فأحصوْا ما أكلوا، فوجدوه يخرج من جَريبتين، ففرض لكلّ إنسان منهم ولعياله جريبتين في الشهر.

وقال عمر قبل موته: لقد هممتُ أن أجعلَ العطاء أربعة آلاف، ألفاً يجعلها الرجل في أهله، وألفاً يزوّدها معه، وألفاً يتجهّز بها، وألفاً يترفّق بها، فمات قبل أن يفعل[1]. (٣: ٦١٤/ ٦١٥).

---

(١) ذكر الطبري مقالته هذه بلا إسناد، وسنحاول ذكر ما ورد في هذه المسألة وبالله التوفيق.
١ ـ أخرج الحافظ الحجة أبو عبيد القاسم بن سلاّم في كتاب الأموال (٢١١/ ح ٥٤٨): حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا موسىٰ بن علي بن رباح عن أبيه: أن عمر بن الخطاب خطب الناس بالجابية فقال... الخبر، وفيه: ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله تبارك وتعالىٰ جعلني له خازناً وقاسماً، إني بادٍ بأزواج رسول الله ﷺ فمعطيهن ثم المهاجرين الأولين ثم أنا باد بأصحابي، أُخرجنا من مكة من ديارنا وأموالنا، ثم الأنصار تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم... ثم قال: فمن أسرع إلى الهجرة أسرع به العطاء ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء فلا يلومن رجل إلاّ مناخ راحلته ـ وإسناده مرسل صحيح، ولكن روي موصولاً فقد أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٧٥/ ٤٧٦) بسند حسن عن ناشرة بن سمي النيرني قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه يقول في يوم الجابية وهو يخطب الناس: إن الله عز وجل جعلني خازناً لهذا المال وقاسمه له، ثم قال: بل الله يقسمه، وأنا بادئ بأهل النبي ﷺ ثم أشرفهم. ففرض لأزواج النبي ﷺ عشرة آلاف إلا جويرية وصفية وميمونة، فقالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ كان يعدل بيننا، فعدل بينهن عمر ثم قال: إني بادىء بأصحابي المهاجرين الأولين فإنا خرجنا من ديارنا ظلماً وعدواناً، ثم أشرفهم، ففرض لأصحاب بدر منهم خمسة آلاف ولمن كان شهد بدراً من الأنصار أربعة آلاف ولمن شهد أحداً ثلاثة آلاف... إلخ الرواية.
والحديث أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ كتاب المناقب، باب فضائل خالد بن الوليد. (٨٢٨٣) (٥/ ٧٧).
٢ ـ وأخرج أبو عبيد (٢١١/ ح ٥٤٩): حدثنا أبو النضر وعبد الله بن صالح عن الليث بن=

= سعد عن محمد بن عجلان قال: لمّا دوّن عمر الديوان قال: بمن نبدأ؟ قالوا: بنفسك فابدأ. قال: لا. إن رسول الله ﷺ أمامنا فبرهطه نبدأ ثم بالأقرب فالأقرب، وهذا إسناد مرسل كذلك.

٣ - وأخرج (٢١١/ح ٥٥٠): حدثنا إسماعيل بن مجالد عن أبيه مجالد بن سعيد عن الشعبي قال: لما افتتح عمر العراق والشام وجبىٰ الخراج جمع أصحاب النبي ﷺ فقال: (إني قد رأيت أن أفرض العطاء لأهله الذين افتتحوه فقالوا: نعم الرأي ما رأيت يا أمير المؤمنين. فقال: فيمن نبدأ؟ قالوا: ومن أحق بذلك منك؟ ابدأ بنفسك. قال: لا ولكني أبدأ بآل رسول الله ﷺ، فكتب عائشة أم المؤمنين في اثني عشر ألفاً، وكتب سائر أزواج النبي ﷺ في عشرة آلاف، ثم فرض بعد أزواج النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب خمسة آلاف ولمن شهد بدراً من بني هاشم). وهذا إسناد مرسل.

٤ - وأخرج (٢١٢/ح ٥٥٣): حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن عبد الرحمن بن خالد الفهمي عن ابن شهاب: (أن عمر حين دون الدواوين فرض لأزواج رسول الله ﷺ اللائي نكح نكاحاً، في اثني عشر ألف درهم، وفرض لجويرية وصفية ستة آلاف لأنهما كانتا ممن أفاء الله علىٰ رسوله، وفرض للمهاجرين الذين شهدوا بدراً أربعة آلاف. أربعة آلاف. وعمّ بفريضته المهاجرين الذين فرض لهم كل صريح من الذين شهدوا بدراً وحليف ومولىٰ شهد بدراً، وجعل مثل ذلك حلفاء الأنصار ومواليهم، ولم يفضل أحداً منهم علىٰ أحد) وإسناده مرسل.

٥ - وأخرج أبو عبيد كذلك (٢١٢/ح ٥٥٤): حدثنا أحمد بن يونس عن أبي خيثمة، حدثنا أبو إسحاق عن مصعب بن سعد: أن عمر أول ما فرض الأعطية: فرض لأهل بدر من المهاجرين والأنصار ستة آلاف ستة آلاف. وفرض لنساء النبي ﷺ ففضل عليهن عائشة؛ وفرض لها اثنتي عشر ألفاً ولسائرهن عشرة آلاف عشرة آلاف، وفرض للمهاجرات الأول أسماء بنت عميس وأسماء بنت أبي بكر وأم عبد أم عبد الله بن مسعود ألفاً ألفاً. وهذا إسناد مرسل أيضاً.

٦ - وأخرج (٢١٣/ح ٥٥٥): حدثنا ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: فرض عمر لأهل بدر خمسة آلاف، خمسة آلاف، وقال لأفضلنَّهم علىٰ من سواهم. ورجال هذا الإسناد رجال الصحيح غير أن زكريا بن أبي زائدة يدلس إلاّ أنه لم يدلس عن إسماعيل بن أبي خالد كما علمنا والله أعلم.

٧ - وأخرج أبو يوسف قال: وحدثني محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدمت من البحرين بخمسمئة ألف درهم فأتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه. . . الخبر، وفيه: فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين دوّن للناس دواوين يعطون عليها، فاشتهىٰ عمر ذلك ففرض للمهاجرين خمسة=

= آلاف خمسة آلاف وللأنصار ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ولأزواج النبي ﷺ اثنتي عشر ألفاً . . . إلخ . (الخراج/ ٤٥) .
وهذا إسناد حسن إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .
٨ ـ وأخرج أبو يوسف قال : وحدثني أبو معشر قال : حدثني مولىٰ عمرة وغيره قال : لما جاءت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفتوح وجاءت الأموال قال . . . . الخبر ، وفيه : لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه ، ففرض للمهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً خمسة آلاف خمسة آلاف ، وفرض لمن كان إسلامه كإسلام أهل بدر ولم يشهد بدراً أربعة آلاف أربعة آلاف ، وفرض لأزواج النبي ﷺ اثني عشر ألفاً اثني عشر ألفاً إلا صفية وجويرية فإنه فرض لهما ستة آلاف ستة آلاف فأبيا أن يقبلا ، فقال لهما : إنما فرضت لهن للهجرة . فقالتا : لا إنما فرضت لهن لمكانتهن من رسول الله ﷺ وكان لنا مثله فعرف ذلك عمر ففرض لهما اثني عشر ألفاً . وفرض للعباس عم رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً . . . وفيه كذلك وفرض للحسن والحسين خمسة آلاف خمسة آلاف ألحقهما بأبيهما لمكانتهما من رسول الله ﷺ ، وفرض لأبناء المهاجرين والأنصار ألفين ألفين . . . إلخ (الخراج/ ٤٣) .
إسناده ضعيف ولكن يشهد له ما قبله من الروايات ، والله تعالىٰ أعلم .
٩ ـ وأخرج أبو يوسف قال : وحدثني محمد بن إسحاق عن أبي جعفر : أن عمر رضي الله عنه لما أراد أن يفرض للناس وكان رأيه خيراً من رأيهم قالوا له : ابدأ بنفسك . قال : لا فبدأ بالأقرب من رسول الله ﷺ ففرض للعباس ثم لعلي رضي الله عنهما حتىٰ والى بين خمس قبائل حتى انتهىٰ إلىٰ بني عدي بن كعب . (الخراج/ ٤٤) .
وهذا إسناد مرسل .
١٠ ـ وأخرج أبو يوسف قال : وحدثنا المجالد بن سعيد عن الشعبي عمن شهد عمر رضي الله عنه قال : لما فتح الله عليه وفتح فارس والروم وجمع أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ فقال : ما ترون؟ فإني أرىٰ أن أجعل عطاء الناس في كل سنة وأجمع المال فإنه أعظم للبركة . قالوا : اصنع ما رأيت ، فإنك إن شاء الله موفق ؛ قال : ففرض الأعطيات فدعا باللوح فقال : فمن أبدأ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : ابدأ بنفسك فقال : لا والله؟ ولكن أبدأ ببني هاشم رهط النبي ﷺ ـ وهذا إسناد مرسل .

شبهة المستشرقين ومن تبعهم من المتغربين حول أهداف الفتوحات الإسلامية
اقتصادية وغير ذلك وكلها مختلقة ولا أساس لها من الصحة

يقول المستشرق الألماني المشهور بروكلمان : فلما تم لجند أبي بكر فتح جنوبي العراق في سهولة ويسر غير متوقعين ، تذكر المسلمون في حماسة شديدة الهدف الذي سبق للنبي أن عينه وهو احتلال الأرض المقدسة ، ومهما يكن من أمر فقد كان فريق من العرب يعيشون في ظل الإمبراطورية البيزنطية كما كان فريق منهم يعيشون في ظل الإمبراطورية الفارسية ، فمن =

= الضروري أن يحمل إليهم إخوانهم المؤمنون ببركات الإسلام وآلائه ، ويضموهم إلى الدولة القومية التي أنشؤوها منذ وقت قريب (تأريخ الشعوب الإسلامية/ ٩٣).
ويقول أيضاً: وكان من الطبيعي أن تصبح الغنائم التي وقعت في أيدي العرب هناك ـ والتي تتحدث عنها الروايات حديثاً حافلاً بالعجائب ـ حافزاً قوياً للعرب في الجزيرة لاسيما عندما اضطروا إلى تجهيز النجدات لتحل محل الخسائر التي ألمت بهم في الأرواح (تأريخ الشعوب الإسلامية/ ٩٧).
أما الدكتور إبراهيم البيضوني فهو يناقش دوافع الفتوح في عهد الخلافة الراشدة ويقول بعد التي واللتيا:
وهكذا فإن الزعم بأن المقاتل العربي المسلم كان يبحث عن ضالته في الحملات العسكرية وراء حدود شبه الجزيرة العربية هرباً من الجوع ، لا يعبر بدقة عن واقع كان يختلف تماماً عن هذا التصور ، كما أن الاندراج تحت لواء العقيدة وفق مخطط تبشيري للدعوة إلى الإسلام ليس كافياً بدوره لتعبئة جماعات كان الإيمان الصحيح يعوز بعضها ، ومن هنا فإن الاعتماد علىٰ دافع محدد لمناقشة حركة الفتوح يبدو عميقاً ولا ينتهي إلىٰ نتائج إيجابية؛ لأن أكثر من عامل ساهم معاً في تهيئة الأجواء المناسبة لتحقيق انتصارات العرب الساطعة في العراق والشام وأفريقية . . . إن القضايا الحيوية في التأريخ سياسية كانت أم اجتماعية تأخذ مسارها الخلاق عبر تمازج عضوي بين مثالية المبدأ وبين واقعية المصلحة المشتركة (ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري/ ٣٩).
قلنا: وهذه رؤىٰ مادية لتفسير التأريخ الراشدي لا تكاد تفهم الأسباب الحقيقية والدوافع الكامنة وراء هذه الحركة العجيبة من الفتوح والتي وضعها البيضوني نفسه قائلاً: إذ أن قضية الفتوحات أثارت جدلاً ولا تزال خاصة وأن الانتصارات المذهلة التي سجلتها ، وما رافقها في انتشار واسع خلال مدة وجيزة من الوقت ، ما يجعل الباحث أمام قضية شائكة أقرب إلى الكفر وهو يتحرىٰ جوانبها المختلفة.
ونحن نقول: الروايات التأريخية التي وردت بأسانيد صحيحة (منها ما ذكرنا ومنها ما سنذكر بعد قليل) تؤكد تماماً خلاف ما ذهب إليه أصحاب التفسير المادي للتأريخ وكل مستشرق ومتغرب ، وإلاّ قل لي بربك: أيّة مصلحة مادية تطغىٰ علىٰ فراق الأهل والأحباب في جزيرة العرب ثم الذهاب إلى بلاد بعيدة عن الموطن الإسلامي ومناجزة أغنى دولتين في العالم القديم (الفارسية والبيزنطية). ولو كان المال دافعاً لاستحوذ الصحابة على الغنائم التي وقعت تحت أيديهم ولم يسلموها لقادة الجيش كالذي وقعت يداه على تاج كسرىٰ وجواهره فسلّمه للقائد المسلم وهو متلثم حتى لا يعرفه الناس فيقل أجره عند الله.
وقل لي بربك: ما هذا الدافع المادي والمصلحة المشتركة التي تدفع أبا عبيدة أن يبقىٰ مع الآلاف من جنده ليواجهوا جميعاً الموت بالطاعون في الشام؟! ألا إن الامتثال لأمر الله =

ـ ثم دخلت سنة ست عشرة ـ

قال أبو جعفر: ففيها دخل المسلمون مدينة بهُرسير، وافتتحوا المدائن وهرب منها يزدجرد بن شهربار.

ذكر بقية خبر دخول المسلمين مدينة بَهُرَسير

١٦٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت، عن عَمْرة بنة عبد الرحمن بن أسعد، عن عائشة أمّ المؤمنين، قال: لما فتح الله عزّ وجلّ وقتل رُستم وأصحابه بالقادسيَّة وفُضّت جموعهم، اتّبعهم

= ورسوله هو الدافع وراء أعمالهم العظيمة تلك، ولقد ذكرنا عدة روايات في بيان أسباب الفتوحات الإسلامية أثناء حديثنا عن فتوح الشام والعراق ونرىٰ أن يكون مسك الختام برواية تأريخية مسندة موصولة صحيحة جاءت علىٰ لسان صحابي جليل لتسكت جميع المتقولين والمغترين والمساكين الذين يحملون شهادات الدكتوراه ولكن كما قال سبحانه ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.
فأولئك لا يستطيعون أن يفهموا أو لا يريدون أن يفهم الناس تأريخهم الزاهر كما هو في واقع الأمر، وكما كان فلقد أخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٥١) من طريق حديث معاوية بن قرة قال: (لما كان يوم القادسية بعث بالمغيرة بن شعبة إلى صاحب فارس فقال: ابعثوا معي عشرة فبعثوا فشد عليه ثيابه ثم أخذ حجفة ثم انطلق حتىٰ أتوه فقال: ألقوا لي ترساً فجلس عليه فقال العلج: إنكم معاشر العرب قد عرفت الذي حملكم علىٰ المجيء إلينا، أنتم قوم لا تجدون في بلادكم من الطعام ما تشبعون منه فخذوا نعطيكم من الطعام حاجتكم فإنا قوم مجوس وإنا نكره قتلكم إنكم تنجسون علينا أرضنا، فقال المغيرة: والله ما ذاك جاء بنا ولكنا كنا قوماً نعبد الحجارة والأوثان فإذا رأينا حجراً أحسن من حجر ألقيناه وأخذنا غيره، ولا نعرف رباً حتىٰ بعث الله إلينا رسولاً من أنفسنا فدعانا إلى الإسلام فاتبعناه ولم نجيء للطعام، إنا أمرنا بقتال عدونا ممن ترك الإسلام ولم نجيء للطعام، ولكنا جئنا لنقتل مقاتلتكم ونسبي ذراريكم، وأما ما ذكرت من الطعام فإنا لعمري ما نجد من الطعام ما نشبع منه وربما لم نجد رياً من الماء أحياناً فجئنا إلى أرضكم هذه فوجدنا فيها طعاماً كثيراً وماء كثيراً، فوالله لا نبرحها حتىٰ تكون لنا أو لكم، فقال العلج بالفارسية: صدق).
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وكذلك نسبه الهيثمي إلى الطبراني في الكبير، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. (المجمع: ٦/ ٢١٥). =

المسلمون حتى نزلوا المدائن ، وقد ارفضّت جموعُ فارس ، ولحقوا بجبالهم ، وتفرّقت جماعتهم وفرسانهم ، إلاّ أنّ الملك مقيم في مدينتهم ، معه مَن بقيَ من أهل فارس على أمره[١] . (٤ : ٦/ ٧) .

١٦٥ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن رجل ، عن أبي عثمان النّهديّ في قيام سعد في الناس في دعائهم إلى العُبور بمثله ، وقال: طبّقنا دجلة خَيْلاً ورَجْلاً ودوابّ حتى ما يرى الماء من الشاطىء أحد ، فخرجتْ بنا خيلنا إليهم تنفض أعرافها ، لها صهيل ، فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلْوُون على شيء ، فانتهينا إلى القصر الأبيض ، وفيه قوم قد تحصّنوا ، فأشرف بعضهم فكَلّمنا ، فدعوناهم وعرضنا عليهم ، فقلنا: ثلاث تختارون منهنّ أيّتهنّ شئتم ، قالوا: ما هنّ؟ قلنا: الإسلام فإن أسلمتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم فمناجزتكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، فأجابنا مجيبُهُم: لا حاجة لنا في الأولى ولا في الآخرة ، ولكن الوُسطى[٢] . (٤ : ١٠/ ١١) .

١٦٦ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة بمثله. قال: والسفير سلمان[٣] . (٤ : ١١) .

١٦٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، عن حبيب بن صُهبان أبي مالك ، قال: لما دخل سعد المدينة الدنيا ، وقطع القوم الجسر ، وضموا السفن ، قال المسلمون: ما تنظرون بهذه النطفة! فاقتحم رجل ، فخاض الناس فما غرق منهم إنسان ولا ذهب لهم متاع ، غير أنّ رجلاً من المسلمين فقد قَدَحاً له انقطعت عِلاقته ، فرأيته يطفح على الماء[٤] . (٤ : ١٣) .

١٦٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد ، قالوا: لما رأى المشركون المسلمين وما يهُمُّون به بعثوا مَن يمنعهم من العبور ، وتحمّلوا فخرجوا هُرّاباً ، وقد أخرج يَزْدَجِرد ـ قبل ذلك

(١) إسناده ضعيف وله ما يشهد له كما سنذكر بعد سردنا لهذه الروايات في قسم الصحيح إن شاء الله تعالىٰ.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد وقعة المدائن بعد انتهائنا من سرد هذه الروايات.

(٣) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد وقعة المدائن بعد انتهائنا من سرد هذه الروايات.

(٤) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد وقعة المدائن بعد انتهائنا من سرد هذه الروايات.

وبعدما فُتِحت بَهُرسير ـ عيالَه إلى حُلوان ، فخرج يَزْدَجِرد بعدُ حتى ينزل حُلوان ، فلحق بعياله ، وخلّف مِهران الرازيّ والنّخيرجان ـ وكان على بيت المال ـ بالنّهروان ، وخرجوا معهم بما قدروا عليه من حُرّ متاعهم وخفيفه ، وما قدروا عليه من بيت المال ، وبالنساء والذّراريّ ، وتركوا في الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفضول والألطاف والأدهان ما لا يُدرَى ما قيمته ، وخلّفوا ما كانوا أعدّوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة والأشربة ، فكان أوّل مَن دخل المدائن كتيبة الأهوال ، ثم الخَرْسَاء ، فأخذوا في سككها لا يلقْون فيها أحداً ولا يُحسُّونه إلاّ من كان في القصر الأبيض ، فأحاطوا بهم ودعوْهم ، فاستجابوا لسعد على الجِزاء والذمّة ، وتراجع إليهم أهلّ المدائن على مثل عهدهم؛ ليس في ذلك ما كان لآل كسرى ومن خرج معهم ، ونزل سعد القصر الأبيض ، وسرّح زهرةَ في المقدّمات في آثار القوم إلى النَّهروان ، فخرج حتى انتهى إلى النّهروان ، وسرّح مقدار ذلك في طلبهم من كلّ ناحية[1] . (٤ : ١٣/ ١٤) .

١٦٩ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، عن حبيب بن صُهبان أبي مالك ، قال: لما عَبَر المسلمون يوم المدائن دِجْلة ، فنظروا إليها يعبُرون ، جعلوا يقولون بالفارسيّة: «ديوان آمد». وقال بعضهم لبعض: والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجنّ. فانهزموا[2] . (٤ : ١٤) .

ذكر ما جُمع من فيء أهل المدائن

١٧٠ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، والمهلب ، وعُقبة ، وعمرو ، وأبي عمر ، وسعيد ، قالوا: نزل سعد إيوان كسرى ، وقدّم زُهرة ، وأمره أن يبلغ النّهروان ، فبعث في كلّ وجه مقدار ذلك لنفي المشركين وجمع الفُيوء ، ثمّ تحوّل إلى القصر إلى ثالثة ، ووكّل بالأقباض عمرو بن عمرو بن مقرّن ، وأمره بجمْع مافي القصر والإيوان والدّور وإحصاء ما يأتيه به الطلب؛ وقد كان أهلُ المدائن تناهبوا عند الهزيمة غارةً ، ثم طاروا في كلّ وجه ،

(١) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد وقعة المدائن بعد انتهائنا من سرد هذه الروايات .

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد وقعة المدائن بعد سرد هذه الروايات .

فما أفلت أحدٌ منهم بشيء لم يكن في عسكر مِهْران بالنّهروان ولا بخيط ، وألحّ عليهم الطلب فتنقّذوا مافي أيديهم ، ورجعوا بما أصابوا من الأقباض ، فضمُّوه إلى ما قد جُمع ؛ وكان أوّل شيء جمِع يومئذ مافي القصر الأبيض ومنازل كسرى وسائر دور المدائن[1] . (٤ : ١٦/ ١٧) .

١٧١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مخلد بن قيس العجليّ ، عن أبيه ، قال: لما قُدم بسيف كسرى على عمر ومِنْطقته وزِبْرجه ، قال: إنْ أقواماً أدّوْا هذا لَذَوُو أمانة! فقال عليّ: إنّكَ عففت فعفّت الرعيّة[2] . (٤ : ٢٠) .

١٧٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبيّ ، قال: قال عمر حين نظر إلى سلاح كسرى: إن أقواماً أدَّوْا هذا لذوو أمَانة[3] . (٤ : ٢٠) .

١٧٣ ـ كتب إليّ السريّ: عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال: لما نزل سعد المدائن ، وقسم المنازل ، بعث إلى العيالات ، فأنزلهم الدُّور وفيها المرافق ، فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جَلولاء وتَكريت والمَوصِل ، ثم تحوّلوا إلى الكوفة[4] . (٤ : ٢١) .

ذكر صفة قسم الفيء الذي أصيب بالمدائن بين أهله وكانوا ـ فيما زعم سيف ـ ستين ألفاً

١٧٤ ـ كتب إليّ السّريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن كُرَيب ، عن نافع بن جُبَير ، قال: قال عمر مَقْدَم الأخماس عليه حين نظر إلى سلاح كسرى وثيابه وحُليه ، مع ذلك سيف النعمان بن المنذر ، فقال لجُبير: إنّ أقواماً أدَّوْا هذا لَذوو أمانة! إلى مَنْ كنتم تنسبون النعمان؟ فقال جُبير: كانت العرب تنسبُه إلى الأشلاء ، أشلاء قَنص ، وكان أحد بني عجم بن قَنص ، فقال: خذ سيفه فنفله

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد بعد انتهائنا من سرد هذه الروايات .
(٢) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد بعد انتهائنا من سرد هذه الروايات .
(٣) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد بعد انتهائنا من سرد هذه الروايات .
(٤) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد بعد انتهائنا من سرد هذه الروايات .

إياه ، فجهل الناس «عجم» ، وقالوا «لَخْم». وقالوا جميعاً: وولّى عمر سعدَ بن مالك صلاة ما غلب عليه وحَرْبه ، فولي ذلك؛ وولّى الخراجَ النعمانَ وسويداً ابني عمرو بن مقرّن: سويداً على ما سَقى الفرات ، والنعمان على ما سقت دِجْلة ، وعقدوا الجسور ، ثم ولّى عملهما ، واستعفيا حُذيفَة بن أسِيد ، وجابر بن عَمرو المزنيّ ، ثم ولّى عملهما بعدُ حذيفَة بن اليمان ، وعثمان بن حُنَيف[1]. (٤ : ٢٣).

* * *

قال: وفي هذه السنة ـ أعني سنة ستّ عشرة ـ كانت وقعة جَلُولاء ، كذلك حدثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمَة عن ابن إسحاق. وكتب إليّ السريّ يذكر: أن شعيباً حدّثه عن سيف بذلك.

* * *

ذكر الخبر عن وقعة جلولاء الوقيعة

١٧٥ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال: لما أقمنا بالمدائن حين هبطناها واقتسمنا مافيها ، وبعثنا إلى عمر بالأخماس ، وأوطنّاها؛ أتانا الخبر بأنّ مِهْران قد عسكر بجلُولاء ، وخندق عليه؛ وأنّ أهل الموصل قد عسكروا بتكريت[2]. (٤ : ٢٣/ ٢٤).

١٧٦ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة البَجَليّ ، عن أبيه بمثله؛ وزاد فيه: فكتب سعد بذلك إلى عمر ، فكتب إلى سعد: أن سرّح هاشم بن عتبة إلى جَلُولاء في اثني عشر ألفاً ، واجعل على مقدّمته القعقاع بن عمرو ، وعلى ميمنته سِعْر بن مالك ، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة ، واجعل على ساقته عَمْرو بن مُرّة الجهنيّ[3]. (٤ : ٢٤).

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد بعد انتهائنا من سرد هذه الروايات.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد وقعة جلولاء بعد انتهائنا من سرد هذه الروايات.

(٣) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد وقعة جلولاء بعد انتهائنا من سرد هذه الروايات.

١٧٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد والوليد بن عبد الله والمجالد وعُقْبة بن مكرَم ، قالوا : وأمر هاشم القعقاع بن عمرو بالطلب ، فطلبهم حتى بلغ خانِقين ، ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حُلوان نحو الجبال ، وقدم القعقاع حُلوان ، وذلك أنّ عمر كان كتب إلى سعد : إن هزم الله السّواد الجندين، جند مهران وجند الأنطاق؛ فقدّم القعقاع؛ حتى يكون بين السَّواد والجبل ، على حدّ سوادكم ، فنزل القعقاع بحُلوان في جند من الأفناء ومن الحمْراء ، فلم يزل بها إلى أن تحوّل الناس من المدائن إلى الكوفة؛ فلما خرج سعد من المدائن إلى الكوفة لحق به القعقاع؛ واستعمل على الثغر قُبَاذ ـ وكان من الحمراء ، وأصله من خُراسان ـ ونفّل منها من شهدها ، وبعض من كان بالمدائن نائياً[1] . (٤ : ٢٨) .

١٧٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، وسعيد ، وعمرو ، قالوا : وجمع سعد مَن وراء المدائن ، وأمر بالإحصاء فوجدهم بضعة وثلاثين ومئة ألف ، ووجدهم بضعة وثلاثين ألف أهل بيت ، ووجد قِسْمتَهم ثلاثة لكلّ رجل منهم بأهلهم؛ فكتب في ذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : أن أقِرّ الفلاحين على حالهم؛ إلاّ مَن حارب أو هرب منك إلى عدوّك فأدركتَه ، وأجْرِ لهم ما أجريت للفلاحين قبلهم؛ وإذا كتبتُ إليك في قوم فأجْرُوا أمثالَهم مُجراهم ، فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحاً فأجابه : أما مَن سوى الفلاّحين فذاك إليكم مالم تَغنموه ـ يعني تقتسموه ـ ومَن ترك أرضه من أهل الحرب فخلاّها فهي لكم؛ فإن دعوتموهم وقبلتم منهم الجِزاء ورددتموهم قبل قسمتها فذمّة؛ وإن لم تدعوهم ففيء لكم لمن أفاء الله ذلك عليه. وكان أحظَى بفيء الأرض أهل جَلُولاء؛ استأثروا بفيء ما وراء النّهروان ، وشاركوا الناس فيما كان قبل ذلك ، فأقرّوا الفلاحين ودعوا مَن لجّ ، ووضعوا الخراج على الفلاحين وعلى من رجع وقبِل الذّمة ، واستصفَوْا ما كان لآل كسرى ومَن لجّ معهم فيئاً لمن أفاء الله عليه ، لا يُجاز بيع شيء من ذلك فيما بين الجبل إلى الجبل من أرض العرب إلاّ من أهله الذين أفاء الله عليهم ، ولم يجيزوا بيعَ ذلك فيما بين الناس ـ

(١) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد وقعة جلولاء بعد انتهائنا من سرد هذه الروايات .

يعني: فيمن لم يُفئه الله تعالى عليه ممن يعاملهم ممن لم يفئه الله عزّ وجلّ عليه ـ فأقرّه المسلمون؛ لم يقتسموه؛ لأن قسمته لم تتأتّ لهم؛ فمن ذلك الآجام ومَغيض المياه وما كان لبيوت النار ولسكك البُرُد، وما كان لكسرى ومن جامعه، وما كان لمن قُتل، والأرحاء؛ فكان بعضُ من يُرِق يسأل الولاة قسْم ذلك؛ فيمنعهم من ذلك الجمهور، أبَوْا ذلك، فانتهوا إلى رأيهم ولم يجيبوا، وقالوا: لولا أن يضرب بعضكم وجوهَ بعض لفعلنا؛ ولو كان طلبُ ذلك منهم عن ملأ لقسمها بينهم[١]. (٤: ٣٠/ ٣١).

١٧٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عبد العزيز، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: ليس لأحد من أهل السواد عَقْد إلاّ بنى صَلوبا، وأهل الحيرة، وأهل كَلواذَى، وقُرى من قرى الفُرات، ثم غدروا، ثم دُعوا إلى الذمّة بعدما غدروا. وقال هاشم بن عُتبة في يوم جَلُولاء:

يــومُ جَلــولاءَ ويــومُ رُستَــمْ ... ويــومُ زَحْــفِ الكــوفــةِ المُقَــدَّمْ
ويــومُ عَــرْضِ النَّهَــرِ المحــرَّمْ ... مــن بيْــن أيّــامٍ خَلــوْنَ صُــرَّمْ
شَيَّبْــنَ أصْــداغــي فَهــنَّ هُــرَّمْ ... مِثْــلُ ثَغــامِ البَلَــدِ المحــرَّمْ

وقال أبو بُجيد في ذلك:

ويــومَ جَلُــولاء الــوَقيعــةِ أَصْبَحَــتْ ... كتــائبُنــا تَــرْدِي بــأسْــدٍ عَــوَابِــسِ
ففضَّــتْ جمــوعَ الفــرْسِ ثــمَّ أنَمْتُهــم ... فتبّــاً لأَجْســادِ المجوسِ النَّجــائسِ!
وأفلَتَهــنَّ الفيْــرزانُ بجــرْعَــةٍ ... ومِهْــرَانُ أرْدَتْ يــومَ حَــزِّ القَــوَانــسِ
أقــامــوا بِــدارٍ لِلَمنِيَّــة مَــوْعِــد ... وللتُّرْبِ تحْثوها خَجوجُ الرَّوامِسِ[٢]

(٤: ٣٣/ ٣٤)

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد وقعة جلولاء بعد سرد هذه الروايات.

(٢) إسناده ضعيف ولكن أخرج يحيىٰ بن آدم بسنده عن عبد الله بن مغفل المزني قال: لا يباع أرض دون الجبل إلاّ أرض صلوبا وأرض الحيرة فإن لهم عهداً (الخراج/ ٥١/ ح ١٣٦).
وأخرج كذلك من طريق آخر عن عبد الله بن مغفل المزني قال: لا يصلح بيع أرض ما دون الجبل إلاّ أرض بني صلوبا وأرض الحيرة (الخراج/ ٥١/ ح ١٣٨).

وأخرج من طريق ثالث عن عبد الله بن مغفل قال: ليس لأهل السواد عهد إلا أهل الحيرة وأليس وبانقيا (الخراج/ ٥٢/ ١٣٩). ولقد تحدثنا بالتفصيل عن هذه الروايات سابقاً والله تعالىٰ أعلم.

١٨٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، والمهلب ، وعمرو ، وسعيد ، قالوا : وقد كان عمر رضي الله عنه كتب إلى سعد : إنْ فتح الله عليكم جَلولاء ؛ فسرّح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزل بحُلوان ، فيكون ردءاً للمسلمين ويحرز الله لكم سوادكم . فلما هزم الله عزّ وجلّ أهلَ جلولاء ؛ أقام هاشم بن عتبة بجلولاء ، وخرج القعقاع بن عمرو في آثار القوم إلى خانِقين في جند من أفْناء الناس ومن الحمراء ، فأدرك سَبْياً من سبيِهم ، وقتل مقاتِلة مَنْ أدرك ، وقتل مِهْران وأفلت الفيرزان ؛ فلما بلغ يَزْدجرد هزيمةُ أهل جلولاء ومصاب مِهران ، خرج من حلوان سائراً نحو الرّيّ ، وخلف بحُلوان خيلاً عليها خسْرَوْشُنُوم ؛ وأقبل القعقاع حتى إذا كان بقصر شيرين على رأس فرسخ من حلوان خرج إليه خُسْرَوْشنوم ، وقدم الزّينبي دِهْقان حُلوان ، فلقيه القعقاع فاقتتلوا فقتل الزينبيّ ، واحتقّ فيه عميرة بن طارق وعبد الله ، فجعله وسلبه بينهما ، فعدّ عميرة ذلك حُقْرة وهرب خُسْرَوْشنوم ، واستولى المسلمون على حُلوان ، وأنزلها القعقاع الحمراء ، وولّى عليهم قُباذ ، ولم يزل القعقاع هنالك على الثغر ، والجِزاء بعدما دعاهم ، فتراجعوا ، وأقرّوا بالجزِاء إلى أن تحوّل سعد من المدائن إلى الكوفة ، فلحق به ، واستخلف قُباذ على الثغر ، وكان أصلُه خراسانيّاً[١] . (٤/ ٣٤ ـ ٣٥) .

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد الواردة في الباب عند غير الطبري في مسألة وقعة جلولاء .

ذكر ما ورد في فتح المدائن ووقعة جلولاء
من روايات تأريخية «عند غير الطبري»

يقول أغلب المؤرخين ؛ المتقدمين منهم ، والمتأخرين بأن جيوش الفرس قد انسحبت بعد خسارتها المنكرة في وقعة القادسية إلىٰ المدائن .

١ ـ سبق أن ذكرنا رواية ابن أبي شيبة بإسناد صحيح في مصنفه (١٢/ح ٥٥٩٤) عن أبي وائل ، وهي رواية طويلة عن قصة القادسية وانتصار المسلمين فيها ، وجاء فيها :

قال : فركبنا فطلبناهم فانهزموا حتىٰ انتهوا إلىٰ المدائن قال : فنزلنا كوثى ، قال : ومسلحة للمشركين بدير المسلاخ فأتتهم خيل المسلمين فقاتلتهم ، فانهزمت مسلحة المشركين حتى لحقوا بالمدائن ، وسار المسلمون حتىٰ نزلوا علىٰ شاطىء دجلة ، وعبر طائفة من المسلمين من كل واد من أسفل من المدائن فحصروهم حتىٰ ما يجدون طعاماً إلا كلابهم وسنانيرهم ، =

= قال: فتحملوا في ليلة حتىٰ أتوا جلولاء ، قال: فسار إليهم سعد بالناس وعلىٰ مقدمتهم هاشم بن عتبة ، قال: وهي الواقعة التي كانت قال: فأهلكهم الله وانطلق ، فلمّا وصل إلى نهاوند ، قال وقال أبو وائل: إن المشركين لما انهزموا في جلولاء؛ أتوا نهاوند. . . إلخ الرواية). . وإسناده صحيح كما سبق.

٢ - والحديث السابق أخرجه كذلك أبو يوسف كما أشرنا آنفاً قال: وحدثني حصين عن أبي وائل وفيه: فطلبناهم فانهزموا حتىٰ انتهوا إلىٰ المدائن فنزلوا كوثى ، وبها مسلحة للمشركين بدير المسالح فأتتهم خيلنا فقاتلتهم ، فانهزمت مسلحة للمشركين ، حتىٰ لحقوا بالمدائن وسرنا حتىٰ نزلنا على شاطىء دجلة فعبرت طائفة منا من علو الوادي أو من أسفل المدائن فحصرناهم حتىٰ ما وجدوا طعاماً إلاّ كلابهم وسنانيرهم فتحملوا في ليلة حتىٰ أتوا جلولاء فسار إليهم سعد بالناس وفي مقدمتهم هاشم بن عتبة ، قال: فهي الوقعة التي كانت ، فأهلكهم الله وانطلق يهزمهم إلى نهاوند. . . إلخ (الخراج/ ٣٠) وإسناده حسن كما ذكرنا.

٣ - وأخرج البلاذري قال: حدثني عفان بن مسلم ـ قال أخبرنا هيثم قال أخبرنا حصين قال أخبرنا أبو وائل قال: لما انهزم الأعاجم من القادسية؛ اتبعناهم فاجتمعوا بكوثى ، فاتبعناهم ثم انتهينا إلىٰ دجلة ، فقال المسلمون: ما تنتظرون بهذه المنطقة أن نخوضها ، فخضناها فهزمناهم (فتوح البلدان/ ٣٧٥).

وإسناده صحيح.

٤ - وأخرج خليفة بن خياط: وحدثني علي بن محمد عن أبي الذيال عن حميد بن هلال: أن أول من عبر هلال بن علّفة ، ويقال: أول من عبر هلال بن علقمة ، ويقال: أول من عبر رجل من عبد القيس (تأريخ خليفة/ ١٣٤).

٥ - وأخرج البلاذري من طريق محمد بن سعد عن الواقدي (وهو متروك) عن ابن أبي سبرة ، عن ابن غيلان عن أبان بن صالح قال: لما انهزمت الفرس في القادسية قدم فلّهم المدائن فانتهىٰ المسلمون إلىٰ دجلة وهي تطفح بماء لم يُر مثله قط ، وإذا الفرس قد رفعوا السفن والمعابر إلىٰ الجيزة الشرقية وحرقوا الجسر فاغتم سعد والمسلمون إذ لم يجدوا إلى العبور سبيلاً ، فانتدب رجل من المسلمين فسبح بفرسه وعبر فسبح المسلمون ثم أمروا أصحاب السفن فعبّروا الأثقال ، فقال الفرس: والله ما تقاتلون إلاّ جناً فانهزموا ـ وهذا إسناد ضعيف لأنه من طريق الواقدي وهو متروك إلاّ أن لمتنه ما يشهد له من الروايات السابقة وغيرها والله أعلم (فتوح البلدان/ ٣٦٧).

وأخرج خليفة بن خياط أبو الحسن عن حباب بن موسىٰ عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال: عبر سعد في أربعمئة فكانوا يتحدثون علىٰ ظهورها كما يتحدثون على الأرض. وفي إسناده انقطاع.

قال ابن كثير بعد ذكر وقعة المدائن: وقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنه (أي من سعد) راضٍ

= ودعا له فقال: «اللهم أجب دعوته وسدد رميته». والمقطوع به (والكلام لابن كثير) أن سعداً دعا لجيشه هذا في هذا اليوم بالسلامة والنصر، وقد رمىٰ بهم في هذا اليم فسددهم الله وسلّمهم (البداية والنهاية ٦/ ٦٦).

٧ - وأخرج البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٢٥) عن الحسن: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُتِيَ بثروة كسرىٰ فوضعت بين يديه وفي القوم سراقة بن مالك بن جُعشُم قال: فألقىٰ إليه سواري كسرىٰ بن هرمز فجعلها في يديه فبلغا منكبيه فلما رآهما في يدي سراقة قال: الحمد لله سواري كسرىٰ بن هرمز في يد سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج... وذكر الحديث، وإسناده مرسل.

قلنا: أما هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ابن أخي سعد يعرف بالمد من مسلمة الفتح، وقتل بصفين مع علي (تجريد أسماء الصحابة ٢/ ١١٦/ت ٣١٣، الذهبي).

٨ - أخرج خليفة: عثام بن علي عن الأعمش عن شمر بن عطية قال: كانت السهام بجلولاء ثلاثة آلاف سهم (تأريخ خليفة/ ١٣٧) وإسناده منقطع بين خليفة وعثام بن علي.

٩ - وأخرج خليفة قال: حدثنا غير واحد عن أبي عوانة عن حصين عن أبي وائل قال: سُمِّيت جلولاء فتح الفتوح (تأريخ خليفة/ ١٣٧) وفي إسناده مبهم غير واحد.

وقد ذكر ابن كثير وقعة المدائن وجلولاء في أحداث سنة ١٦ هـ، أما شيخه ابن كثير فقد ذكر وقعة جلولاء تارة في أحداث سنة ست عشرة اعتماداً على الطبري (١٦) وقال في أحداث سنة (١٧) هـ: يقال كانت فيها وقعت جلولاء المذكورة (١٦٥). أما خليفة فقد ذكر المدائن ضمن أحداث سنة (١٥ هـ) وجلولاء ضمن أحداث (١٧) هـ وأخرج: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة قال: كانت سنة تسع عشرة. وهذه رواية شاذة في متنها.

١٠ - أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ح ١٥٦٢٦) حدثنا أبو أسامة قال: أخبرنا الصلت بن بهرام حدثنا جميع بن عمير الليثي عن عبد الله بن عمر قال: شهدت جلولاء فابتعت من الغنائم بأربعين ألف فقدمت بها على عمر فقال: ما هذا؟ قلت: ابتعت من الغنائم بأربعين ألفاً، فقال: يا صفية احفظي بما قدم به عبد الله بن عمر، عزمت عليك أن تخرجي منه شيئاً. قالت: يا أمير المؤمنين! وإن كان غير طيب؟! قال: ذاك لك. قال: فقال لعبد الله بن عمر: أرأيت لو انطلق بي إلىٰ النار أكنت مفتدي. قلت: نعم ولو بكل شيء أقدر عليه، قال: فإنني كأنني شاهدتك يوم جلولاء وأنت تبايع ويقولون: هذا عبد الله بن عمر صاحب رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين وأكرم أهله عليه، وأنت كذلك، قال: فإن يرخصوا عليك بمئة أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم، وإني قاسم، وسأعطيك من الربح أفضل ما يربح رجل من قريش أعطيك ربع الدرهم درهماً، قال: فخلىٰ عليَّ سبعة أيام ثم دعا النجار فباعه بأربعمئة ألف فأعطاني ثمانين ألف، وبعث بثلاثمئة ألف وعشرين ألفاً إلىٰ سعد فقال: اقسم هذا المال بين الذين شهدوا الواقعة، فإن كان مات فيهم أحد فابعث=

= بنصيبه إلى ورثته. والحديث أخرجه أبو عبيدة من طريق زائدة عن الصلت بن بهرام به (الأموال/ ٧١/ ٢٥٩).

١١ ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ح ١٥٦٢٨): حدثنا وكيع ثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: أتي عمر بغنائم من غنائم جلولاء فيها ذهب وفضة، فجعل يقسمها بين الناس، فجاء ابن له يقال له عبد الرحمن فقال: يا أمير المؤمنين! اكسني خاتماً، قال: اذهب إلىٰ أمك تسقيك شربة من سويق، قال: فوالله ماأعطاه شيئاً.

١٢ ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٢/ح ١٥٦٢٩) حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا هشام بن سعد قال ثنا زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عبد الله بن الأرقم صاحب بيت مال المسلمين يقول لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين! عندنا حلية من حلية جلولاء وآنية ذهب وفضة فرأى فيها رأيك، فقال: إذا رأيتني فارغاً فائتني، فجاء يوماً فقال: إني أراك اليوم فارغاً يا أمير المؤمنين! قال: ابسط لي نطعاً في الحبر، فبسطت له نطعاً ثم أتى بذلك المال فصب عليه فجاء فوقف عليه ثم قال: اللهم إنك ذكرت هذا المال فقلت: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾، وقلت: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾، اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، اللهم فاجعلني أنفقه في حق وأعوذ بك من شره. اهـ.

١٣ ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٢/ح ١٥٦٢٣) حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن عاصم الأحول، قال: سأل صبيح أبا عثمان النهدي وأنا أسمع فقال له: هل أدركت النبيﷺ؟ قال: نعم أسلمت علىٰ عهد النبيﷺ وأديت إليه ثلاث صدقات ولم ألقه وغزوت علىٰ عهد عمر غزوات، شهدت فتح القادسية، وجلولاء، وتستر، ونهاوند، وأذربيجان، ومهران، ورستم، فكنا نأكل السمن، ونترك الودك، فسألته عن الظروف فقال: لم تكن تسأل عنها. يعني: طعام المشركين.

١٤ ـ أخرج البلاذري قال: حدثني الحسين بن الأسود قال: حدثني يحيىٰ بن آدم قال: أخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال: كتب عمر بن الخطاب إلىٰ سعد بن أبي وقاص حين فتح السواد: أما بعد فقد بلغني كتابك، تذكر: أن الناس سألوك أن تقسم بينهم ما أفاء الله عليهم، فإذا أتاك كتابي فانظر ما أجلب عليه أهل العسكر بخيلهم وركابهم من مال أو كراع فاقسمه بينهم بعد الخمس واترك الأرض والأنهار لعمّالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لم يبقَ بعدهم شيء (فتوح البلدان/ ٣٧٠).

قلنا: ورواية البلاذري هذه متابعة صحيحة، فقد تابع الحسين بن الأسود عن يحيىٰ بن آدم الراوي الحسن بن علي بن عفان الكوفي (وهو ثقة) كما في كتاب الخراج ليحيىٰ بن آدم رواية تلميذه الحسن بن علي بن عفان وإن كان الإسناد من طريق ابن لهيعة فلا خير لأنه من رواية

(ذكر فتح تَكْرِيت)

١٨٠/أ - وكان في هذه السنة - أعني سنة ست عشرة في رواية سيف - فتحُ تكريت ، وذلك في جُمادى منها[1] (٤ : ٣٥) .

ذكر وقعة قرقيسياء

١٨٠/ب - قال: وفيها ماتت مارية أمّ ولد رسول الله ﷺ ، أمّ إبراهيم ،

= عبد الله بن المبارك عنه ، ورواية العبادلة عنه صحيحة والله تعالىٰ أعلم - وتتمة الرواية في كتاب الخراج يحيىٰ بن آدم: وقد كنت أمرتك (أي: أمر عمر سعداً رضي الله عنهما): أن تدعو الناس ثلاثة أيام فمن استجاب لك وأسلم قبل القتال فهو رجل من المسلمين له مالهم وله سهم في الإسلام ، ومن استجاب لك بعد القتال وبعد الهزيمة فهو رجل من المسلمين وماله لأهل الإسلام ، لأنهم أحرزوه قبل إسلامه ، فهذا أمري وعهدي إليك ولا عشور علىٰ مسلم ، ولا علىٰ صاحب ذمة؛ إذا أدّىٰ المسلم زكاة ماله ، وأدىٰ صاحب الذمة جزيته التي صالح عليها ، إنما العشور علىٰ أهل الحرب؛ إذا استأذنوا أن يتجروا في أرضنا ، فأولئك عليهم العشور (الخراج/٤٨/ح ١٢١).

(١) قلنا: اختلف المؤرخون في السنة التي فتح فيها تكريت والطبري هنا ذكر فتح تكريت سنة (١٦ هـ) أما خليفة بن خياط فقد قال: وفيها فتحت تكريت سنة تسع عشرة (١٩) (تأريخ خليفة/ ١٤١). وأما من المتأخرين فقد ذكر الذهبي فتح تكريت ضمن أحداث سنة (١٦ هـ) (تأريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين/ ١٦٢) وكذلك فعل تلميذه ابن كثير فذكر فتح تكريت ضمن وقائع سنة (١٦ هـ).
ولم تذكر رواية الطبري من طريق سيف (٤/ ٣٥/ ٤٦٦) هنا لأنها ضعيفة السند ولم نجد لها إلا شواهد ضعيفة جداً (فراجعها في قسم الضعيف) إلا أنّا وجدنا عن ابن أبي شيبة رواية حسنة إن شاء الله تتحدث عن فتح تكريت دون ذكر السنة سنذكرها هنا:
فقد أخرج ابن أبي شيبة (١٣/ح ١٥٦٥٩): حدثنا شاذان قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي العلاء قال: كنت فيمن افتتح تكريت فصالحناهم علىٰ أن يبرزوا لنا سوقاً وجعلنا لهم الأمان قال: فأبرزوا لنا سوقاً قال: فقتل قس منهم فجاء قسهم قال: أجعلتهم لنا ذمة نبيكم ﷺ وذمة أمير المؤمنين وذمتكم ثم أخذتموها ، فقال أميرنا: إن أقمتم شاهدين ذوي عدل علىٰ قاتله أقدناكم وإن شئتم حلفتم وأعطيناكم الدية ، وإن شئتم حلفنا لكم ولم نعطكم شيئاً. . . الخبر.
قلنا: وهذه هي رواية حماد بن سلمة عن عطاء وقد تغير عطاء بأخرةٍ ، إلا أن الجمهور من المحدثين على أنه سمع من عطاء قبل الاختلاط (تحرير التقريب ١/٣١٨/ت ١٤٩٩).

وصلّى عليها عمر ، وقبرها بالبَقِيع ، في المحرّم[١] (٤ : ٣٨) .

١٨٠/ جـ ـقال : وفيها كتب التأريخ في شهر ربيع الأول[٢] . (٤ : ٣٨) .

١٨١ ـ حدثني عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا نُعيم بن حمّاد ، قال : حدّثنا الدراورديّ عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب يقول : جمع عمرُ بن الخطاب الناسَ ، فسألهم من أيّ يوم نكتب؟ فقال عليّ : من يوم هاجر رسول الله ﷺ ، وترك أرضَ الشرك . ففعله عمر[٣] . (٤ : ٣٨/ ٣٩) .

١٨٢ ـ وحدثني عبد الرحمن ، قال : حدّثني يعقوب بن إسحاق بن أبي عباد ، قال : حدّثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : كان التأريخ في السنة التي قدِم فيها رسول الله ﷺ المدينة ، وفيها وُلد عبد الله بن الزبير[٤] . (٤ : ٣٩) .

ـ ثم دخلت سنة سبع عشرة ـ

ففيها اختُطّت الكوفة ، وتحوّل سعد بالناس من المدائن إليها في قول سيف بن عمرو وروايته[٥] . (٤ : ٤٠) .

---

(١) قلنا : وكذلك ذكر الذهبي أن مارية توفيت سنة (١٦ هـ) وقال : وكانت أهداها المقوقس إلىٰ النبي ﷺ سنة ثمان وعاش ابنها إبراهيم ـ عليه السلام ـ عشرين شهراً وصلىٰ عليها عمر ودفنت بالبقيع (تأريخ الإسلام/ عهد الخلفاء الراشدين/ ١٦٣) وانظر الإصابة (٤/ ٤٠٥/ ت ١٩٨٤) وهذا هو رأي خليفة بن خياط كذلك (تأريخ خليفة/ ١٣٥) .

(٢) ولقد سبق أن تحدثنا عن السنة التي بدأ التأريخ الإسلامي المبارك كما في قسم صحيح السيرة ، وسردنا جميع الروايات في الباب وميّزنا الصحيحة منها عن الضعيفة ونقلنا كذلك قول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ : اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة وقيل سبع أو ثماني عشرة في الدولة العمرية علىٰ جعل ابتداء التأريخ الإسلامي في سنة الهجرة (البداية والنهاية ٣/ ٢٠٤) .

(٣) إسناده ضعيف؛ فنعيم بن حماد مختلف فيه وهو إلىٰ الضعف أقرب ، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤) وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) إسناده صحيح ، والحديث صحيح كما تقدم في صحيح السيرة النبوية .

(٥) قلنا : سبق أن ذكرنا بعض الروايات الصحيحة (عند ابن أبي شيبة وأبي عبيد القاسم بن سلام =

ذكر سبب تحول من تحول من المسلمين من المدائن إلىٰ الكوفة وسبب اختطاطهم الكوفة في رواية سيف

١٨٣ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأصحابهما ، قالوا: كتب عمر إلى سعد: أنبئني ما الذي غيّر ألوان العرب ولحومَهم؟ فكتب إليه: إنّ العرب خدَّدهم وكفى ألوانهم وخُومة المدائن ودِجلة؛ فكتب إليه: إن العرب لا يوافقها إلاّ ما وافق إبلَها من البلدان ، فابعث سلمان رائداً وحذيفة - وكانا رائدي الجيش - فليرْتادا منزلاً برّيّاً بحريّاً ، ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جِسر ، ولم يكن بقي من أمر الجيش شيء إلا وقد أسنده إلى رجل ، فبعث سعد حذيفة وسلمان ، فخرج سلمان حتى يأتيَ الأنبار ، فسار في غربيّ الفرات لا يرضىٰ شيئاً ، حتى أتى الكوفة. وخرج حذيفة في شرقيّ الفرات لا يرضىٰ شيئاً حتى أتى الكوفة ، والكوفة على حَصْباء - وكلّ رملة حمراء يقال لها: سِهْلة ، وكلّ حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة - فأتيا عليها ، وفيها دِيرات ثلاثة: دير حُرقة ، ودير أم عمرو ، ودير سِلسلة ، وخِصاصٌ خلال ذلك ، فأعجبتهما البقعة ، فنزلا فصلّيا ، وقال كلّ واحد منهما: اللهمّ ربّ السماء وما أظلّت ، وربّ الأرض وما أقلتْ ، والريح وما ذَرَتْ ، والنجوم وما هوَتْ ، والبحار وما جَرَتْ ، والشياطين وما أضلّت ، والخِصاص وما أجنّتْ؛ باركْ لنا في هذه الكوفة ، واجعله منزل ثبات ، وكتب إلى سعد بالخبر[1]. (٤ : ٤١) .

١٨٤ - حدّثني محمد بن عبد الله بن صفوان ، قال: حدّثنا أميّة بن خالد ، قال: حدّثنا أبو عوانة ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، قال: لما هزِم الناس يوم جَلُولاء؛ رجع سعد بالناس ، فلمّا قدم عمار خرج بالناس إلى المدائن فاجتووْها؛

وأبي يوسف القاضي) في تمصير الكوفة ولم يترجح عندنا تأريخ محدد لتمصير الكوفة ، ونعيد ذكر قسم منها هنا مع إضافة روايات أخرىٰ وذلك بعد انتهائنا من سرد الروايات الضعيفة الإسناد ولكن لها ما يشهد لها أو لبعضها (كما سنبيّن إن شاء الله) مع مراعاة الشروط الأربعة التي ذكرناها في البداية عند حديثنا عن مرويات سيف التأريخية وقبولها أو رفضها ، والله تعالى أعلم.

(١) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد بعد سردنا لهذه الروايات.

قال عمّار: هل تصلح بها الإبل؟ قالوا: لا؛ إنّ بها البعوض، قال: قال عمر: إنّ العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها الإبل.. قال: فخرج عمارٌ بالناس حتى نزل الكوفة [١]. (٤: ٤١).

١٨٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن مخلَد بن قيس، عن أبيه، عن النُّسَير بن ثور، قال: ولما اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلناها وآذاهم الغبار والذّباب، وكتِب إلى سعد في بعثه رُوَّاداً يرتادون منزلاً بريّاً بحريّاً، فإن العرب لا يصلحها من البلدان إلاّ ما أصلح البعير والشاة؛ سأل مَن قِبَله عن هذه الصفة فيما بينهم، فأشار عليه مَن رأى العراق من وجوه العرب باللّسان ـ وظهْر الكوفة يقال له: اللسان، وهو فيما بين النهرين إلى العين، عين بني الحذاء، كانت العرب تقول: أدلع البرّ لسانَه في الريف، فما كان يلي الفرات منه فهو المِلطاط، وما كان يلي الطين منه فهو النِّجاف ـ فكتب إلى سعد يأمره به [٢].

فتوح المدائن قبل الكوفة

١٨٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد، قالوا: فتوح المدائن السّواد وحُلوان وماسَبذان وقَرْقِيسِياء؛ فكانت الثُّغور ثغور الكوفة أربعةً: حُلْوان عليها القعقاع بن عمرو، وماسَبَذان عليها ضِرار بن الخطاب الفِهريّ، وقَرْقِيسياء عليها عمر بن مالك أو عمرو بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، والموصل عليها عبد الله بن المعتمّ، فكانوا بذلك، والناس مقيمون بالمدائن بعدما تحوّل سعد إلى تمصير الكوفة، وانضمام هؤلاء النفر إلى الكوفة واستخلافهم على الثغور مَن يمسك بها ويقوم عليها؛ فكان خليفة القعقاع على حُلوان قُباذ بن عبد الله، وخليفة عبد الله على الموصل مسلم ابن عبد الله، وخليفة ضرار رافع بن عبد الله، وخليفة عمر عشنّق بن عبد الله، وكتب إليهم عمر أن يستعينوا بمن احتاجوا إليه من الأساورة، ويرفعوا عنهم

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما ورد في الروايات الصحيحة في تمصير الكوفة والسبب في ذلك.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد الواردة في تمصير الكوفة بعد قليل.

الجزاء ، ففعلوا . فلما اختطّت الكوفة وأذِن للناس بالبناء ، نقل الناس أبوابَهُم من المدائن إلى الكوفة فعلّقوها على ما بنوا وأوطنوا الكوفة . وهذه ثغورهم ، وليس في أيديهم من الرّيف إلا ذلك[1] . (٤ : ٤٩) .

١٨٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد عن عامر ، قال : كانت الكوفة وسوادها والفروج : حُلوان ، والموصل ، وماسَبَذان وقَرْقِيسياء . ثم وافقهم في الحديث عمرو بن الريان عن موسى بن عيسى الهمْدانيّ بمثل حديثهم ، ونهاهم عمّا وراء ذلك ، ولم يأذن لهم في الانسياح . وقالوا جميعاً : وَلِيَ سعد بن مالك على الكوفة بعدما اختُطَّت ثلاث سنين ونصفاً سوى ما كان بالمدائن قبلها ، وعمالته ما بين الكوفة وحلوان والموصل وماسَبَذان وقَرْقيسياء إلى البصرة ، ومات عتبة بن غزوان وهو على البصرة فَطِع بعمله ، وسعد على الكوفة فوَلّى عمر أبا سبْرة مكان عتبة بن غزوان ، ثم عزل أبا سَبْرة عن البصرة ، واستعمل المغيرة ، ثم عزل المغيرة ، واستعمل أبا موسى الأشعريّ[2] (٤ : ٥٠) .

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد الواردة في الكوفة بعد قليل .

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد الواردة في تمصير الكوفة .

الشواهد الواردة في تمصير الكوفة والسبب في ذلك التمصير مع ذكر أسماء ولاة الكوفة والبصرة والأوائل (أي : في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

١ ـ سبق أن أخرجنا رواية ابن أبي شيبة في مصنفه بإسناد صحيح (١٢/ ح ١٥٥٩٤) من طريق حصين عن أبي وائل وفي آخرها : قال حصين : لما هُزِمَ المشركون من المدائن لحقهم بجلولاء ثم رجع وبعث عمار بن ياسر ، فسار حتىٰ نزل المدائن قال : وأراد أن ينزلها بالناس فاجتواها الناس وكرهوها ، فبلغ عمر : أن الناس كرهوها فسأل : هل يصلح بها الإبل؟ قالوا : لا . لأن بها البعوض ، قال : فقال عمر : فإن العرب لا تصلح بأرض لا يصلح بها الإبل ، قال : فارجعوا قال : فلقي سعد عبادياً قال : فقال : أنا أدلكم علىٰ أرضٍ ارتفعت عن البقعة وتطأطأت من السبخة وتوسطت الريف وطعنت في أنف التربة . قال : أرض بين الحيرة والفرات . وقول حصين هذا روي موصولاً عن أبي وائل كما سيأتي :

٢ ـ فقد ذكرنا آنفاً رواية القاضي أبي يوسف في الخراج (٢٩) قال : وحدثني حصين عن أبي وائل . . . . الخبر وفي آخره كما عند ابن أبي شيبة وفيها زيادة (ذكر اسم الكوفة) : قال : (أي : العبادي) أرض بين الحيرة والفرات . فاختط الناس الكوفة ونزلوها ـ وإسناده حسن .

٣ ـ وقد أخرج خليفة بن خياط هذا الخبر عن نزول المسلمين بالمدائن ثم إنهم (اجتووها) . . . وفي آخر الخبر : فدلنا علىٰ الكوفة فاختط الناس ونزلوا . (تأريخ =

خليفة/ ١٣٨) حدثني من سمع أبا محصن عن حصين عن أبي وائل وإن كان الإسناد منقطعاً فيشهد له ما قبله من المتابع الموصول.
ولقد ذكر خليفة هذا الخبر ضمن أحداث سنة سبع عشرة، وإن كان خليفة قد ذكر في مكان آخر سنة (١٨ هـ) بناء الكوفة، والله تعالىٰ أعلم.
وكذلك يرىٰ ابن حجر في فتح الباري إذ يقول: ثم اختط الكوفة سنة سبع عشرة اعتماداً علىٰ قول خليفة بن خياط (الفتح ٢/ ٢٧٧).
أما عن ولاة الكوفة والبصرة الذين وردت أسماؤهم في الروايتين الأخيرتين عند الطبري فيشهد له ما عند البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه ... إلخ. (راجع الفتح ٢/ ٢٧٦) والرواية عند أبي عوانة في صحيحه (٢/ ١٥٠) بلفظ مختلف عن جابر بن سمرة وكذلك أخرج عبد الرزاق هذا الخبر عن جابر بن سمرة في مصنفه (٢/ ٣٦٠). وهذا تأكيد على أنه رضي الله عنه ولىٰ سعد بن أبي وقاص الكوفة.
أما عن ولاة البصرة فقد نقل الحافظ في الفتح (٣/ ١٩٧) أن ابن شبة (المؤرخ الثقة المعروف وهو من شيوخ الطبري) قال: إنَّ أبا موسىٰ كان أميراً علىٰ البصرة من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولقد استشهد الحافظ بقول ابن شبة هذا وهو يعلق على رواية البخاري في صحيحه عن أبي بردة بن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: وجع أبا موسى وجعاً فغشي عليه... الحديث وقال بعده (ابن شبة): وإن ذلك وقع حيث كان أبو موسىٰ أميراً علىٰ البصرة... إلخ.
وأخرج الطبري في تفسير (الآية ٢٣٨ من سورة البقرة/ ح ٥٤٨٠ طبعة شاكر) حدثنا محمد بن المبارك أخبرنا الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: صليت خلف عبد الله بن قيس زمن عمر صلاة الغداة: قال فقلت لرجل من أصحاب النبي ﷺ إلىٰ جنبي: ما الصلاة الوسطىٰ؟ قال: هذه الصلاة ـ وصحح العلامة شاكر إسناده وعزاه إلىٰ الطحاوي (١/ ١٠١) وعبد الله بن قيس هو أبو موسىٰ الأشعري ـ أما بالنسبة لعتبة بن غزوان فقد سبق أن ذكرنا في قسم الصحيح عند الحديث عن فتح البصرة: أنه أول والٍ علىٰ البصرة من قبل عمر ثم توفي بعد ولايته بستة أشهر والله تعالىٰ أعلم.
أما البلاذري فقد ذكر أن تمصير الكوفة كان سنة ١٧ هـ نقلاً عن محمد بن سعد عن شيخه الواقدي (وهو متروك) (فتوح البلدان/ ٣٨٧).
وكذلك أخرج من طريق ضعيف: أن سعداً اختط الكوفة وسكنها مع المسلمين بعد فتح المدائن وذكر ما جرىٰ من المراسلة بين عمر وسعد في شأن موضوع الكوفة (فتوح البلدان/ ٣٨٧) وكذلك أخرج البلاذري نحواً من هذا بسنده عن الهيثم بن عدي وهو ضعيف (فتوح البلدان/ ٣٩٠).

ذكر خبر حمص حين قصد من فيها من المسلمين صاحبُ الروم

١٨٧/أ ـ وفي هذه السنة قصدت الرّوم أبا عُبيدة بن الجرّاح ومَن معه من جند المسلمين بحمْص لحربهم؛ فكان من أمرهم وأمر المسلمين ما ذكر أبو عبيدة، وهو فيما كتب به إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد، وطلحة، وعمرو، وسعيد ـ قالوا: أوّلُ ما أذِن عمر للجند بالانسياح: أن الرّوم خرجوا، وقد تكاتبوا هم وأهلُ الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بحمْص، فضَمّ أبو عبيدة إليه مسالحه، وعسكروا بفناء مدينة حِمْص، وأقبل خالد من قِنَّسرين حتى انضمّ إليهم فيمن انضمّ من أمراء المسالح، فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصّن إلى مجيء الغِياث، فكان خالد يأمره أن يناجزَهم، وكان سائرهم يأمرونه بأن يتحصّن، ويكتب إلى عمر، فأطاعهم وعصَى خالداً، وكتب إلى عمر [يخبره] بخروجهم عليه، وشغلِهم أجنادَ أهل الشأم عنه، وقد كان عمر اتّخذ في كلّ مِصْر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عُدّة لكون إن كان، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فَرس. فلمّا وقع الخبر لعمر كتب إلى سعد بن مالك: أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حِمْص، فإنّ أبا عبيدة قد أحِيط به، وتقدّمْ إليهم في الجدّ والحثّ.

وكتب أيضاً إليه أن سرّح سُهيل بن عديّ إلى الجزيرة في الجند وليأتِ الرَّقة فإنّ أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الرّوم على أهل حمص؛ وإن أهل قرقِيساء لهم سَلَف، وسرّحْ عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان إلى نَصِيبين، فإن أهل قَرْقِيسياء لهم

= أما الذهبي فقد ذكر بناء الكوفة ونزول الناس فيها ضمن أحداث سنة (١٨ هـ) اعتماداً على إحدىٰ روايتي خياط في تأريخه (تأريخ الإسلام للذهبي، عهد الخلفاء الراشدين/ ١٧٠).
خلاصة القول: أن المؤرخين اختلفوا في تحديد سنة بناء الكوفة بين سنة (١٧ هـ) و(١٨ هـ) وهذا اختلاف يسير ولعلهم بدؤوا بناءها سنة (١٧ هـ) وانتهوا منها وسكنوها في بداية سنة(١٨ هـ) والله تعالى أعلم.

سلَف ، ثم لينفُضا حرّان والرُّهاء. وسرّحْ الوليد بن عُقْبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتَنُوخ وسرِّح عياضاً؛ فإنْ كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غَنْم ـ وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد ممدّين لأهل الشأم ، وممّن انصرف أيامَ انصرف أهل العراق ممدّين لأهل القادسيّة ، وكان يُرافد أبا عبيدة ـ فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حِمْص؛ وخرج عياض بن غَنْم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفِراض وغير الفِراض؛ وتوَجّه كلّ أمير إلى الكُورة التي أمِّر عليها. فأتى الرّقة ، وخرج عمر من المدينة مغيثاً لأبي عبيدة يريد حِمْص حتى نزل الجابية. ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الرّوم على أهل حمص واستثاروهم وهم معهم مقيمون عن حديث من بالجزيرة منهم بأنّ الجنود قد ضربت من الكوفة ، ولم يدروا: الجزيرة يريدون أم حمص! فتفرّقوا إلى بلدانهم وإخوانهم ، وخلَّوا الرّوم ، ورأى أبو عبيدة أمراً لما انفضّوا غير الأوّل ، فاستشار خالداً في الخروج ، فأمره بالخروج ، ففتح الله عليهم. وقدم القعقاع بن عمرو في أهل الكوفة في ثلاث من يوم الوقعة ، وقدم عمر فنزل الجابية ، فكتبوا إلى عمر بالفتح وبقدوم المَدد عليهم في ثلاث ، وبالحُكْم في ذلك. فكتب إليهم أن أشركوهم ، وقال: جزى الله أهلَ الكوفة خيراً! يكفون حوْزتهم ويُمِدّون أهل الأمصار[١]. (٤ : ٥٠/ ٥١/ ٥٢).

---

(١) ذكر الطبري هذه القصة الطويلة بلا إسناد وقد تحدثنا بالتفصيل عن فتح حمص في أحداث سنة (١٥ هـ) وأنها فتحت على يد أبي عبيدة عامر بن الجراح مع من تحت إمرته من القادة فراجعها هناك (٣: ٥٩٩/ ١٥٩).
أما هذه الوقعة الثانية فهي قصة محاصرة الروم ومن تحالف معهم من نصارىٰ العرب لأبي عبيدة وجيشه بعد فتح حمص بمدة (سنة ١٦ أو ١٧ هـ على الأغلب) فلما أن جاء المدد من العراق وغيره انفضّ نصارىٰ العرب ثم خرج المسلمون بقيادة أبي عبيدة من حمص (التي تحصنوا فيها) وهزموا الروم بإذن الله ، ولهذه القصة أصل صحيح فلقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ح ١٥٦٨٧) حدثنا وكيع ثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن أبيه لما أتىٰ أبو عبيدة الشام حُصِرَ هو وأصحابه وأصابهم جهد شديد فكتب إليه عمر: سلام عليكم ، أما بعد فإنه لم تكن شدة إلا جعل الله بعدها فرجاً ولن يغلب عسر يسرين ، وكتب إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال: وكتب إليه أبو عبيدة: سلام عليكم أما بعد فإن الله قال: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى =

ذكر فتح الجزيرة

١٨٨ ـ وأما في رواية سيف ، فإن الخبر في ذلك ، فيما كتب به إلي السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد؛ قالوا: خرج عياض بن غَنْم في أثر القَعقاع ، وخرج القُوّاد ـ يعني: حين كتب عمر إلى سعد بتوجيه القعقاع في أربعة آلاف من جنده مدداً لأبي عبيدة حين قصدته الروم وهو بحمص ـ فسلكوا طريق الجزيرة على الفِراض وغيرها ، فسلك سُهيل بن عديّ وجنده طريقَ الفِراض حتى انتهى إلى الرّقة ، وقد ارفضّ أهلُ الجزيرة عن حِمْص إلى كُوَرهم حين سمعوا بمُقْبَل أهل الكوفة ، فنزل عليهم ، فأقام محاصرَهم حتى صالحوه ، وذلك أنهم قالوا فيما بينهم: أنتم بين أهل العراق وأهل الشأم؛ فما بقاؤكم على حرب هؤلاء وهؤلاء! فبعثوا في ذلك إلى عياض وهو في منزل واسط من الجزيرة؛ فرأى أن يقبَل منهم؛ فبايعوه وقبل منهم؛ وكان الذي عقد لهم سُهَيل بن عديّ عن أمر عياض ، لأنه أمير القتال وأجروْا ما أخذوا عَنْوة ، ثم أجابوا مُجرَى أهل الذّمة ، وخرج عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ، فسلك على دِجْلة حتى انتهى إلى الموصل ، فعبر إلى بَلَد حتى أتى نصيبين ، فلقوه بالصّلح ، وصنعوا كما صنع أهل الرَّقة ، وخافوا مثل الذي خافوا؛ فكتبوا إلى عياض ، فرأى أن يقبل منهم ، فعقد لهم عبد الله بن عبد الله ، وأجروْا ما أخذوا عَنْوة ، ثم أجابوا مُجرى أهل الذّمة ، وخرج الوليد بن عُقْبة حتى قدم على بني تغلِب وعرب الجزيرة ، فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلاّ إياد بن نزار ، فإنهم ارتحلوا بقلِّيّتِهِمْ ، فاقتحموا أرض الرّوم ، فكتب بذلك الوليد إلى عمر بن الخطاب. ولما أعطى أهل الرّقة ونَصِيبين الطاعة ضمّ عياض سهيلاً وعبد الله إليه فسار بالناس إلى حَرّان ، فأخذ ما دونها. فلما انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى

= ﴿ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ . . . إلى آخر الآية. قال: فخرج عمر بكتاب أبي عبيدة فقرأ علىٰ الناس فقال: يا أهل المدينة إنما كتب أبو عبيدة يُعرِّض بكم ويحثكم علىٰ الجهاد ، قال زيد قال أبي: إني لقائم في السوق إذ قبل قوم مبيّضين قد هبطوا في الثنية فيهم حذيفة بن اليمان يبشرون ، قال: فخرجت أشتد حتىٰ دخلت علىٰ عمر فقلت: يا أمير المؤمنين ! أبشر بنصر الله والفتح ، فقال عمر: الله أكبر رب قائل لو كان خالد بن الوليد. قلنا: وإسناده صحيح.

الجزية فقبل منهم ، وأجرى مَن أجاب بعد غَلْبِه مُجْرى أهل الذّمة ، ثم إنّ عياضاً سرّح سُهيلاً وعبد الله إلى الرُّهاء ، فاتقوهما بالإجابة إلى الجِزية ، وأجرى مَن دونهم مجراهم؛ فكانت الجزيرة أسهلَ البلدان أمراً ، وأيسره فَتْحاً ، فكانت تلك السهولة مهجَنة عليهم وعلى من أقام فيهم من المسلمين ، وقال عياض بن غَنْم :

مَـن مُبْلِـغُ الأقـوامِ أنَّ جُمـوعَنـا ... حَـوَتِ الجَـزيـرَةَ يـوم ذاتِ زِحـامِ

جَمعُـوا الجَـزيـرَةَ والغِيـاثَ فَـنَفَّسُـوا ... عَمَّـنْ بِحِمْـصَ غَيـابَـةَ القُـدَّامِ

إنَّ الأعِـزَّةَ والأكـارِمَ مَعْشَـرٌ ... فَضُّـوا الجـزيـرَةَ عـن فِـراخِ الهـامِ

غَلَبُوا المُلوكَ على الجَزيرةِ فانتَهَوْا ... عـن غَـزْوِ مَـنْ يـأوِي بـلادَ الشـامِ

ولما نزل عمر الجابية ، وفرغ أهلُ حمص أمدّ عياض بن غَنْم بحبيب بن مسلمة ، فقدم على عياض مدداً ، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضمّ إليه عياض بن غَنْم إذ ضمّ خالداً إلىٰ المدينة ، فصرفه إليه ، وصرف سهيل بن عديّ وعبد الله بن عبد الله إلى الكوفة ليصرفهما إلى المشرق ، واستعمل حبيب بن مَسْلمة على عجم الجزيرة وحربها ، والوليد بن عُقْبة على عرب الجزيرة ، فأقاما بالجزيرة على أعمالهما.

قالوا: ولما قدم الكتاب من الوليد على عمر كتب عمر إلى ملك الروم: إنه بلغني أنّ حيّاً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك؛ فوالله لتُخرجنّه أَو لننبِذنّ إلى النصارى؛ ثم لنخرجنّهم إليك. فأخرجهم ملك الرّوم ، فخرجوا فتمّ منهم على الخروج أربعة آلاف مع أبي عديّ بن زياد ، وخَنَس بقيّتهم ، فتفرقوا فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم؛ فكلّ إياديّ في أرض العرب من أولئك الأربعة الآلاف؛ وأبَى الوليد بن عقبة أن يقبل من بني تغلِب إلاّ الإسلام؛ فقالوا له: أمّا من نُقّب على قومه في صلح سعد ومَن كان قِبَله فأنتم وذاك ، وأمّا من لم ينقب عليه أحد ولم يُجْرِ ذلك لمن نقب فما سبيلك عليه! فكتب فيهم إلى عمر ، فأجابه عمر: إنما ذلك لجزيرة العرب لا يقبل منهم فيها إلاّ الإسلام ، فدعْهم على ألاّ يُنَصِّروا وليداً ، واقبل منهم إذا أسلموا ، فقبل منهم على ألاّ يُنَصّروا وليداً ، ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام ، فأعطَى بعضهم ذلك فأخذوا به ، وأبى

بعضهم إلا الجِزاء، فرضيَ منهم بما رضيَ من العِبَاد وتَنُوخ[١] (٤: ٥٣/ ٥٤/ ٥٥)

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر بعض الشواهد لقصة فتح الجزيرة ونذكر بقية الروايات في قسم الضعيف.

اتفق أئمة التأريخ المتقدمون والمتأخرون على أن فتح الجزيرة كان بعد فتح معظم العراق وفتح معظم أرض الشام، والجزيرة هي المنطقة المحصورة بين الفرات ودجلة وشطره في العراق والآخر في الشام، ولا خلاف بين المؤرخين: أن الصحابي الجليل عياض بن غنم الفهري هو الذي قاد الجيوش المجاهدة لفتح هذه البلاد، وإن كان فتحها أسهل بكثير من فتح أرض السواد ومدن الشام وذلك لأن أهلها أيقنوا أنهم بين فكي كماشة؛ ولذلك قال ابن عبد البر القرطبي في ترجمة عياض بن غنم: عياض بن غنم لا أعلم خلافاً: أنه افتتح عامّة بلادَ الجزيرة والرقة وصالحه وجوه أهلها، ونقل عن البخاري قوله: وهو عامل عمر بالشام (الاستيعاب ٣/ ٣٠٤/ت ٢٠٣٧). ولكن الخلاف بين المؤرخين في مسألة فتحها عنوة أو صلحاً، ويبدو من خلال الروايات التاريخية الضعيفة وغيرها أن أغلب هذه الأرض فتحت صلحاً ولقد ذكرنا معظم روايات الطبري في فتح الجزيرة في قسم الضعيف، وذكرنا معها روايات أخرىٰ ضعيفة السند كذلك، وسنذكر هنا بعض الروايات الضعيفة السند وأخرىٰ صحيحة (ولكنها قليلة) وهي تتقوىٰ ببعضها فهي مراسيل متعددة المخارج نأخذ بها في التأريخ فقط وبالشروط التي ذكرنا آنفاً. وتصلح شواهد لهذه القصة إن شاء الله تعالى:

١ - أخرج خليفة: حدثنا وكيع بن الجراح قال أخبرنا ثور عن عبد الرحمن بن عائذ: أن خالد بن الوليد دخل حماماً بآمد، وذكر فيه حديثاً (تأريخ خليفة/ ١٣٩).

قلنا: وهذا إسناد صحيح، والخبر يدل علىٰ مشاركة خالد في فتوح الجزيرة منها (آمد).

٢ - وأخرج البلاذري قال: حدثنا شيبان بن فروخ قال: حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن السفاح الشيباني: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يأخذ الجزية من نصارىٰ بني تغلب فانطلقوا هاربين ولحقت طائفة منهم ببعدٍ من الأرض. فقال النعمان بن زرعة أو زرعة بن النعمان: أنشدك الله في بني تغلب فإنهم قوم من العرب نائفون من الجزية، وهم قوم شديدة نكايتهم فلا يُعَنْ عدوك عليك بهم، فأرسل عمر في طلبهم فردّهم وأضعف عليهم الصدقة (فتوح البلدان/ ٢٥٠).

قلنا: ورجال هذا الإسناد ثقات غير السفاح الشيباني فهو مقبول، والإسناد مرسل.

٣ - وأخرج البلاذري قال: حدثني عمرو الناقد قال: حدثني أبو معاوية عن الشيباني عن السفاح عن داود بن كردوس قال: صَالَحَ عمر بن الخطاب بني تغلب بعدما قطعوا الفرات وأرادوا اللحاق بأرض الروم على أن لا يصبغوا صبياً ولا يكرهون علىٰ دينهم وعلىٰ أن عليهم =

= الصدقة مضعفة قال: وكان داود بن كردوس يقول: ليست لهم ذمة؛ لأنهم قد صبغوا في دينهم يعني: العمودية (فتوح البلدان/ ٢٥١).
قلنا: وداود بن كردوس لم يوثقه سوىٰ ابن حبان والله أعلم.
٤ - وأخرج البلاذري قال: فحدثني الحسين بن الأسود قال: حدثني يحيىٰ بن آدم عن المبارك عن يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري قال: ليس في مواشي أهل الكتاب صدقة إلا نصارىٰ تغلب، أو قال: نصارىٰ العرب (فتوح البلدان/ ٢٥١).
وهذا إسناد مرسل ولكن يقويه ما أخرج البلاذري في فتوحه وغيره عن غير الزهري، والله أعلم.
وذكر البلاذري في أنساب الأشراف (القسم الخامس/ ٥٩٥/ ٧٤٧) في ترجمة عياض بن غنم: أسلم قبل الفتح، وشهد الحديبية مع النبي ﷺ وولاّه عمر الجزيرة، وكان أبو عبيدة استخلفه ا هـ.
٥ - وقال الحافظ في الإصابة: أخرج ابن مندة من طريق الزهري عن عروة عن عياض بن غنم: أنه رأى نبطاً يشمَّسون في الجزية فقال لعاملهم: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا. وقد قيل في هذا عن عروة عن هشام بن حكيم.
ثم قال الحافظ: أورده ابن مندة في ترجمة عياض بن غنم الفهري، أو الأشعري، وعروة لم يدرك الفهري، لكن قد أخرج ابن مندة من طريق عائذ عن جبير بن نفير: أن عياض بن غنم وقع علىٰ صاحب داريا حين فتحت فأغلظ له هشام بن حكيم... فذكر القصة وفيها: فقال عياض لهشام: ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول (من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يقل له علانية) - ثم قال الحافظ: وأخرجه الحاكم في المستدرك من هذا الوجه، ووقع عنده عياض بن غنم الأشعري، وأظن الأشعري وهماً والله أعلم. (الإصابة في تمييز الصحابة / ٤/ ٦٣١/ ت ٦١٥٦).
قلنا: وحديث ابن مندة أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠١٨) وأحمد في مسنده (٣/ ٤٠٤) والبيهقي في الكبرىٰ (٩/ ٢٠٥).
قلنا: وعند البيهقي (٩/ ٢٠٥) باب النهي عن التشديد في جباية الجزية من طريق الزهري عن عروة: أن هشام بن حكيم رضي الله عنه وجد رجلاً وهو على حمص يشمس ناساً من القبط... إلخ. وفي صحيح مسلم (ناساً من النبط). وقد ذكر خليفة بن خياط فتح الجزيرة في أحداث سنة (١٨ هـ).
ولقد ذكر ابن كثير فتح الجزيرة ضمن سنة (١٧ هـ) وأما شيخه الذهبي فقد ذكر فتح الجزيرة ضمن أحداث سنة (١٨ هـ) فقال: وفي أوائلها وجّه أبو عبيدة بن الجراح عياض بن غنم الفهري إلىٰ الجزيرة فوافق أبا موسىٰ قد قدم من البصرة فمضيا فافتتحا حرّان ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة، وقيل: صلحاً (تأريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين/ ١٨٦).

خروج عمر بن الخطاب إلى الشام

وفي هذه السنة ـ أعني سنة سبع عشرة ـ خرج عمر من المدينة يريد الشام حتى بلغ سَرْغ في قول ابن إسحاق ، حدثنا بذلك ابن حميد عن سلمة ، عنه ، وفي قول الواقديّ.

ذكر الخبر عن خروجه إليها :

١٨٩ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، قال : خرج عُمر إلى الشأم غازياً في سنة سبع عشرة؛ حتى إذا كان بسرْغ لقيَه أمراء الأجناد ، فأخبروه : أنّ الأرض سقيمة ، فرجع بالناس إلى المدينة . وقد كان عمر[1] . (٤ : ٥٧) .

١٩٠ ـ كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزّهريّ ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن عبد الله بن عباس : خرج غازياً ، وخرج معه المهاجرون والأنصار . وأوعب الناسُ معه ، حتى إذا نزل بسرْغ ، لقيَه أمراء الأجناد : أبو عبيدة بن الجرّاح ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشُرحبيل بن حَسَنة؛ فأخبروه أنّ الأرض سقيمة ، فقال عمر : اجمع إليّ المهاجرين الأولين ، قال : فجمعتُهم له ، فاستشارهم ، فاختلفوا عليه ، فمنهم القائل : خرجتَ لوجهٍ تريد فيه الله وما عنده ، ولا نرى أن يصدّك عنه بلاء عرض لك ، ومنهم القائل : إنه لبَلاء وفَناء ما نرى أن تقدم عليه؛ فلما اختلفوا عليه قال : قوموا عني ، ثم قال : اجمعْ لي مهاجِرة الأنصار ، فجمعتُهم له ، فاستشارهم فسلكوا طريق المهاجرين ، فكأنما سمعوا ما قالوا : فقالوا مثله . فلما اختلفوا عليه قال : قوموا عني ، ثم قال : اجمعْ لِي مهاجِرة الفَتْح من قريش ، فجمعتُهم له ، فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم اثنان ، وقالوا : ارجع بالناس ، فإنه بلاء ، وفناء . قال : فقال لي عمر : يا بنَ عباس ، اصرُخْ في الناس فقل : إنّ أمير المؤمنين يقول لكم : إني مُصبح على ظَهْر ، فأصبِحُوا عليه قال : فأصبح عمر على ظَهْر ، وأصبح

---

(١) إسناده ضعيف وله متابع كما سيأتي.

الناس عليه ، فلما اجتمعوا عليه قال: أيّها الناس ! إني راجع فارجعوا ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قَدر الله! قال: نعم فراراً من قَدَر الله إلى قَدَر الله؛ أرأيت لو أن رجلاً هبط وادياً له عُدْوتان: إحداهما خَصبَة والأخرى جَدْبة ، أليس يرعى مَنْ رعَى الجدْبة بقَدر الله ، ويرعَى مَن رَعى الخِصبة بقَدر الله! ثم قال: لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة! ثم خلا به بناحية دون الناس؛ فبينا الناس على ذلك؛ إذْ أتى عبدُ الرحمن بن عوف ـ وكان متخلّفاً عن الناس لم يشهدهم بالأمس ـ فقال: ما شأن الناس؟ فأخبر الخبر ، فقال: عندي من هذا علم ، فقال عمر: فأنت عندنا الأمين المصدّق ، فماذا عندك؟ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدِموا عليه ، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فِراراً منه»؛ ولا يخرجنّكم إلاّ ذلك ، فقال عمر: فللّهِ الحمد! انصرفوا أيها الناس ! فانصرف عنهم[1]. (٤ : ٥٧/ ٥٨) .

١٩١ ـ حدثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهريّ ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة وسالم بن عبد الله بن عمر: أنهما حدّثاه: أنّ عمر رجع بالناس عن حديث عبد الرحمن بن عوف ، فلما رجع عمر ، رجع عمّال الأجناد إلى أعمالهم[2]. (٤ : ٥٨) .

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد الرواية الآتية إن شاء الله .

(٢) إسناده ضعيف والحديث صحيح .
ولقد أخرج البخاري عن ابن عباس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلىٰ الشام حتىٰ إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام ـ قال ابن عباس فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبروهم أن الوباء قد وقع في الشام ، فاختلفوا فقال بعضهم: قد خرجنا لأمر ، ولا نرىٰ أن ترجع عنه ، وقال بعضهم: معك بقية الناس أو أصحاب رسول الله ﷺ ولا نرىٰ أن تقدمهم علىٰ هذا الوباء ، فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادعوا لي الأنصار فدعوتهم ، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا: نرىٰ أن ترجع بالناس ولا تقدمهم علىٰهذا الوباء؛ فنادىٰ عمر في الناس: إني مصبح علىٰ ظهر ، فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله. أرأيت إن كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان: إحداها خصيبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن =

١٩٢ ـ واختُلف في خبر طاعون عَمَواس وفي أيّ سنة كان ، فقال ابن إسحاق ما حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلمة عنه ، قال: ثم دخلت سنة ثماني عشرة؛ ففيها كان طاعون عَمَواس ، فتفانى فيها الناس ، فتوفيَ أبو عبيدة بن الجراح؛ وهو أمير الناس ، ومُعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبي سفيان ، والحارث بن هشام ، وسُهَيل بن عمرو ، وعُتْبة بن سهيل ، وأشرافُ الناس[١] . (٤ : ٦٠) .

١٩٣ ـ وحدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال: حُدِّثنا عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعْشر ، قال: كان طاعون عَمَواس والجابية في سنة ثمانيَ عشرة[٢] (٤ : ٦٠) .

= رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟! قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علماً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه». قال: فحمد الله عمر ثم انصرف (الفتح ١٠/ ١٨٩).

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عامر قال: إن عمر خرج إلىٰ الشام فلما كان بسرغ بلغه: أن الوباء وقع بالشام ، فأخبره عبد الرحمن بن عوف: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» (الفتح ١٠/ ١٩٠).

والحديث أخرجه مسلم (٤/ ١٧٤١) وفي آخره قال: فسر إذاً! فسار حتىٰ أتىٰ المدينة ، وكذلك أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٨٩٧).

(١) إسناده ضعيف وهو صحيح كما سنذكر بعد الرواية الآتية.

(٢) إسناده ضعيف وله ما يشهد له: فقد أخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٦٤) عن عروة بن رويم قال: توفي أبو عبيدة بن الجراح بفحل في الأردن سنة ثماني عشرة وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٣٦٣) عن يحيىٰ بن بكير وقال الحافظ في الإصابة (٣/ ٤٨٧/ ت ٤٤١٨): اتفقوا علىٰ أنه مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثماني عشرة ، وأرّخه بعضهم سنة سبع عشرة وهو شاذ. ا هـ.

وهذه الرواية عند ابن سعد في طبقاته بسند ضعيف (٣/ ٤١٤) فالرواية بمجموع طرقها حسنة ـ والله تعالىٰ أعلم ـ وأخرج الحاكم رواية أخرىٰ في موت معاذ بن جبل وفيها ذكر طاعون عمواس فقد أخرج في المستدرك (٣/ ٢٦٩) بإسناد مرسل عن موسى بن عقبة قال: مات سنة ثماني عشرة في طاعون عمواس وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وكذلك أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٦) وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦١): =

١٩٤ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن شعبة بن الحجاج ، عن المخارق بن عبد الله البَجَليّ ، عن طارق بن شهاب البَجَليّ ، قال: أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لنتحدّث عنده ، فلما جلسنا قال: لا عليكم أن تخفُّوا ، فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم ، ولا عليكم أن تَنَزَّهوا عن هذه القرية ، فتخرجوا في فسيح بلادكم ونَزِهها حتى يُرفع هذا الوباء؛ سأخبركم بما يكرَه مما يتَّقى ، من ذلك أن يظن مَنْ خرج أنه لو أقام مات ، ويظنّ مَن أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه ، فإذا لم يظنّ هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج ، وأن يتنزّه عنه؛ إني كنت مع أبي عبيدة بن الجرّاح بالشأم عام طاعون عَمَواس ، فلما اشتعل الوجع ، وبلغ ذلك عمرَ ، كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه: أن سلام عليك ، أمّا بعد ، فإنه قد عرضتْ لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها ، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألاّ تضَعه من يدك حتى تقبل إليّ. قال: فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء ، قال: يغفر الله لأمير المؤمنين! ثمّ كتبَ إليه: يا أمير المؤمنين ! إني قد عرفت حاجتك إليّ ، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضيَ الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه ، فحلِّلني من عزمتك يا أمير المؤمنين ! ودَعْني في جندي. فلما قرأ عمر الكتاب بكَى ، فقال الناس: يا أمير المؤمنين ، أمات أبو عبيدة؟ قال: لا ، وكأنْ قدْ. قال: ثم كتب إليه: سلام عليك ، أما بعد ، فإنك أنزلتَ الناس أرضاً غَمِقة ، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نَزِهة. فلما أتاه كتابه دعاني ، فقال: يا أبَا موسى ! إنّ كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى ، فاخرج فارتدْ للناس منزلاً حتى أتبعك بهم ، فرجعتُ إلى منزلي لأرتحل ، فوجدت صاحبتي قد أصيبت ، فرجعت إليه ، فقلت له: والله لقد كان في أهلي حَدَث ، فقال: لعلّ صاحبتك أصيبت! قلت: نعم ، قال: فأمر ببعيره فرحِّل له ، فلما وضع رجلَه في غَرْزه طُعِن ، فقال: والله لقد أصِبْت. ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ، ورُفِع عن الناس الوباء[1]. (٤ : ٦٠/ ٦١) .

= والصواب ما قال موسىٰ بن عقبة: أنه مات في طاعون عمواس؛ وهو ابن ثمان وثلاثين والله تعالىٰ أعلم.

(١) إسناده ضعيف ولكن له متابع فقد أخرج الطحاوي كذلك من طريق شعبة بن الحجاج عن =

١٩٥ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن أبان بن صالح ، عن شهر بن حوشب الأشعريّ ، عن رابة ـ رجل من قومه ، وكان قد خلَف على أمه بعد أبيه ، كان شهد طاعون عَمَواس ـ قال: لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة في الناس خطيباً ، فقال: أيّها الناس ! إنّ هذا الوجَع رحمة بكم ودعوة نبيكم محمد ﷺ ، وموت الصالحين قبلَكم ، وإنّ أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظَّه. فطُعِن فمات ، واستُخلِف على الناس مُعاذ بن جبَل. قال: فقام خطيباً بعده ، فقال: أيها الناس ، إنّ هذا الوجع رحمة رَبكم ، ودعوة نبيكم وموْت الصالحين قبلكم ، وإن مُعاذاً يسأل الله أن يقسم لآل مُعاذ منه حظهم ، فطُعِن ابنه عبد الرحمن بن مُعاذ ، فمات. ثمّ قام فدعا به لنفسه ، فطعِن في راحته؛ فلقد رأيتُه ينظر إليها ثم يقبِّل ظهرَ كفه ، ثم يقول: ما أحبّ أنّ لي بما فيك شيئاً من الدنيا ، فلما مات استُخلف على الناس عمرو بن العاص ، فقام خطيباً في الناس؛ فقال: أيها الناس ، إنّ هذا الوجَع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار ، فتجبَّلوا منه في الجبال. فقال أبو واثلة الهُذَليّ: كذبت والله ! لقد صحبتُ رسولَ الله ﷺ وأنت شرّ من حماري هذا! قال: والله ما أردّ عليك ما تقول ، وايمُ الله لا نقيم عليه ! ثم خرج وخرج الناس فتفرّقوا ، ورفعه الله عنهم. قال:

= قيس بن مسلم قال: سمعت طارق بن شهاب قال: كنا نتحدث إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري وفيه: إني كنت مع أبي عبيدة وأن الطاعون قد وقع بالشام ، وأن عمر كتب إليه (إذا أتاك كتابي هذا فإني أعزم عليك ، إن أتاك مصبحاً؛ لا تمسِ حتى تركب ، وإن أتاك ممسياً؛ لا تصبح حتىٰ تركب إليّ فقد عرضت لي إليك حاجة لا غنى لي عنك فيها) فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب قال: إن أمير المؤمنين أراد أن يستبقي من ليس بباقٍ. فكتب إليه أبو عبيدة: (إني في جند من المسلمين إنْ فررت من المناة والسير لن أرغب بنفسي عنهم وقد عرفنا حاجة أمير المؤمنين ، فحللني من عزمتك) ، فلما جاء عمر الكتاب بكى ، فقيل له: توفي أبو عبيدة ، قال: لا. وكان قد كتب إليه عمر: (إن الأردن أرض عميقة وإن الجابية أرض نزهة ، فانهض بالمسلمين إلىٰ الجابية ، فقال لي أبو عبيدة: انطلق فبوّئ المنزلين منزلهم فقلت: لا أستطيع ، قال: فذهب ليركب وقال لي رجل من الناس قال: فأخذه آخذة فطعن فمات وانكشف الطاعون ـ ونسبه ابن حجر إلىٰ الهيثم بن كليب ، والطحاوي ، والبيهقي ، وذكره مختصراً ، وحسّن إسناده (الفتح ١٠/ ١٩٩).

فبلغ ذلك عمرَ بن الخطاب من رأي عمرو بن العاص ، فوالله ما كرهه[١] . (٤ : ٦١/ ٦٢) .

وفي هذه السنة ـ أعني سنة سبع عشرة ـ كان خروج عمر إلى الشأم الخرْجة الأخيرة فلم يعد إليها بعد ذلك في قول سيف؛ وأما قول ابن إسحاق فقد مضى ذكره . (٤ : ٦٣) .

ذكر الخبر عن سيف في ذلك ، والخبر عمَّا ذكره عن عمر في خرجته تلك أنه أحدث في مصالح المسلمين

١٩٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وأبي حارثة والرّبيع ، قالوا: وخرج عمر وخلف عليّاً على المدينة ، وخرج معه بالصحابة

(١) إسناده ضعيف ، وأخرج الحاكم في مستدركه (٣/ ٢٧١) : حدثنا أبو العباس ثنا بحر بن نصر حدثنا ابن وهب أخبرني عثمان بن عطاء عن أبيه أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قام في الجيش الذي كان عليه حين وقع البلاء فقال: يا أيها الناس هذه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وقَبْض الصالحين قبلكم ثم قال معاذ وهو يخطب: اللهم أدخل علىٰ آل معاذ نصيبهم الأوفىٰ من هذه الرحمة. فبينا هو كذلك إذ أتي فقيل: طعِن ابنك عبد الرحمن ، فلما أن رأىٰ أباه معاذاً قال: يقول عبد الرحمن: يا أبت ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ قال: يقول معاذ ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فمات من الجمعة إلىٰ الجمعة آل معاذ كلهم ثم كان هو آخرهم.
قلنا: وفي إسناده عثمان بن عطاء عن أبيه قال ابن حبان: في المجروحين (٢/ ١٠٠) أكثر روايته عن أبيه وأبوه لا يجوز الاحتجاج بروايته لما فيها من المقلوبات التي وهم فيها فلست أدري البلية في تلك الأخبار منه أو من ناحية أبيه ـ وقال أبو نعيم في الضعفاء/ ت ١٥٥) عن أبيه أحاديث منكرة ـ وقال الحافظ في التقريب: عطاء بن عثمان ضعيف ا هـ.
وأخرج الطبراني في المعجم الكبير (ح ٧٢٠٩) و(ح ٧٢١٠) وأحمد في المسند (٤/ ١٩٥) و(٤/ ١٩٦) من حديث شرحبيل بن شعفة وعبد الرحمن بن غنم وكذلك (٤/ ١٩٦) من حديث أبي منيب: أن عمرو بن العاص قال في الطاعون في آخر خطبة خطب الناس فقال: إن هذا رجس ، مثل السيل من ينكبه أخطأه ، ومثل النار من ينكبها أخطأته ومن أقام أحرقته وآذته ، فقال لشرحبيل بن حسنة: إن هذا رحمة ربكم ودعوة نبيكم وقبض الصالحين قبلكم ، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣١٢) : وأسانيد أحمد حسان صحاح.
قلنا: وكذلك أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٧٦) من حديث عبد الرحمن بن غنم وفي آخره: (ولكنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم ﷺ ووفاة الصالحين قبلكم).

وأغذُّوا السير واتّخذَ أيلة طريقاً؛ حتى إذا دنا منها تنحّى عن الطريق ، واتّبعه غلامه ، فنزل فبال ، ثم عاد فركب بعير غلامه ، وعلى رَحْله فَرْو مقلوب ، وأعطى غلامه مركبه ، فلمّا تلقّاه أوائلُ الناس؛ قالوا: أين أمير المؤمنين؟ قال: أمامكم - يعني نفسه - وذهبوا هم إلى أمامهم ، فجازوه حتى انتهى هو إلى أيلَة فنزلها وقيل للمتلقِّين: قد دخل أميرُ المؤمنين أيْلة ونزلها. فرجعوا إليه[١]. (٤: ٦٣/ ٦٤).

١٩٧ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال: لما قدم عمر بن الخطاب أيْلة ، ومعه المهاجرون والأنصار دفع قميصاً له كرابيس قد انجابَ مؤخّره عن قَعْدته من طول السير إلى الأُسقف ، وقال: اغسل هذا وارقعه ، فانطلق الأسقف بالقميص ، ورقعه ، وخاط له آخر مثلَه ، فراح به إلى عمر ، فقال: ما هذا؟ قال الأسقف: أمّا هذا فقميصك قد غسلتُه ورقعته ، وأما هذا فكسوة لك منّي. فنظر إليه عمر ومسحه ، ثم لبس قميصه ، وردّ عليه ذلك القميص ، وقال: هذا أنشفهما للعرَق[٢]. (٤: ٦٤).

ذكر خبر عزل خالد بن الوليد

١٩٨ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن المستورِد ، عن أبيه ، عن عديّ بن سهيل ، قال: كتب عمر إلى الأمصار: إني لم أعزل خالداً

---

(١) إسناده ضعيف ، ولكن أخرج عمرو بن شبة عن أسلم مولىٰ عمر رضي الله عنه يقول: خرجت مع عمر رضي الله عنه وهو يريد الشام حتىٰ إذا دنا أناخ فذهب لحاجة له ، قال أسلم: فطرحت فروتين بين شعبتي رَحْلي ، فلما فرغ عمر رضي الله عنه عمد إلىٰ بعيري فركبه ، وركب أسلم بعير عمر رضي الله عنه فخرجا يسيران حتىٰ لقيهما أهل الأرض ، قال: فلما دنوا أشرت لهم إلىٰ أمير المؤمنين فجعلوا يتحدثون بينهم فقال لعمر رضي الله عنه: أبصارهم إلىٰ من لا خلاق له (كتاب أخبار المدينة/ ٦/ ٣/ ٣٩) وصحح الشيخ الدويش إسناده.

(٢) إسناده ضعيف وله ما يشهد له فقد أخرج عمر بن شبة عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزل رضي الله عنه جاءه صاحب الأرض فأعطاه عمر رضي الله عنه قميصه ليغسله ويرفوه ، وفي عاتقه خرق؛ فانطلق به فغسله ثم رقعه ، وقطع قميصاً جديداً آخر فأتاه به ، وقد أعدّ قميصه فأعطاه الجديد فرآه عليه وقال إيتني بقميصي فناوله إياه (كتاب أخبار المدينة/ ٦/ ٣/ ٤٨) وحسّن الدويش إسناده.

عن سُخْطة ولا خيانة ، ولكنّ الناس فتِنوا به ، فخفت أن يُوكّلوا إليه ويبتَلوا به ، فأحببت أن يعلموا : أنّ الله هو الصانع ، وألاّ يكونوا بعرَض فتنة [١]. (٤ : ٦٨).

---

(١) إسناده ضعيف ولكن معناه صحيح كما بينا سابقاً ، وقد تحدثنا عن مسألة عزل خالد مرتين وأوردنا فيها الروايات الصحيحة وبينا الروايات الضعيفة جداً والمختلفة ، ونضيف هنا مالم نذكره في الموضعين : فلقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه حديثاً في توجيه عمر إلىٰ الشام (١٣/ ١٥٦٧٩) حدثنا وكيع قال ثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه وفي آخر الرواية يقول سيدنا عمر بعد أن جاءه خبر انتصار المسلمين (بقيادة أبي عبيدة) على الروم الذين حاصروا حمصَ [فقال عمر : الله أكبر رب قائل : لو كان خالد بن الوليد] وإسناده صحيح كما سبق .

وكذلك أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٥٦٨٩) : حدثنا وكيع قال حدثنا مبارك عن الحسن قال : قال عمر لما بلغه قول خالد بن الوليد : لأنزعن خالداً ولأنزعن المثنىٰ حتىٰ يعلما أن الله ينصر دينه ، ليس إياهما ـ وإسناده مرسل صحيح .

شبهة أثارها المستشرقون والمتغربون (حول عزل خالد) والرد عليها :

يقول إبراهيم البيضوني في كتابه (ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري/ ٤٩) وهو يتحدث عن أسباب عزل خالد من قبل سيدنا عمر رضي الله عنهما :

(ولعلّ المتتبع جيداً لأسلوب عمر في الحكم حيث شخصيته القوية طغت علىٰ الدولة بكل مظاهرها ، وحيث نزعته الإدارية كانت تعمل في اتجاه تقوية المؤسسة على حساب الزعامات الأرستقراطية والعسكرية ، لابد أن يلحظ مدىٰ حساسية العلاقة بينه وبين الشخصيات القوية ، لاسيما المتاح لها فرصاً للبروز والتألق السياسي من خلال الانتصارات الحربية التي تصنعها) وكذلك يقول بيضوني (٥٥) تعليقاً علىٰ مسألة عزل عمر لسعد بن أبي وقاص : ولعل هذا التدبير (أي عزل سعد) يأتي ليؤكد مرة أخرىٰ موقف الخليفة عمر من القيادات المهددة أكثر من غيرها لنفوذ القيادة السياسية ولأنه كان يرفض لها المزيد من التألق والشهرة فقد لجأ إلىٰ معالجة الأمر بالتغيير ، منعاً لتخفيف انتصارات متكررة للقائد الواحد ، وغالباً ما تتبع هذا النهج بعض الدول الحديثة وذلك بتحديد الفترة الزمنية للقائد العسكري خوفاً من اشتهار انتصاراته في مقارعة السلطة السياسية . ا هـ.

قلنا : ولو تأملنا في عبارات البيضوني هذه لوجدنا الدسّ والافتراء والمغالطة ولكن بأسلوب محنك وخفي ـ والحمد لله على نعمة الإسناد فبها نردّ هذه الافتراءات وغيرها فالروايات الصحيحة التي ذكرناها في مواضع ثلاثة في تحقيقنا هذا تؤكد أن سيدنا عمر كان يريد أن يزيل من أذهان الناس شبهة تعلّق النصر بشخصية معينة وأن الله هو الناصر الحقيقي سواء كان القائد خالداً أم لا ـ ولم تكن المسألة مسألة تناحر على السلطة كما يتصور البيضوني ويقارن بين الخلافة الراشدة وبعض الدول الحديثة وشتان بين الثرىٰ والثريا .

والذي يرجع إلىٰ الأسباب الثلاثة التي ذكرناها مؤيدة بروايات صحيحة يتبيّن له زيف هذا

١٩٩ ـ قال: وفيها تزوّج عمر بن الخطاب أمّ كلثوم ابنة عليّ بن أبي طالب، وهي ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ودخل بها في ذي القعدة[(١)]. (٤ : ٦٩)

= الادعاء وعظمة التأريخ الإسلامي في عهد الخلافة الراشدة، والعجيب أن المستشرق المشهور (بروكلمان) والذي عُرِفَ بتشويهه للتأريخ الإسلامي وطعونه المختلفة، نقول العجيب أن بروكلمان كان أكثر إنصافاً من إبراهيم البيضوني في مسألة عزل خالد إذ قال: ولأسباب نجهلها انتقلت القيادة العليا من خالد إلىٰ أبي عبيدة ـ (تأريخ الشعوب الإسلامية/ ٩٥).

قلنا: وإذا كان بروكلمان يجهل هذه الأسباب والبيضوني يختلقها فإن أئمة الإسناد علّمونا كيف نجد الروايات الصحيحة فلا نجهلها ولا نخلطها بالروايات المغلوطة والحمد لله علىٰ نعمة الإسناد.

ذكر تجديد المسجد الحرام والتوسعة فيه

ذكرنا روايات الطبري في هذا الباب في قسم الضعيف وهي من طريق الواقدي وهو متروك ـ ولم نجد ما يؤيد تفاصيل مروياته في هذا الباب ـ أما أصل المسألة؛ أي: توسعة المسجد الحرام فقد أخرج البخاري عن عمرو بن دينار وعبيد الله بن أبي يزيد قالا: لم يكن على عهد النبي ﷺ حول البيت حائط، كانوا يصلون حول البيت حتىٰ كان عمر فبنىٰ حوله حائطاً.

قال الحافظ: هذا مرسل معضل منقطع لأن عمرو بن دينار وعبد الله من أصلح التابعين. وأما قوله: حتى كان عمر؛ فمنقطع فإنهما لم يدركا عمر أيضاً، وقوله:

جنباه الزبير هذا القدر هو الموصول من الحديث (الفتح ٨/ ٨١).

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٤٧) عن عطاء: كان المقام من عهد إبراهيم لزق البيت إلى أن أخره عمر رضي الله عنه إلى المكان الذي هو فيه الآن وأخرجه. وقال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح عن عطاء وغيره وعن مجاهد (الفتح ٨/ ١٩) والله أعلم.

(١) ذكر الطبري قصة زواج عمر بن الخطاب وأم كلثوم بلا إسناد. ولقد أخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٢): عن علي بن الحسين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب إلىٰ علي رضي الله عنه أم كلثوم فقال: أنكحنيها فقال علي: إني أرصدها لابن أخي عبد الله بن جعفر فقال عمر: أنكحنيها فوالله ما من الناس أحد يرصد من أمرها ما أرصده فأنكحه علي فأتى عمر المهاجرين فقال: ألا تهنوني؟ فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: بأم كلثوم بنت علي وابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي» فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ نسب.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ولم يوافقه الذهبي في المستدرك إذ قال: منقطع.

قلنا: وله شواهد فالحديث أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٢) من طريق جعفر بن محمد الصادق عن =

= عبيد الله بن أبي رافع عن ابن عمر بإسناد حسن صحيح ، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٤٣) من حديث ابن عباس مرفوعاً ورجاله ثقات وفي إسناده موسىٰ بن عبد العزيز العدني ضعفه ابن المديني وقال ابن معين: ليس به بأس ، وكذا النسائي وبقية رجاله ثقات .
وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٣٧) وفي الأوسط (كما عزاه إليه الهيثمي في المجمع) وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة (مجمع الزوائد ٩/ ١٧٣).

ذكر خبر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبي موسىٰ

لقد ذكرنا روايات الطبري في هذه المسألة في قسم الضعيف لأنها احتوت علىٰ زيادات علىٰ أصل القصة وهي زيادات منكرة ، أما هنا فإنا نذكر أصل القصة وهي ثابتة ومشهورة كما قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء ٣/ ٦) قصة عمر مشهورة في جلده أبا بكرة وشبلاً ونافعاً ، وخلاصة القصة: أن هؤلاء اشتبهوا في أمرهم وشبّه لهم زوجة المغيرة بن شعبة فظنوا أنها أم جميل ، وأن المغيرة يواقعها في الحرام ، ولكن حقيقة الأمر أن المغيرة كان مع زوجته وأن هؤلاء اتهموه ظلماً وبهتاناً ثم أقروا بذلك ورجعوا عن اتهامهم وكذبتهم ، فجلدهم عمر رضي الله عنه بعد أن ثبت بطلان الإسهام وتبيّنت براءة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ـ وإليك ما ورد في هذه المسألة:

١ ـ أخرج البخاري في صحيحه تعليقاً (٥/ ١٨٧) قال: وجلد عمر أبا بكرة وشبل بن معبد ونافعاً بقذف المغيرة ثم استتابهم وقال: من تاب قبلت شهادته . ا هـ.

٢ ـ وهذا الخبر وصله الإمام الشافعي رحمه الله في الأم (١٣/ ٥١٢/ ح ٢٧٣٥٣ ـ طبعة دار قتيبة) أخبرنا ابن عيينة قال: سمعت الزهري يقول: زعم أهل العراق: أن شهادة القاذف لا تجوز فأشهد لأَخْبَرَني ـ ثم سمىٰ الذي أخبره ـ أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه قال لأبي: تُب تُقبل شهادتك أو: إن تبت قبلت شهادتك. قال سفيان: شككت بعدما سمعت الزهري يسمّي الرجل ، فسألت فقال لي: عمر بن قيس ، أوهو سعيد بن المسيب فقيل لسفيان: شككت في خبره؟ فقال: لا ، هو سعيد إن شاء الله تعالىٰ .

٣ ـ وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب قال: شهد علىٰ المغيرة بن شعبة ثلاثة بالزنى ، ونكل زياد فحدّ عمر الثلاثة (٧/ ح ٣٥٦٤). وأخرجه كذلك عن ابن أبي عثمان النهدي بلفظ مغاير وبنفس المعنىٰ (٧/ ح ١٣٥٦٦) وأخرجه البيهقي من طريق الشافعي السابق (السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٥٢) والطبراني في المعجم الكبير كذلك عن أبي عثمان النهدي (٧/ ح ٧٢٢٧) وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٦/ ٢٨٠) وقال الحافظ في الفتح بعد أن ذكر وصل الشافعي للرواية في الأم ورواية الطبري في تفسيره وعمر بن شبة في أخبار البصرة والطبراني في ترجمة هشبل بن معبد والبيهقي في رواية أبي عثمان النهدي أنه شاهد ذلك عند عمر ثم قال الحافظ: وإسناده =

= صحيح (فتح الباري ٥/ ٢٥٦) والله تعالىٰ أعلم.

فتح سوق الأهواز ومناذر ونهرتيري

لقد ذكرنا روايات الطبري في فتح هذه الأماكن في قسم الضعيف لأنها من طريق شعيب عن سيف ولم نجد ما يؤيدها، وسنذكر هنا ما ورد في فتح هذه الأماكن:

١ ـ أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ح ١٥٦٧٠) حدثنا ريحان بن سعيد قال: حدثني مرزوق بن عمرو قال: حدثني أبو فرقد قال: كنا مع أبي موسىٰ يوم فتحنا سوق الأهواز... إلخ.

قلنا: وفي إسناده ريحان بن سعيد قال الحافظ: صدوق ربما أخطأ وشيخه مرزوق بن عمرو لم يوثقه سوىٰ ابن حبان والله تعالىٰ أعلم.

٢ ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٣/ ح ١٥٦٧٢) حدثنا عفان قال حدثنا شعبة قال حدثنا أبو إسحاق عن المهلب قال: أغرنا علىٰ مناذر وأصبنا منهم، وكأنه كان لهم عهد، فكتب عمر: ردوا ما أصبتم منهم. قال: فردوا حتىٰ ردوا النساء الحبالىٰ وأخرجه البلاذري (فتوح البلدان/ ٥٣٣) وكذلك أخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال (١٣٩/ ح ٣٠٧٧) ولفظه (حاصرنا) وقال محققه فضيلة الشيخ هرّاس: وفيه نظر لأن فتح مناذر كان سنة ١٧ والمهلب مات سنة ٨٣ أو ٨٢ عن ٧٦ سنة فكأنه ولد سنة ٦ أو ٧ يعني أنه كان عند فتح مناذر لا يتجاوز العاشرة فيبعد أن يكون قد شهد هذا الحصار. أو لعله أراد بقوله (حاصرنا) أن المسلمين حاصروها ويكون الحديث مرسلاً. قلنا: ولفظة ابن أبي شيبة (أغرنا) تجعل هذا الاحتمال بعيداً وأما مسألة تحديد عمره بـ(٧٦) سنة فليست مؤكدة، بل ذكرها الحافظ المزي بقوله (وقال غيره) فلا نعرف نسبة مولده بالتحديد والإسناد صحيح والله أعلم.

ويجعل هذا الاحتمالَ بعيداً أكثر روايةُ ابن أبي شيبة التالية:

٣ ـ أخرج ابن أبي شيبة (١٣/ ح ١٥٦٧٧): حدثنا عبيد الله بن موسىٰ قال: أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن المهلب بن أبي صفرة قال: حاصرنا مدينة الأهواز فافتتحناها وقد كان ذكر صلح، فأصبنا نساء فوقعنا عليهن، فبلغ ذلك عمر فكتب إلينا (خذوا أولادهم وردوا إليهم نساءهم، وقد كان صالح بعضهم) وإسناه صحيح.

٤ ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٣/ ح ١٥٦٧٩) حدثنا عفان قال حدثنا جعفر بن كيسان قال سمعت شويساً العدوي يقول: غزوت ميسان فسبيت جارية نكحتها حتىٰ جاء كتاب من عمر؛ ردوا مافي أيديكم من سبي ميسان، فرددت، فلا أدري على أي حال رددت؟ حامل أو غير حامل حتىٰ يكون أعمر بقراهم وأوفر لخراجهم. والحديث أخرجه كذلك أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال (١٣٩/ ح ٣٧٨) وإسناده صحيح.

٥ ـ وأخرج البلاذري قال: وحدثني الوليد بن صالح قال: حدثني مرحوم العطار عن أبيه عن شويس العدوي قال: أتينا الأهواز وبها ناس من الزنط والأساورة فقاتلناهم قتالاً شديداً=

ذكر فتح رامهرمز وتستر

١٩٩/ أ ـ وفي هذه السنة ـ أعني: سنة سبع عشرة ـ كان فتح رَامُهْرمُز والسّوس وتُسْتَر. وفيها أسر الهُرْمزان في رواية سيف[1]. (٤ : ٨٣).

= فظهرنا عليهم وظفرنا بهم فأصبنا سبياً كثيراً اقتسمناهم، فكتب إلينا عمر أنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض فخلّوا مافي أيديكم من السبي واجعلوا عليهم الخراج، فرددنا السبي ولم نملكهم (فتوح البلدان/ ٥٣١).

قلنا: ورجاله ثقات غير عبد العزيز العطار فلم يوثقه أحد، وقال الحافظ في التقريب: مقبول، فعارضه المحققان قائلين:

بل مجهول الحال وهو كما قالا والله أعلم. والحديث كذلك أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ح ١٥٦٧١) وفيه سديس العدوي وهو تصحيف والله تعالىٰ أعلم.

٦ ـ وأخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا أبو عاصم قال لنا عمران بن حدير عن أبي مجلز قال: ردّ عمر الأهواز إلىٰ الجزية بعدما قسموا بين المسلمين وغشي نساؤهم، ثم صالح السبان وأهل نهر تيري أبو موسىٰ ثم سار إلىٰ مناذر فحصر أهلها ثم انصرف عنها، واستخلف الربيع بن زياد الحارثي فافتتحها عنوة فقتل وسبىٰ وقتل بها من المسلمين المهاجر بن زياد الحارثي (تأريخ خليفة/ ١٣٦) وإسناده مرسل صحيح.

٧ ـ ولقد ذكر خليفة بن خياط فتح نهر تيري ودست ميسان بالعراق ضمن أحداث سنة (١٥ هـ) وذكر فيها روايتين مسندتين.

الأولىٰ قال فيها: حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده أن المغيرة بن شعبة صالحهم على ألف ألف درهم ومئة ألف درهم ثم كفروا فافتتحها أبو موسىٰ بعده (تأريخ خليفة/ ١٣١) وهذا إسناد مرسل صحيح.

والرواية الثانية وفيها: وحدثني علي بن محمد عن النضر بن إسحاق عن قتادة أن المغيرة بن شعبة افتتح نهر تيري عنوة وجد بها جدَّ النوشجان وهو يومئذ صاحبها (تأريخ خليفة/ ١٣١).

قلنا: وهذان إسنادان يتقويان ببعضهما وبما ذكرنا سابقاً، وأما فتح الأهواز فقد ذكرنا لخليفة رواية واحدة كما سبق وذكر خليفة عدة روايات منقطعة تؤكد أكثرها أن أبا موسىٰ الأشعري هو الذي فتح الأهواز وذكر تلك الروايات ضمن أحداث سنة (١٧ هـ) والله تعالىٰ أعلم.

(١) أخرج الطبري ثلاث روايات في فتح تستر ذكرناها جميعاً في قسم الضعيف؛ ففي متن بعضها نكارة شديدة ومخالفة لما في الروايات الصحيحة التي سنذكرها هنا، فروايتا الطبري (٥١٧/ ٥١٨) تذكر أن الهرمزان أسلم خوفاً ولكن الروايات الصحيحة السند عند ابن أبي شيبة وغيره تبيّن أن الهرمزان أسلم طوعاً بعد أن أعطاه عمر رضي الله عنه الأمان وتركه. وكذلك ورد في الرواية (٥١٧) أن عمراً رضي الله عنه قال عن أسباب انتصار الفرس علىٰ=

= العرب قبل الإسلام: (إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا) وليس الأمر كذلك ولم يثبت قول عمر هذا برواية صحيحة وكيف يعرف الهرمزان وهو فارسي بسبب انتصار المسلمين؟! ويرجع ذلك النصر إلىٰ معونة الله وتأييده للمسلمين وينكره عمر، لاشك أن هذا التقول على سيدنا عمر من قبل الراوي شعيب (راوية سيف) وهو معروف بتحامله على الصحابة كما مضى ـ والحمد لله علىٰ نعمة الإسناد ـ وذكر الطبري قبل هذه الروايات بقليل رواية أخرى ونعني (٤/ ٧٧/ ٥١٥) أي: أنه ذكر فتح تستر مرتين، وسنتطرق إلىٰ ذلك في نهاية الشواهد.

١ ـ أخرج ابن أبي شيبة (١٣/ ح ١٥٦٦١): حدثنا مروان بن معاوية عن حميد عن أنس قال: حاصرنا تستر، فنزل الهرمزان علىٰ حكم عمر، فبعث به أبو موسىٰ معي، فلما قدمنا علىٰ عمر سكت الهرمزان ولم يتكلم، فقال له عمر: تكلم، فقال: أكلام حي أم كلام ميت؟ قال: تكلم فلابأس! قال: إنا وإياكم معشر العرب ما خلىٰ الله بيننا وبينكم فإنا كنا نقتلكم ونقصيكم، ولما أن كان الله معكم لم يكن لنا بكم يدان، فقال عمر: ما تقول يا أنس؟! قلت: يا أمير المؤمنين! تركت خلفي شوكة شديدة وعددٌ كثيرٌ، إن قتلته أيس القوم من الحياة، وكان أشد لشوكتهم، وإن استحييته طمع القوم، قال: يا أنس! أستحيي قاتل البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور ؟! فلما خشيت أن يبسط عليه قلت: ليس إلىٰ قتله سبيل. فقال عمر: لم؟ أعطاك؟ أصبت منه؟ قلت: ما فعلت، ولكنك قلت له: (تكلم فلا بأس) قال: لتجيئن بمن يشهد أو لأبدأن بعقوبتك (قال) فخرجت من عنده فإذا أنا بالزبير قد حفظ ما حفظت، فشهد عنده، فتركه وأسلم الهرمزان، وفرض له ـ وإسناده صحيح.

٢ ـ وأخرج الحافظ ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ح ١٥٦٦٠) حدثنا قراد أبو نوح قال: حدثنا عثمان بن معاوية القرشي عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: لما نزل أبو موسىٰ بالناس علىٰ الهرمزان ومن معه بتستر قال: أقاموا سنة أو نحوها لا يخلصون إليه، قال: وقد كان الهرمزان قتل رجلاً من دهاقنتهم وعظمائهم، فانطلق أخوه حتىٰ أتىٰ أبا موسى فقال: ما يجعل لي إن دللتك علىٰ المدخل، قال: سلني ما شئت قال: أسألك أن تحقن دمي ودماء أهل بيتي وتخلي بيننا وبين مافي أيدينا من أموالنا ومساكننا، قال: فذاك لك، قال: ابغني إنساناً سابحاً ذا عقل ولب يأتيك بأمر بين، قال: فأرسل أبو موسىٰ إلىٰ مجزأة بن ثور السدوسي فقال له: ابغني رجلاً من قومك سابحاً ذا عقل ولب، وليس بذاك في خطره، فإن أصيب كان مصابه علىٰ المسلمين يسيراً، وإن سلم جاءنا بسلب، فإني لا أدري ما جاء به هذا الدهقان ولا آمن له ولا أثق به، قال: فقال مجزأة: قد وجدت، قال: من هو؟ فائتِ به، قال: أنا هو، قال أبو موسىٰ: يرحمك الله ما هذا أردت، فابغني رجلاً، قال: فقال مجزأة بن ثور: والله لا أعمد إلى عجوز من بكر بن وائل تداين أم مجزأة بابنها، قال: أما إذا أبيت فسر، فلبس الثوب الأبيض وأخذ منديلاً وأخذ معه خبزاً، ثم انطلق إلىٰ الدهقان حتىٰ

سنح ، فأجاز المدينة فأدخله من مدخل الماء حيث يدخل علىٰ أهل المدينة ، قال: فأدخله في مدخل شديد يضيق به أحياناً حتىٰ ينبطح علىٰ بطنه ، ويتسع أحياناً فيمشي قائماً ، ويحبو في بعض ذلك حتىٰ دخل المدينة ، وقد أمر أبو موسىٰ أن يحفظ طريق باب المدينة طريق السوق ومنزل الهرمزان ، فانطلق به الدهقان حتى أراد طريق السور وطريق الباب ، ثم انطلق به إلىٰ منزل الهرمزان ، وقد كان أبو موسىٰ أوصاه أن لا تسبقني بأمر ، فلما رأىٰ الهرمزان قاعداً وحوله دهاقنته وهو يشرب فقال للدهقان: هذا الهرمزان؟ قال: نعم. قال: هذا الذي لقي المسلمون منه ما لقوا ، أما والله لأريحنهم منه قال: فقال له الدهقان: لا تفعل فإنهم يحرزون ويحولون بينك وبين دخول هذا المدخل ، فأبىٰ مجزأة إلا أن يمضي علىٰ رأيه علىٰ قتل العلج ، فأداره الدهقان وطلب أن يكف عن قتله ، فأبىٰ ، فذكر الدهقان قول أبي موسىٰ: (اتق أن لا تسبقني بأمر) فقال: أليس قد أمرك صاحبك أن لا تسبقه بأمر ، فقال: هاأنا والله لأريحنهم منه ، فرجع مع الدهقان إلى منزله فأقام يومه حتى أمسى، ثم رجع إلى أبي موسىٰ فندب أبو موسىٰ الناس معه ، فانتدب ثلاثمئة ونيف ، فأمرهم أن يلبس الرجل ثوبين لا يزيد عليه ، وسيفه ، ففعل القوم. قال: فقعدوا علىٰ شاطىء النهر ينتظرون مجزأة أن يأتيهم وهو عند أبي موسىٰ يوصيه ، ويأمره ، قال عبد الرحمن بن أبي بكرة: ليس لهم هم غيره - يشير إلىٰ الموت ، لأنظرن إلىٰ ما يصنع ، والمائدة موضوعة بين يدي أبي موسىٰ ، قال فكأنه استحيى ألا يتناول من المائدة شيئاً ، قال: فتناول حبة من عنب فلاكها فما قدر على أن يسيغها وأخذها رويداً فنبذها تحت الخوان ، وودعه أبو موسىٰ وأوصاه فقال مجزأة لأبي موسىٰ: إني أسألك شيئاً فأعطنيه ، قال: لا تسألني شيئاً إلا أعطيتكه ، قال: فأعطني سيفك أتقلده إلىٰ سيفي ، فدعا له بسيفه فأعطاه إياه ، فذهب إلىٰ القوم وهم ينظرونه حتىٰ كان في وسطه منهم فكبر ووقع في الماء ووقع القوم جميعاً ، قال: يقول عبد الرحمن بن أبي بكرة كأنهم البط فسبحوا حتى جاوزوا ، ثم انطلق بهم إلىٰ الثقب الذي يدخل الماء منه فكبر ، ثم دخل فلما أفضىٰ إلى المدينة فنظر لم يقم معه إلا خمسة وثلاثون أو ستة وثلاثون رجلاً ، فقال لأصحابه: ألا أعود إليهم فأدخلهم ، فقال رجل من أهل الكوفة يقال له الجبان لشجاعته: غيرك فليقل هذا يا مجزأة ! إنما عليك نفسك فامض لما أمرت به ، فقال له: أصبت فمضىٰ بطائفة منهم إلىٰ الباب فوضعهم عليه ومضىٰ بطائفة إلىٰ السور فانحدر عليه علج من الأساورة معه ، فنزل ، فطعن مجزأة فأثبته ، فقال مجزأة: امضوا لأمركم ، لا يشغلنكم عني شيء فألقوا عليه برذعة ليعرفوا مكانه ومضوا وكبر المسلمون على السور وعلى باب المدينة وفتحوا الباب وأقبل المسلمون علىٰ عادتهم حتىٰ دخلوا المدينة ، قال قيل للهرمزان: هذه العرب قد دخلوا. قال: لا شك أنهم قد رحسوها ، قال: من أين دخلوا؟ أمن السماء ، قال: وتحصن في قصبة له ، وأقبل أبو موسىٰ يركض علىٰ فرس له عربي حتىٰ دخل علىٰ أنس بن مالك وهو على الناس قال: لكن نحن يا أبا حمزة =

لم نصنع اليوم شيئاً ، وقد قتلوا من القوم من قتلوا ، وأسروا من أسروا ، وأطافوا بالهرمزان لقصبته إليه حتىٰ أمنوه ، ونزل على حكم عمر بن الخطاب أمير المؤمنين قال فبعث بهم أبو موسىٰ مع أنس الهرمزان وأصحابه ، فانطلقوا بهم حتىٰ قدموا علىٰ عمر ، قال فأرسل إليه أنس: ما ترىٰ في هؤلاء؟ أدخلهم عراة مكتفين ، أو آمرهم فيأخذون حليهم وبرمتهم قال: فأرسل إليه عمر ، لو أدخلتهم كما تقول عراة مكتفين لم يزيدوا علىٰ أن يكونوا أعلاجاً ، ولكن أدخلهم عليهم حليهم وبرمتهم حتىٰ يعلم المسلمون ما أفاء الله عليهم ، فأمرهم فأخذوا برمتهم وحليهم ودخلوا علىٰ عمر ، فقال الهرمزان لعمر: يا أمير المؤمنين قد علمت كيف كنا وكنتم إذ كنا على ضلالة جميعاً كانت القبيلة من قبائل العرب ترمي نشابة بعض أساورتنا فيهربون أرض البعيدة ، فلما هداكم الله فكان معكم لم نستطع أن نقاتله ، فرجع بهم أنس ، فلما أمسىٰ عمر أرسل إلىٰ أنس أن اغْدُ علي بأسراك اضرب أعناقهم فأتاه أنس فقال: والله يا عمر ما ذلك لك ، قال: ولم؟ قال: إنك قد قلت للرجل: تكلم فلابأس عليك ، قال: لتأتيني علىٰ هذا ببرهان أو لأسوأنك قال: فسأل أنس القوم جلساء عمر فقال: أما قال عمر للرجل (تكلم فلابأس عليك) قالوا: بلىٰ ، فكبر ذلك علىٰ عمر ، قال: أما رفع عمر يديه ـ فأخرجهم عني فسيرهم إلىٰ قرية قال له (دهلك) في البحر ، فلما توجهوا بهم رفع عمر يديه فقال: اللهم اكسرها بهم ، ثلاثاً ، فركبوا السفينة فاندقت بهم وانكسرت وكانت قريبة من الأرض فخرجوا ، فقال رجل من المسلمين: لو دعا أن يغرقهم لغرقوا ، ولكن إنما قال: (اكسرها بهم) قال: فأقرهم.

٣ ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٣/ ح ١٥٦٣): حدثنا يحيىٰ بن سعيد عن حبيب بن شهاب قال حدثني أبي قال: كنت أول من أوقد في باب تستر ورمىٰ الأشعري فصرع ، فلما فتحوها وأخذوا السبي أمرني علىٰ عشرة من قومي ونفلني برجل سوىٰ سهمي وسهم فرسي قبل الغنيمة.

٤ ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٣/ ح ١٥٦٦٤): حدثنا وكيع قال حدثنا شعبة عن مهزاهم عن خالد بن سيحان قال: شهدت تستر مع أبي موسى أربع أو خمس نسوة ، فكن يستقين الماء ويداوين الجرحىٰ فأسهم لهن أبو موسىٰ.

٥ ـ وأخرج (١٣/ ح ١٥٦٦٩): حدثنا عفان قال: حدثنا همام عن قتادة عن أنس أنه قال: شهدت فتح تستر مع الأشعري ، قال: فلم أصلّ صلاة الصبح حتىٰ انتصف النهار وما سرني بتلك الصلاة الدنيا جميعاً ، وأخرجه ابن خياط حدثنا ابن زريع عن سعيد عن قتادة عن أنس قال: . . . الخبر. وإسناده صحيح. (تأريخ خليفة ١٤٦).

٦ ـ وأخرج خليفة بن خياط في تأريخه قال: وحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: لما افتتح أبو موسىٰ عامة رامهرمز ثم سار أبو موسىٰ إلىٰ تُستر فأقام عليها ـ وهذا إسناد مرسل صحيح ـ (تأريخ خليفة/ ١٤٠).

=

٧ ـ وأخرج خليفة بن خياط قال: وحدثني علي عن قراد عن عثمان بن معاوية عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: أطافوا بالهرمزان فلم يخلصوا إليه حتىٰ أمنوه، ونزل علىٰ حكم عمر، فبعث به أبو موسىٰ وأصحابه إلىٰ عمر (تأريخ خليفة/ ١٤٧).

٨ ـ وأخرج البيهقي في سننه الكبرى (٩/ ٩٦) وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٥٢) عن أنس قال: بعث معي أبو موسىٰ بالهرمزان إلىٰ عمر، فجعل عمر يكلمه فلا يتكلم، فقال له: تكلم، قال: أكلام حي أم كلام ميت؟ قال: تكلم لابأس عليك (فذكر القصة....). فأراد قتله فقلت: لا سبيل إلىٰ ذلك! قد قلت له تكلم لابأس، فقال: من يشهد لك؟ فشهد لي الزبير بمثل ذلك فتركه فأسلم، وفرض له العطاء.

٩ ـ وأخرج البخاري (معلقاً) قال أنس: حضرت عند مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر ـ واشتد اشتعال القتال ـ فلم يقدروا علىٰ الصلاة، فلم نصل إلاّ بعد ارتفاع النهار، فصليناها ونحن مع أبي موسىٰ، ففتح لنا، وقال أنس: ما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما عليها (الفتح ٢/ ٥٠٣) ولقد سبق أن بينا من أوصل هذه الرواية بسند صحيح.

١٠ ـ ونسب الحافظ ابن حجر إلىٰ عمر بن شبة في كتابه أخبار البصرة عن قتادة قال: حدثني أنس بن مالك أنهم فتحوا تستر وهو يومئذ علىٰ مقدمة الناس وعبد الله بن قيس ـ يعني: أبا موسىٰ الأشعري ـ أميرهم (فتح الباري ٢/ ٥٠٤).

١١ ـ وأخرج البلاذري قال: حدثنا أبو عبيدة قال: حدثنا مروان بن معاوية عن حُميد عن أنس قال: حاصرنا تُستر فنزل الهرمزان فكنت الذي أتيت به إلىٰ عمر بعث أبي موسىٰ فقال له عمر: تكلم، فقال: أكلام حي أم كلام ميت؟ فقال: لابأس. فقال الهرمزان: كنا معشر العجم ما خلّىٰ الله بيننا وبينكم نقضيكم ونقتلكم، فلما كان الله معكم لم يكن لنا بكم يدان. فقال عمر: ما تقول يا أنس؟ قلت: تركت خلفي شوكة شديدة وعدواً كلباً فإن قتلته؛ يئس القوم من القوم فكان أشد لشوكتهم، وإن استحييته طمع القوم في الحياة. فقال عمر: يا أنس سبحان الله قاتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور السَّدوسي. قلت: فليس لك إلى قتله سبيل، قال: ولِمَ؟ أعطاك، أصبت منه؟ قلت: لا ولكنك قلت لا بأس، فقال: متىٰ؟ لتجيئن معك بمن شهد وإلاّ بدأت بعقوبتك، قال: فخرجت من عنده فإذا الزبير بن العوام قد حفظ الذي حفظت فشهد لي فخلّى سبيل الهرمزان فأسلم، وفرض له عمر.

مسألة ذكر الطبري لفتح تستر مرتين

تبين لنا فيما سبق أن الطبري ذكر فتح تستر مرتين ضمن أحداث سنة (١٧ هـ) ولو رجعنا إلىٰ بعض المصادر التأريخية الموثوقة لوجدنا أن بعض المؤرخين يؤكد أن المسلمين فتحوا تستراً ثم غدر أهلها بعهدهم ففتحها المسلمون مرة أخرىٰ:

فقد أخرج البلاذري قال: وحدثني إسحاق بن أبي إسرائيل قال: حدثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء الخراساني قال: كفيتك أن تستر كانت صلحاً فكفرت، فسار إليها =

= المهاجرون، فقتلوا المقاتلة، وسبوا الذراري، فلم يزالوا في أيدي سادتهم حتىٰ كتب عمر: خلّوا مافي أيديكم، قال: وسار أبو موسىٰ إلىٰ جند يسابور.... الخبر (فتوح البلدان/ ٥٣٧).

وأخرج ابن أبي شيبة (١٣/ ح ١٥٦٧٤): حدثنا عفان قال ثنا أبو عوانة قال حدثنا المغيرة عن سماك بن سلمة أن المسلمين لما فتحوا تستر وضعوا بها وضائع المسلمين وتقدموا لقتال عدوهم، قال: فغدر بهم دهقان تستر فأحمىٰ لهم تنوراً وعرض لهم لحم الخنزير، والحمير، أو التنور، قال: فمنهم من أكل فترك قال فعرض علىٰ نهيب بن الحارث الضبي فأبىٰ فوضع في التنور، قال: ثم إن المسلمين رجعوا فحاصروا أهل المدينة حتىٰ صالحوا الدهقان، فقال ابن أخ لنهيب لعمه: يا عماه! هذا قاتل نهيب، قال: يا بن أخي! إن له ذمة، قال سماك: بلغني أن عمر بلغه ذلك فقال يرحمه الله وما عليه لو كان أكل.

قلنا: وإسناد البلاذري (مرسل) وكذلك إسناد ابن أبي شيبة وقد ذكرناها في قسم الصحيح لأنها مراسيل متعددة المخارج وتفيد كلتاهما أن تستر فتحت ثم غدر أهلها، ثم فتحت، والله تعالىٰ أعلم.

ذكر فتح السويس

قال الطبري: اختلف أهل السير في أمرها، ثم ذكر الطبري ثلاث روايات تأريخية في فتح السويس الأولىٰ (٤/ ٨٩/ ٥٢٠) ضعيفة الإسناد جداً ولكن صح ما ورد فيها من أن أبا موسىٰ صالح أهل السويس بعد حصارها ولكن في الرواية هذه أموراً لا تتعلق بتفاصيل المعارك وإنما بشروط سياه (القائد الفارسي الذي أسلم) والمكاتبة التي جرت بين أبي موسىٰ وسيدنا عمر (رضي الله عنهما) في شأن تلك الشروط ولم نجد رواية صحيحة تؤيد ذلك فذكرناها في قسم الضعيف.

أما الرواية الثانية (٤/ ٩١/ ٥٢١) فإسنادها ضعيف وفي متنها غرابة ولم نجد في الروايات الصحيحة تأييداً لها.

أما الرواية الثالثة (٤/ ٩٢/ ٥٢٢) فإسنادها ضعيف جداً وفيها تفاصيل عن حياة دانيال لم نجدها في الروايات الصحيحة، ولكن عثور الجيش الفاتح علىٰ جثة دانيال فقد أخرجها ابن أبي شيبة (بدون هذه التفاصيل) كما سنذكر بعد قليل.

١ ـ فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ح١٥٦٦٧): حدثنا مروان بن معاوية عن حميد بن حبيب أبي يحيىٰ أن خالد بن زيد وكانت عينه أصيبت بالسوس: قال: حاصرنا مدينتها فلقينا (حميداً) وأمير الجيش أبا موسىٰ، وأخذ الدهقان عهده وعهد من معه، فقال أبو موسىٰ: اعزلهم فعزلهم وجعل أبو موسىٰ يقول لأصحابه: إني لأرجو أن يخدعه الله عن نفسه، فعزلهم وأبقىٰ عدو الله، فأمر به أبو موسىٰ فنادىٰ وبذل له مالاً كثيراً، فأبىٰ وضرب عنقه.

ذكر مصالحة المسلمين أهل جنديْ سابور

١٩٩/ ب ـ وحجّ بالناس في هذه السنة ـ أعني: سنة سبع عشرة ـ عمر بن الخطاب؛ وكان عامله على مكة عتّاب بن أسِيد، وعلى اليمن يعلَى بن أميّة، وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص، وعلى عُمان حذيفة بن مِحْصَن، وعلى الشام مَنْ قد ذكرت أسماءهم قبل، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقّاص، وعلى قضائها أبو قُرّة، وعلى البصرة وأرضها أبو موسى الأشعريّ ـ وقد ذكرت فيما مضى الوقتَ الذي عزل فيه عنها، والوقت الذي ردّ فيه إليها أميراً، وعلى القضاء ـ فيما قيل ـ أبو مريم الحنفيّ، وقد ذكرت مَنْ كان على الجزيرة والموصل قبلُ. (٤: ٩٤/ ٩٥).

ـ ثم دخلت سنة ثماني عشرة ـ

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ثَماني عشرة

١٩٩/ جـ ـ قال أبو جعفر: وفي هذه السنة ـ أعني: سنة ثماني عشرة ـ أصابت الناسَ مجاعةٌ شديدة ولَزْبة، وجُدوب وقحوط؛ وذلك هو العام الذي يسمَّى عام الرّمَادة. (٤: ٩٦).

= قلنا: وفي رواية ابن أبي شيبة هذه تصحيف كما تبين من مراجعة الرواية عند البلاذري إذ قال: حدثني أبو عبيد القاسم بن سلاّم قال: حدثنا مروان بن معاوية عن حميد الطويل عن حبيب عن خالد بن زيد المزني، وكانت عينه أصيبت بالسوس، قال: حاصرنا مدينتها وأميرنا أبو موسىٰ فلقينا جهداً ثم صالحه دهقانها علىٰ أن يفتح له المدينة.... الخبر (فتوح البلدان/ ٥٣٣) وبهذا يتبين لنا: أن لفظه (فلقينا حميداً) في رواية ابن أبي شيبة تصحيف الصواب (فلقينا جهداً) والله أعلم.

٢ ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ح ١٥٦٦٥): حدثنا عفان قال: حدثنا همام عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفىٰ عن مطرف بن مالك: أنه قال: شهدت فتح تستر مع الأشعري، قال: فأصبنا دانيال بالسوس وكذلك أخرج ابن أبي شيبة الرواية الأولى (١٣/ ح ١٥٦٦٧) من طريق آخر فقال (١٣/ح ١٥٦٦٨): حدثنا أبو خالد عن حميد عن حبيب أبي يحيىٰ عن خالد بن زيد عن أبي موسىٰ بنحوه:

أما خليفة بن خياط فقد ذكر فتح السوس ضمن أحداث سنة (١٨ هـ) فقال: وفيها افتتح جُند يسابور والسوس صلحاً صالحهم أبو موسىٰ ثم رجع إلىٰ الأهواز (تأريخ خليفة/ ١٤٠).

ذكر القحط وعام الرمادة

١٩٩/ د ـ حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق ، قال : دخلت سنة ثماني عشرة ، وفيها كان عام الرّمادة وطاعون عَمَواس ، فتفانَى فيها الناس(١) . (٤ : ٩٦) .

٢٠٠ ـ وحدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال : حُدّثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : كانت الرّمادة سنة ثماني عشرة ، قال : وكان في ذلك العام طاعون عَمَواس(٢) . (٤ : ٩٦) .

٢٠١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الرّبيع بن النعمان وأبي المجالد جراد بن عمرو وأبي عثمان يزيد بنِ أسيد الغَسّانيّ ، وأبي حارثة مُحْرِز العَبْشميّ بإسنادهم ، ومحمد بن عبد الله عن كُريب ، قالوا : أصابت الناس في إمارة عمر رضي الله عنه سَنَةٌ بالمدينة وما حولها ، فكانت تَسْفي إذا رِيحَت تراباً كالرماد ، فسمّيَ ذلك العامُ عامَ الرّمادة ، فآلى عمر ألاّ يذوقَ سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا الناس من أوّل الحيا ، فكان بذلك حتى أحيا الناسُ من أوّل الحيا ، فقدمت السوقَ عُكّة من سمن ووطْب من لبن؛ فاشتراهما غلام لعمر بأربعين ، ثم أتى عمر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ! قد أبرَّ الله يمينك ، وعظّم أجرك ، قدم السوق وطْب من لبن وعُكة من سمن ، فابتعتها بأربعين ، فقال عمر : أغليتَ بهما ، فتصدّقْ بهما ، فإنّي أكره أن آكل إسرافاً ، وقال عمر : كيف يعنيني شأن الرعّية؛ إذا لم يمسَسْنِي ما مسّهم!(٣) (٤ : ٩٨) .

---

(١) إسناده ضعيف وهو صحيح كما ذكرنا في قسم الصحيح في أحداث سنة (١٧ هـ) عند الحديث عن طاعون عمواس .

(٢) إسناده ضعيف ويتقوى بما قبله وما قد ذكرناه في قسم الصحيح (أحداث سنة ١٧ هـ) والله أعلم .

(٣) إسناده ضعيف ولكن قصة عام الرمادة والقحط الذي أصاب المسلمين بالمدينة زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الصحيح كما هو معلوم :
١ ـ فقد أخرج البخاري عن أبي الأسود قال : أتيت المدينة وقد وقع بها مرض وهم يموتون موتاً ذريعاً ، فجلست إلىٰ عمر رضي الله عنه فمرت جنازة. . . الحديث (فتح الباري ٥/٢٩٩) .

قال أبو جعفر: وقال بعضهم: وفي هذه السنة استقضى عمر شُرَيح بن الحارث الكِنديّ على الكوفة، وعلى البصرة كعب بن سُور الأزديّ.

قال: وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه.

وكانت وُلاته في هذه السنة على الأمصار الوُلاةَ الذين كانوا عليها في سنة سبع عشرة[1] (٤: ١٠١).

= وأخرج البخاري أيضاً في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقىٰ بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون. (فتح الباري ٣/ ٥٧٤).

وكذلك نسب الحافظ في الفتح (٢: ٥٧٧) إلىٰ الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع ذلك فأخرج (أي الزبير) بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلاّ بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك بمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتىٰ أخصبت الأرض وعاش الناس) ا هـ.

٢ ـ وأخرج ابن شبة في كتاب (أخبار المدينة المنورة ٦/ ٢/ ٣٠٥): عن عبد الله بن عمر: أن عمر رضي الله عنه قام عام الرمادة وكانت سنة شديدة فقال بعدما أجهد في إمداد العرب بالإبل بالقمح والزيت من الأرياف كلها بلحت الأرياف مما جهدها فقام عمر رضي الله عنه فقال: اللهم اجعل رزقهم في رؤوس المطر آية، فاستجاب الله له وللمسلمين، فأغاث عباده، فقال عمر رضي الله عنه حين أنزل الله الغيث: الحمد لله فوالله لو لم يفرجها الله ما تركت أهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلت عليهم أعدادهم من الفقراء فلم يكن اثنان ليهلكا من الطعام على ما يقيم واحداً.

وقال الشيخ الدويش في الحاشية: رواه البخاري في الأدب المفرد وإسناده صحيح.

٣ ـ وأخرج ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٦) وابن شبة في أخبار المدينة المنورة (٦/ ٢/ ٣٠٩) عن أنس رضي الله عنه قال: خلا الطعام بالمدينة فجعل عمر رضي الله عنه يأكل الشعير فجعل بطنه يصوّت فضرب بيده علىٰ بطنه وقال: والله ما هو إلاّ ما ترىٰ حتى يوسع الله على المسلمين، وصحح الدويش إسناده.

(١) قلنا: أما حجاته فسنتحدث عنها في نهاية سيرته رضي الله عنه، وأما عن توليته شريح القضاء في عهد سيدنا عمر فقد أخرج النسائي في سننه (٨/ ٢٣١) عن شريح أن عمر كتب إليه: اقض بما في كتاب الله فإن لم يكن فبما في سنة رسول الله، فإن لم يكن فبما قضى به الصالحون فإن لم يكن فإن شئت فتقدم وإن شئت فتأخر، ولا أرى التأخير إلا تأخيراً. والخبر في كتاب أخبار القضاة (٢/ ١٩٠).

وذكر الحافظ في الفتح من رواية الشيباني عن عامر الشعبي عن شريح (الفتح ١٣/ ٣٠١).

ثم دخلت سنة تسع عشرة

ذكر الأحداث التي كانت في سنة تسع عشرة

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه.

وكان عمّاله على الأمصار وقضاته فيها الولاة والقضاة الذين كانوا عليها في سنة ثماني عشرة. (٤ : ١٠٣).

ثم دخلت سنة عشرين[١]

ذكر الخبر عن فتحها وفتح الإسكندرية

٢٠٢ـ قال أبو جعفر: قد ذكرنا اختلافَ أهل السِّيَر في السنة التي كان فيها فتح مصر والإسكندرية، ونذكر الآن سبب فتحهما، وعلى يديْ مَن كان؛ على ما في ذلك من اختلاف بينهم أيضاً؛ فأما ابنُ إسحاق فإنه قال في ذلك ما حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة عنه: أنّ عمر رضي الله عنه حين فرغ من الشام كلّها كتب إلى عمر بن العاص أن يسير إلى مصر في جُنده، فخرج حتى فتح باب اليون في سنة عشرين[٢]. (٤ : ١٠٤).

٢٠٣ ـ حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، قال: وحدّثني القاسم بن قُزْمان ـ رجل من أهل مصر ـ عن زياد بن جَزْء الزُّبيديّ: أنه حدّثه أنه كان في جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر والإسكندرية، قال: افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر بن الخطاب في سنة إحدى وعشرين ـ أو سنة اثنتين وعشرين ـ قال: لما افتتحنا باب اليُون تدنّينا قُرى الرّيف فيما بيننا وبين

---

(١) ذكر الطبري عدة روايات ضعيفة في تحديد السنة التي فتحت فيها مصر ولقد ذهب خليفة بن خياط والبلاذري وأبو معشر ومحمد بن إسحاق والواقدي أنها كانت سنة (٢٠ هـ) ونحن نرجح هذا القول الذي خالفه سيف بن عمر إذ قال: إنها فتحت سنة (١٦ هـ) ومعلوم أن الإسكندرية كانت بعدها، واختلفوا في ذلك فمنهم من قال: (٢٠) هـ أو (٢١) هـ، ومنهم من قال: سنة (٢٥) هـ والله تعالى أعلم. والأرجح أنها كانت في خلافة سيدنا عمر، وكان على رأس الجيش عمرو بن العاص وتحت إمرته الزبير وغيره رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) إسناده معضل وله ما يؤيده كما سنذكر بعد قليل.

الإسكندرية قريةً فقريةً؛ حتى انتهينا إلى بَلْهيب ـ قرية من قرى الريف ، يقال لها: قرية الريش ـ وقد بلغت سبايانا المدينة ومكّة واليمن.

قال: فلما انتهينا إلى بَلْهيب؛ أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن العاص: إني قد كنت أخرِج الجزية إلى من هو أبغض إليّ منكم معشر العرب لفارس والروم ، فإن أحببتَ أن أعطيَك الجزية على أن تردّ عليّ ما أصبتم مِن سَبايا أرضِي؛ فعلتُ.

قال: فبعث إليه عمرو بن العاص: إنّ ورائي أميراً لا أستطيع أن أصنع أمراً دونه ، فإن شئتَ أن أمسِك عنك وتُمسِك عنِّي حتى أكتب إليه بالذي عرضتَ عليّ ، فإن هو قبِل ذلك منك قبلتُ ، وإن أمرني بغير ذلك مضيتُ لأمره. قال: فقال: نعم. قال: فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ـ قال: وكانوا لا يُخفون علينا كتاباً كتبوا به ـ يذكر له الذي عرض عليه صاحب الإسكندرية. قال: وفي أيدينا بقايَا من سَبْيهم. ثم وقفنا ببَلْهيب؛ وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا؛ فقرأه علينا عمرو وفيه: أما بعد: فإنه جاءني كتابك تذكر: أنّ صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيَك الجزية على أن تردّ عليه ما أصيب من سبايا أرضه؛ ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحبُّ إليّ من فيء يقسَم ، ثم كأنّه لم يكن؛ فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيَك الجِزْية ، على أن تُخيّروا مَنْ في أيديكم من سَبْيهم بين الإسلام وبين دين قومه؛ فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين؛ له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومَن اختار دين قومه ، وُضع عليه من الجزية ما يوضَع على أهل دينه ، فأما مَن تفرّق من سبيِهم بأرض العرب فبلغ مكّة والمدينة واليمن فإنا لا نقدر على ردّهم ، ولا نحبّ أن نصالحه على أمر لا نَفِي له به. قال: فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين. قال: فقال: قد فعلتُ. قال: فجمعنا ما في أيدينا من السبَايا ، واجتمعت النصارى ، فجعلنا نأتي بالرّجل ممن في أيدينا ، ثمّ نخيّره بين الإسلام وبين النصرانيّة؛ فإذا اختار الإسلام كبّرنا تكبيرة هي أشدّ من تكبيرنا حين تُفتح القرية؛ قال: ثم نحوزه إلينا ، وإذا اختار النصرانيّة نخرت النصارى ، ثم حازوه إليهم ، ووضعنا عليه الجِزْية ، وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً؛ حتى كأنّه رجل خرج منا إليهم. قال: فكان ذلك الدَّأب حتى فرغنا

منهم ، وقد أتِي فيمن أتينا به بأبي مريم عبد الله بن عبد الرحمن ـ قال القاسم: وقد أدركته وهو عَرِيف بني زُبَيد ـ قال: فوقفناه ، فعرضنا عليه الإسلام والنصرانيّة ـ وأبوه وأمه وإخوته في النصارى ـ فاختار الإسلام ، فحزناه إلينا ، ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا ، حتى شقَقوا عليه ثيابه ، ثم هو اليومَ عريفنا كما ترى. ثم فتحت لنا الإسكندرية فدخلناها ، وإنّ هذه الكُناسة التي ترى يا بن أبي القاسم لَكُناسة بناحية الإسكندرية حولها أحجار كما ترى ، ما زادت ولا نقصت ، فمن زعم غير ذلك: أنّ الإسكندرية وما حولها من القرى لم يكن لها جزية ولا لأهلها عهد؛ فقد والله كذب ! قال القاسم: وإنما هاج هذا الحديثَ أن ملوك بني أميّة كانوا يكتبون إلى أمراء مصر: أنّ مصر إنما دخلت عَنْوة؛ وإنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا ، ونضع ما شئنا[1]. (٤ : ١٠٥/١٠٦).

---

(١) إسناده ضعيف وله ما يؤيده كما سنذكر.

شواهد قصة فتح مصر والإسكندرية

١ ـ أخرج البلاذري قال: وحدثني عمرو الناقد عن عبد الله بن وهب المصري عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن المغيرة بن أبي بُرْدة عن سفيان بن وهب الخولاني قال: لمّا فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير فقال: اقسمها يا عمرو فأبى فقال الزبير: والله لتقسمنها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر ، فكتب إلى عمر في ذلك فكتب إليه عمر أقرّها حتى يغزو منها حَبَلُ الحبلة. (فتوح البلدان/ ٣٠٠) وهذا الإسناد وإن كان فيه ابن لهيعة فهو من رواية عبد الله بن وهب عنه وروايته عن ابن لهيعة حسنة ، والله أعلم.

وقال البلاذري عقب هذه الرواية: قال: وقال عبد الله بن وهب وحدثني ابن لهيعة عن خالد بن ميمون عن عبد الله بن المغيرة عن سفيان بن وهب بنحوه (فتوح البلدان/ ٣٠٠).

٢ ـ وأخرج البلاذري قال: وحدثني إبراهيم بن مسلم الخوارزمي عن عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي فراس عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: اشتبه على الناس أمر مصر فقال قوم : فتحت عنوة وقال آخرون: فتحت صلحاً ، والثَّلْج في أمرها أن أبي قدمها فقاتله أهل اليونة ففتحها قهراً وأدخلها المسلمون وكان الزبير أولّ من علا حصنها فقال صاحبها لأبي: إنه قد بلغنا فعلكم بالشام ، ووضعكم الجزية على النصارى واليهود وإقراركم الأرض في أيدي أهلها ، يعمرونها ويؤدون خراجها ، فإن فعلتم بنا مثل ذلك كان الردّ عليكم من قتلنا وسبينا وإجلائنا ، قال: فاستشار أبي المسلمين فأشاروا عليه أن يفعل ذلك ، إلا نفر منهم سألوا أن يقسم الأرض بينهم فوضع على كل حالم دينارين جزية إلاّ أن يكون فقيراً ، وألزم كل ذي أرض مع الدينارين ثلاثة أرداب حنطة ، وقسطي زيت وقسطي عسل ، وقسطي خل رزقاً للمسلمين . . . إلخ. وفي آخر الرواية: وكتب عليهم =

= بذلك كتاباً وشرط لهم إذا وفوا بذلك أن لاتباع نساؤهم وأبناؤهم ولا يُسْبوا ، وأن تُقرّ أموالهم وكنوزهم في أيديهم ، فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر فأجازه ، وصارت الأرض أرض خراج ، إلاّ أنه لما وقع هذا الشرط والكتاب ظن بعض الناس أنها فتحت صلحاً.

قال: ولما فرغ ملك اليونة من أمر نفسه ومن معه في مدينته صالح عن جميع أهل مصر على مثل صلح اليونة . . . إلخ. (فتوح البلدان/ ٣٠٢).

٣ ـ وأخرج البلاذري قال: وحدثني بكر بن الهيثم عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي علاقة عن عقبة بن عامر الجهني قال: كان لأهل مصر عهد وعقد كتب لهم عمرو أنهم آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وأولادهم لا يباع منهم أحد ، وفرض عليهم خراجاً لا يزيد عليهم وأن يدفع عنهم خوف عدوهم ، قال عقبة: وأنا شاهد على ذلك (فتوح البلدان/ ٣٠٦).

٤ ـ وأخرج البلاذري قال: وحدثني عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن ابن أنعم عن أبيه عن جده وكان ممن شهد فتح مصر قال: فتحت مصر عنوة بغير عهد ولا عقد (فتوح البلدان/ ٣٠٨).

قلنا: وإذا أخذنا بعين الاعتبار قول عبد الله بن عمرو بن العاص في رواية البلاذري (فتوح البلدان/ ٣٠٢) إلاّ أنه لما وقع هذا الشرط والكتاب ظنّ بعض الناس أنها فتحت صلحاً. اهـ.

قلنا: فلا اختلاف حقيقي بين هذه الروايات المتباينة ظاهراً والله أعلم.

٥ ـ وأخرج ابن خياط في أحداث سنة عشرين للهجرة قال: حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده وعبد الله بن مغيرة عن أبيه وغيرهم أن عمر كتب إلى عمرو بن العاص أن سر إلى مصر فسار ، وبعث عمر الزبير بن العوام مدداً له ومعه عمير بن وهب الجمحي وبسر بن أرطأة العامري وخارجة بن حذافة ، حتى أتى باب أليون فامتنعوا ففتحها عنوة وصالحه أهل الحصن ، وكان الزبير أول من ارتقى سور المدينة ثم اتبعه الناس بعد ، وكلم الزبير بن العوام عمراً أن يقسمها بين من افتتحها فكتب عمرو إلى عمر فكتب عمر أكلة وأكلات خير من إفرازها (تأريخ خليفة/ ١٤٢) وذكر الذهبي هذه الرواية في تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين ولكن بلفظة: (أكلة وأكلات خير من أكلة أقرّوها) ـ وإسناد خليفة هذا إسناد مرسل ولكن يتقوى بما ذكرنا قبله والله أعلم.

٦ ـ وأخرج خليفة ضمن أحداث سنة (٢١) هـ قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن عن عبد الله بن وهب قال: نا حرملة بن عمران أن أبا تميم حدّثه: أنه شهد فتح الإسكندرية الآخرة وعليهم عمرو بن العاص (تأريخ خليفة/ ١٥٠).

٧ ـ وأخرج الكندي قال: حدثنا محمد بن زبّان بن حبيب الحضرمي ، أخبرنا الحارث بن

٢٠٣/ أ ـ قال: وقال الواقديّ: وفي هذه السنة عَزَل قدامةَ بن مظعون عن البحرين، وحَدّه في شرب الخمر.

وفيها استعمل عُمر أبا هريرة على البحرين واليمامة[1]. (٤: ١١٢).

٢٠٣/ ب ـ وفيها قسم عمر خيبرَ بين المسلمين، وأجلَى اليهود منها؛ وبعث أبا حبيبة إلى فَدَك فأقام لهم نصف...، فأعطاهم؛ ومضى إلى وادي القرى فقسمها.

وفيها أجْلى يهودَ نَجْران إلى الكُوفة فيما زعم الواقديّ[2]. (٤: ١١٢).

= مسكين قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص قدم مصر بثلاثة آلاف وخمسمئة ثُلُثهم من غامق ثم مُدَّ بالزبير بن العوام اثني عشر ألفاً (ولاة مصر/ ٣٢) وهذا إسناد مرسل.

(١) قلنا: لا يخفى علينا أن الواقدي متروك إلاّ أن لما قاله هنا من حدّ قدامة وعزله وتولية أبي هريرة أصل، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عامر بن ربيعة: أن عمر استعمل قدامة بن مظعون على البحرين وكان شهد بدراً، وهو خال عبد الله بن عمر وحفصة رضي الله عنهم (فتح الباري ٧/ ٣٧١).

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه (٩/ ٢٤٠) فقدم الجارود العقدي على عمر فقال: إن قدامة سكر، فقال: من يشهد معك؟ فقال: أبو هريرة. فشهد أبو هريرة أنه رآه سكران يقيء، فأرسل إلى قدامة، فقال له الجارود: أقم عليه الحد. فقال له عمر: أخصم أنت أم شاهد؟ فصمت ثم عاوده فقال: لتمسكن أو لأسوءنك. فقال: ليس في الحق أن يشرب ابن عمك وتسوءني. فأرسل عمر إلى زوجته هند بنت الوليد فشهدت على زوجها، فقال عمر لقدامة: إني أريد أن أحدك. فقال: ليس لك ذلك لقول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ فقال: أخطأت التأويل فإن بقية الآية ﴿ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ ﴾ فإنك إذا اتقيت اجتنبت ما حرّم الله عليك ثم أمر فجلد ففاضه قدامة ثم حجّوا جميعاً فاستيقظ عمر من نومه فزعاً، فقال: عجلوا بقدامة، أتاني آت فقال: صالح قدامة فإنه أخوك، فاصطلحا. اهـ.

وصحح الحافظ إسناد هذه الرواية في الفتح (٧/ ٣٧٢).

(٢) قلنا: أما تحديد السنة بالضبط فلا نستطيع الترجيح ولكن إجلاء اليهود من جزيرة العرب وقسمة خيبر وفدك فصحيح فقد أخرج البخاري عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيباً فقال: إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أموالهم وقال: نقركم ما أقركم الله وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ما له هناك فعدي عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين! أتخرجنا =

٢٠٣/ جـ ـ قال الواقديّ: وفيها مات أسَيْد بن الحُضَير في شعبان.

وفيها ماتت زينب بنت جحش[1]. (٤: ١١٣).

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

٢٠٣/ د ـ قال أبو جعفر: وفيها كانت وقعة نِهاوَنْد في قول ابن إسحاق؛ حدّثنا بذلك ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة عنه.

وكذلك قال أبو معشر؛ حدّثني بذلك أحمدُ بن ثابت عمّن ذكره، عن

= وقد أقرنا محمد ﷺ وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا، فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول الله ﷺ: كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قِلاصُك ليلة بعد ليلة؟ فقال: كان ذلك هزيلة من أبي القاسم. فقال: كذبت يا عدو الله، فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك (الفتح ٥/ ٣٨٥).

ثم يذكر الحافظ في الفتح سببين لإجلاء عمر رضي الله عنه يهود خيبر عن الجزيرة. والأول هو قوله عليه الصلاة والسلام: لا يجتمع بجزيرة العرب دينان.

والآخر قول عثمان بن محمد الأخنسي: لما كثر العيال في أيدي المسلمين وقووا على العمل في الأرض أجلاهم عمر ونسبه إلى عمر بن شبة في أخبار المدينة المنورة.

قلنا: وفي رواية لمسلم صحيحة (٣/ ١١٨٧) حتى أجلاهم إلى تيماء وأريحاء. ورواية مسلم هذه عند البخاري بلفظ مختلف وفي آخرها: فقال لهم رسول الله ﷺ: نقركم بها على ذلك (ما شئنا) فقروا بها حتى أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء (فتح الباري ٥/ ٢٦).

وقد أخرج البيهقي في سننه الكبرى (٦/ ١٣٥) عن عمر بن عبد العزيز مرسلاً: لما استخلف عمر أجلى أهل نجران وأهل فدك وتيماء وأهل خيبر واشترى عقارهم وأموالهم... إلخ.

وكذلك أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٥٥٠) مرسلاً عن يحيى بن سعيد أن عمر أجلى أهل نجران واليهود والنصارى واشترى بياض أرضهم وكرومهم.

وذكر الحافظ في الفتح (٥/ ١٦) هاتين الروايتين المرسلتين وقال عقبهما: فيتقوى أحدهما بالآخر.

(١) قلنا: وكذلك اختار الذهبي ذلك فذكره فيمن توفوا سنة (٢٠ هـ) (عهد الخلفاء/ ٢٠٦) وانظر الوفيات لابن قنفذ (٤٨/ ٢٠) (الإصابة ١/ ٤٩/ت ١٨٥) (تأريخ خليفة/ ٧٧).

وذكر الذهبي كذلك زينب بنت جحش فيمن توفوا في هذه السنة (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ٢١١).

وانظر تأريخ خليفة (١٤٩) والوفيات لابن قنفذ (٣٣/ ٢٠) (الإصابة ٤/ ٣١٤).

إسحاق بن عيسى ، عنه .

وكذلك قال الواقديّ . (٤ : ١١٤)[(١)]

---

(١) الأخبار الصحاح والحسان في خبر فتح نهاوند بقيادة النعمان

١ ـ أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٥٦٤٠): حدثنا عفان قال: ثنا حماد بن سلمة قال: أخبرنا أبو عمران الجوني عن علقمة بن عبد الله المزني عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان في فارس وأصبهان وآذربيجان فقال: أصبهان الرأس ، وفارس وأذربيجان الجناحان ، فإن قطعت أحد الجناحين مال الرأس بالجناح الآخر ، وإن قطعت الرأس وقع الجناحان ، فابدأ بالرأس ، فدخل المسجد فإذا هو بالنعمان بن مقرن يصلي ، فقعد إلى جنبه فلما قضى صلاته قال: ما أراني إلا مستعملك قال: أما جابياً فلا ، ولكن غازياً ، قال: فإنك غازٍ ، فوجهه وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه ، قال: ومعه الزبير بن العوام وعمرو بن معديكرب وحذيفة وابن عمر والأشعث بن قيس ، قال: فأرسل النعمان المغيرة بن شعبة إلى ملكهم وهو يقال له: ذو الجناحين ، فقطع إليهم نهرهم فقيل لذي الجناحين: إن رسول العرب هاهنا ، فشاور أصحابه فقال: ما ترون؟ أقعد له في بهجة الملك وهيئة الملك أو في هيئة الحرب؟ قالوا: لا بل اقعد له في بهجة الملك. فقعد على سريره ووضع التاج على رأسه وقعد أبناء الملوك سماطين عليهم القرطة وأساور الذهب والديباج ، قال: فأذن للمغيرة فأخذ بضبعه رجلان ومعه رمحه وسيفه قال: فجعل يطعن برمحه في بسطهم يخرقها ليتطيروا حتى قام بين يديه ، قال: فجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما: إنكم معشر العرب أصابكم جوع وجهد فجئتم ، فإن شئتم مرناكم ورجعتم ! قال: فتكلم المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنا معشر العرب كنا أذلة يطؤوننا ولا نطؤهم ونأكل الكلاب والجيفة وأن الله ابتعث منا نبياً في شرف منا ، أوسطنا حسباً وأصدقنا حديثاً ، قال: فبعث النبي ﷺ بما بعثه به ، فأخبرنا بأشياء وجدناها كما قال ، وأنه وعدنا فيما وعدنا أنا سنملك ما هاهنا ونغلب ، وأني أرى هاهنا نبرة وهيئة ما من خلفي بتاركها حتى يصيبها ، قال: فقالت لي نفسي لو جمعت جراميزك فوثبت فقعدت مع العلج على سريره حتى يتطير ، قال: فوثبت وثبة فإذا أنا معه على سريره ، فجعلوا يطؤوني بأرجلهم ويجروني بأيديهم فقلت: إنا لا نفعل هذا برسلكم فإن كنت عجزت أو استحمقت فلا تؤاخذوني ، فإن الرسل لا يفعل بهم هذا ، فقال الملك: إن شئتم قطعنا إليهم. فسلسلوا كل خمسة وستة وعشرة في سلسلة حتى لا يفروا ، فعبرنا إليهم فصاففناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا ، فقال المغيرة للنعمان: إنه قد أسرع في الناس ، قد خرجوا ، قد أسرع فيهم؛ فلو حملت؟ قال النعمان: إنك لذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله ﷺ ولكن شهدت مع رسول الله ﷺ ، فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وتنزل النصر ، ثم قال: إني هاز لوائي ثلاث هزات ، فأما أول هزة فليقض الرجل حاجته وليتوضأ وأما الثانية فلينظر الرجل =

= إلى شعبه ويرمّ من سلاحه ، فإذا هززت الثالثة فاحملوا ، ولا يلوين أحد على أحد ، وإن قتل النعمان فلا يلوين عليه أحد ، وإني داعي الله بدعوة فأقسمت على كل امرىء مسلم لما أمّن عليها، فقال: اللهم ارزق النعمان اليوم الشهادة في نصر وفتح عليهم. قال: فأمن القوم ، وهز لواءه ثلاث هزات ثم قال: سل درعه ثم حمل وحمل الناس ، قال وكان أول صريع قال فأتيت عليه فذكرت عزمته فلم ألو عليه وأعلمت علماً حتى أعرف مكانه ، قال: فجعلنا إذا قتلنا الرجل شغل عنا أصحابه قال: ووقع ذو الجناحين عن بغلة له شهباء فانشق بطنه ، ففتح الله على المسلمين ، فأتيت مكان النعمان وبه رمق فأتيته بأداوة فغسلت عنه وجهه فقال: من هذا؟ فقلت معقل بن يسار ، قال: ما فعل الناس؟ قلت: فتح الله عليهم ، قال: لله الحمد ، اكتبوا ذلك إلى عمر ، وفاضت نفسه ، واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس قال: فأرسلوا إلى أم ولده: هل عهد إليك النعمان عهداً ، أم عندك كتاب؟ قال: سفط فيه كتاب ، فأخرجوه فإذا فيه: إن قتل النعمان ففلان ، وإن قتل فلان ففلان ، قال حماد: قال علي بن زيد فحدثنا أبو عثمان قال: ذهبت بالبشارة إلى عمر فقال: ما فعل النعمان؟ قلت: قتل. قال: ما فعل فلان؟ قلت: قتل ، قال: ما فعل فلان؟ قلت: قتل. فاسترجع ، قلت: وآخرون لا نعلمهم ، قال: لا نعلمهم لكن الله يعلمهم وإسناده حسن وإن كان فيه حماد بن سلمة وفيه مقال إلّا أن روايته هذه ليست في الأصول ولها ما يشهد لها عند البخاري وغيره كما سنذكر إن شاء الله تعالى.

والرواية هذه ذكرها الهيثمي في المجمع وقال: أخرجه الطبراني [مجمع الزوائد ٦/ ٢١٥] وكذلك أخرجه خليفة بن خياط مختصراً عن رواية ابن شيبة والطبراني من طريق موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا أبو عمران الجوني عن علقمة بن عبد الله المزني عن معقل بن يسار أن عمر شاور الهرمزان في أصبهان وفارس وأذربيجان .... الخبر (تأريخ خليفة ١٤٨ ـ ١٤٩) والبلاذري في (فتوح البلدان/ ٤٢٥) عن معقل بن يسار.

٢ - وأخرج البخاري في صحيحه عن جبير بن حية قال: بعث عمر الناس في أفناء الأمصار يقاتلون المشركين ، فأسلم الهرمزان فقال: إني مستشيرك في مغازيّ هذه ، قال: نعم مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له رأس وله جناحان وله رجلان ، فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس ، فإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس. وإن شدخ الرأس ذهبت الرجلان والجناحان والرأس. فالرأس كسرى والجناح قيصر والجناح الآخر فارس. فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى. وقال بكر وزياد جميعاً عن جبير بن حية قال: فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدوّ ، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً ، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم. فقال المغيرة: سل عمّا شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد. نمص الجلد والنوى من الجوع. =

ونلبس الوبر والشعر. ونعبد الشجر والحجر فبينما نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضين ـ تعالى ذكره وجلت عظمته ـ إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه ، فأمرنا نبينا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده ، أو تؤدوا الجزية ، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ، ومن بقي منا ملك رقابكم (فتح الباري ٦/٢٩٨).

٣ ـ وأخرج البلاذري في فتوح البلدان (٤٢٧) وخليفة بن خياط في (تأريخه/١٤٧) أما البلاذري فقال: وحدثنا القاسم بن سلّام قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن النهاس بن قهم عن القاسم بن عوف عن أبيه عن السائب بن الأقرع أو عن عمر بن السائب عن أبيه شك الأنصاري.

وأما خليفة فقد قال: حدثنا الأنصاري قال: نا النهاس بن قهم بن عوف عن أبيه عن رجل عن السائب بن الأقرع قال: ثم ذكر الخبر وأوله: زحف إلى المسلمين زحف لم يُرَ مثله ، فذكر حديث عمر فيما همّ به من الغزو بنفسه وتوليته النعمان ابن مقرن ، وأنه بعث إليه بكتابه مع السائب وولّى السائب الغنائم ، وقال: لا ترفعن باطلاً ولا تحبسن حقاً ثم ذكر الواقعة ، قال: فكان النعمان أول مقتول يوم نهاوند ، ثم أخذ حذيفة الراية ، ففتح الله عليهم ، قال السائب: فجمعت تلك الغنائم ثم قسمتها ، ثم أتاني ذو العوينتين ، فقال: إن كنز النخير خان في القلعة ، قال فصعدتها فإذا أنا بسفطين فيهما جوهر لم أر مثله قط ، قال: فأقبلت إلى عمر وقد راث عنه الخبر وهو يتطوف المدينة ويسأل ، فلما رآني قال: ويلك ما وراءك فحدثته بحديث الوقعة ومقتل النعمان وذكرت له شأن السفطين ، فقال: اذهب بهما فبعهما ثم اقسم ثمنهما بين المسلمين فأقبلت بهما إلى الكوفة فأتاني شاب من قريش يقال له: عمرو بن حريث فاشتراهما بأعطية الذرية والمقاتلة ، ثم انطلق بأحدهما إلى الحيرة فباعه بما اشتراهما به منيّ وفضل الآخر فكان ذلك أول لهوة مال أتخذه.

واللفظ للبلاذري وفي رواية خليفة بعض الاختلاف في ذكر التفاصيل وفيها: زحف لهم أهل ماه وأهل أصبهان وأهل همذان وأهل الري وأهل قومس وأهل أذربيجان وأهل نهاوند فبلغ عمر الخبر فشاور المسلمين فاختلفوا ، ثم قال علي: يا أمير المؤمنين! ابعث إلى أهل الكوفة فليسر ثلثاهم وتدع ثلثهم في حفظ ذراريهم وتبعث إلى أهل البصرة. فقال: أشيروا عليّ من أستعمل عليهم؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين أنت أفضلنا رأياً وأعلمنا بأهلك. فقال: لأستعملن عليهم رجلاً يكون لأول أسنة يلقاها . . . وفي آخر الرواية: ثم التقوا يوم الجمعة فأقبل النعمان بن مقرن على يزيد بن أحوى قريب من الأرض يقف على أهل كل راية فيخطبهم ويحضهم ويقول: إن هؤلاء القوم قد أخطروا لكم خطراً وأخطرتم لهم خطراً عظيماً ، أخطروا لكم جواليق ورثة وأخطرتم لهم الإسلام وذراريكم فلا أعرفن رجلاً وكل قرنه إلى غيره ؛ فإن ذلك لؤم ولكن شغل كل رجل منكم قرنه ، إني هاز الراية فليومَّ كل رجلٍ

= منكم من ضيعته وليتيسّر ثم هازها الثانية فليقف كل رجل منكم موقفه ، ثم هاز الثالثة فحامل فاحملوا على بركة الله ، ولا يلتفت أحد منكم ، فكان النعمان أول قتيل ، وأخذ حذيفة الراية ففتح الله عليهم (تأريخ خليفة/ ١٤٨).

٤ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ح ١٥٦٣٦) حدثنا أبو أسامة قال: ثنا إسماعيل عن قيس بن أبي حازم عن مدرك بن عوف الأحمسي قال: بينا أنا عند عمر إذ أتاه رسول النعمان بن مقرن ، فسأله عمر عن الناس قال فذكروا عند عمر من أصيب يوم نهاوند: فقالوا قتل فلان وفلان وآخرون لا نعرفهم فقال عمر : لكن الله يعرفهم قالوا: ورجل اشترى نفسه ، يعنون عوف بن أبي حية أبا شبيل الأحمسي. قال مدرك بن عوف: ذاك والله خالي يا أمير المؤمنين يزعم الناس أنه ألقى بيديه إلى التهلكة. فقال عمر: كذب أولئك ، ولكنه من الذين اشتروا الآخرة بالدنيا ، قال إسماعيل: وكان أصيب وهو صائم فاحتمل وبه رمق فأبى أن يشرب الماء حتى مات ا هـ. وإسناده صحيح.

٥ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ح١٥٦٣٧) : حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا شعبة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال: أتيت عمر بنعي النعمان بن مقرن فوضع يده على رأسه وجعل يبكي . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٩٣) والبلاذري في (فتوح البلدان/ ٤٢٧) قال: وحدثني أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا أبو أسامة وأبو عامر العقدي ، وسلم بن قتيبة جميعاً عن شعبة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي قال: رأيت عمر بن الخطاب لمّا جاء نعي النعمان بن مقرن وضع يده على رأسه وجعل يبكي. وأخرج البلاذري رواية أخرى عن أبي عثمان النهدي وبلفظ: أنا ذهبت بالبشارة إلى عمر فقال: ما فعل النعمان فقلت: قتل. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ثم بكى. فقلت: قتل والله آخرون لا أعلمهم. قال: ولكن الله يعلمهم. (فتوح البلدان/ ٤٢٧).

٦ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ح١٥٦٣٨) : حدثنا غندر عن شعبة عن إياس بن معاوية قال: جلست إلى سعيد بن المسيب قال: إني لأذكر عمر بن الخطاب حين نعي النعمان بن مقرن.

٧ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ح١٥٦٤٦): حدثنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الصلت وأبي مدافع قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب ونحن مع النعمان بن مقرن: إذا لقيتم العدو فلا تفروا ، وإذا غنمتم فلا تغلوا ، فلما لقينا العدو قال النعمان للناس: لا تواقعوهم ـ وذلك يوم الجمعة ـ حتى يصعد أمير المؤمنين المنبر يستنصر قال: ثم واقعناهم فانقض النعمان وقال: سجُّوني ثوباً وأقبلوا على عدوكم ولا أهولنكم ، قال: ففتح الله علينا ، قال: وأتى عمر الخبر أنه أصيب النعمان وفلان وفلان ورجال لا نعرفهم يا أمير المؤمنين ! قال: لكن الله يعرفهم.

٨ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٣/ ح١٥٦٤٩) : حدثنا سهل بن يوسف عن حميد عن أنس قال: =

ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند

٢٠٤ ـ قال أبو جعفر: وقد كان ـ فيما ذُكِر لي ـ بعث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه السائبَ بن الأقرع، مولى ثَقِيف ـ وكان رجلاً كاتباً حاسباً ـ فقال: الحقْ بهذا الجيش فكن فيهم؛ فإنْ فتَح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيئَهم، وخذ خمس الله وخمس رسوله؛ وإنْ هذا الجيش أُصيبَ، فاذهب في سواد الأرض، فبطن الأرض خيرٌ من ظهرها.

قال السائب: فلما فتح الله على المسلمين نهاوند، أصابوا غنائم عظاماً، فوالله إني لأقسم بين الناس، إذ جاءني عِلْج من أهلها فقال: أتُؤْمنني على نفسي

= كان النعمان بن مقرن على جند أهل الكوفة وأبو موسى على جند أهل البصرة.

٩ ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٣/ ح١٥٦٣٥): حدثنا حسين عن زائدة عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: أبطأ على عمر خبر نهاوند وخبر النعمان فجعل يستنصر.

١٠ ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ح١٥٦٤٧): حدثنا غندر عن شعبة قال: سمعت أبا إسحاق يقول: سمعت أبا مالك وأبا مسافع من مزينة يحدثان: أن كتاب عمر أتاهم مع النعمان بن مقرن بنهاوند: أما بعد فصلوا الصلاة لوقتها، وإذا لقيتم العدو فلا تفروا، وإذا ظفرتم فلا تغلوا (وراجع مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ٢١٥).

١١ ـ وأخرج الطبري في تأريخه (٤/ ١٤١/ ٧٨٣) في ذكر الخبر عن أصبهان فقال: وقد روي عن معقل بن يسار أن الذي كان أميراً على جيش المسلمين حين غزوا أصبهان النعمان بن مقرن.

ثم قال الطبري ذكر الرواية بذلك: حدثنا يعقوب بن إبراهيم وعمرو بن علي قالا: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن علقمة بن عبد الله المزني عن معقل بن يسار: أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان... الخبر كما هو مطولاً عند ابن أبي شيبة ولكن ذكر (فوجهه إلى أصبهان) وهذا إسناد صحيح إلاّ أن ذكر أصبهان هنا شاذ يخالف ما جاء واشتهر وصحّ من قيادة النعمان لجيوش الفاتحين في نهاوند واستشهاده فيها، فيحمل ما في هذه الرواية على أنها في وقعة نهاوند لا في أصبهان، ويؤيد ما ذهبنا إليه ترجيح ابن كثير إذ يقول:

وقيل: إن الذي فتح أصبهان هو النعمان بن مقرن فإنه قتل بها، ووقع أمير المجوس وهو ذو الحاجبين عن فرسه فانشق بطنه ومات وانهزم أصحابه.

والصحيح أن الذي فتح أصبهان عبد الله بن عبد الله بن عتبان الذي كان نائب الكوفة (البداية والنهاية ٧/ ١١٤).

وأهلي وأهل بيتي؛ على أن أدلك على كُنوز النَّخيرجان ـ وهي كنوز آل كسرى ـ تكون لك ولصاحبك، لا يَشركك فيها أحد؟ قال: قلت: نعم، قال: فابعث معي من أدلّه عليها، فبعثت معه، فأتى بسَفَطين عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤ والزّبَرجد والياقوت؛ فلما فرغت من قَسْمِي بين الناس احتملتهما معي؛ ثم قدِمت على عمر بن الخطاب؛ فقال: ما وراءك يا سائب؟! فقلت: خير يا أميرَ المؤمنين! فتح الله عليك بأعظم الفتح، واستُشهد النعمان بن مقرّن رحمه الله. فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون! قال: ثم بكى فنشَج، حتى إنّي لأنظر إلى فروع مَنكِبيه من فوق كَتده. قال: فلما رأيتُ ما لقي قلت: والله يا أميرَ المؤمنين ما أصيبَ بعده من رجل يُعرف وجهه. فقال: المستضعَفون من المسلمين؟! لكنّ الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوهَهم وأنسابَهم، وما يصنعون بمعرفة عمر ابن أمّ عِمر! ثم قام ليدخل، فقلت: إنّ معي مالاً عظيماً قد جئت به، ثم أخبرته خبر السَّفَطَيْن، قال: أدخِلْهما بيتَ المال حتى ننظر في شأنهما، والحق بجندك. قال: فأدخلتُهما بيت المال، وخرجت سريعاً إلى الكوفة. قال: وبات تلك الليلة التي خرجت فيها، فلما أصبح بعث في أثري رسولاً، فوالله ما أدركني حتى دخلتُ الكوفة، فأنخت بعيري، وأناخ بعيره على عُرقوبيْ بعيري، فقال: الحق بأمير المؤمنين، فقد بعثني في طلبك، فلم أقدر عليك إلاّ الآن. قال: قلت: ويْلك! ماذا ولِمَ؟ قال: لا أدري والله! قال: فركبتُ معه حتى قدمتُ عليه، فلما رآني قال: ما لي ولابن أمّ السائب! بل ما لابن أمّ السائب ومالي! قال: قلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟! قال: ويحك! والله ما هو إلاّ أن نمت في الليلة التي خرجتَ فيها، فباتت ملائكة ربي تسحَبُني إلى ذيْنك السفطَيْن يشتعلان ناراً، يقولون: لنكويَنّك بهما، فأقول: إني سأقسمهما بين المسلمين؛ فخذهما عنّي لا أبالك والحق بهما، فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم. قال: فخرجتُ بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة، وغشِيَني التجار، فابتاعهما منّي عمرو بن حُريث المخزوميّ بألفي ألف؛ ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم، فباعهما بأربعة آلاف ألف؛ فما زال أكثرَ أهل الكوفة مالاً بعد[1]. (٤: ١١٦/١١٧).

---

(١) إسناده ضعيف وهو صحيح.

٢٠٥ ـ حدّثنا الرّبيع بن سليمان ، قال: حدّثنا أسد بن موسى ، قال: حدّثنا المبارك بن فضالة ، عن زياد بن حُدَير ، قال: حدّثني أبي: أنّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، قال للهرمزان حين آمنه: لابأس ، انصح لي ، قال: نعم ، قال: إنّ فارس اليوم رأس وجناحان؛ قال: وأين الرأس؟ قال: بنهاوند مع بُنْدار؛ فإنّ معه أساورة كسرى وأهل أصبهان ، قال: وأين الجناحان؟ فذكر مكاناً نسيته ، قال: فاقطع الجناحين يَهِنِ الرأس. فقال عمر: كذبت يا عدوّ الله! بل أعْمد إلى الرأس فأقطعه ، فإذا قطعه الله لم يعصِ عليه الجناحان. قال: فأراد أن يسير إليه بنفسه ، فقالوا: نذكّرك الله يا أمير المؤمنين أن تسيرَ بنفسك إلى حلبة العجم؛ فإن أُصبت لم يكن للمسلمين نظام؛ ولكن ابعث الجنود؛ فبعث أهل المدينة فيهم عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، وفيهم المهاجرون والأنصار؛ وكتب إلى أبي موسى الأشعريّ أن سرْ بأهل البصرة ، وكتب إلى حُذيفة بن اليمان أن سرْ بأهل الكوفة حتى تجتمعوا جميعاً بنهاوند؛ وكتب: إذا التقيتم فأميرُكم النُّعمان بنُ مقرّن المزنيّ؛ فلما اجتمعوا بنهاوند ، أرسل بُنْدار العِلْج إليهم: أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلّمه؛ فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبة. قال أبي: كأني أنظر إليه؛ رجلاً طويلَ الشعر أعورَ؛ فأرسلوه إليه ، فلمّا جاء سألناه ، فقال: وجدتُه قد استشار أصحابه؛ فقال: بأيّ شيء نأذن لهذا العربيّ؟ بشارتنا وبهجتنا ومُلْكنا ، أو نتقشف له فيما قبَلنا حتى يزهد؟ فقالوا: لا ، بل بأفضل ما يكون من الشارة والعدّة ، فتهيؤوا بها ، فلما أتيناهم كادت الحِراب والنيازك يلتمع منها البصر ، فإذا هم على رأسه مثل الشياطين ، وإذا هو على سرير من ذهب على رأسه التاج. قال: فمضيت كما أنا ونكّسْت ، قال: فدفِعت ونُهنهت ، فقلت: الرسل لا يفعل بهم هذا ، فقالوا: إنما أنت كلْب ، فقلت: معاذ الله! لأنا أشرف في قومي من هذا في قومه؛ فانتهروني ، وقالوا: اجلس. فأجلسوني. قال ـ وتُرجِم له قوله: إنكم معشرَ العرب أبعدُ الناس من كلّ خير ، وأطول الناس جوعاً ، وأشقى الناس شقاء ، وأقذر الناس قَذراً ، وأبعده داراً؛ وما منعني أن آمر هؤلاء الأساورة حولِي أن ينتظموكم بالنشّاب إلاّ تنجُّساً لجيَفكم؛ فإنكم أرجاس؛ فإن تذهبوا نُخَلّ عنكم ، وإن تأتُوا نرِكم مصارعَكم؛ قال: فحمِدْت الله ، وأثنيت عليه ، فقلت: والله ما أخطأتَ من صفتنا شيئاً ، ولا من نعتِنا ، إنْ كنا لأبعدَ الناس داراً ، وأشدَّ

الناس جوعاً ، وأشقى الناس شقاء ، وأبعد الناس من كلّ خير ، حتى بعث الله عزّ وجلّ إلينا رسولَه ﷺ ؛ فوعدنا النصر في الدّنيا ، والجنة في الآخرة؛ فوالله ما زلنا نتعرّف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتحَ والنصر؛ حتى أتيناكم؛ وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبَكم على ما في أيديكم؛ أو نقتل بأرضكم. فقال: أما والله إنّ الأعور قد صَدقكم الذي في نفسه. قال: فقمتُ وقد والله أرعبتُ العلِج جهدِي. قال: فأرسل إلينا العلِجُ: إمّا أن تعبُروا إلينا بنهاوند؛ وإمّا أن نعبرُ إليكم. فقال النعمان: اعبروا ، قال أبي: فلم أرَ والله مثلَ ذلك اليوم ، إنهم يجيئون كأنهم جبال حديد؛ قد تواثقوا ألاّ يفِرّوا من العرب ، وقد قرن بعضهم بعضاً؛ سبعة في قِران ، وألقوا حسك الحديد خلفهم ، وقالوا: من فرّ منا عقره حسك الحديد. فقال المغيرة حين رأى كثرتهم: لم أرَ كاليوم فشلاً ، إنّ عدوّنا يُتركون يتأهّبون لا يُعْجلون ، أما والله لو أنّ الأمر لي لقد أعجلتهم ـ وكان النعمان بن مقرّن رجلاً ليّناً ـ فقال له: فالله عزّ وجلّ يُشهِدك أمثالها فلا يُحزنْك ولا يعيبُك موقفك ، إنه والله ما منعني من أن أناجزهم إلاّ شيء شهدته من رسول الله ﷺ ؛ إنّ رسولَ الله كان إذا غزا فلم يقاتل أوّل النهار لم يعجِل حتى تحضر الصلاة ، وتهبّ الأرواح ، ويطيب القتال؛ فما منعني إلاّ ذلك. اللهمّ إني أسألُك أن تُقِرّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عزّ الإسلام ، وذلّ يُذَلّ به الكفّار ، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة ، أمّنوا يرحمكم الله! فأمّنّا وبكينا. ثم قال: إني هازٌّ لوائي فتيسّروا للسلاح ، ثم هازٌّ الثانية ، فكونوا متأهّبين لقتال عدوّكم ، فإذا هززتُ الثالثة فليحمل كلُّ قوم على مَنْ يليهم من عدوّهم على بركة الله.

قال: وجاؤوا بحسَك الحديد. قال: فجعل يلبث حتّى إذا حضرت الصلاة وهبّت الأرواح كبّر وكبّرنا ، ثم قال: أرجو أن يستجيب الله لي؛ ويفتح عليّ ، ثم هزّ اللواء ، فتيسّرنا للقتال ، ثم هزّه الثانية فكنّا بإزاء العدوّ ، ثم هزّه الثالثة.

قال: فكبّر وكبّر المسلمون ، وقالوا: فتحاً يعزّ الله به الإسلام وأهله ، ثم قال النّعمان: إنْ أُصِبت فعلَى الناس حُذَيفة بن اليمان؛ وإن أصيب حُذَيفة ففلان؛ وإنْ أصيب فلان ففلان؛ حتى عدّ سبعة آخرهم المغيرة ، ثم هزّ اللواء الثالثة ، فحمل كلّ إنسان على مَن يليه من العدّو. قال: فوالله ما علمت من المسلمين أحداً يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله ، حتى يُقتل أو يظفر ، فحملنا حملة واحدة ، وثبتوا لنا ،

فما كنّا نسمع إلاّ وقعَ الحديد على الحديد ، حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة ، فلمّا رأوْا صبرنا وأنّا لا نبرح العرْصة انهزموا ، فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة؛ بعضهم على بعض في قياد ، فيُقتلون جميعاً ، وجعل يعقِرهم حسك الحديد الذي وضعوا خلفهم. فقال النعمان رضي الله عنه: قدّموا اللواء ، فجعلنا نقدّم اللواء ، ونقتلهم ونهزِمهم. فلما رأى أن الله قد استجاب له ورأى الفتح ، جاءته نُشّابة فأصابت خاصرته ، فقتلتْه. قال: فجاء أخوه معقل فسجّى عليه ثوباً ، وأخذ اللواء فقاتل ، ثم قال: تقدّموا نقتلهم ونهزمهم؛ فلما اجتمع الناس قالوا: أين أميرنا؟ قال معقِل: هذا أميركم ، قد أقرّ الله عينه بالفتح؛ وختم له بالشهادة. قال: فبايع الناس حُذيفة وعمر بالمدينة يستنصر له ، ويدعو له مثل الحبْلى.

قال: وكُتِب إلى عمر بالفتح مع رجل من المسلمين ؛ فلما أتاه قال له: أبشِرْ يا أمير المؤمنين بفتح أعزّ الله به الإسلام وأهله ، وأذلّ به الكفر وأهله ! قال: فحمِد الله عزّ وجلّ ، ثم قال: آلنّعمان بعثك؟ قال: احتسِب النّعمان يا أمير المؤمنين ، قال: فبكى عمر واسترجع. قال: ومَن ويحك! قال: فلان وفلان؛ حتى عدّ له ناساً كثيراً ، ثم قال: وآخرون يا أمير المؤمنين لا تعرفهم ، فقال عمر وهو يبكي: لا يضرّهم ألاّ يعرفهم عمر؛ ولكنّ الله يعرفهم[1]. (٤ : ١١٧/ ١١٨/ ١١٩/ ١٢٠).

---

(١) إسناده حسن صحيح والخبر صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٥٦٤٠) وأخرجه البخاري باختصار عن رواية الطبري هذه. وكتب محقق الطبري الشيخ (محمد أبو الفضل إبراهيم): حدثنا المبارك بن فضالة عن زياد بن حدير قال حدثني أبي ثم قال في الحاشية: كذا في البلاذري وفي (ط) جبير تحريف (٤/ ١١٧).
قلنا: بل الصحيح زياد بن جبير كما في البخاري: زياد بن جبير بن حيّة. وجبير هذا هو الذي شهد معركة نهاوند أما زياد بن حدير (على قول محقق الطبري محمد أبو الفضل) فيروي عن عمر بن الخطاب بلا واسطة فليس بحاجة إلى أبيه ليروي عن عمر رضي الله عنه وأما أبوه (حدير) فلم تذكر لنا كتب التراجم أنه روى عن عمر.
فالأصوب أن يكون الإسناد كالآتي: مبارك بن فضالة عن زياد بن جبير عن أبيه (جبير بن حية) والإسناد حسن صحيح والله أعلم.
وأما عبارة (كذبت يا عدو الله) فلعلها زيادة منكرة عن أصل الرواية فلا وجود لها لا عند البخاري ولا عند ابن أبي شيبة ولا غيرهما ممن رووا هذه الرواية ولعلها من (أسد بن موسى) والله أعلم.

٢٠٦ ـ وأما سيف ، فإنه قال : ـ فيما كتب إليّ السريّ يذكر : أن شُعيباً حدّثه عنه؛ وعن محمّد والمهلّب وطلحة وعمر وسعيد ـ إنّ الذي هاج أمر نهاوند أنّ أهلَ البصرة لما أشجوا الهُرمزان ، وأعجلوا أهلَ فارس عن مصاب جند العلاء ، ووطئوا أهل فارس؛ كاتبوا ملكهم؛ وهو يومئذ بمَرْو ، فحرّكوه ، فكاتب الملك أهلَ الجبال من بين الباب والسند وخُرَاسان وحلُوْان ، فتحرّكوا وتكاتبوا ، وركب بعضهم إلى بعض ، فأجمعوا أن يوافوا نهاوند ، ويُبرموا فيها أمورَهم ، فتوافى إلى نهاوند أوائلُهم.

وبلغ سعد الخبر عن قُباذ صاحب حُلوان ، فكتب إلى عمر بذلك ، فنزا بسعد أقوام ، وألّبوا عليه فيما بين تراسل القوم واجتماعهم إلى نهاوند ، ولم يشغلْهم ما دهم المسلمين من ذلك؛ وكان ممن نهض الجرّاح بن سنان الأسديّ في نفر ، فقال عمر : إنّ الدليل على ما عندكم من الشرّ نهوضُكم في هذا الأمر ، وقد استعدّ لكم من استعدّوا ، وأيم الله لا يمنعني ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم. فبعث عمر محمدَ بن مسلمة ، والناس في الاستعداد للأعاجم ، والأعاجم في الاجتماع ـ وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمّال الذي يقتصّ آثار مَنْ شُكِيَ زمان عمر ـ فقدم محمد على سعد ليطوفَ به في أهل الكوفة ، والبعوث تضرَب على أهل الأمصار إلى نهاوند ، فطوّف به على مساجد أهل الكوفة ، لا يتعرّض للمسألة عنه في السرّ ، وليست المسألة في السرّ من شأنهم إذْ ذاك؛ وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد إلاّ قالوا: لا نعلم إلاّ خيراً ، ولا نشتهي به بدلاً ، ولا نقول فيه ، ولا نعين عليه؛ إلاّ مَنْ مالأ الجرّاح بن سنان وأصحابه؛ فإنهم كانوا يسكتون لا يقولون سوءاً ، ولا يسوغ لهم ، ويتعمّدون ترك الثناء ، حتى انتهوْا إلى بني عبس ، فقال محمد: أنشد بالله رجلاً يعلم حقّاً إلاّ قال! قال أسامة بن قتادة: اللهمّ إن نشدتَنا فإنه لا يقسم بالسويّة ، ولا يعدِلُ في الرعيّة ، ولا يغزو في السريّة. فقال سعد: اللهمّ إن كان قالها كاذباً ورئاءً وسمعة فأعمِ بصرَه ، وأكثر عيالَه ، وعرّضه لمضلاّت الفتن. فعمِيَ ، واجتمع عنده عشر بنات ، وكان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يجسّها؛ فإذا عُثر عليه قال: دَعْوةُ سعد الرّجل المبارك. ثم أقبل على الدّعاء على النّفر ، فقال: اللهمّ إن كانوا خرجوا أشَراً وبطراً وكذباً فاجهد بلاءهم؛ فجُهد بلاؤهم ، فَقُطِّع الجرّاح بالسيوف

يوم ثاوَرَ الحسنَ بنَ عليّ ليغتالَه بساباط ، وشُدِخ قبيصة بالحجارة ، وقُتل أربد بالوَجْء وبنعال السيوف. وقال سعد: إنّي لأوّل رجل أهرق دماً من المشركين؛ ولقد جمع لي رسول الله ﷺ أبوْيه ، وما جمعهما لأحد قبلي ، ولقد رأيتُني خُمس الإسلام ، وبنو أسد تزعم أنّي لا أحسن أن أصلّي ، وأن الصيد يُلهيني. وخرج محمد به وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه ، فأخبره الخبر ، فقال: يا سعد! ويحك ، كيف تُصَلِّي! فقال: أطيل الأولَيين ، وأحذف الأُخْريين ، فقال: هكذا الظنّ بك! ثم قال: لولا الاحتياط لكان سبيلُهم بيّناً. ثمّ قال: مَنْ خليفتُك يا سعد على الكوفة؟ قال: عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ، فأقرّه واستعمله؛ فكان سبب نهاوند وبدء مشورتها وبعوثها في زمان سعد؛ وأما الوقعة ففي زمان عبد الله.

قالوا: وكان من حديثهم أنهم نفروا لكتاب يزْدَجِرد الملك ، فتوافَوْا إلى نهَاوند ، فتوافَى إليها من بين خُراسان إلى حُلوان؛ ومن بين الباب إلى حلوان ، ومن بين سِجستان إلى حُلوان؛ فاجتمعت حلَبة فارس والفَهْلوج أهل الجبال من بين الباب إلى حُلوان ثلاثون ألف مقاتل؛ ومن بين خراسان إلى حُلوان ستون ألف مقاتل ، ومن بين سِجِسْتان إلى فارس وحُلوان ستون ألف مقاتل؛ واجتمعوا على الفيرُزان ، وإليه كانوا توافَوْا وشاركهم موسى[1]. (٤: ١٢٠/ ١٢٢).

---

(١) إسناده ضعيف وله ما يشهد له فأما حشد الفرس لجموعهم من مختلف الأنحاء وتوجههم نحو نهاوند فقد جاء بيانه عند ذكر الشواهد والمتابعات لقصة نهاوند عند الطبري ، أما ما أثاره بعض أهل الكوفة من تهم حول سلوك الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ومن ثم تحري سيدنا عمر لذلك علماً بأن المسلمين كانوا في وقت حرج في مواجهة حشود الفرس نحو نهاوند وأخيراً فثبوت براءة سعد من هذه التهم كيف لا وهو من السابقين الأوائل وهو أول من رمى بسهم (في سبيل الله) في الإسلام ويؤيد ما ذكره الطبري ما يلي:
١ ـ أخرج البخاري في صحيحه عن قيس قال: (سمعت سعداً رضي الله عنه يقول: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ، وكنا نغزو مع النبي ﷺ وما لنا من طعام إلاّ ورق الشجر ، حتى إن أحدنا ليصنع كما يصنع البعير أو الشاة ما له خلط ، ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام لقد خبت إذاً وضلّ عملي ، وكانوا وشوا به إلى عمر قالوا: لا يحسن يصلي) (فتح الباري ٧/ ١٠٤).
٢ ـ وأخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: (شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه ، فعزله واستعمل عليهم عماراً ، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي. قال أبو إسحاق: أما أنا =

٢٠٧ ـ وروي عن أبي وائل في سبب توجيه عمرَ النعمانَ بن مقرّن إلى نهَاوند، ما حدّثني به محمد بن عبد الله بن صَفوان الثَّقَفِيّ، قال: حدّثنا أميّة بن خالد، قال: حدّثنا أبو عوَانة، عن حُصين بن عبد الرحمن، قال: قال أبو وائل: كان النُّعمان بن مقرّن على كَسْكَر، فكتب إلى عمر: مَثَلِي ومثَل كَسْكر كمثل رجل شابّ وإلى جنبه مُومسة تلوّنُ له وتعَطّر، فأنشُدك الله لما عزلتني عن كَسْكر، وبعثتَني إلى جيش من جيوش المسلمين!

قال: فكتب إليه عمر: أن ائت الناس بِنهاوند، فأنت عليهم. قال: فالتقوْا، فكان أوّلَ قتيل، وأخذ الراية أخوه سُويد بن مقرّن، ففتح الله على المسلمين؛ ولم يكن لهم ـ يعني: للفرس ـ جماعة بعد يومئذ؛ فكان أهل كلّ مصر يغزُون عدوَّهم في بلادهم[1]. (٤: ١٣٦).

= والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأولين وأخف في الأخريين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلاً أو رجالاً ـ إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة. ولم يدع مسجداً إلا ويثنون معروفاً ـ حتى دخل مسجداً لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة، قال: أما إذا نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياءً وسمعة فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن) (فتح الباري ٢/ ٢٧٦).

(١) شيخ الطبري هنا: (محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفي، ترجم له ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، والحديث أخرجه أبو يوسف القاضي عن حصين بن عبد الرحمن مرسلاً (الخراج/ ٣٢).

ذكر الخبر عن أصبهان

لقد ذكرنا رواية الطبري في فتح أصبهان وهي تكملة (٤/ ٥٦٢) في قسم الضعيف وهي من طريق شعيب عن سيف وهذا طريق ضعيف كما سبق. وخلاصة رواية سيف عند الطبري (٤/ ١٣٩ ـ ١٤٠/ ٥٦٢) أن فتح أصبهان كان في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأن قائد الجيش الفاتح كان عبد الله بن عبد الله بن عتبان وفي مقدمة جيشه عبد الله بن ورقاء الرياحي ومن أمرائه كذلك عبد الله بن ورقاء الأسدي وعصمة بن عبد الله بن عبيدة بن سيف بن عبد الحارث وأن عبد الله بن ورقاء الرياحي الذي كان على مقدمة الجيش تبارز مع =

= كبار مقاتلي الفرس (مشهربراز جاذويه ـ ويدعى الشيخ) فقتله فكان فتح رستاق الشيخ ثم جَيّ وأخيراً مركز أصبهان وصالح أهلها، فلما وصل أبو موسى مدداً لجيش عبد الله كان عبد الله قد أجرى الصلح مع أهل المدينة.

ولم أجد رواية صحيحة تؤيد ما ذكر سيف من تفاصيل المعركة ولكننا وجدنا روايات عدة في فتح أصبهان وفي بعضها ضعف ولكنها أقل الروايات ضعفاً في هذا الباب أي أصحها والله أعلم.

١ ـ أخرج الحافظ أبو نعيم: حدثنا أبو بكر بن خلاد ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا عفان بن مسلم ثنا أبو عوانة عن داود الأودي عن حميد بن عبد الرحمن قال: فتحت أصبهان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أخبار أصبهان/ ١/ ٢٠) ورجاله ثقات.

وهذا القول في فتح أصبهان يتفق مع قول البلاذري (وكان فتح أصبهان في سنة ٢٣ أو ٢٤ هـ) (فتوح البلدان/ ٤٣٨).

٢ ـ أخرج البلاذري: حدثني محمد بن سعد مولى بني هاشم قال حدثنا موسى بن إسماعيل عن سليمان بن مسلم عن خاله بشير بن أبي أمية أن الأشعري غزا بأصبهان فعرض عليهم الإسلام فعرض عليهم الجزية فصالحوه عليها، فباتوا على صلح، ثم أصبحوا على غدرٍ فقاتلهم وأظهره الله عليهم، قال محمد بن سعد أحسبه عن أهل قم (فتوح البلدان/ ٤٣٧).

٣ ـ وأخرج خليفة بن خياط، قال: حدثني عثمان القرشي عن عباد بن راشد عن الحسن قال: افتتح أبو موسى أصبهان (تأريخ خليفة/ ١٦١) وعباد بن راشد صدوق يخطئ كثيراً، وعثمان القرشي (شيخ خليفة) إن كان هو أبو عبد الرحمن بن حصين فهو صدوق وخليفة يقول أحياناً: حدثني أبو عبد الرحمن القرشي والله أعلم.

ولقد ناقش الأستاذ عبد الغفور البلوشي محقق (طبقات المحدثين بأصبهان) في صفحتين مسألة فتح أصبهان واختلاف المؤرخين في ذكر أسماء قادة الجيش الفاتح، وخلص إلى القول بأن الذين شاركوا في فتح أصبهان هم عبد الله بن ورقاء الرياحي وعبد الله بن الحارث بن ورقاء الأسدي.

فتبين أن الذي اشترك في فتح أصبهان عبد الله بن ورقاء الرياحي وعبد الله بن الحارث بن ورقاء الأسدي كما ذكر الطبري وأبو نعيم (١/ ٢٤، ٦٣) وابن الأثير في الكامل (٣/ ٨ و٩) حيث قال: وبعث عمر إلى أصبهان عبد الله بن عبد الله وكان شجاعاً وأمده بأبي موسى وجعل على مجنبته عبد الله بن ورقاء الرياحي وعصمة بن عبد الله وسار عبد الله فيمن كان معه ومن تبعه من جند النعمان بنهاوند نحو أصبهان، فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق لأصبهان فاقتتلوا قتالاً شديداً ودعا الشيخ إلى البراز فبرز له عبد الله بن ورقاء الرياحي فقتله، وانهزم أهل أصبهان، ثم سار عبد الله بن ورقاء الرياحي إلى جيّ فحاصرهم وقاتلها ... إلخ (طبقات المحدثين بأصبهان ١/ ٢٦٠/ ٢٦١) الحاشية.

٢٠٧/ أ - وفي هذه السنة أمر عمر جيوشَ العراق بطلب جيوش فارس حيث كانت؛ وأمر بعض مَن كان بالبَصْرة من جنود المسلمين وحواليها بالمسير إلى أرض فارس وكَرْمان وأصبهان ، وبعض مَنْ كان منهم بناحية الكوفة وماهاتها إلى أصبهان وأذربيجان والرّيّ ، وكان بعضهم يقول: إنما كان ذلك من فعل عمر في سنة ثماني عشرة. وهو قول سيف بن عمر. (٤ : ١٣٧) .

٢٠٨ - حدّثنا يعقوب بن إبراهيم وعمرو بن عليّ ، قالا: حدّثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، قال: حدّثنا حماد بن سلَمة ، عن أبي عمران الجَوْنيّ ، عن علقمة بن عبد الله المزني ، عن معقل بن يَسار؛ أنّ عُمر بن الخطاب شاور الهُرْمزان ، فقال: ما ترى؟ أبدأ بفارس ، أم بأذْرَبيجان ، أم بأصبهان؟ فقال: إنّ فارس وأذْرَبيجان الجناحان ، وأصبهان الرّأس. فإن قطعت أحدَ الجناحين قام الجناح الآخر؛ فإن قطعت الرأس وقع الجناحان؛ فابدأ بالرأس. فدخل عمر المسجد والنعمان بن مقرّن يصلّي؛ فقعد إلى جنبه ، فلمّا قضى صلاتَه ، قال:

= قلنا: وكذلك أخرج الحافظ أبو نعيم بسنده المتصل إلى عبد الرحمن بن عمر رُسته أنه سأل عبد الرحمن بن مهدي عن أصبهان فقال: عنوة. فقلت: إن بعضهم يقولون: إن بعضها صلح ، فقال: قد وجّه إليها الجيش (ذكر أخبار أصبهان ١/ ٣١).

وأخرج رواية أخرى بسنده المتصل إلى الإمام أحمد بن حنبل أنه قال عن أصبهان: إنها فتحت صلحاً (ذكر أخبار أصبهان ١/ ٣١).

وأخيراً فلقد ذكر الإمام المحدث المؤرخ الذهبي فتح أصبهان ضمن أحداث سنة (٢٣ هـ) فقال: وفيها رجع أبو موسى من أصبهان وقد افتتح بلادها (تأريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين/ ٢٥٠) ونحن نرى والله أعلم أن أبا موسى هو الذي قاد الجيش الفاتح لأصبهان ، وهذا ما أكده الحافظ الذهبي في ترجمته لأبي موسى الأشعري ضمن ذكره لأسماء الذين توفوا في عهد أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه والله أعلم.

وإن كان هؤلاء القادة قد شاركوا في فتحها فلا بأس ولعلها فتحت وصالح أهلها ثم نقضوا ففتحها أبو موسى فتحاً نهائياً ، والله تعالى أعلم.

ولقد ناقش الأصبهاني اختلاف المؤرخين في نسبة الفتح إلى القادة القادمين من البصرة أو الكوفة ولكنه لم يرجح ، والله تعالى أعلم.

وقد روي عن معقِل بن يَسَار أنّ الذي كان أميراً على جيش المسلمين حين غزوْا أصبهان: النعمان بن مقرّن.

إنّي أريد أن أستعملَك؛ قال: أمّا جابياً فلا؛ ولكن غازياً؛ قال: فأنت غاز. فوجهه إلى أصبَهان، وكتب إلى أهل الكوفة أن يُمِدّوه، فأتاها وبينه وبينهم النهر، فأرسل إليهم المغيرة بن شعبة، فأتاهم؛ فقيل لمَلِكهم وكان يقال له ذو الحاجبين: إنّ رسولَ العرب على الباب، فشاور أصحابه، فقال: ما ترون؟ أقعد له في بَهْجة الملك؟ فقالوا: نعم، فقعد على سريره، ووضع التّاج على رأسه؛ وقعد أبناء الملوك نحو السمّاطين عليهم القِرَطة وأسورة الذهب وثياب الديباج. ثم أذن له فدخل ومعه رمحه وتُرْسه، فجعل يطعن برمحه بُسُطهم ليتطيّروا، وقد أخذ بضُبعيه رجلان، فقام بين يديه، فكلمه ملكُهم، فقال: إنكم يا معشرَ العرب أصابكم جوع شديد فخرجتم؛ فإن شئتم أمِرْناكم ورجعتم إلى بلادكم. فتكلّم المغيرة؛ فحمِد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إنا معاشر العرب؛ كنا نأكل الجيفَ والمَيْتة، ويطؤنا الناس ولا نطؤهم؛ وإنّ الله عزّ وجلّ ابتعث منا نبيّاً، أوسطنا حسباً، وأصدقنا حديثاً ـ فذكر النبيّ ﷺ بما هو أهلُه ـ وإنه وعدنا أشياء فوجدناها كما قال؛ وإنه وعدنا أنا سنظهر عليكم، ونغلب على ما هاهنا. وإنّي أرى عليكم بِزّة وهيئة ما أرى مَن خلْفي يذهبون حتى يصيبوها.

قال: ثمّ في نفسي: لو جمعت جراميزي، فوثبت وثبة، فقعدت مع العِلْج على سريره لعلّه يتطيّر! قال: فوجدت غفلة؛ فوثبت؛ فإذا أنا معه على سريره. قال: فأخذوه يتوجّؤونه ويطؤونه بأرجلهم. قال: قلت: هكذا تفعلون بالرسل! فإنا لا نفعل هكذا، ولا نفعل برسلكم هذا. فقال الملك: إن شئتم قطعتم إلينا، وإن شئتم قطعنا إليكم. قال: فقلت: بل نقطع إليكم. قال: فقطعنا إليهم فتسلسلوا كلّ عشرَة في سلسلة، وكلّ خمسة، وكلّ ثلاثة. قال: فصاففناهم، فرشقونا حتى أسرعُوا فينا؛ فقال المغيرة للنعمان: يرحمك الله! إنه قد أسرع في الناس فاحمل، فقال: والله إنك لذو مناقب؛ لقد شهدتُ مع رسولِ الله ﷺ القتال؛ فكان إذا لم يقاتِل أوّل النهار أخّر القتال حتى تزول الشمس، وتهبّ الرياح، وينزل النصر.

قال: ثمّ قال: إني هازّ لوائي ثلاث مرات؛ فأما الهَزّة الأولى فقضى رجل حاجته وتوضّأ، وأما الثانية فنظر رجل في سلاحه وفي شِسْعه فأصلحه، وأما الثالثة فاحملوا، ولا يلوينّ أحدٌ على أحد؛ وإن قتِل النعمان فلا يَلْوِ عليه أحد؛

فإنّي أدعو الله عز وجلّ بدعوةٍ؛ فعزمت على كلّ امرىء منكم لمَا أمّن عليها! اللهمّ أعطِ اليوم النعمان الشهادة في نصر المسلمين ، وافتح عليهم؛ وهزّ لواءه أوّل مرة ، ثم هزّ الثانية ، ثم هزّه الثالثة ، ثم شَلّ درعه ، ثم حمل فكان أوّل صريع ، فقال معقل: فأتيتُ عليه؛ فذكرت عزمتَه ، فجعلت عليه عَلَماً ، ثمّ ذهبت ـ وكنا إذا قتلنا رجلاً شُغِل عنا أصحابه ـ ووقع ذو الحاجبين عن بغلته فانشقّ بطنُه ، فهزمهم الله؛ ثم جئتُ إلى النعمان ومعي إداوة فيها ماء ، فغسلت عن وجهه التراب ، فقال: مَن أنت؟ قلت: معقِل بن يسار ، قال: ما فعل الناس؟ فقلت: فتح الله عليهم ، قال: الحمدُ لله؛ اكتبوا بذلك إلى عمر؛ وفاضت نفسه.

واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس ، وفيهم ابن عمر وابن الزّبير ، وعمرو بن معديكرب وحُذيفة ، فبعثوا إلى أمّ ولده ، فقالوا: أما عهدَ إليك عهداً؟ فقالت: هاهنا سَفَط فيه كتاب ، فأخذوه ، فكان فيه: إنْ قُتل النعمان ففلان ، وإن قتل فلان ففلان[١] . (٤ : ١٤١/ ١٤٢/ ١٤٣) .

٢٠٨/ أ ـ وقال الواقديّ: في هذه السنة ـ يعني سنة إحدى وعشرين ـ مات خالد بن الوليد بحمْص ، وأوصى إلى عمر بن الخطاب. (٤ : ١٤٤) .

٢٠٨/ ب ـ قال الواقديّ: وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وخلّف على المدينة زيد بن ثابت؛ وكان عاملَه على مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين والشام ومصر والبصرة مَنْ كان عليها في سنة عشرين ، وأما الكوفة فإنّ عامله عليها كان عمّار بن ياسر ، وكان إليه الأحداث ، وإلى عبد الله ابن مسعود بيت المال ، وإلى عثمان بن حُنَيف الخرَاج ، وإلى شُريح ـ فيما قيل ـ القضاء[٢] . (٤ : ١٤٥) .

---

(١) رجاله ثقات غير حماد بن سلمة وهو ثقة إلاّ أنه تغيّر حفظه بأخرةٍ وفي حديثه هذا تصحيف فذكر (أصبهان) بدلاً من (نهاوند) وبقية التفاصيل كلها حدثت في نهاوند كما في الطرق الصحيحة الأخرى ، وأغلب الظن أنه من قبل حماد ، والله أعلم.

(٢) قلنا: هكذا قاله الواقدي بلا إسناد وأما عن حجاته رضي الله عنه فسنتحدث في نهاية عهده رضي الله عنه وأما عن تولية عمار وعبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف. فقد أخرج ابن سعد في طبقاته (٣/ ٢٥٥) والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٨) عن حارثة بن مضرّب قال: قرىء علينا كتاب عمر بن الخطاب: أما بعد فإني بعثت إليكم عمّار بن ياسر أميراً وابن مسعود =

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين

ذكر فتح هَمَذان

٢٠٨/ جـ ـ قال أبو جعفر: ففيها فتِحت أذْرَبيجان، فيما حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: كانت أذْرَبيجان سنة اثنتين وعشرين، وأميرها المغيرة بن شعبة. وكذلك قال الواقديّ[1]. (٤: ١٤٦).

= معلماً ووزيراً وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر، فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما وقد آثرتكم بابن أم عبد على نفسي.
واللفظ لابن سعد وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وزاد ابن سعد في روايته: (وبعث عثمان بن حنيف على السواد. . .) الخبر.
وأما عن توليته شريح القضاء فقد تحدثنا عنه في قسم الصحيح والله أعلم.

(١) فتح أذربيجان

تحدث الطبري عن فتح أذربيجان بلا إسناد، والأغلب أنه تتمة الرواية السابقة لها (٤/ ١٥٣/ ٥٥٦) وهو ضعيف الإسناد ولم نجد رواية صحيحة تؤيد ما ذكر سيف في تفاصيل دقيقة إلا أننا سنذكر هنا ما وجدنا في فتح أذربيجان عند البلاذري وخليفة بن خياط:
فقد ذكر خليفة فتح أذربيجان ضمن أحداث سنة (٢٢ هـ) وذكر عن محمد بن إسحاق صاحب المغازي وعلي بن محمد المدائني صاحب التأريخ أن أمير المسلمين يوم فتح أذربيجان كان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ثم ذكر عن أبي عبيد أنه نسب الإمرة إلى حبيب بن مسلمة الفهري وذكر قولاً ثالثاً دون أن يسنده إلى قائله (ويقال: افتتحها عتبة بن فرقد) ثم أخرج خليفة:
١ ـ قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: نا التيمي عن أبي عثمان قال: جاءنا كتاب عمر ونحن مع عتبة بن فرقد (تأريخ خليفة/ ١٥١). ورجال هذا الإسناد ثقات إلا أن التيمي لم يوثقه غير ابن حبان وروى له أبو داود في سننه ويؤيده الخبر الآتي:
٢ ـ أخرج البلاذري قال: وحدثني العباس بن الوليد النَّرسي قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي قال: كنت مع عتبة بن فرقد حين افتتح أذربيجان فصنع سفطين من خبيص وألبسهما الجلود واللبود، ثم بعث إلى عمر مع سحيم مولى عتبة، فلما قدم عليه قال: ما الذي جئت به أذهب أم ورق؟ وأمر به فكشف عنه، فذاق الخبيص فقال: إن هذا لطيب أُثر أكُلُّ المهاجرين أكل منه شِبَعَهُ؟ قال: لا إنما هو شيء خصَّك به، فكتب إليه: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عتبة بن فرقد: أما بعد فليس من =

٢٠٨/ د ـ وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان عامله على مكة عتَّاب بن أسيد ، وعلى اليمن يعلَى بن أميَّة ، وعلى سائر أمصار المسلمين الذين كانوا عمّاله في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم قبل. (٤ : ١٦٠) .

ذكر عزل عمَّار عن الكوفة

٢٠٨/ هـ ـ وفي هذه السنة عَزَل عمرُ بن الخطاب عمّاراً عن الكوفة؛ واستعمل أبا موسى في قول بعضهم؛ وقد ذكرت ما قال الواقديّ في ذلك قبل. (٤ : ١٦٣) .

٢٠٩ ـ كتب إليَّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن جميع ، عن أبي الطُّفَيل ، قال: قيل لعمّار: أساءك العزل؟ فقال: والله ما سرّني حين استعمِلت ، ولقد ساءني حين عُزلت[1]. (٤ : ١٦٣) .

= كذّك ولا كدّ أمك ولا كدّ أبيك لا نأكل إلاّ ما يشبع منه المسلمون في رحالهم. إلا أن البلاذري نفسه أخرج روايتين أخريتين هما:

٣ ـ وحدثني المدائني عن علي بن مجاهد عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي قال: عزل عمر حذيفة عن أذربيجان واستعمل عليها عتبة بن فرقد السلمي فبعث إليه بأخبصة قد أدرجها في كرابيس . . . الخبر. وفي آخره: وقال عتبة: قدمت من أذربيجان وافداً على عمر فإذا بين يديه عضلة جزور (فتوح البلدان/ ٤٥٧).

٤ ـ وأخرج البلاذري قال: وحدثني عبد الله بن معاذ العبقري عن أبيه، عن سعد بن الحكم ، عن عتبة ، عن زيد بن وهب ، قال: لمّا هزم الله المشركين بنهاوند رجع أهل الحجاز إلى حجازهم ، وأهل البصرة إلى بصرتهم وأقام حذيفة بنهاوند في أهل الكوفة ، فغزا أذربيجان فصالحوه على ثمانمئة ألف درهم (فتوح البلدان/ ٤٥٨).

قلنا: ومن هذه الروايات وغيرها من الروايات (الضعيفة السند) عند البلاذري يتبيّن لنا أن أذربيجان فتحت أكثر من مرّة على يد أكثر من واحد من القادة المسلمين وذلك لأنهم نقضوا عهدهم أكثر من مرة والله تعالى أعلم ، وسنعود إلى ذكر فتح أذربيجان عند ذكر الفتوحات في خلافة عثمان رضي الله عنه.

(١) إسناده ضعيف ولقد أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣/ ٢٥٦) قال: أخبرنا عفان بن مسلم قال: أخبرنا خالد بن عبد الله قال: أخبرنا داود عن عامر (الشعبي) قال: قال عمر لعمّار: أساءك عزلنا إياك؟ قال: لئن قلت ذاك لقد ساءني حين استعملتني وساءني حين عزلتني.

قلنا: وهذا إسناد مرسل صحيح. والله تعالى أعلم.

ولم نجد رواية صحيحة تبيّن سبب العزل ولكن حديثي العهد بالإسلام كانوا يشون بأمرائهم =

ذكر مصير يَزْدَجِرد إلى خراسان وما كان السبب في ذلك

٢٠٩/ أ ـ وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكانت عمّالهُ على الأمصار فيها عمّالَه الذين كانوا عليها في سنة إحدى وعشرين غير الكوفة والبَصْرة؛ فإنّ عامله على الكوفة وعلى الأحداث كان المغيرة بن شعبة ، وعلى البصرة أبا موسى الأشعريّ. (٤ : ١٧٣) .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

ذكر الخبر عن فتح توَّج

٢١٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب عن سيف ، عن محمد بن سوقة ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه ، قال: خرجْنا مع مجاشع بن مسعود غازِين توّج ، فحاصرناها ، وقاتلناهم ما شاء الله ، فلمّا افتتحناها وحَوينا نَهْبَها نهباً كثيراً ، وقتلنا قتلَى عظيمة؛ وكان عليّ قميصٌ قد تخرّق؛ فأخذت إبرة وسِلْكاً وجعلت أخِيط قميصي بها. ثم إنّي نظرت إلى رجل في القتْلَى عليه قميص فنزعته ، فأتيت به الماء ، فجعلت أضربه بين حَجَرين حتى ذهب ما فيه ، فلبسته؛ فلما جمعت الرِّثّة ، قام مجاشع خطيباً ، فحمِد الله ، وأثنى عليه ، فقال: أيها الناس لا تَغُلّوا ، فإنه من غَلّ جاء بما غَلّ يوم القيامة. رُدّوا ولو المخيَط. فلما سمعتُ ذلك نزعت القَميص فألقيته في الأخماس[1] . (٤ : ١٧٥) .

= إلى أمير المؤمنين فتحقق رضي الله عنه من أمرهم فتثبت براءة أمرائه مما اتهموا به كما مرّ بنا في قسم الصحيح مرات عديدة. وقد أخرج ابن سعد في طبقاته (٣/ ٢٥٦) أخبرنا الفضل بن دكين ومحمد بن عبد الله الأسدي قالا: أخبرنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن الحارث بن سعيد قال: وشىٰ رجل بعمار إلى عمر فبلغ ذلك عمّاراً فرفع يديه فقال: اللهم إن كان كذب عليّ فابسط له في الدنيا واجعله مُوَطأ العقب. ا هـ.

(١) إسناده ضعيف ، ولكن له متابع فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ح ١٥٦٧٥) حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا عاصم بن كليب الحرمي قال: حدثني أبي قال: حاصرنا توج وعلينا رجل من بني سليم يقال له: مجاشع بن مسعود قال: فلما فتحناها قال: وعَلَيَّ قميص خلق ، قال: فانطلقت إلى قتيل من القتلى الذين قتلنا ، قال: فأخذت قميص بعض أولئك القتلى ، قال: وعليه الدماء ، قال: فغسلته بين أحجار ودلكته حتى أنقيته ولبسته ودخلت القرية فأخذت إبرة وخيوطاً فخيط قميصي ، فقام مجاشع فقال: يا أيها الناس لا تغلوا شيئاً ، من=

فتح إصطَخر

٢١١ ـ قال: وقصد عثمان بن أبي العاص لإصطَخر؛ فالتقى هو وأهل إصْطَخر بجُور فاقتتلوا ما شاء الله. ثم إنّ الله عزّ وجلّ فتح لهم جُور؛ وفتح المسلمون إصطَخر، فقتلوا ما شاء الله، وأصابوا ما شاؤوا، وفرّ مَن فرّ؛ ثمّ إن عثمان دعا الناس إلى الجِزاء والذمّة، فراسلوه وراسلهم، فأجابه الهِرْبِذ وكلّ من هرب أو تنحى؛ فتراجعوا وباحوا بالجزاء، وقد كان عثمان لمّا هزم القوم جمع إليه ما أفاء الله عليهم، فخمّسه، وبعث بالخُمس إلى عمر، وقسّم أربعة أخماس المغنم في الناس، وعفّت الجند عن النّهاب، وأدّوا الأمانة، واستدقّوا الدنيا. فجمعهم عثمان؛ ثم قام فيهم، وقال: إنّ هذا الأمر لا يزال مقبِلاً؛ ولا يزال أهله معافيْن مما يكرهون، ما لم يَغُلُّوا، فإذا غَلُّوا رأوْا ما ينكرون ولم يسدّ الكثير مسدّ القليل اليوم. (٤ : ١٧٥).

٢١٢ ـ كتبَ إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن أبي سُفيان، عن الحسن، قال: قال عُثمان بن أبي العاص يوم إصْطَخر: إنّ الله إذا أراد بقوم خيراً كفّهم، ووفّر أمانتهم، فاحفظوها؛ فإنّ أوّل ما تفقدون من دينكم الأمانة؛ فإذا فقدتموها جُدِّد لكم في كلّ يوم فقدان شيء من أموركم.

= غل شيئاً جاء به يوم القيامة ولو كان مخيطاً قال: فانطلقت إلى ذلك القميص فنزعته وانطلقت إلى قميصي فجعلت أفتقه حتى والله يا بني جعلت أمزق قميصي توقياً على الخيط أن يقطع، فانطلقت بالقميص والإبرة والخيط الذي كنت أخذته من المقاسم فألقيته فيها، ثم ما ذهبت من الدنيا حتى رأيتهم يغلون الأسواق، فإذا قلت: أي شيء؟ قالوا: نصيبنا من الفيء أكثر من هذا.

وأخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا غسان بن مضر عن سعيد بن يزيد عن أبي نضرة أو غيره قال: قطع عثمان والحكم فلقوا شهرك بريستهر فافتتحوها فجاء برأس شهرك رجل من اليحمد يقال له: جديد بن مالك أو مالك بن جديد إلى عثمان بن أبي العاص، فنزلوا توج وابتنوا بها البناء ثم تحوّلوا عنها (تأريخ خليفة/ ١٤٢).

وأخرج خليفة بن خياط في تأريخه: عن أبي أسامة قال: أخبرنا العلاء بن المنهال عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: حاصرنا توّج وعلينا مجاشع بن مسعود ففتحناها (تأريخ خليفة/ ١٤٢).

قلنا: وإن كان هذا الإسناد منقطعاً فقد رواه ابن أبي شيبة موصولاً كما سبق قبل قليل، والله أعلم.

ثم إنّ شهرك خلع في آخر إمارة عمر وأوّل إمارة عثمان ، ونشَّط أهلَ فارس ، ودعاهم إلى النقض ، فوُجِّه إليه عُثمان بن أبي العاص ثانيةً ، وبعِث معه جنود أمِدّ بهم ، عليهم عُبيد الله بن مَعْمر ، وشِبْل بن معبد البَجَلِيّ ، فالتقوْا بفارس ، فقال شهرك لابنه وهو في المعركة؛ وبينهم وبين قرية تدعى ريشَهْر ثلاثة فراسخ ، وكان بينهم وبين قرارهم اثنا عشر فرسخاً : يا بنيّ ! أين يكون غَدَاؤنا؟ هاهنا أو ريشهر؟ فقال : يا أبتِ إن تركونا فلا يكون غداؤنا هاهنا ولا ريشهر ، ولا يكونَنّ إلاّ في المنزل ، ولكن والله ما أراهم يتركوننا . فما فرغا من كلامهما حتى أنشب المسلمون القتالَ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، قتل فيه شهرك وابنه ، وقتل الله جلّ وعزّ منهم مقتلة عظيمة ، وولي قتلَ شَهْرك الحكَم بن أبي العاص بن بشر بن دُهمان أخو عثمان[1] . (٤ : ١٧٦) .

ذكر فتح فَسا ودارابِجَرْدَ

٢١٣ - كتبَ إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يقوي هاتين الروايتين ونعود لذكر إصطخر في عهد سيدنا عثمان إن شاء الله :

١ - أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ح ١٥٦٧٨) حدثنا محمد بن بشر قال : حدثنا عبد الله بن الوليد عن عمر بن محمد بن حاطب قال : سمعت جدي محمد بن حاطب قال : ضرب علينا بعث إلى إصطخر فجعل الفارس للقاعد ثلاثاً .

٢ - وأخرج خليفة بن خياط قال : وحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال : لم يزالوا في الحصن حتى كتب لهم عمر كتاباً وأجلهم أربعة أشهر يذهبون حيث شاؤوا فذهبوا إلى إصطخر (تأريخ خليفة/ ١٤٢) وإسناده مرسل صحيح ويتأيد بما ذكرنا سابقاً في فتح توّج وما سنذكر في فتح إصطخر والله أعلم .

وخليفة بن خياط يرى أن إصطخر التي حدثت سنة ٢٣ هـ هي غزوة إصطخر الأولى ونسب ذلك إلى ابن إسحاق كما حدثه شيخه بكر عن ابن إسحاق قال : إصطخر الأولى سنة ٢٣ هـ ولم تفتح (تأريخ خليفة/ ١٥٢) .

قلنا : وهذا إسناد معضل والله أعلم .

وأخرج خليفة بن خياط ضمن أحداث سنة ٢٣ هـ (غزوة إصطخر) : وحدثني الوليد بن هشام قال حدثني أبي عن جدي قال : غزا عثمان بن أبي العاص من توّج سنوات في خلافة عمر ، وعثمان يغزو صيفاً ويرجع فيشتو بتوَّج (تأريخ خليفة/ ١٥٢) . وهذا إسناد مرسل والله أعلم .

والمهلب وعمرو ، قالوا : وقصد سارية بن زُنَيم فَسا وَدارَابجرْد ، حتى انتهى إلى عسكرهم ، فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله. ثم إنهم استمدّوا ، فتجمّعوا وتجمّعت إليهم أكراد فارس ، فدَهم المسلمين أمرٌ عظيم ، وجمع كثير؛ فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في ساعة من النهار ، فنادى من الغد: الصّلاة جامعة! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم؛ وكان أرِيَهم والمسلمون بصحراء إن أقاموا فيها؛ أحيط بهم ، وإن أرْزُوا إلى جبل من خلفهم؛ لم يؤتَوا إلاّ من وجه واحد. ثمّ قام فقال: يا أيّها الناس؛ إني رأيت هذين الجمعيْن ـ وأخبر بحالهما ـ ثم قال: يا سارية ! الجبلَ ، الجبلَ! ثمّ أقبل عليهم ، وقال: إنّ لله جنوداً ، ولعلّ بعضها أن يبلِّغهم؛ ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل ، ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد؛ فهزمهم الله لهم؛ وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم(١). (٤ : ١٧٨) .

ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعيّ والأكراد

٢١٤ ـ حدّثني عبد الله بن كَثير العبديّ ، قال: حدّثنا جعفر بن عون ، قال: أخبرنا أبو جَناب ، قال: حدّثنا أبو المحجَّل الرّدينيّ عن مخْلَد البكريّ ، وعلقمة بن مَرْثَد ، عن سليمان بن بُرَيدة: أنّ أميرَ المؤمنين كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان؛ أمّر عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه؛ فاجتمع إليه جيش ، فبعث عليهم سلَمة بن قيس الأشجعي فقال: سِرْ باسم الله ، قاتِلْ في

---

(١) إسناده ضعيف ولأصله ما يشهد له ، فقد أخرج ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٣٥) عدة روايات في قولة سيدنا عمر رضي الله عنه: (يا سارية الجبل يا سارية الجبل) فمن هذه الطرق التي ذكرها ابن كثير طريق عبد الله بن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر أن عمر وجّه جيشاً ورأس عليهم رجلاً يقال له: سارية ، قال: فبينا عمر يخطب فجعل ينادي يا سارية الجبل ! يا سارية الجبل ! ثلاثاً. ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً: يا سارية الجبل ! ثلاثاً فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله قال: فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك. ا هـ.
وقال الحافظ ابن كثير: وهذا إسناد جيد حسن ، ثم ذكر ابن كثير طرقاً أخرى لهذه الرواية عند الواقدي واللالكائي وقال في آخرها: فهذه طرق يشد بعضها بعضاً والله أعلم.

سبيل الله من كفر بالله؛ فإذا لقيتم عدوَّكم من المشركين؛ فادعوهم إلى ثلاث خصال: ادعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم في أموالهم الزكاة؛ وليس لهم في فيء المسلمين نصيب، وإن اختاروا أن يكونوا معكم؛ فلهم مثلُ الذي لكم، وعليهم مثل الذي عليكم؛ فإن أبوْا فادعوهم إلى الخراج؛ فإن أقرّوا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم؛ وفرّغوهم لخراجهم؛ ولا تكلّفوهم فوق طاقتهم؛ فإن أبوْا؛ فقاتلوهم؛ فإنّ الله ناصركم عليهم؛ فإن تحصّنُوا منكم في حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله؛ فلا تنزلوهم على حكم الله؛ فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم! وإن سألوكم أن ينزلوا على ذمّة الله وذمّة رسوله؛ فلا تعطُوهم ذمّة الله وذمّة رسوله؛ وأعطوهم ذمم أنفسكم، فإن قاتلوكم؛ فلا تغلّوا ولا تغدِروا ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً. قال سلمة: فسرنا حتى لقِينَا عدوّنا من المشركين، فدعوْناهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين، فأبوْا أن يسلِموا، فدعوناهم إلى الخراج فأبوْا أن يُقرّوا، فقاتلناهم فنصرَنا الله عليهم، فقتلنا المقاتلة، وسبيْنا الذرّية، وجمعنا الرّثّة؛ فرأى سلَمة بن قيس شيئاً من حِلْية، فقال: إنّ هذا لا يبلغ فيكم شيئاً، فتطيب أنفسكم أن نبعث به إلى أمير المؤمنين، فإنّ له بُرُداً ومَؤونة؟ قالوا: نعم، قد طابت أنفسنا. قال: فجعل تلك الحِلية في سَفَط، ثم بعث برجل من قومه، فقال: اركب بها؛ فإذا أتيت البَصْرة فاشتر على جوائز أمير المؤمنين راحلتين؛ فأوقِرْهما زاداً لك ولغلامك، ثم سِرْ إلى أمير المؤمنين.

قال: ففعلت، فأتيتُ أمير المؤمنين وهو يغدّي الناسَ متّكئاً على عصا كما يصنع الراعي وهو يدور على القِصاع، يقول: يا يرفأ؛ زدْ هؤلاء لحماً، زِدْ هؤلاء خبزاً، زدْ هؤلاء مَرَقة، فلما دُفعتُ إليه، قال: اجلس؛ فجلست في أدنَى الناس؛ فإذا طعام فيه خشونة طعامي، الذي معي أطيبُ منه. فلما فرغ الناس من قصاعهم قال: يا يرفأ! ارفع قِصاعك ثمّ أدْبِر؛ فاتّبعته فدخل داراً، ثم دخل حجرة، فاستأذنت وسلمت، فأذن لي، فدخلت عليه فإذا هو جالسٌ على مِسْح متّكئ على وسادتين من أدَم محشوّتين ليفاً؛ فنبذ إليّ بإحداهما، فجلست عليها، وإذا بَهْوٌ في صُفّة فيها بيت عليه سُتَيْر، فقال: يا أم كلثوم! غداءنا! فأخرجت إليه خُبزة بزيت في عُرْضها ملح لم يُدَقّ، فقال: يا أمّ كلثوم! ألا

تخرجين إلينا تأكلين معنا من هذا؟ قالت: إني أسمع عندك حِسَّ رجل، قال: نعم ولا أراه من أهل البلد ـ قال: فذلك حين عرفت أنه لم يعرفني ـ قالت: لو أردتَ أن أخرج إلى الرجال لكسوتَنِي كما كسا ابنُ جعفر امرأته، وكما كسا الزّبير امرأته، وكما كَسَا طلحة امرأته! قال: أوَ مَا يَكفيك أن يقال: أمّ كُلثوم بنت عليّ بن أبي طالب، وامرأة أمير المؤمنين عمر! فقال: كلْ؛ فلو كانت راضيةً لأطعمتْك أطيبَ من هذا. قال: فأكلتُ قليلاً ـ وطعامي الذي معي أطيب منه ـ وأكل، فما رأيت أحداً أحسن أكلاً منه ما يتلبّس طعامهُ بيده ولا فمه، ثم قال: اسقونا، فجاؤوا بعُسّ من سُلْت فقال: أعط الرّجل، قال: فشربت قليلاً، سويقي الذي معي أطيب منه، ثمّ أخذه فشربه حتى قَرَع القدح جبهته، وقال: الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا، وسقانا فأروانا. قال: قلت: قد أكل أمير المؤمنين فشبع، وشرب فروِيَ؛ حاجتي يا أمير المؤمنين! قال: وما حاجتك؟ قال: قلت: أنا رسول سلمة بن قيس، قال: مرحباً بسلمَة بن قيس ورسولِهِ! حدّثني عن المهاجرين كيف هم؟ قال: قلت: هم يا أميرَ المؤمنين كما تحبّ من السلامة والظَّفر على عدوّهم. قال: كيف أسعارهم؟ قال: قلت: أرخص أسعار. قال: كيف اللحم فيهم فإنها شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا بشجرتها؟ قال: قلت: البقرة فيهم بكذا، والشاة فيهم بكذا يا أميرَ المؤمنين! سرنا حتى لقينا عدونا من المشركين فدعوْناهم إلى ما أمرتَنا به من الإسلام فأبوْا، فدعوْناهم إلى الخراج فأبوْا، فقاتلناهم فنصرَنا الله عليهم، فقتلْنا المقاتلة، وسبيْنا الذّرّية، وجمعنا الرّثّة؛ فرأى سلمة في الرثّة حِلْية، فقال للناس: إنّ هذا لا يبلغ فيكم شيئاً، فتطيب أنفسكم أنْ أبعثَ به إلى أمير المؤمنين؟ فقالوا: نعم. فاستخرجت سَفَطي، فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأصفر وأخضر، وثب ثمّ جعل يده في خاصرته، ثم قال: لا أشبع الله إذاً بطن عمر! قال: فظنّ النساء أني أريد أن أغتاله، فجئن إلى الستر، فقال: كفّ ما جئت به، يا يرفأ! جَأ عنقه. قال: فأنا أصلح سَفَطي وهو يجأ عنقي! قلت: يا أميرَ المؤمنين! أبْدِعَ بي، فاحملني، قال: يا يرفأ أعطه راحلتين من الصدقة، فإذا لقيتَ أفقر إليهما منك فادفعهما إليه. قلت: أفعل يا أمير المؤمنين! فقال: أمَا والله لئن تفرّق المسلمون في مشاتِيهم قبل أن يقسَم هذا فيهم لأفعلنّ بك وبصاحبك الفاقرة.

قال: فارتحلتُ حتى أتيت سلمة ، فقلت: ما بارك الله لي فيما اختَصصتني به ! اقسم هذا في الناس قبل أن تصيبني وإيّاك فاقرة ، فقسمه فيهم ، والفصّ يباع بخمسة دراهم وستة دراهم؛ وهو خير من عشرين ألفاً[1] . (٤ : ١٨٦/١٨٧/١٨٨) .

٢١٥ ـ وأما السّريّ فإنه ذكر ـ فيما كتب به إليّ يذكر عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي جناب ، عن سليمان بن بُريدة ـ قال: لقيت رسولَ سلمة بن قيس الأشجعيّ ، قال: كان عمر بن الخطاب إذا اجتمعَ إليه جيشٌ من العرب. . . ثم ذكر نحو حديث عبد الله بن كثير عن جعفر بن عون؛ غير أنه قال في حديثه: عن شعيب عن سيف: وأعطوهم ذِمم أنفسكم. قال: فلقينا عدوّنا من الأكراد ، فدعوناهم.

وقال أيضاً: وجمعنا الرِّثّة ، فوجد فيها سلَمة حُقّتين جوهراً ، فجعلها في سَفَط.

وقال أيضاً: أوَ مَا كفاكِ أن يقال: أمّ كُلثوم بنت عليّ بن أبي طالب امرأة عمر بن الخطّاب! قالت: إنّ ذلك عني لقليل الغَناء ، قال: كل.

وقال أيضاً: فجاؤوا بعُسٍّ من سُلْت ، كلّما حرّكوه فارَ فوقه مما فيه؛ وإذا تركوه سكن. ثم قال: اشرب ، فشربت قليلاً؛ شرابي الذي معي أطيب منه ، فأخذ القَدَح فضرب به جبهته ، ثم قال: إنك لضعيفُ الأكل ، ضعيف الشرب.

وقال أيضاً: قلت: رسول سلمة ، قال: مرحباً بسلَمة وبرسوله؛ وكأنما خرجتَ من صلبه؛ حدّثْني عن المهاجرين.

وقال أيضاً: ثم قال: لا أشبع الله إذاً بطن عمر! قال: وظنّ النساء أني قد اغتلتُه ، فكشفن الستر ، وقال: يا يرفأ ، جأ عنقه ، فوجأ عنقي وأنا أصيح ، وقال: النَّجاء؛ وأظنّك ستبطىء. وقال: أما والله الذي لا إله غيره لئن تفرّق الناس

---

(١) في أول إسناده عبد الله بن كثير بن حسن العبدي (شيخ الطبري) لم نجد له ترجمة ، وإسناده. . . وله متابع كما سيأتي.

إلى مشاتيهم . . . وسائر الحديث نحو حديث عبد الله بن كثير[١] . (٤ : ١٨٩/ ١٩٠) .

٢١٦ ـ وحدّثنا الرّبيع بن سليمان ، قال : حدّثنا أسد بن موسى ، قال : حدّثنا شهاب بن خِراش الحوشبيّ ، قال : حدّثنا الحجاج بن دينار عن منصور بن المعتمر ، عن شقيق بن سلمة الأسديّ ، قال : حدّثنا الذي جرى بين عمر بن الخطاب وسلَمة بن قيس ، قال : ندب عمر بن الخطاب الناس إلى سلمة بن قيس الأشجعيّ بالحيرة ، فقال : انطلقوا باسم الله . . . ثم ذكر نحو حديث عبد الله بن كثير ، عن جعفر[٢] . (٤ : ١٩٠) .

٢١٧ ـ قال أبو جعفر : وحجّ عمر بأزواج رسول الله ﷺ في هذه السنة؛ وهي آخر حَجّة حجّها بالناس؛ حدّثني بذلك الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، عن الواقديّ[٣] . (٤ : ١٩٠) .

---

(١) إسناده ضعيف ويؤيده ما سيأتي .

(٢) إسناده حسن والله أعلم .

(٣) إسناده ضعيف إلاّ أن المعنى صحيح فقد أخرج البخاري في صحيحه من طريق إبراهيم عن أبيه عن جده : أذن عمر رضي الله عنه لأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها ، فبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف (فتح الباري/ ٤/ ٨٦) والحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٢٦) بزيادة في المتن والله تعالى أعلم .

مسألة حجات عمر رضي الله عنه

دأب الطبري أن يذكر في نهاية كل سنة من سني حكم الخليفة الفاروق رضي الله عنه : أنه حج بيت الله الحرام ، ولم نجد رواية مستقلة مسندة موصولة صحيحة تتحدث عن حجه رضي الله عنه في كل سنة على حدة .

إلاّ أن الحافظ ابن حجر نسب إلى سعيد بن منصور : أنه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه قال : (حججت مع عمر إحدى عشرة حجة وكان يلبي حتى يرمي الجمرة) (فتح الباري ٣/ ٦٢٣) .

وإذا كانت هذه الرواية صحيحة فهذا يعني : أنه حج في جميع سني حكمه أو أنه حج في أغلبها والله تعالى أعلم .

تحديد يوم وفاة سيدنا عمر رضي الله عنه

لقد أخرج الطبري عدة روايات في ذلك ضعيفة الأسانيد والأرجح أنه توفي لأربع ليالٍ بقين من ذي الحجة من سنة (٢٣ هـ) وهذا هو رأي أبي معشر وعثمان الأخنس والواقدي وكذلك =

ذكر نسب عمر رضي الله عنه

٢١٨ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق. وحدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، عن محمد بن عمر وهشام بن محمد. وحدّثني عُمر، قال: حدّثنا عليّ بن محمد، قالوا جميعاً في نسب عمر: هو عمرُ بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن رِباح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عديّ بن كعب بن لؤيّ. وكنيته أبو حفص، وأمّه حَنْتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم[1]. (٤: ١٩٥).

تسميته بالفاروق

قال أبو جعفر: وكان يقال له: الفاروق.

وقد اختلف السلف فيمن سمّاه بذلك، فقال بعضهم: سماه بذلك رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك: (٤: ١٩٥).

وقال بعضهم: أوّل مَنْ سمّاه بهذا الاسم أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

٢١٩ ـ حدّثنا الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، قال: قال ابن شهاب: بلغنا

= أخرج خليفة بن خياط في تأريخه فقال: روى ابن علية عن سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن طلحة قال: قُتل عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة (تأريخ خليفة/ ١٥٢) والله تعالى أعلم.

(١) مركب من ثلاثة أسانيد ضعيفة ولكن المعنى صحيح ولقد بوّب البخاري في صحيحه في مناقب الصحابة فقال: باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (فتح الباري ٧/ ٥٠) وكذلك قال ابن شبة في نسب سيدنا عمر هو: عمر بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عدي بن كعب ويكنى أبا حفص وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (تأريخ المدينة ٦/ ٢/ ٢١٩)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٢٦٥).

أنّ أهل الكتاب كانوا أوّلَ مَن قال لعمر: الفاروق؛ وكان المسلمون يأثُرون ذلك من قولهم؛ ولم يبلغنا أن رسول الله ﷺ ذكر من ذلك شيئاً[١]. (٤: ١٩٥/ ١٩٦).

ذكر صفته

٢٢٠ ـ حدّثنا هنّاد بن السّريّ، قال: حدّثنا وكيع عن سفيان، عن عاصم بن أبي النَّجُود، عن زِرّ بن حُبيش، قال: خرج عمر في يوم عيد ـ أو في جنازة زينب ـ آدم طُوالاً أصلعَ أعسرَ يَسراً، يمشي كأنه راكب[٢]. (٤: ١٩٦).

٢٢١ ـ حدّثنا هنّاد؛ قال: حدّثنا شريك عن عاصم، عن زِرّ، قال: رأيت عمر يأتي العيد ماشياً حافياً أعسَر أيْسَر متلبِّباً بُرْداً قَطَرِيّاً، مشرفاً على الناس كأنه على دابّة؛ وهو يقول: أيّها الناس؛ هاجروا ولا تهجَّروا[٣]. (٤: ١٩٦).

٢٢٢ ـ وحدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدّثنا شُعيب بن طلحة عن أبيه، عن القاسم بن محمد، قال: سمعتُ ابنَ عمر يصفُ عمر يقول: رجل أبيض، تعلوه حُمرة، طُوال، أشيب، أصلع[٤]. (٤: ١٩٦).

٢٢٣ ـ وحدّثني الحارث، قال: حدّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا خالد بن أبي بكر، قال: كان عُمر يصفّر لحيتَه، ويرجّل رأسه بالحِنّاء[٥]. (٤: ١٩٦).

---

(١) إسناده مرسل صحيح.

(٢) إسناده صحيح وسنتحدث عنه بعد الرواية التالية.

(٣) في إسناده شريك وفي حفظه شيء ولكن يؤيده ما قبله وكذلك قال الحافظ في ترجمته: وأخرج ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن أبي رجاء العطاردي قال: كان عمر طويلاً جسيماً أصلع أشعر شديد الحمرة كثيرة السَّبَلة في أطرافها صهوبة، وفي عارضيه خفّة. وروى يعقوب بن سفيان في تأريخه بسند جيد إلى زرّ بن حبيش قال: رأيت عمر (أعسر) أصلع آدم، قد فرع الناس كأنّه على دابة ... الخبر. الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٨٤/ت ٥٧٥٢).

(٤) إسناده ضعيف ولكن له ما يشهد له.

(٥) إسناده ضعيف ولكن لبعضه ما يشهد له فقد أخرج ابن سعد في طبقاته (٣/ ٣٢٧) قال: أخبرنا سعيد بن منصور قال: أخبرنا حماد بن زيد عن ثابت بن أنس قال: كان عمر يخضب بالحناء.=

ذكر مولده ومبلغ عمره

٢٢٣/ أ ـ وقال آخرون: توفّي وهو ابن ثلاث وستين سنة. (٤ : ١٩٧).

ذكر من قال ذلك:

٢٢٤ ـ حدّثنا ابنُ المثنّى، قال: حدّثنا ابنُ أبي عديّ عن داود، عن عامر، قال: مات عُمَر وهو ابن ثلاث وستين سنة[١]. (٤ : ١٩٨).

ذكر بعض سِيَره

٢٢٥ ـ وحدّثني يعقوبُ بن إبراهيم، قال: حدّثنا إسماعيلُ بن إبراهيم، عن يونس، عن الحسن، قال: قال عمر: إذا كنت في منزلة تسعني وتعجِز عن الناس فوالله ما تلك لي بمنزلة حتى أكون أسوةً للناس[٢]. (٤ : ٢٠١).

٢٢٦ ـ حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا إسماعيل عن يونس، عن الحسن، قال: قال عمر: لئن عشت إنْ شاء الله لأسيرنّ في الرعيّة حَوْلاً، فإني

= وإسناده صحيح وأخرجه ابن سعد عن ابن عمر أيضاً (٣/ ٣٢٧).

(١) إسناده مرسل وهو صحيح فقد سبق أن تحدث الطبري رحمه الله عن وفاة سيدنا عمر عند حديثه عن وفاة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه كما أخرج الطبري (٣/ ٤٢٠) عن جرير قال: كنت عند معاوية فقال: توفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة وتوفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة. وإسناده صحيح وكذلك أخرجه الطبري بسند صحيح من طريق آخر عن معاوية رضي الله عنه (٣/ ٤٢) والحديث كما ذكرنا أخرجه الترمذي (٥/ ح ٣٦٥٣) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح والله تعالى أعلم.

ذكر وقت إسلامه

ذكر الطبري رواية ابن سعد عن الواقدي في تحديد وقت إسلام عمر رضي الله عنه، والواقدي متروك وله رواية أخرى عند ابن سعد (الطبقات الكبرى/ ٣/ ٢٦٩) أنه أسلم بعد أربعين رجلاً وعشرة نسوة.

قلنا: ولم نجد رواية صحيحة تؤيد ما ذهب إليه الواقدي في أيٍّ من روايتيه إلاّ أن الصحيح: أنه رضي الله عنه من السابقين الأوائل إلى الإسلام وإن إسلامه كان عزّاً للمسلمين (راجع القسم الصحيح من العهد المكي من السيرة النبوية الشريفة).

(٢) إسناده مرسل صحيح.

أعلمُ أنّ للناس حوائج تقطع دوني؛ أما عمّالهم فلا يرفعونها إليّ؛ وأمّا هم فلا يصلون إليّ ، فأسير إلى الشام؛ فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين؛ والله لنعمَ الحوْل هذا![١] . (٤ : ٢٠١/ ٢٠٢) .

٢٢٧ ـ حدّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال: حدّثنا سفيان ، عن يحيى ، قال: أخبرني سالم ، عن أسلم ، قال: بعثني عمر بإبل من إبل الصدقة إلى الحِمَى ، فوضعت جَهازي على ناقة منها؛ فلما أردت أن أُصدِرها ، قال: اعرِضْها عليّ ، فعرضتُها عليه ، فرأى متاعي على ناقة منها حسناء ، فقال: لا أمّ لك! عَمَدت إلى ناقة تغني أهلَ بيت المسلمين! فهلاّ ابن لَبون بوّالاً ، أو ناقةً شَصُوصاً![٢] . (٤ : ٢٠٢) .

٢٢٨ ـ حدّثني عمر بن إسماعيل بن مجالد الهمْدانيّ ، قال: حدثنا أبو معاوية عن أبي حيان ، عن أبي الزّنباع ، عن أبي الدهقانة ، قال: قيل لعمر بن الخطاب: إن هاهنا رجلاً من أهل الأنبار له بَصر بالديوان؛ لو اتخذته كاتباً! فقال عمر: لقد اتّخذتُ إذاً بِطانةً من دون المؤمنين[٣] . (٤ : ٢٠٢) .

٢٢٩ ـ ما حدّثنا به محمد بن المثنّى ، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، قال: حدّثنا شعبة عن يحيى بن حصَين ، سمع طارق بن شهاب يقول: قال عمر في عمّاله: اللهمّ إني لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم؛ ولا ليضربوا أبشارهم ، مَن ظلَمه أميره فلا إمْرة عليه دوني[٤] . (٤ : ٢٠٣) .

٢٣٠ ـ وحدّثنا ابنُ بشّار ، قال: حدّثنا ابنُ أبي عديّ عن شعبة ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعْد ، عن مَعْدان بن أبي طلحة: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطبَ الناس يوم الجمعة ، فقال: اللهمّ إني أشهدك على أمراء الأمصار أني إنما بعثتهم ليعلّموا الناس دينَهم وسنّة نبيّهم؛ وأن يقسموا فيهم فيئهم ، وأن

---

(١) مرسل صحيح وكذلك أخرجه ابن شبة (أخبار المدينة ٦/ ٣/ ٣٨).

(٢) إسناده صحيح.

(٣) إسناده ضعيف ومتنه صحيح.

(٤) إسناده صحيح.

يعدِلوا؛ فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إليّ[١] . (٤ : ٢٠٣/ ٢٠٤) .

ذكر الخبر الوارد عنه بذلك :

٢٣١ ـ حدّثنا ابنُ بشار ، قال: حدّثنا أبو عامر ، قال: حدّثنا قُرّة بن خالد ، عن بكر بن عبد الله المُزنِيّ ، قال: جاء عمر بن الخطاب إلى باب عبد الرحمن بن عوف فضرَبه ، فجاءت المرأة ففتحته؛ ثم قالت له: لا تدخل حتى أدخل البيت وأجلس مجلسي ، فلم يدخل حتى جلست ، ثم قالت: ادخل ، فدخل ، ثم قال: هل من شيء؟ فأتته بطعام فأكل ، وعبد الرحمن قائم يصلّي ، فقال له: تَجَوّز أيّها الرجل؛ فسلم عبد الرحمن حينئذ ، ثم أقبل عليه ، فقال: ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟! قال: رُفقة نزلتْ في ناحية السوق خشيتُ عليهم سُرّاق المدينة ، فانطلق فلنحرسهم ! فانطلقا فأتيا السوق ، فقعدا على نَشَزٍ من الأرض يتحدّثان ، فرفع لهما مصباح ، فقال عمر: ألم أنْهَ عن المصابيح بعد النوم! فانطلقا ، فإذا هم قوم على شراب لهم ، فقال: انطلق فقد عرفته ، فلما أصبح أرسل إليه فقال: يا فلان ! كنتَ وأصحابك البارحة على شراب. قال: وما علمُك يا أميرَ المؤمنين؟! قال: شيء شهدته؛ فقال: أوَ لم ينهك الله عن التجسّس! قال: فتجاوز عنه.

قال بكر بن عبد الله المُزنيّ: وإنّما نهى عمر عن المصابيح؛ لأن الفأرة تأخذ الفتيلة فترمِي بها في سقف البيت فيحترق ، وكان إذْ ذاك سقف البيت من الجريد[٢] . (٤ : ٢٠٥) .

٢٣٢ ـ قال أبو جعفر: وكان رضي الله عنه شديداً على أهل الرِّيَب ، وفي حقّ الله صليباً حتى يستخرجه ، وليّناً سهلاً فيما يلزمه حتى يؤدّيَه ، وبالضعيف رحيماً رؤوفاً. حدّثني عبيد الله بن سعيد الزُّهريّ ، قال: حدّثنا عمّي ، قال: حدّثنا أبي ، عن الوليد بن كثير ، عن محمد بن عجلان: أنّ زيد بن أسلم حدّثه عن أبيه: أنّ نفراً من المسلمين كلّموا عبد الرحمن بن عوف ، فقالوا: كلّم عمر بن الخطاب؛ فإنه قد أخشانا حتى والله ما نستطيع أن نديم إليه أبصارنا. قال: فذكر

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) إسناده مرسل صحيح.

ذلك عبد الرحمن بن عوف لعمر ، فقال : أوَقد قالوا ذلك! فوالله لقد لِنت لهم حتى تخوّفت الله في ذلك؛ ولقد اشتددت عليهم حتى خشيت الله في ذلك ، وايم الله لأنا أشدّ منهم فَرَقاً منهم منّي![1] (٤ : ٢٠٧) .

تسمية عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين

٢٣٢/ أ ـ قال أبو جعفر : أوّلُ مَنْ دُعِيَ أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب ، ثم جرت بذلك السنّة ، واستعمله الخلفاء إلى اليوم. (٤ : ٢٠٨) .

وضعه التأريخ

٢٣٢/ ب ـ قال أبو جعفر : وكان أوّل مَن وضع التاريخ وكتبه ـ فيما حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ـ في سنة ستّ عشرة في شهر ربيع الأول منها ، وقد مضى ذكري سبب كتابه ذلك؛ وكيف كان الأمر فيه.

وعمر رضي الله عنه أوّل مَنْ أرّخ الكتب ، وخَتم بالطين. وهو أوّل مَن جمع الناس على إمام يصلّي بهم التراويح في شهر رمضان ، وكتب بذلك إلى البلدان[2]. (٤ : ٢٠٩) .

---

(١) رجال إسناده رجال الصحيح غير ابن عجلان وهو صدوق إلا أن أحاديث أبي هريرة اختلطت عليه ، وروايته هذه ليست من أحاديث أبي هريرة ، والله تعالى أعلم.

(٢) لقد أخرج الطبري في هذه المسألة روايتين بإسنادين ضعيفين ولكن ما قاله من أنه رضي الله عنه أول من سُمّي أمير المؤمنين فصحيح :
فقد أخرج ابن شبة عن الشفاء رضي الله عنها (وكانت من المهاجرات الأول) وفيها (أي : الرواية) فوثب (عمرو) فدخل على عمر رضي الله عنه فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : يا عمرو ما بدا لك في هذا الاسم؟ لتخرجن مما دخلت فيه أو لأفعلن ! قال : قدم لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثم دخلا المسجد فقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين فهما والله أصابا (اسمك فأنت الأمير ونحن المؤمنون ، قال : فجرى الكتاب في ذلك اليوم). ونسبه الهيثمي إلى الطبراني وقال : رجاله رجال الصحيح المجمع (٩/ ٦١) والله أعلم.
وأما عن جمعه رضي الله عنه الناس على إمام يصلي بهم التراويح في رمضان فأصله في =

حمله الدّرّة وتدوينه الدواوين

٢٣٢/ جـ ـ وهو أوّل مَن حمل الدّرّة ، وضرب بها؛ وهو أوّل مَن دَوّن للناس في الإسلام الدواوين ، وكتب الناس على قبائلهم ، وفرض لهم العطاء[١]. (٤ : ٢٠٩).

شيء من سيره مما لم يمض ذكره

٢٣٣ ـ وحدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ عن مسلمة بن محارب ، عن خالد الحذّاء ، عن عبد الله بن أبي صعصعة عن الأحنف ، قال: أتى عبد الله بن عمير عمر؛ وهو يفرض للناس ـ واستشهد أبوه يوم حُنين ـ فقال: يا أمير المؤمنين! افرض لي. فلم يلتفت إليه ، فنخسه ، فقال عمر: حسِّ! وأقبل عليه فقال: مَن أنت؟ قال: عبد الله بن عمير ، قال: يا يرفأ ، أعطه ستمئة ، فأعطاه خمسمئة ،

= صحيح البخاري ، كما أخرج عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة من رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط. فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد؛ لكان أمثل. ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب . . . الحديث. فتح الباري (٤/ ٢٩٥).

(١) أما عن تدوينه الدواوين فالمصادر التأريخية جلّها تقول بذلك ، ولقد أورد الطبري عدة روايات في ذلك كلها من طريق الواقدي وهو متروك ، ولقد تحدث الطبري عن هذه المسألة في الجزء الثالث من تأريخ الملوك والرسل كذلك ولقد أخرج البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٥٠) وأبو يوسف في (الخراج/ ٤٥) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قدم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من البحرين قال: وصليت معه العشاء فلما رآني سلمت عليه فقال: ما قدمت به فقلت: بخمسمئة ألف . . . الخبر. وفيه: يا أمير المؤمنين إني رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً يعطون الناس عليه. قال: فدون الدواوين . . . إلخ. ومحمد بن عمرو صدوق له أوهام وروايته هذه في التأريخ لا في الأصول والله تعالى أعلم.
وأخرج البيهقي في السنن (٦/ ٣٥٠) رواية أخرى في هذا المعنى عن أبي معشر عن عمر مولى غفرة وغيره.

فلم يقبلها ، وقال: أمرَ لي أمير المؤمنين بستمئة ، ورجع إلى عمر فأخبره ، فقال عمر: يا يرفأ ! أعطِهِ ستمئة وحُلّة ، فأعطاه فلبس الحلّة التي كساه عمر ، ورمى بما كان عليه ، فقال له عمر: يا بُنيّ ، خذ ثيابك هذه فتكون لمهنة أهلك ، وهذه لزينتك[١]. (٤ : ٢٢١/ ٢٢٢) .

٢٣٤ ـ وحدّثنا ابنُ بشار ، قال: حدّثنا عبد الرحمن ، قال: حدّثنا سُفيان عن حبيب ، عن أبي وائل ، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت؛ لأخذت فضولَ أموالِ الأغنياء ، فقسمتها على فقراء المهاجرين[٢]. (٤ : ٢٢٦) .

٢٣٥ ـ وحدّثنا ابن بشار ، قال: حدّثنا عبدُ الرحمن بن مهديّ ، قال: حدّثنا منصور بن أبي الأسود عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود بن يزيد ، قال: كان الوفد إذا قدِموا على عمر رضي الله عنه سألهم عن أميرهم ، فيقولون خيراً ، فيقول: هل يعود مرضاكم؟ فيقولون: نعم؛ فيقول: هل يعود العبد؟ فيقولون: نعم ، فيقول: كيف صنيعه بالضّعيف؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لِخصلة منها: لا؛ عَزله[٣]. (٤ : ٢٢٦) .

---

(١) رجاله ثقات غير مسلمة بن محارب لم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) إسناده صحيح.

قصة الشورى

(٤/ ٢٢٧): ذكر الطبري ثلاث روايات في هذه (قصة الشورى) التي أمر بها سيدنا عمر رضي الله عنه حين حضرته الوفاة: الأولى عند الحديث عن وفاته رضي الله عنه وفي إسنادها متروك (٤/ ١٩٠/ ٥٨٧). والثانية (٤/ ٢٢٧/ ٦٥٨) رواية ضعيفة جداً كما ذكرنا. والثالثة (٤/ ٢٣٤/ ٦٥٩) كالرواية الأولى في إسنادها متروك كما ذكرنا هناك ، ولكن في هذه الروايات بعض المسائل الصحيحة ، وفيها ما فيها من الطامات والمخالفات ما نبّه إليها أئمة الحديث والجرح والتعديل وقد ذكرناها في قسم الضعيف ، أما هنا فسنذكر ما صح إسناده كي نظهر مفخرة أخرى من مفاخر التأريخ الإسلامي ظهوراً صافياً نقياً جلياً للعين تحرق شمسه أعين الحاقدين على تأريخ الصحابة الكرام من مبتدعة أو مستشرقين أو متغرّبين:

١ ـ أخرج البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة ووقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال: كيف =

= فعلتما؟ أتخافان أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حملناها أمراً هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل. قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق. قالا: لا. فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً. قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب. قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب ـ وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ـ فما هو إلّا أن كبر فسمعته يقول: قتلني، أو: أكلني ـ الكلب ـ حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمرّ على أحد يميناً ولا شمالاً إلّا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال: يا بن عباس، انظر من قتلني فجاء ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة. قال: الصنع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدّعي الإسلام قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقاً، فقال: إن شئت فعلت ـ أي إن شئت قتلنا ـ قال: كذبت بعدما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم؟! فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ.

فقائل يقول: لابأس، وقائل يقول: أخاف عليه. فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه، فخرج من جرحه، فعلموا: أنه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وودت أن ذلك كفاف لا عليّ ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يا بن أخي! ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك. يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأدوه من أموالهم، وإلّا فسل في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم، فأدّ عني هذا المال. انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ـ ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً ـ وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنه به اليوم على نفسي. فلما أقبل: قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال: ارفعوني. فأسند رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين! أذنت. قال: الحمد لله ما كان من =

= شيء أهم إليّ من ذلك ، فإذا أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت حفصة والنساء تسير معها ، فلما رأيناها قمنا ، فولجت عليه فبكت عنده ساعة ، واستأذن الرجال ، فولجت داخلاً لهم ، فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا: أوصِ يا أمير المؤمنين ، استخلف ! قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر ـ أو الرهط ـ الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. فسمى علياً ، وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وسعداً ، وعبد الرحمن. وقال: يشهدكم عبد الله ابن عمر ـ وليس له من الأمر شيء ـ كهيئة التعزية له فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذلك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر ، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة. وقال أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين ، أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً؛ الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم: أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام ، وجباة المال وغيظ العدو ، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم وأوصيه بالأعراب خيراً ، فإنهم أصل العرب وقادة الإسلام ، أن يؤخذ من حواشي أموالهم ، ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفوا إلاّ طاقتهم. فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب ، قالت: أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم ، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي فقال طلحة قد جعلت أمري إلى عثمان وقال سعد: جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف ، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه ، والله عليه والإسلام لننظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان. فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليّ والله عليّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان ! فبايعه فبايع له علي ، وولج أهل الدار فبايعوه اهـ. (فتح الباري ٧/ ٧٤ ـ ٧٥ ـ ٧٦) وهذه الرواية عند ابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٥٧٤).

٢ ـ وأخرج البخاري رواية أخرى من طريق المسور بن مخرمة (ح: ٧٢٠٧) وفيه: فتشاوروا فقال لهم عبد الرحمن: لست بالذي أنا منكم على هذا الأمر ولكنكم إن شئتم؛ اخترت لكم منكم فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن ، فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم فمال الناس على عبد الرحمن حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه ، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي ، حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان ، قال المسور: طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال: أراك نائماً ، فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكثير نوم ، انطلق فادع الزبير وسعداً ، فدعوتهما =

* * *

= له ، فشاورهما ، ثم دعاني فقال: ادع لي علياً ، فدعوته فناجاه حتى ابهار الليل ثم قام علي من عنده وهو على طمع ، وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئاً ، ثم قال: ادع لي عثمان فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن للصبح فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار ، وأرسل إلى أمراء الأجناد ـ وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر ـ فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد: يا علي ! إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً. فقال: أبايعك على سنة الله وسنة رسوله والخليفتين من بعده ، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون.

عمّال عمر رضي الله عنه على الأمصار

وكان عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ في السنة التي قُتل فيها؛ وهي سنة ثلاث وعشرين ـ على مكّة: نافع بن عبد الحارث الخُزاعيّ ، وعلى الطائف: سُفيان بن عبد الله الثّقفيّ ، وعلى صنعاء: يعلَى بن مُنْية؛ حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وعلى الجَنَد: عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى الكوفة: المغيرة بن شعبة؛ وعلى البصرة: أبو موسى الأشعريّ ، وعلى مصر: عمرو بن العاص؛ وعلى حِمْص: عُمير بن سعد ، وعلى دمشق ، معاوية بن أبي سفيان؛ وعلى البحرين ، وما والاهما: عثمان بن أبي العاص الثقفيّ. (٤/ ٢٤١).




صحيح

تاريخ عثمان بن عفان

رضي الله عنه






فضائل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه[1]

---

(١) **فضائل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه**

١ ـ أخرج البخاري في صحيحه (ح ٣٦٩٥): عن أبي موسى رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: ائذن له وبشره بالجنة فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال له: ائذن له وبشره بالجنة فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه فإذا عثمان بن عفان» صحيح.

قال حماد: وزاد فيه عاصم: أن النبي ﷺ كان قاعداً في مكان فيه ماء قد كشف عن ركبتيه ـ أو ـ ركبته فلما دخل عثمان غطاها. وأخرجه مسلم (٢٤٠٣) والترمذي (٣٧١٠) وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي في فضائل الصحابة (٣١) وأحمد (٤/ ٣٩٣).

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (ح ٢٤١٧): عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حِراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبيّ أو صديق أو شهيد» صحيح. وأخرجه الترمذي (٣٦٩٦) وقال: وهذا حديث صحيح. وأحمد والنسائي في فضائل الصحابة (١٠٣).

٢ ـ أخرج الإمام البخاري في صحيحه (ح ٣٦٩٦): حدثني أحمد بن شبيب بن سعيد قال: حدثني أبي عن يونس بن شهاب قال: أخبرني عروة أن عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد الأسود قالا: ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه، فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة، قلت: إن لي إليك حاجة، وهي نصيحة لك. قال: يا أيها المرء منك ـ قال معمر: أراه قال: أعوذ بالله منك ـ فانصرفت فرجعت إليهما إذ جاء رسول عثمان فأتيته، فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: إن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ، فهاجرت الهجرتين وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأيت هديه، وقد أكثر الناس في شأن الوليد. قال: أدركت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قلت: لا. ولكن خلص إليّ من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها. قال: أما بعد فإن الله بعث محمداً ﷺ بالحق فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين ـ كما قلت ـ وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله، ثم استخلفت أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى. قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أما =

= ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله ، ثم دعا علياً فأمره أن يجلدهُ فجلده ثمانين. صحيح. وأخرجه أحمد مختصراً (١/ ٧٥) وفي فضائل الصحابة (٧٩١).
٣ـوأخرج الإمام مسلم في صحيحه (ح٢٤٠٢): عن سعيد بن العاص أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابسٌ مِرْط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: «اجمعي عليك ثيابك» فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت فقالت عائشة: يا رسول الله ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجلٌ حييٌّ ، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليّ في حاجته» صحيح.
وأخرجه أحمد (١/ ٧١ و١٥٥ و١٦٧) ، (٦/ ١٥٥) وأبو يعلى (٨/ ٢٤٢) وأحمد في فضائل الصحابة (٧٩٣) وابن أبي عاصم (١٢٨٧) والبخاري في الأدب المفرد (٦٠٠) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٤٧٤).
٤ ـ أخرج الإمام مسلم في صحيحه (ح ٢٤٠١): أن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه ـ قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد ـ فدخل فتحدث ، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك! فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة». صحيح.
٥ ـ وأخرج الإمام البخاري في صحيحه (ح ٣٦٩٨): حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان وهو ابن موهب ـ قال: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمرقال: يا بن عمر ! إني سائلك عن شيء فحدثني عنه. هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: هل تعلم أنه تغيب يوم بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. فقال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجلٍ ممن شهد بدراً وسهمه ، وأما تغيّبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعزّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ: هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك. صحيح.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين
ولاية سعد بن أبي وقّاص الكوفة

٢٣٦ - وفي هذه السنة عزَل عثمانُ المغيرةَ بن شعبة عن الكوفة ، وولّاها سعد بن أبي وقاص فيما كتب به إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبيّ ، قال: كان عمر قال: أوصِي الخليفةَ من بعدي أن يستعمل سعد بن أبي وقّاص ، فإنّي لم أعزِلْه عن سوء ، وقد خشيتُ أن يلحقه من ذلك. وكان أوّل عامل بعث به عثمان سعد بن أبي وقاص على الكوفة ، وعزل المغيرة بن شعبة ، والمغيرة يومئذ بالمدينة ، فعمِل عليها سعد سنة وبعض أخرى، وأقـرَّ أبا موسى سنوات[1] (٤ : ٢٤٤).

= وأخرجه الترمذي (٣٧٠٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد (٢/ ١٠١) وفي فضائل الصحابة (٧٣٧).

(١) إسناده ضعيف ، ولكن مسألة توصية عمر رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص وردت في عموم وصيته رضي الله عنه كما في رواية البخاري وغيره: فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن وفيه أيضاً (رواية البخاري المطولة في قصة وفاة سيدنا عمر والشورى): فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذلك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين والأنصار (فتح الباري ٧/ ٧٥) وهذه الرواية الصحيحة تؤيد ما عند الطبري من رواية سيف.

غزوة أذربيجان وأرمينية

ذكرنا الروايتين (٤/ ٢٤٦/خ ٦٧٢) و(٤/ ٢٤٧/خ ٦٧٣) في قسم الضعيف لأنهما من طريق أبي مخنف وهو راوٍ تالف. وكذلك تحدثنا عن فتح أذربيجان ضمن أحداث سنة (٢٢ هـ) ونعود مرة أخرى لنزيل اللبس إن شاء الله ونوضح الأمور أكثر فنقول وبالله التوفيق: - من خلال مراجعتنا للروايات التاريخية وآراء المؤرخين المعتمدين تبيّن لنا ما يلي -:
لقد فتح المسلمون أذربيجان مرات عدة كلما نقض أهلها عقدهم مع المسلمين ، ولذلك شارك في الفتح عدة قادة وعلى مراحل مختلفة.
١ -فأول من فتحها حذيفة رضي الله عنه في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه.
٢ -ثم نقضت عهدها ففتحها عتبة بن فرقد وصالحها على ما صالح عليه سلفه حذيفة.
٣ - وإن صحت رواية البلاذري عن فروة بن لقيط الأزدي فإن هذه المدينة نقضت عهدها للمرة الثالثة ففتحها الوليد بن عقبة الذي كان والياً على الكوفة في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه. =

ثم دخلت سنة سبع وعشرين[١]

٤ ـ وبقي حذيفة مع الفاتحين وتحت إمرة غيره من القادة حول أذربيجان حتى حضر إلى المدينة في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه.

وإليك أخي القارئ الكريم ما جمعنا من الروايات التاريخية والحديث في فتح أذربيجان:

١ ـ أخرج البلاذري في فتوحه قال: وحدثني العباس بن الوليد النرسي قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي قال: كنت مع عتبة بن فرقد حين افتتح أذربيجان فصنع سفطين من خبيص وألبسهما الجلود واللبود، ثم بعث إلى عمر مع سحيم مولى عتبة، فلما قدم عليه قال: ما الذي جئت به أذهب أم ورق؟ وأمر به فكشف عنه فذاق الخبيص فقال: إن هذا لطيب أثر أَكُلُّ المهاجرين أكل منه شِبَعَهُ؟ قال: لا إنما هو شيء خصّك به، فكتب إليه: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عتبة بن فرقد، أما بعد فليس من كدّك ولا كدّ أمك ولا كدّ أبيك، لا نأكل إلا ما يشبع منه المسلمون في رحالهم (فتوح البلدان/ ٤٥٧) وإسناده صحيح.

٢ ـ وأخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: نا التيمي عن أبي عثمان النهدي قال: جاءنا كتاب عمر ونحن مع عتبة بن فرقد (تاريخ خليفة/ ١٥١) وهذا إسناده صحيح. ورواية خليفة والبلاذري تقوي روايته والله أعلم.

٣ ـ وأخيراً نذكر حديثاً طويلاً في مسألة جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير ٦٥/ السورة ٩ ب ج ٥/ ٢٠) عن زيد بن ثابت وفيه (حتى قدم حذيفة بن اليمان على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق.. إلى آخر الرواية).

ولقد ذكر خليفة بن خياط فتح أذربيجان ضمن أحداث سنة (٢٢ هـ) (تأريخ خليفة/ ١٥٧) فقال: حدثنا عن ابن إسحاق قال: فتحت سنة اثنين وعشرين وذكر خليفة رأياً آخر فقال: وقال أبو عبيد: افتتحها حبيب بن مسلمة الفهري بأهل الشام عنوة ومعهم أهل الكوفة في خلافة عمر ومعهم حذيفة بعد قتال شديد. (تأريخ خليفة/ ١٥١).

وذكر في أحداث سنة (٢٨ هـ) فقال فيها غريب أذربيجان أمير الناس الوليد بن عقبة وقدم عبد الله بن شبيل الأحمسي فأعطوه الصلح الذي كان صالحهم عليه حذيفة (تأريخ خليفة/ ١٦٠).

قلنا: ولم يترجح لدينا أيٌّ من التواريخ المختلفة التي ذكرها المؤرخون لضعف الأسانيد ولكن المرجح لدينا أنها فتحت عدة مرات من قبل حذيفة أولاً في عهد سيدنا عمر ثم من قبل عتبة بن فرقد في عهد عمر ثم فتحها الوليد بن عقبة أو حبيب بن مسلم الفهري ومعهم حذيفة والله أعلم.

(١) روى الطبري عدة روايات في عزل عمرو بن العاص بعد سنتين من خلافته وتولية عبد الله بن=

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة

فمما ذُكر أنه كان فيها فتح قُبرس ، على يد معاوية ، غزاها بأمر عثمان إيّاه؛ وذلك في قول الواقديّ . (٤/ ٢٥٨) .

وقال بعضهم : كانت قبرس سنة سبع وعشرين ، غزاها ـ فيما ذكر ـ جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم أبو ذَرّ وعبادة بن الصامت؛ ومعه زوجته أمّ حرام والمقداد وأبو الدّرداء ، وشدّاد بن أوس[1] . (٤ : ٢٥٨) .

= سعد بن أبي سرح على مصر ، وتكاد المصادر التاريخية تجمع على ذلك ، ثم ذكر الطبري في ما رواه أن عبد الله بن أبي السرح بدأ بغزو إفريقية تنفيذاً لأمر أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وهذا ما تؤكده أكثر المصادر التاريخية ولكن روايات الطبري في هذا الفتح ضعيفة فهي من طريق شعيب عن سيف أو من طريق الواقدي وهو متروك .

ولقد أخرج الكندي رواية في عزل عمرو وتولية عبد الله بن أبي سرح وهي من حديث الليث (مرسلاً) (ولاة مصر/ ٣٤) وكذلك أخرج الكندي عن أبي أويس قال : (غزونا مع عبد الله بن سعد إفريقية في خلافة عثمان سنة سبع وعشرين) (ولاة مصر/ ٣٦) وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف . وكذلك أخرج الذهبي رواية مصعب بن عبد الله عن أبيه والزبير بن خبيب قالا : قال ابن الزبير هجم علينا جرجير في معسكرنا في عشرين ومئة ألف فأحاطوا بنا ونحن في عشرين ألف واختلف الناس على عبد الله بن أبي سرح (تاريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء ١/ ٣١٨) والبداية والنهاية (٧/ ١٥٢) . وهذا إسناد ضعيف .

قلنا : وفي هذه الروايات الضعيفة تفاصيل لم تتأكد من روايات صحيحة إلا أن هذه الروايات الضعيفة (سواء عند الطبري أو غيره) تؤكد جميعها على قيادة عبد الله بن أبي سرح لجيش المسلمين في فتح إفريقية وذلك في عهد سيدنا عثمان ، ولعلها تتقوى ببعضها لتؤكد هذا المعنى ، والله تعالى أعلم .

(١) قلنا : وروى الطبري روايات عدة في فتح قبرس ابتداءً من (٤/ ٢٥٨) وحتى (٤/ ٢٦٢) وهي من طريق ضعيف (شعيب عن سيف) إلا رواية واحدة (٤/ ٢٦٢/ ٩٤٥) عن الليث معضلاً .

ولقد ذكرنا الروايات جميعاً في قسم الضعيف ولم نجد لتفاصيلها متابعاً أو شاهداً ، إلاّ أن غزو معاوية لقبرس في عهد أمير المؤمنين عثمان واشتراك عبادة بن الصامت وأم حرام في تلك الغزاة صحيح كما :

١ ـ أخرج البخاري عن أنس عن خالته أم حرام بنت ملحان قالت : نام النبي ﷺ يوماً قريباً مني ثم استيقظ يتبسم ، فقلت : ما أضحكك؟ قال : «أناس من أمتي عرضوا عليّ يركبون هذا =

٢٣٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف ، عن أبي حارثة ، عن خالد بن مَعْدان ، قال: أوّل مَن غزا في البحر معاوية بن أبي سفيان زمانَ عثمان بن عفان ، وقد كان استأذن عمر فيه فلم يأذن له؛ فلما ولي عثمان لم يزل به معاوية؛ حتى عزم عثمان على ذلك بأخرَة، وقال: لا تنتخب الناس ، ولا تُقْرِع بينهم؛ خيِّرهم؛ فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعِنْه ، ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسيّ حليف بني فَزارة، فغزا خمسين غَزاة من بين شاتية وصائفة في البحر، ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب؛ وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده ، وألاّ يبتليَه بمصاب أحد منهم ، ففعل ، حتى إذا أراد الله أن يصيبَه وحدَه؛ خرج في قارب طليعةً ، فانتهى إلى المرْقَى من أرض الروم؛ وعليه سُؤّال يعترّون بذلك المكان، فتصدّق عليهم ، فرجعت امرأة من السؤّال إلى قريتها ، فقالت للرجال: هل لكم في عبد الله بن قيس؟ قالوا: وأين هو؟ قالت: في المرقَى ، قالوا: أي عدوّة الله! ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس؟ فوبّختْهم ، وقالت: أنتم أعجز من

= البحر الأخضر كالملوك على الأسرّة». قالت: فادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ، ثم نام الثانية ، ففعل مثلها ، فقالت مثل قولها فأجابها مثلها ، فقالت: ادْع الله أن يجعلني منهم فقال: «أنت من الأولين». فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازياً أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية ، فلما انصرفوا من غزوتهم قافلين فنزلوا الشام ، فقربت إليها دابة لتركبها فصرعت فماتت (فتح الباري ٦/ ١٣)، فتح الباري (٦/ ٧ باب تمني الشهادة/ ح ٢٧٩٩).

٢ ـ وأخرجه البخاري في مواضع عدة مختصراً ، ومنها ما أخرجه من حديث عمير بن الأسود العنسي أن أم حرام رضي الله عنها سمعت النبيﷺ يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا». قالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «أنت فيهم». ثم قال النبيﷺ : «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم». فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا» (فتح الباري ٦/ ٩٣ باب ما قيل في قتال الروم/ح ٢٩٢٤). ثم ذكر الحافظ في الفتح: قال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر ، ومنقبة لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر (فتح الباري ٦/ ١٠٢) وفي رواية مسلم: فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت (صحيح مسلم/ ٣/ ١٥١٨/ ح ١٩١٢) وأخرجه أحمد في المسند (٦/ ٣٦١) وابن سعد في ترجمة أم حرام (الطبقات الكبرى ٨/ ٤٣٥) أما عن تحديد الوقعة هل كانت في سنة (٢٧) أم (٢٨) هـ والأرجح أنها كانت سنة (٢٨) وقال الحافظ في الفتح: وأرخها (أي: خليفة) في سنة ثمان وعشرين غير واحد ، وبه جزم ابن أبي حاتم.

أن يخفى عبد الله على أحد. فثاروا إليه ، فهجموا عليه ، فقاتلوه وقاتلهم ، فأصيب وحده؛ وأفلت الملاّح حتى أتى أصحابه ، فجاؤوا حتى أرقوا ، والخليفة منهم سفيان بن عوف الأزديّ ، فخرج فقاتلهم ، فضجِر وجعل يعبث بأصحابه ويشتمهم ، فقالت جارية عبد الله: واعبد الله ! ما هكذا كان يقول حين يقاتل! فقال سفيان: وكيف كان يقول؟ قالت:

الغمَـــــرات ثـــــم ينجلِينـــــا

فترك ما كان يقول ، ولزم: «الغمرات ثم ينجلينا». وأصيب في المسلمين يومئذ ، وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاسيّ؛ وقيل لتلك المرأة بعد: بأيّ شيء عرفتيه؟ قالت: بصدَقته؛ أعطى كما يُعطي الملوك؛ ولم يقبِض قبضَ التجّار[1]. (٤: ٢٦٠/ ٢٦١).

٢٣٧/ أ ـ وقال الواقديّ: غزا معاوية في سنة ثمان وعشرين قُبرس ، وغزاها أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرْح ، حتى لقوا معاوية ، فكان على الناس[2]. (٤: ٢٦٢).

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

ففيها عزَل عثمان أبا موسى الأشعريّ عن البصرة ، وكان عاملَه عليها ستّ سنين ، وولاّها عبدَ الله بن عامر بن كُريز ، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة ، فقدِمها. وقد قيل: إنّ أبا موسى إنما عمِل لعثمان على البصرة ثلاث سنين[3] (٤: ٢٦٤).

---

(١) إسناده ضعيف ولأصلها ما يشهد لها وسبق شروطنا في التعامل مع روايات سيف في تأريخ الخلفاء الراشدين ، مما ذُكر: أنه كان فيها فتح قبرس على يد معاوية ، غزاها بأمر عثمان إيّاه وذلك في قول الواقدي.

(٢) قال الحافظ الذهبي الإمام المحدث المؤرخ: وقلَّ من مات وضبط موته في هذه السنوات كما ترى (تأريخ الإسلام/ عهد الخلفاء الراشدين/ ٣٢٤).

(٣) ذكر الطبري عدة روايات في سبب العزل كلها ضعيفة ، ولم نجد لها متابعاً أو شاهداً ذكرنا جميعها في قسم الضعيف ، وسنذكر ها هنا ما ورد في مسألة العزل هذه ، فقد ذكر خليفة بن =

ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة

وفي هذه السنة ـ أعني سنة تسع وعشرين ـ زاد عثمان في مسجد رسول الله ﷺ ووسّعه ، وابتدأ في بنائه في شهر ربيع الأول؛ وكانت القَصّة تحمَل إلى عثمان من بطن نَخْل؛ وبناه بالحجارة المنقوشة ، وجعل عُمُده من حجارة فيها رصاص ، وسقْفه ساجاً ، وجعل طوله ستين ومئة ذراع ، وعرضه مئة وخمسين ذراعاً ، وجعل أبوابه على ما كانت عليه على عهد عمر ، ستّة أبواب[١]. (٤ : ٢٦٧) .

ثم دخلت سنة ثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة

فممّا كان فيها غزوة سعيد بن العاص طَبرِستان في قول أبي معشر ، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه. وفي قول الواقديّ وقول عليّ بن محمد المدائنيّ : حدّثني بذلك عمر بن شبّة عنه .

= خياط ضمن أحداث سنة (٢٩ هـ) : ولاية ابن عامر على البصرة وفارس : فيها عزل عثمان بن عفان أبا موسى الأشعري عن البصرة وعثمان بن أبي العاص عن فارس وجمع ذلك لعبد الله بن عامر بن كريز ثم أخرج خليفة فقال : فحدثني الوليد بن هشام قال : حدثني أبي عن جدي عن الحسن قال : قال أبو موسى يقدم عليكم غلام كريم الجدات والعمات ، يجمع له الجندان ، فقدم ابن عامر. وسمعت أبا اليقظان ذكر نحو ذلك وقال قوم : ابن عامر وهو ابن أربع أو خمس وعشرين سنة. (تأريخ خليفة/ ٦١) .

قلنا : وفي هؤلاء الرواة الذين وثقهم ابن حبان (الابن والأب والجد) احتملنا روايتهم من مثلهم التأريخية وإن كان في حفظه شيء شريطة أن لا يخالفوا ما أجمع عليه أئمة الحديث من عدالة الصحابة ، والله أعلم.

(١) قلنا : أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : إن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد عمر فيه وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً. ثم غير عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج (فتح الباري ١/ ٦٤٣) .

وفي صحيح مسلم (١/ ٣٧٨) عن محمود بن لبيد الأنصاري قال : لما أراد عثمان بناء المسجد كره الناس ذلك ، وأحبوا أن يدعوه على هيئته.

وأما عليّ بن محمد المدائنيّ ، فإنه قال ـ فيما حدّثني به عنه عمر ـ: لم يغزُها أحدٌ حتى قام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فغزاها سعيد بن العاص سنة ثلاثين[1] . (٤ : ٢٦٩) .

ذكر السبب في عزل عثمان الوليد عن الكوفة وتوليته سعيداً عليها

٢٣٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، عن عون بن عبد الله ، قال: جاء جندب ورهط معه إلى ابن مسعود ، فقالوا:

---

(١) إسناده صحيح .

ذكر الخبر عنه عن غزوة سعيد بن العاص طبرستان

قلنا: أخرج الطبري ثلاث روايات ضعيفة في فتح طبرستان في سنة (٣٠ هـ) وفي إسناد اثنين منهما علي بن مجاهد وهو متروك ، والرواية الثالثة منقطعة الإسناد وفيها من لم نجد له ترجمة .

ولكن ما ذكر الطبري في المقدمة (٤/ ٢٦٩) من أن سعيد بن العاص كان على رأس الجيش الفاتح لطبرستان ، وذلك في عهد عثمان رضي الله عنه فصحيح كما فيما يأتي :

أخرج الحاكم في المستدرك (١/ ٣٣٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٦١) والسهمي في (تأريخ جرجان/ ٤٧) وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٢٩٣) وأحمد في المسند (٥/ ٤٠٦) عن ثعلبة بن زهدم الحنظلي قال: كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان فقال: أيكم صلى مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ فقال حذيفة: أنا ، فقال سفيان. . . فوصف مثل حديث ابن عباس وزيد بن ثابت. واللفظ لأحمد ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ولفظ السهمي في تأريخ جرجان (٤٧): فقام حذيفة فصف الناس خلفه صفين صف خلفه وصف موازي العدو. ا هـ. وكذلك أخرج السهمي (تأريخ جرجان/ ٤٦) وأحمد في المسند كلاهما من طريق سليم بن عبد السلولي قال: كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان ومعه نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: أيكم صلى مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ فقال حذيفة: أنا ، فاؤْمر أصحابك يقومون طائفتين طائفة خلفك وطائفة بإزاء العدو فتكبر ويكبرون جميعاً ثم تركع ويركعون جميعاً ثم ترفع ويرفعون جميعاً ثم تسجد ويسجد معك الطائفة التي تليك والطائفة التي بإزاء العدو قيام بإزاء العدو ، فإذا رفعت رأسك . . . الحديث. وفي إسناده سليم بن عبد السلولي لم يوثقه غير ابن حبان والعجلي ، ولكن يشهد له ما ذكرنا قبله من طريق (ثعلبة بن زهدم) والله أعلم .

وكذلك ذكر خليفة (فتح طبرستان) ضمن أحداث سنة (٣٠ هـ) فقال: وفيها غزا سعيد بن العاص طبرستان ، والله تعالى أعلم .

الوليد يعتكف على الخمر؛ وأذاعوا ذلك حتى طرح على ألسن الناس ، فقال ابن مسعود: من استتر عنّا بشيء لم نتتبع عورته ، ولم نهتك ستره؛ فأرسل إلى ابن مسعود فأتاه فعاتبه في ذلك ، وقال: أيُرْضَى من مثلك بأن يجيب قوماً موتورين بما أجبت عليّ! أيّ شيء أستتر به! إنما يقال هذا للمريب ، فتلاحيا وافترقا على تغاضُب ، لم يكن بينهما أكثر من ذلك[1] . (٤ : ٢٧٤/ ٢٧٥) .

٢٣٩ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا: وأتِي الوليد بساحر ، فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حدّه ، فقال: وما يُدريك أنه ساحر! قال: زعم هؤلاء النّفر ـ لنفر جاؤوا به ـ: أنه ساحر ، قال: وما يُدرِيكم أنه ساحر! قالوا: يزعم ذاك ، قال: أساحر أنت؟ قال: نعم ، قال: وتدرِي ما السحر؟ قال: نعم ، وثار إلى حمار ، فجعل يركبه من قبَل ذَنبه ، ويُريهم أنه يخرج من فمه واستِه. فقال ابن مسعود: فاقتله. فانطلق الوليد ، فنادوا في المسجد: أنّ رجلاً يلعب بالسحر عند الوليد ، فأقبلوا ، وأقبل جُندَب ـ واغتنمها ـ يقول: أين هو؟ أين هو؟ حتى أريَه! فضربه ، فاجتمع عبد الله والوليد على حبسِه؛ حتى كتب إلى عثمان ، فأجابهم عثمان أن استحلفوه بالله ما علم برأيكم فيه. وإنه لصادق بقوله فيما ظنّ من تعطيل حدّه. وعزّروه ، وخلَّوْا سبيله. وتقدم إلى الناس في ألاّ يعملوا بالظّنون ، وألاّ يقيموا الحدود دون السلطان ، فإنا نقيد المخطىء ، ونؤدّب المصيب. ففعل ذلك به ، وتُرك لأنه أصاب حدّاً ، وغضب لجُندب أصحابُه ، فخرجوا إلى المدينة ، فيهم أبو خُشَّة الغِفاريّ وجَثّامة بن الصّعب بن جَثّامة ومعهم جُندب ، فاستعفوْه من الوليد ، فقال لهم عثمان: تعملون بالظنون ، وتخطئون في الإسلام ، وتخرجون بغير إذن؛ ارجعوا. فردّهم ، فلما رجعوا إلى الكوفة ، لم يبق موتورٌ في نفسه إلاّ

(١) إسناده ضعيف ولكن يشهد له ما أخرج أبو داود في سننه (٤/ ٢٧٢) عن زيد بن وهب قال: أتي ابن مسعود فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمراً ، فقال عبد الله: إنّا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ منه ، وأخرجه عبد الرزاق بلفظ: قيل لابن مسعود: هلك الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً ـ (المصنف ١٠/ ٢٣٢) ورجاله ثقات إلاّ أن الأعمش مدلّس ـ وهذا عن شأن التجسس ، أما مسألة اتهام الناس للوليد بن عقبة بشرب الخمر وجلد عثمان له فسنتحدث عنه بعد الرواية الآتية.

أتاهم ، فاجتمعوا على رأي فأصدروه ، ثم تحلّلوا الوليد ـ وكان ليس عليه حجّاب ـ فدخل عليه أبو زينب الأزديّ وأبو مورِّع الأسديّ ، فسلاّ خاتَمه ، ثم خرجا إلى عثمان ، فشهدا عليه؛ ومعهما نفر ممن يعرف من أعوانهم. فبعث إليه عثمان ، فلما قدم أمر به سعيدَ بن العاص ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ! أنشدك الله! فوالله إنهما لخصمان موتوران.

فقال: لا يضرّك ذلك؛ إنما نعمل بما ينتهي إلينا ، فمن ظلَم فالله وليّ انتقامه ، ومن ظُلِم فالله وليّ جزائه[1]. (٤ : ٢٧٥/ ٢٧٦).

* * *

---

(١) إسناده ضعيف ولكن أصل القصة في قتل الساحر أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب بسند حسن عن أبي عثمان النهدي قال: رأيت الذي يلعب بين يدي الوليد بن عقبة فيرى أنه يقطع رأس رجل ثم يعيده فقام إليه جندب بن كعب فضرب وسطه بالسيف ، وقال: قولوا له فليحي نفسه الآن ، قال: فحبس الوليد جندباً وكتب إلى عثمان رضي الله عنه ، فكتب عثمان أن خلّ سبيله فتركه.

أما اتهام أهل الكوفة للوليد بن عقبة فقد أخرج البخاري (٧/ ٢٢٦) ومسلم (١١/ ٢١٩) عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا له: ما يمنعك أن تكلم خالك عثمان في أخيه الوليد بن عقبة وكان أكثر الناس فيما فعل به . . . الحديث. وفيه قال عثمان: يابن أخي ، أدركت رسول الله ﷺ ؟ قال: لا ، ولكن قد خلص إليَّ من عمله ما خلص إلى العذراء في سترها ، قال: فتشهد عثمان فقال: إن الله قد بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الك [illegible] ممن استجاب لله ورسوله ، وآمنت بما بعث به محمد ﷺ وهاجرت الهجرتين الا [illegible] قلت ـ وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته ، والله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله ، ثم استخلف الله أبا بكر فوالله ما عصيته ولا غششته ، ثم استخلف عمر فوالله ما عصيته ولا غششته ثم استخلفت أفليس لي عليكم مثل الذي كان لهم عليّ؟ قال: بلى ! قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟! فأما ما ذكرت من شأن الوليد بن عقبة فسنأخذ فيه إن شاء الله بالحق. قال: فجلد الوليد أربعين جلدة وأمر علياً أن يجلده وكان هو يجلده.

ذكر الخبر عن سبب سقوط الخاتم من يد عثمان في بئر أريس[١]

أخبار أبي ذرّ رحمه الله تعالى

وفي هذه السنة ـ أعني: سنة ثلاثين ـ كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ ومعاوية، وإشخاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب إشخاصه إيّاه منها إليها أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها[٢]. (٤ : ٢٨٣).

---

(١) ذكر الطبري رواية في تغيير رسول الله ﷺ خاتمه بأمر من جبريل ثم اتخاذه خاتماً من ورق . . . إلخ.
ولقد ذكرنا تلك الرواية في قسم الضعيف وفي إسنادها عبد الله بن عيسى الخزاز (أبو خلف) وهو منكر الحديث. ولقد جاءت في روايته أمور فيها نكارات وأمور أخرى لها ما يشهد لها سنذكرها هاهنا:
كما أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب أو فضة . . الحديث وفي آخره: فلبس الخاتم بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقع من عثمان في بئر أريس (فتح الباري ١٠/ ٣٣١).
وفي رواية أخرى عند البخاري عن أنس رضي الله عنهما: فلما كان عثمان جلس على بئر أريس قال: فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط. قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فننزح البئر فلم نجده (الفتح ١٠/ ٣٤١) (ح/ ٥٨٧٩) والله تعالى أعلم.
وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٩١/ ٥٤)باب لُبْس النبي ﷺ خاتماً من ورق نقشه محمد رسول الله ولُبْس الخلفاء له من بعده.
وأخرج مسلم كذلك (٢٠٩٢/ ٥٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم قال: قالوا: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً. قال: فاتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة كأني أنظر إلى بياضه في يد رسول الله ﷺ نقشه: محمد رسول الله.

(٢) (وهذا يعني: أن الطبري استشنع روايات باطلة كثيرة روجها المبتدعة فلم يروها رحمه الله) ولقد ذكرنا رواية الطبري من طريق شعيب عن سيف (٤/ ٧٢٥) في قسم الضعيف لما فيها من نكارة وأما ما فيها من أمور صحيحه فسنذكر لها شواهد (وأعني خلاف معاوية وأبي ذر وخروج الأخير إلى الربذة بعد استئذان الخليفة).
١ ـ فقد أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت ومعاوية في ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب فقلت: نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك ما كتب إلى عثمان رضي الله عنه =

ذكر هرب يزدجرد إلى خراسان

قال: وفي هذه السنة زاد عثمان النّداء الثالث على الزّوراء، وصلّى بِمنىً أربعاً.

= يشكو فيّ فكتب إليّ عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها فكثر عليَّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريباً. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمَّروا عليَّ حبشياً لسمعت وأطعت (فتح الباري ٣/ ٣١٩).

٢ ـ وأخرج ابن سعد خبراً بسند حسنٍ عن عبد الله بن الصامت وفيه أن أبا ذر استأذن عثمان في الخروج إلى الربذة (الطبقات الكبرى ٤/ ٢٣٢).

وهاتان الروايتان (رواية البخاري، وابن سعد) إضافة إلى رواية الطبري تؤكد: أن خروج أبي ذر إلى الربذة واعتزاله الناس كان بناءً على رغبته فأجازه عثمان، ولعلّه رآه خيراً لأن المستوى الرفيع من الزهد والتقشف الذي يدعو إليه أبو ذر ليس واجباً على كل مسلم وإنما الواجب في المال هو أداء حقه كالزكاة وما إلى ذلك من نفقة الأهل والعيال ومن تجب نفقته، ولكن عامة الناس لا يدركون ذلك (جلّهم) والاختلاف في تفسير الآية واردٌ في أمهات التفسير فلا ضير، ولكن عثمان رضي الله عنه خشي أن تؤخذ آراؤه على غير محملٍ ولم يهن أبا ذر بل أكرمه وطلب منه أن لا يقطع صلته تماماً بالحياة اليومية للمسلمين في عاصمة الخلافة (المدينة) بل يتردد إليه بين الحين والآخر، وفرض له من المال ما يقتات به وزيادة، فأين هذا الأدب الجمّ بين الصحابة من افتراءات المبتدعة والمستشرقين ومن تربوا على موائدهم؟! والحمد لله على نعمة الإسناد.

٣ ـ أما قول أبي ذر في رواية الطبري عندما وصل إلى المدينة ورأى المباني قد كثرت حتى وصلت إلى منطقة سلع: (بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار) فصحيح، فقد أخرج البخاري في صحيحه (٤/ ١١٣) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: أشرف النبي ﷺ على أُطم من آطام المدينة فقال: (هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر). وأخرج الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤٤) أنه ﷺ قال لأبي ذر: «إذا بلغ البنيان سلعاً فاخرج منها». وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورواية البخاري والحاكم تدل على نبوءة تنبأ بها رسول الله ﷺ وهي من دلائل إعجازه، وتدلّ على حب الوحدة، ولم يكن السبب الوحيد لاعتزال أبي ذر، وإنما امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ الذي أخبره به، كما أن عثماناً رضي الله عنه لم يتنازل عن الخلافة لأسباب؛ أقواها امتثاله لأوامر رسول الله وصبره على البلاء والفتنة علماً من أنه كان متيقناً من أنهم سيقتلونه! فهل هذه مفخرة أم شبهة؟! اللهم إنما نبرأ إليك من مقولات المبتدعة والجاهلين!

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان رضي الله عنه[١]. (٤ : ٢٨٧).

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين
غزوة الصواري[٢]

شخوص عبد الله بن عامر إلى خراسان وما قام به من فتوح[٣]

---

(١) قلنا: ذكر الطبري هذا الخبر عن علي بن محمد المدائني بلا إسناد.
وأما قوله: (زاد عثمان النداء الثالث على الزوراء) فصحيح فقد أخرج البخاري في صحيحه عن السائب بن زيد قال: (كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كان عثمان رضي الله عنه ـ وكثر الناس ـ زاد النداء الثالث على الزوراء (فتح الباري ٢/ ٣٩٣/ح ٩١٢).
وفي صحيح ابن خزيمة (٣/ ١٣٦) عن ابن أبي ذئب: كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر أذانين يوم الجمعة. وكذلك في صحيح ابن خزيمة (٣/ ١٦٩) وسنن ابن ماجه (١/ ٣٥٩) عن الزهري (زاد النداء الثالث على دار في السوق يقال لها: الزوراء).
وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه (أن نبي الله وأصحابه كانوا بالزوراء) والزوراء بالمدينة عند السوق. (صحيح مسلم ٤/ ١٧٨٣).

(٢) ذكر الطبري عن أبي معشر قوله: إن هذه الغزوة وقعت سنة (٣٤ هـ) وذكر الطبري في ذلك عدة روايات كلها ضعيفة ذكرناها في قسم الضعيف.
وأغلب المؤرخين ذكروا هذه الغزوة ضمن أحداث سنة (٣٤ هـ):
١ ـ خليفة بن خياط (تأريخ خليفة/ ١٦٨).
٢ ـ الكندي (ولاة مصر/ ٣٦).
٣ ـ وقال الحافظ الذهبي ضمن ذكره لأحداث سنة (٣٤ هـ): كانت غزوة الصواري في البحر من ناحية الإسكندرية وأميرها ابن أبي سرح (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ٤٢٠) والله تعالى أعلم. وسميت هذه الغزوة بذات الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها.

(٣) قلنا: لقد ذكر الطبري عدة روايات في فتح خراسان من قبل عبد الله بن عامر ذكرنا جميعها في قسم الضعيف وأسانيدها بين الضعيف جداً وبين التالف، ولم نجد لها متابعاً أو شاهداً من رواية تأريخية صحيحة، والله أعلم.
١ ـ ولقد نسب الحافظ في الفتح إلى ابن حزم إخراجه عن الحسن البصري أنه قال: غزونا خراسان ومعنا ثلاثمئة من الصحابة فكان الرجل منهم يصلي بنا فيقرأ الآيات من السور ثم يركع. ثم قال الحافظ: أخرجه ابن حزم محتجاً به (فتح الباري/ ٢/ ٢٩٩) وأخرج البخاري (تعليقاً): وكره عثمان رضي الله عنه أن يحرم من خراسان أو كرمان فعقب الحافظ معقباً: وصله سعيد بن منصور حدثنا هيثم حدثنا يونس بن عبيد أخبرنا الحسن هو البصري أن =

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين[1]

ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة

وفي هذه السنة ماتَ عبدُ الرحمن بن عوف رضي الله عنه؛ زعم الواقديّ: أنّ

= عبد الله بن عامر أحرم من خراسان، فلما قدم على عثمان لامه فيما صنع وكرهه. (فتح الباري ٣/ ٤٩٢).

٢ ـ ونسب الحافظ إلى عبد الرزاق أنه أخرجه، فقال: أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: أحرم عبد الله بن عامر من خراسان فقدم على عثمان فلامه وقال: غزوت وهان عليك نسكك.

٣ ـ وأخرج خليفة قال: وحدثني أبو الحسن عن مسلمة عن داود بن أبي هند: لما افتتح ابن عامر أرض فارس وذلك سنة ثلاثين هرب يزدجر بن كسرى فاتبعه ابن عامر ومجاشع بن مسعود السلمي. (تأريخ خليفة/ ١٦٤) وهذا إسناد مرسل صحيح.

ونسب الحافظ في الفتح إلى أحمد بن سيار في تأريخ مرو من طريق داود بن أبي هند أنه قال: (لما فتح عبد الله بن عامر خراسان قال: لأجعلن شكري لله أن أخرج من موضعي هذا محرماً، فأحرم من نيسابور، فلما قدم على عثمان لامه على ما صنع، ثم قال الحافظ: وهذه أسانيد يقوي بعضها بعضاً (فتح الباري ٣/ ٢٩٢).

قلنا: ويعني بهذه الأسانيد (إسناد أحمد بن سيار، وعبد الرزاق، وسعيد بن منصور). والله تعالى أعلم.

وذكر الحافظ الذهبي هذه الأحداث ضمن سنة (٣٠) هـ فذكر الخبر عن داود بن أبي هند ونسبه إلى خليفة.

(١) تحدث الطبري من (٤/ ٣٠٤) إلى (٤/ ٣٠٧) عن المعركة التي دارت في بلنجر، بين المسلمين وأعدائهم (بالتفصيل) ولم نجد رواية تأريخية صحيحة تؤكد ما جاء في روايات الطبري الضعيفة في هذا الباب، والشيء الذي تأكد لنا من خلال روايات ابن أبي شيبة في مصنفه أن معركة شديدة وقعت بين الطرفين شارك فيها حذيفة بن اليمان وكان القائد فيها سلمان بن ربيعة (وهو ما ذكره الطبري كذلك) وأن المسلمين لم ينتصروا فيها، كما:

أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ح ١٥٦٥٠): حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي وائل: غزونا مع سلمان بن ربيعة بلنجر.. الخبر وفيه ابن عياش ولكنه يتقوى بالذي بعده؛ فقد أخرج ابن أبي شيبة (١٣/ ح ١٥٦٥٢) حدثنا ابن إدريس عن مسعد عن أبي حصين عن الشعبي عن مالك بن صحار قال: غزونا بلنجر فلم يفتحوها... الخبر.

وهذا إسناد صحيح. وأخرج ابن أبي شيبة (١٣/ ح ١٥٦٥٣): حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء ومحمد بن سوقة عن الشعبي قال: لما غزا سلمان بلنجر أصاب في قسمته صرة من مسك... الخبر.

وأخرج (١٣/ ح ١٥٦٥٥) حدثنا ابن إدريس قال سمع أباه وعمه يذكران، قالا: قال سلمان: قتلت بسيفي هذه مئة مستلئم كلهم يعبد غير الله... الخبر. والله تعالى أعلم.

عبد الله بن جعفر حدّثه بذلك عن يعقوب بن عُتْبة؛ وأنه يوم مات كان ابنَ خمسٍ وسبعين سنة[(١)]. (٤ : ٣٠٧).

قال: وفيها مات العبّاس بن عبد المطلب؛ وهو يومئذ ابن ثمان وثمانين سنة؛ وكان أسنّ من رسول الله ﷺ بثلاث سنين[(٢)]. (٤ : ٣٠٧).

قال: وفيها مات عبد الله بن زيد بن عبد ربه رحمه الله؛ الذي أُرِيَ الأذان[(٣)]. (٤ : ٣٠٧).

قال: وفيها توفّيَ عبد الله بن مسعود بالمدينة، فدفن بالبَقيع رحمه الله فقال قائل: صلّى عليه عمّار، وقال قائل: صلّى عليه عثمان[(٤)]. (٤ : ٣٠٨).

---

(١) قلنا: لقد ذكر الطبري هذا عن الواقدي وكذلك ذكر الذهبي عبد الرحمن بن عوف فيمن توفوا سنة (٣٢ هـ) وقال فيه: أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الستة أصحاب الشورى (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ٣٩١) ثم أخرج عنه رضي الله عنه أنه قال: كان اسمي عبد عمرو، فسماني رسول الله ﷺ عبد الرحمن.
قلنا: والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٠٦) وابن سعد في طبقاته (٣/ ١٢٤) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وقال الذهبي: توفي سنة اثنتين وثلاثين وله خمس وسبعون سنة ودفن في البقيع رضي الله عنه (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء/ ٣٩٦) وانظر (تأريخ خليفة/ ١٦٦) و(الاستيعاب ٢/ ٣٩٣) (الإصابة ٢/ ٤١٦/ ت ٥١٧٩).

(٢) قلنا: وأما خليفة فقد ذكر وفاته ضمن أحداث سنة (٣٣ هـ) (تأريخ خليفة/ ١٦٨)، أما الحافظ الذهبي فقد ذكر وفاة العباس رضي الله عنه ضمن أحداث سنة (٣٢ هـ) (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ٣٧٣) وانظر طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣) (الإصابة ٢/ ٢٧١/ ت ٤٥٠٧).

(٣) قلنا: وكذلك قال خليفة بن خياط في تأريخه (١٦٦).

(٤) قلنا: قال الذهبي: كان من السابقين الأولين، شهد بدراً والمشاهد كلها (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ٣٨٠).
وأخرج الحاكم في المستدرك عنه رضي الله عنه: كنّاني النبي ﷺ أبا عبد الرحمن قبل أن يولد لي (المستدرك ٣/ ٣١٣) وقال الذهبي: توفي عبد الله بالمدينة، وكان قدمها فمرض أياماً ودفن بالبقيع وله ثلاث وستون سنة (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ٣٨٩) وانظر الطبقات الكبرى (٣/ ١٦١) وتأريخ خليفة (١٦٦) والإصابة (٢/ ٣٧٠/ ت ٤٩٥٤).

وفيها مات أبو طلحة رحمه الله (٤ : ٣٠٨)[١] .

ذكر الخبر عن وفاة أبي ذرّ

قال: وفيها مات أبو ذَرّ رضي الله عنه في رواية سيف[٢] . (٤ : ٣٠٨) .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

ذكر تسيير من سيّر من أهل الكوفة إليها[٣]

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث المذكورة

فزعم أبو معشر أن غزوة الصواري كانت فيها؛ حدّثني بذلك أحمد عمّن حدّثه، عن إسحاق ، عنه. وقد مضى الخبر عن هذه الغزوة وذكر من خالف أبا معشر في وقتها.

---

(١) قلنا: وكذلك اختار خليفة بن خياط في (تأريخه/ ١٦٦) وأما الذهبي فقد ذكر وفاته ضمن أحداث سنة (٣٤ هـ) وقال: واسمه زيد بن سهل بن الأسود أحد بني مالك بني النجار كان من النقباء ليلة العقبة ، شهد بدراً والمشاهد بعدها (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ٤٢٥) وقد أخرج ابن سعد في طبقاته (٣/ ٥٠٧) من طريق عفان بن مسلم عن حماد عن أنس أنه غزا البحر فمات فلم يجدوا جزيرة إلا بعد سبعة أيام فدفنوه ولم يتغيّر. وصحح الذهبي إسناده (عهد الخلفاء/ ٤٢٧) وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٥٠٧) و(الإصابة/ ١/ ٥٦٧/ ت ٢٩٠٥).

(٢) قلنا: وكذلك ذكر الحافظ الذهبي وفاته ضمن أحداث سنة (٣٢ هـ) وقال: اسمه جندب بن جنادة على الصحيح (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ٤٠٥) وانظر تأريخ خليفة (١٦٦) وقال خليفة: وأبو ذر مات فيها قبل ابن مسعود. والإصابة (٤/ ٦٤/ ت ٣٨٤) والوفيات لابن قنفذ (٥١/ ٣١).

(٣) ذكرنا رواية الطبري الطويلة (٤/ ٣١٧ ـ ٣١٨ ـ ٣١٩ ـ ٣٢٠ ـ ٣٢١/ ٧٧٩) في قسم الضعيف لأننا لم نجد رواية مسندة تؤيدها ولكن يجدر بنا هنا أن نذكر ما قاله الأستاذ الفاضل خالد الغيث في رسالته القيّمة (استشهاد عثمان ووقعة الجمل ص ٦٨): إن الفتنة التي حصلت في مجلس سعيد بن العاص رضي الله عنه ، وقيام بعض من في المجلس بضرب عبد الرحمن بن خنيس الأسدي وما تلا ذلك من تسيير جماعة من القراء من الكوفة إلى الشام واستقبال معاوية لهم تكاد تكون محل إجماع بين المصادر. (بتصرف).

وفيها كان ردّ أهل الكوفة سعيدَ بن العاص عن الكوفة[١] . (٤ : ٣٣٠) .

ذكر خبر اجتماع المنحرفين على عثمان

وفي هذه السنة تكاتب المنحرفون عن عثمان بن عفان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم نقموا عليه .

ذكر الخبر عن صفة اجتماعهم لذلك وخبر الجَرَعة[٢] : (٤ : ٣٣٠) .

٢٤٠ ـ حدّثني جعفر ، قال : حدّثنا عمرو وعليّ بنُ حسين عن أبيه ، عن هارونَ بن سعد ، عن أبي يحيى عمير بن سعد النخَعيّ : أنه قال : كأنّي أنظر إلى الأشتر مالك بن الحارث النَّخَعيّ على وجهه الغبار ، وهو متقلد السيف ، وهو يقول : والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفَنا ـ يعني سعيداً وذلك يوم الجَرَعة ، والجَرَعة مكانٌ مُشرف قُرْبَ القادسيّة ـ وهناك تلقاه أهلُ الكوفة[٣] . (٤ : ٣٣٥) .

٢٤١ ـ حدّثني جعفر ، قال : حدّثنا عمرو وعليّ ، قالا : حدّثنا حسين عن أبيه ، عن هارون بن سعد ، عن عمرو بن مرّة الجَمَليّ ، عن أبي البَخْتَريّ الطائيّ ، عن أبي ثَوْر الحَدائيّ ـ وحَدَاء حيٌّ من مُراد ـ : أنه قال : دفعتُ إلى حذيفةَ بنِ اليَمان وأبي مسعود عُقْبة بن عمرو الأنصاريّ وهما في مسجد الكوفة يومَ الجَرَعة ، حيث صَنَع الناسُ بسعيد بن العاص ما صنعوا ، وأبو مسعود يُعظِم ذلك ، ويقول : ما أرى أن تُرَدّ على عَقبيها حتَّى يكونَ فيها دماء ، فقال حذيفة : والله لتُرَدّنّ على عَقبيها ، ولا يكون فيها محْجَمة من دم ، وما أعلم منها اليوم شيئاً إلاّ وقد علمتهُ ومحمد ﷺ حيّ ؛ وإنّ الرجل ليُصبح على الإسلام ثم يُمْسي وما معه منه شيء ، ثم يقاتل أهل القِبْلة ويقتله الله غداً ، فينكص قلبه ، فتعلوه اسْتُه . فقلت لأبي ثَوْر : فلعلّه قد كان ، قال : لا والله ما كان . فلما رجع سعيد بن العاص إلى عثمانَ مطروداً ؛ أرسل أبا موسى أميراً على الكُوفة ، فأقرُّوه عليها[٤] (٤ : ٣٣٥/ ٣٣٦) .

---

(١) قلنا : راجع ما كتبناه ضمن أحداث سنة (٣١) هـ.

(٢) إسناده صحيح .

(٣) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد الرواية التالية .

(٤) إسناده ضعيف ولكن لقصة يوم الجرعة أصل كما أخرج الإمام مسلم في صحيحه (صحيح=

وفي هذه السنة مات أبو عَبْس بن جَبْر بالمدينة ، وهو بدريّ. ومات أيضاً مِسْطح بن أثاثة ، وعاقل بن أبي البُكَير من بني سعد بن ليث ، حليف لبني عديّ ، وهما بدريّان.

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمانُ بن عفان رضي الله عنه[1] . (٤ : ٣٣٩) .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ذكر مسير من سار إلى ذي خُشُب من أهل مصرَ وسبب مسير مَنْ سار إلى ذي المروة من أهل العراق

٢٤٢ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن بدر بن الخليل بن عثمان بن قطبة الأسَديّ ، عن رجل من بني أسد ، قال: ما زال معاويةُ يطمع فيها بعد مَقدَمه على عثمان حين جمعهم ، فاجتمَعوا إليه بالموسم ، ثم ارتحل ، فحدَا به الرّاجز:

= مسلم بشرح النووي ١٨/١٨) عن جندب بن عبد الله البجلي قال: (جئت يوم الجرعة فإذا رجل جالس فقلت ليهراقن اليوم هاهنا دماء ، فقال ذاك الرجل: كلا والله ، قلت: بلى والله ، قال: كلا والله ، قلت: بلى والله ، قال: كلا والله إنه لحديث رسول الله ﷺ حدثنيه ، قلت: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم تسمعني أخالفك وقد سمعته من رسول الله ﷺ فلا تنهاني ، ثم قلت: ما هذا الغضب ؟ فأقبلت عليه أسأله فإذا الرجل حذيفة).

(١) قلنا: وكذلك ذكر الذهبي وفاة أبي عبس بن جبر في سنة (٣٤ هـ) وقال: اسمه على الأصح: عبد الرحمن ، وقال أيضاً: شهد بدراً وغيرها . . . وتوفي بالمدينة وصلى عليه عثمان (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء/ ٤٢٨) وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ٤٥١) و(الإصابة ٤/ ١٣٠/ ت ٧٣٤).

وأما مسطح بن أثاثة فقد قال ابن سعد في طبقاته (٣/ ٥٣): عاش ستاً وخمسين سنة ا هـ.

وكذلك ذكر الذهبي وفاته ضمن أحداث سنة (٣٤ هـ) وقال: إنه هو المذكور في حديث الإفك ، شهد بدراً والمشاهد كلها (عهد الخلفاء الراشدين/ ٤٢٤) وانظر الإصابة (٣/ ٤٠٨/ ت ٧٩٣٥).

وأما عاقل بن أبي بكير فقد قال ابن سعد: غافلاً ، فغيره النبي ﷺ (الطبقات ٣/ ٣٨٨) وذكر الذهبي وفاته ضمن أحداث سنة (٣٤ هـ) (عهد الخلفاء الراشدين/ ٤٢١) وأما ابن سعد فقد ذكر أنه قتل يوم بدرٍ شهيداً وهو ابن أربع وثلاثين سنة (الطبقات/ الموضع السابق) ونسبه الحافظ إلى موسى بن عقبة وابن إسحاق وغيرهما وسماه عاقل بن البكير (الإصابة ٣/ ت ٤٣٧٩).

إن الأميـــــرَ بعــــــده علِـــــيُّ وفــي الــزبيــر خَلَــفٌ رضــيُّ

قال كعب: كَذبتَ! صاحب الشَّهْباء بعده ـ يعني: معاوية ـ فأخبِر معاوية، فسأله عن الذي بلغه، قال: نعم، أنت الأمير بعده، ولكنّها والله لا تصل إليك حتى تُكذِّب بحديثي هذا. فوقعتْ في نفس معاوية.

وشارَكَهم في هذا المكان أبو حارثة وأبو عثمان، عن رَجاء بن حَيْوة وغيره. قالوا: فلما وردَ عثمانُ المدينة ردّ الأمراءَ إلى أعْمالهم، فمضَوا جميعاً، وأقام سعيد بعدَهم، فلما ودّع معاويةُ عثمانَ خرج من عنده وعليه ثياب السفر متقلداً سيفه، متنكّباً قَوسَه، فإذا هو بنفر من المهاجرين، فيهم طلحة والزبير وعليّ، فقام عليهم، فتوكّأ على قوسه بعد ما سلّم عليهم، ثم قال: إنّكم قد علمتم أنّ هذا الأمر كان إذ الناس يتغالبون إلى رجال، فلم يكن منكم أحد إلاّ وفي فصيلته من يَرْئِسه، ويستبدّ عليه، ويَقطع الأمرَ دونَه، ولا يُشهِده، ولا يؤامرُه، حتى بعث الله جلّ وعزّ نبيَّه ﷺ، وأكرم به من اتبعه؛ فكانوا يُرَئِّسون من جاء من بعده، وأمرهم شُورَى بينهم، يتفاضلون بالسابقة والقُدْمة والاجتهاد؛ فإن أخذوا بذلك وقاموا عليه كان الأمر أمرهم، والناس تبعاً لهم، وإن أصغَوا إلى الدّنيا وطلبوهابالتغالُب سُلِبوا ذلك، وردّه الله إلى من كان يرئِسُهم. وإلاّ فليَحذروا الغِيَرَ، فإنّ الله على البَدَل قادر، وله المشيئة في ملكه وأمره. إنّي قد خلّفت فيكم شيخاً فاستوصُوا به خيراً، وكانفوه تكونوا أسعدَ منه بذلك، ثم ودّعهم ومضى؛ فقال عليّ: ما كنتُ أرى أنّ في هذا خيراً؛ فقال الزبير: لا والله، ما كان قطّ أعظمَ في صدرك وصدورنا منه الغَداة.

رجع الحديث إلى حديث سيف، عن شيوخه:

وكان معاوية قد قال لعثمان غداة ودّعه وخرج: يا أميرَ المؤمنين، انطلق معي إلى الشام قبل أن يَهجم عليك مَن لا قِبَل لك به، فإنّ أهل الشام على الأمر لم يزالوا. فقال: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء؛ وإن كان فيه قَطع خَيْطِ عنقي. قال: فأبعثُ إليك جنداً منهم يقيم بين ظَهرانيْ أهل المدينة لنائبة إن نابت المدينةَ أو إياك. قال: أنا أقتِّر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجندٍ تساكنهم، وأضيّق على أهل دار الهجرة والنصرة! قال: والله يا أمير المؤمنين، لتُغتالَنَّ أو لتُغزَيَنّ! قال: حسبيَ الله ونعم الوكيل. وقال معاوية: يا أيسار الجَزُور، وأين

أيسار الجَزور! ثم خرج حتى وقف على النفر ، ثم مضى. وقد كان أهل مصر كاتبوا أشياعَهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وجميعَ من أجابهم أن يثوروا خلاف أمرائهم. واتّعدوا يوماً حيث شخص أمراؤهم ، فلم يستقم ذلك لأحد منهم ، ولم ينهض إلا أهل الكوفة ، فإنّ يزيد بن قيس الأرحبيّ ثار فيها ، واجتمع إليه أصحابُه ، وعلى الحرب يومئذ القَعقاع بنُ عمرو ـ فأتاه فأحاط النَّاس بهم وناشَدوهم؛ فقال يزيد للقَعقاع: ما سبيلك عليّ وعلى هؤلاء! فوالله إني لسامع مطيع ، وإني للازم لجماعتي إلا أنّي أستعفي ومَن ترى من إمارة سعيد ، فقال: استعفى الخاصةُ من أمر قد رضيَتْه العامة؟! قال: فذاك إلى أمير المؤمنين. فتركهم والاستعفاء ، ولم يستطيعوا أن يُظهروا غيرَ ذلك ، فاستقبلوا سعيداً ، فردّوه من الجَرَعة ، واجتمع الناسُ على أبي موسى ، وأقرّه عثمان رضي الله تعالى عنه. ولما رجع الأمراء لم يكن للسّبَئيّة سبيل إلى الخروج إلى الأمصار ، وكاتبوا أشياعَهم من أهل الأمصار أن يتوافَوْا بالمدينة لينظروا فيما يريدون ، وأظهَروا أنهم يأمرون بالمعروف ، ويسألون عثمان عن أشياءَ لتطير في الناس ، ولتُحقَّق عليه؛ فتوافَوا بالمدينة ، وأرسل عثمان رجلين: مخزوميّاً وزُهْريّاً ، فقال: انْظُرا ما يريدون ، واعلما علمَهم ـ وكانا ممن قد ناله من عثمان أدب ، فاصطَبَرا للحقّ ، ولم يضطغنا ـ فلما رأوهما باثُّوهما وأخبَروهما بما يريدون ، فقالا: مَن معكم على هذا من أهل المدينة؟ قالوا: ثلاثة نَفَر ، فقالا: هل إلاّ؟ قالوا: لا! قالا: فكيف تريدون أن تصنعوا؟ قالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعنْاها في قلوب الناس ، ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أنا قرّرناه بها ، فلم يخرج منها ولم يتب ، ثم نخرج كأنا حجّاج حتى نقدم فنحيطَ به فنخلَعه ، فإنْ أبى قتلناه. وكانت إيّاها ، فرجعا إلى عثمان بالخبر ، فضحك وقال: اللهمّ سلِّم هؤلاء ، فإنك إن لم تُسلّمهم؛ شقُوا.

أمَّا عمار فحَمل على عباس بن عتبة بن أبي لهب وعَرَكه. وأما محمَد بن أبي بكر فإنه أُعِجب حتى رأى أنّ الحقوق لا تلزمه ، وأمّا ابن سهلة فإنه يتعرّض للبلاء ، فأرسل إلى الكوفيين والبصريّين ، ونادى: الصلاة جامعة! وهم عنده في أصل المنبر ، فأقبلَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ حتى أحاطوا بهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأخبرَهم خبرَ القوم ، وقام الرجلان ، فقالوا جميعاً: اقتُلهم ، فإنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنةُ الله

فاقتلوه». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا أحلّ لكم إلاّ ما قتلتموه وأنا شريكُكم.

فقال عثمان: بل نعفو ونقبل ونبصِّرهم بجهدنا، ولا نُحادّ أحداً حتى يركب حدّاً، أو يبديَ كُفراً، إنّ هؤلاء ذَكروا أموراً قد علموا منها مثلَ الذي علمتم، إلاّ أنهم زعموا أنهم يذاكرونيها ليُوجبوها عليَّ عند مَن لا يعلم.

وقالوا: أتمّ الصلاة في السفر، وكانت لا تُتَمُّ، ألا وإنّي قدمت بلداً فيه أهلي، فأتممت لهذين الأمرين؛ أوَ كذلك؟ قالوا: اللهمّ نعم.

وقالوا: وحميتَ حمىً؛ وإني واللهِ ما حمَيتُ، حُمِيَ قبلي، والله ما حموا شيئاً لأحد ما حموا إلاّ غلب عليه أهل المدينة، ثم لم يمنعوا من رِعْيةٍ أحداً، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازُع، ثم ما منعوا ولا نحَّوْا منها أحداً إلاّ من ساق درهماً؛ ومَالِي مِن بعير غيرُ راحلتين، ومَالِي ثاغية ولا راغية، وإنّي قد وُلِّيتُ، وإنّي أكثر العرب بعيراً وشاءً، فمالي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرَين لحجّي، أكذلك؟ قالوا: اللهمّ نعم.

وقالوا: كان القرآن كُتُباً، فتركتَها إلاّ واحداً، ألا وإنّ القرآن واحد، جاء من عندِ واحد؛ وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء؛ أكذلك؟ قالوا: نعم، وسألوه أن يقيلهم.

وقالوا: إنِّي رددتُ الحَكَم وقد سيّره رسولُ الله ﷺ. والحَكَم مَكِّيّ، سيّره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف، ثم ردّه رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ سيّره، ورسولُ الله ﷺ ردّه؛ أكذلك؟ قالوا: اللهمّ نعم.

وقالوا: استعملتَ الأحداث. ولم أستعمل إلاّ مجتمِعاً محتمِلاً مرضيّاً، وهؤلاء أهلُ عملهم، فسَلوهم عنه، وهؤلاء أهل بلده، ولقد ولّى مَن قبلي أحدثَ منهم، وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ أشدُّ مما قيل لي في استعماله أسامة؛ أكذاك؟ قالوا: اللهمّ نعم، يعيبون للناس ما لا يفسّرون.

وقالوا: إنِّي أعطيتُ ابن أبي سَرْح ما أفاء الله عليه. وإني إنما نفلتُه خُمسَ ما أفاء الله عليه من الخمس، فكان مئة ألف، وقد أنفذ مثلَ ذلك أبو بكر وعمر

رضي الله عنهما ، فزعم الجُند أنهم يَكرهون ذلك ، فرددتُه عليهم وليس ذاك لهم ، أكذاك؟ قالوا: نعم.

وقالوا: إني أحبّ أهل بيتي وأعطيهم؛ فأما حبّي فإنه لم يمِلْ معهم على جوْر ، بل أحمل الحقوق عليهم ، وأمَّا إعطاؤهم فإني ما أعطيهم من مالي ، ولا أستحلّ أموال المسلمين لنفسي؛ ولا لأحد من الناس؛ ولقد كنت أعطي العطيّة الكبيرة الرغيبة من صُلْب مالي أزمانَ رسولِ الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ وأنا يومئذ شحيح حريص ، أفحينَ أتيت على أسنان أهل بيتي ، وفَنيَ عمري ، وودّعت الذي لي في أهلي قال الملحدون ما قالوا! وإني والله ما حملت على مصْرٍ من الأمصار فضلاً فيجوزَ ذلك لمن قاله؛ ولقد رددتُه عليهم ، وما قدم عليّ إلا الأخماس ، ولا يحلّ لي منها شيء؛ فولِيَ المسلمون وضْعها في أهلها دوني؛ ولا يُتَلفَّت من مال الله بفلْس فما فوقه؛ وما أتبلّغ منه ما آكل إلاّ مالي.

وقالوا: أعطيت الأرض رجالاً؛ وإنّ هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتُتحت؛ فمَن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ، ومَن رجع إلى أهله لم يُذْهب ذلك ما حوى الله له؛ فنظرت في الذي يُصيبهم مما أفاء الله عليهم ، فبعتُه لهم بأمرهم من رجال أهل عقارٍ ببلاد العرب ، فنقلتُ إليهم نصيبهم ، فهو في أيديهم دوني.

وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أميّة ، وجعل ولده كبعض مَن يعطي ، فبدأ ببني أبي العاص ، فأعطى آل الحكَم رجالَهم عشرة آلاف ، عشرة آلاف ، فأخذوا مئة ألف ، وأعطى بني عثمان مثلَ ذلك ، وقسم في بني العاص وفي بني العيص وفي بني حرب.

ولانتْ حاشية عثمان لأولئك الطوائف ، وأبى المسلمون إلاّ قتلَهم ، وأبَى إلاّ تركهم؛ فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوه مع الحجّاج كالحجّاج؛ فتكاتبوا وقالوا: موعدُكم ضواحي المدينة في شوّال؛ حتى إذا دخل شوّال من سنة اثنتي عشرة ، ضربوا كالحُجّاج فنزلوا قرب المدينة[1] (٤ : ٣٤٣/ ٣٤٤/ ٣٤٥/ ٣٤٦/ ٣٤٧/ ٣٤٨).

---

(١) إسناد هذه الرواية ضعيف ولكن لمتنه (في أغلب مفرداته) ما يشهد له إلا ما سنوضح بطلانه ،=

= وهذا خبر مهم شرحه أئمة الهدى في مواضع عدة لأنه يوضح التهم الموجّهة إلى سيدنا عثمان من قبل رؤوس الفتنة وتفنيدها من قبل سيدنا عثمان واحداً فواحداً ـ وسنذكر عدة روايات في ذلك إن شاء الله ـ ويتبين لنا بعدها أنه رضي الله عنه كان على صواب وحق في تصرفاته التي أغاظتهم ومع ذلك رجع عن بعض هذا الصواب إخماداً لنار الفتنة وحفاظاً على جماعة المسلمين وهيبة الخلافة التي أضحت رمزاً لعزة المسلمين وشوكتهم وهي كذلك ـ ويتبين لنا أيضاً أن بعضاً من هذه الأمور لم تصبح أصلاً وانفرد بها سيف وعليها مضى المؤرخون ولكننا ذكرنا هذه الرواية في قسم الصحيح لغلبة جانب الصحة على غير ذلك كما سنبين إن شاء الله تعالى:

١ ـ أما ما جاء في رواية سيف هذه من أن أهل الكوفة رفضوا ولاية سعيد بن العاص وقبلوا ولاية أبي موسى فأقرهم عثمان على ذلك؛ فهو صحيح كما سبق أن ذكرنا في موضعه، وفي هذا ردّ على أهل البدع والمستشرقين والمتغربين الذين يزعمون أن سيدنا عثمان لم يكن يأبه لرأي العامّة والرعية بل كان يسمع من أقربائه من بني أمية فقط، وهذه الرواية وما يؤيدها من الصحيح تكذب ما قالوا فهو رضي الله عنه سمع لأهل الكوفة وليسوا من أقربائه ولم يسمع كلام معاوية رضي الله عنه وهو قريبه، ولم يكن معزولاً عن جماهير الأمة بسوار من بني أمية لاهياً عن معاناة الناس ومشاكلهم كما يحلو لبعض الحاقدين أن يقولوا ذلك.

٢ ـ وأما إتمام سيدنا عثمان للصلاة في السفر وهي من الأمور التي عابوه عليها واستغربوه فلا ضير عليه، ورواية سيف تؤكد بوضوح: أنه رضي الله عنه كان يتأول ذلك بأنه قدم بلداً فيه أهله فأتم لذلك ـ وهو بتأوله خرج من كونه مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ لما سنذكر وهذه المسألة ليست بغريبة على فقه الصحابة، فقد أخرج البخاري في صحيحه من طريق الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (الصلاة أول ما فرضت ركعتان؛ فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر) فقال الزهري: فقلت لعروة: ما بال عائشة تتم؟ قال: تأولت ما تأول عثمان (أبواب التقصير ٢/ ٣٦) ولذلك قال ابن حجر في الفتح: والمنقول: أن سبب إتمام عثمان أنه كان يرى القصر مختصاً بمن كان شاخصاً سائراً، وأما من أقام في مكان أثناء سفره فله حكم المقيم (فتح الباري/ ٦٦٥).

ويقول أيضاً: والحجة فيه ما رواه أحمد بإسناد حسن عن عبادة بن عبد الله بن الزبير قال: وكان عثمان حيث أتم الصلاة إذ قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء أربعاً أربعاً ثم إذا خرج إلى منى وعرفة قصر الصلاة، فإذا فرغ من الحج وأقام أتم الصلاة (فتح الباري ٢/ ٦٦٥). وراجع مسند أحمد (٤/ ٩٤).

٣ ـ أما جمع القرآن فكما قال الإمام القاضي أبو بكر العربي: فتلك حسنته العظمى وخصلته الكبرى وإن كان وجدها كاملة، لكنه أظهرها وردّ الناس إليها وحسم مادة الخلاف فيها وكان=

= نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه حسبما بيناه في كتب القرآن وغيرها (العواصم من القواصم ٦٦) قلنا: وفي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير (ك ٦٥ السورة ٩ ب ج ٥/ ٢١٠) وغيره من المواضع، وكذلك أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت حديثاً طويلاً في جمع القرآن وفي آخره: فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر، حتى قدم حذيفة بن اليمان على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فحدّثه حذيفة عن اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. ولا أدري كيف يجرؤ أعداء الإسلام على ذكر الأمور التي أثارها أصحاب الفتنة على سيدنا عثمان ليقولوا لأبناء الأمة المسلمة انظروا إلى هذه الأمور التي انتقدها المعارضون لحكم سيدنا عثمان، فنقول لهم: هل هذه منقبة ومفخرة أم شبهة وتهمة؟! ولابأس هنا أن نذكر تعليقاً للأستاذ الهمام محب الدين الخطيب في حاشيته على العواصم من القواصم/ ص ٦٩: إذ يقول محب الدين رحمه الله: جاء في كتاب تأريخ القرآن لأبي عبد الله الديحاني (ص ٤٦) من شيعة عصرنا: أن علي بن موسى المعروف بابن طاووس (٥٨٩ ـ ٦٦٤) وهو من علمائهم نقل في كتابه (سعد السعود) عن الشهرستاني في مقدمة تفسيره عن سويد بن علقمة قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: أيها الناس! الله الله! إياكم والغلوّ في أمر عثمان وقولكم: حراق المصاحف، فوالله ما حرقها إلاّ عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ! جَمَعَنا وقال: ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها، يلقى الرجل فيقول قراءتي خير من قراءتك وهذا يجر إلى الكفر؟ فقلنا: ما الرأي؟ قال: أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافاً. فقلنا: نعم ما رأيت ا. هـ.

٤ ـ أما قول سيف في هذه الرواية من أن سيدنا عثمان ردّ الحكم بعد أن سيّره رسول الله ﷺ إلى الطائف، وبيان عثمان للناس أن رسول الله سيره ثم ردّه، فلم يخالف بذلك سنة رسول الله ﷺ ـ هكذا معنى رواية سيف ـ ولكن العلماء نفوا أن يكون ذلك صحيحاً أي: أن سيفاً انفرد بذلك.

فقال القاضي أبو بكر بن العربي: وأما ردُّ الحكم فلا يصح (العواصم/ ٧٧) وقال محب الدين في الحاشية مفسراً لكلام القاضي: أي لم يصح زعم البغاة على عثمان أن عثمان خالف بذلك ما يقتضيه الشرع. ا هـ.

وأما ابن تيمية فقد قال: وقضية نفي الحكم ليست في الصحاح ولا لها إسناد يعرف به أمرها. =

= وقال أيضاً: وأما قصة الحكم فإنما ذكرت مرسلة، وقد ذكرها المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه فلم يكن هناك نقل ثابت يوجب القدح فيمن هو دون عثمان (منهاج السنة ٦/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦).

٥ ـ وأما قول سيدنا عثمان في رواية سيف عند الطبري (وقالوا: إني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه، وإنما نفلته خمس ما أفاء الله عليه من الخمس فكان مئة ألف، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم وليس ذاك لهم أكذاك؟ قالوا: نعم) وهذا يعني أن رواية سيف تؤكد أن سيدنا عثمان قد أعطى لابن أبي سرح خمس الخمس وهو ما فعله أبو بكر وعمر ولم ينكر عليهما أحد، أي: أن فعلته رضي الله عنه صواب وأقرّ خصومه بذلك ثم تراجع عن هذا الصواب إرضاء للأمة ودرءاً للفتنة وسداً لبابها. وأما القاضي أبو بكر بن العربي فقد قال في ردّ هذه الشبهة: وأما عطاؤه خمس إفريقية لواحد فلم يصح.

فقال الخطيب في الحاشية: والذي صح هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبي سرح جزاء جهاده المشكور (العواصم/ ١٠٠).

قلنا: ومرّ بنا: أن عمر رضي الله عنه قد زاد فيما قسمه لجرير بن عبد الله حين وجهه وقومه إلى العراق لنجدة جيش المثنى بن حارثة بعد أن انكسر المسلمون في معركة الجسر وقتل أبو عبيد رضي الله عنه وأرضاه.

٦ ـ وأما اعتراض خصومه عليه كما في رواية سيف من أنه زاد في الحمى فقد تبين بما لا يخفى أن هذا الحمى كان لأموال الصدقة التي كثرت في نهاية عهد عمر وخلافة سيدنا عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

قلنا: ومسألة الحمى لإبل الزكاة أو الموقوفة للجهاد في سبيل الله ومصالح المسلمين فلا ضير كما هو معلوم عند الفقهاء استناداً إلى ما أخرجه البخاري وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا حمى إلا لله ورسوله» كتاب المساقاة (ك ٤٢ ب ١١).

وفي رواية أحمد في مسنده (ح٥٦٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ حمى النقيع للخيل وفيه قال حماد بن خالد وهو من رواة الحديث: يا أبا عبد الرحمن! خيله؟ قال: خيل المسلمين. ومعلوم أن هذا الحمى اتسع في عهد سيدنا عمر حتى وصل الربذة ولم ينكر عليه أحد، كيف وهذا الحمى في خدمة الجهاد والمصلحة العامة للمسلمين ودولتهم والله أعلم.

وسنأتي فيما بعد على ذكر حديث صحيح أخرجه ثلاثة من أئمة التأريخ والحديث: (الطبري ٤/ ١٠٥٧)، و(خليفة بن خياط في تأريخه/ ١٩٦) و(ابن شبة في تأريخ المدينة المنورة ٦/ ٣/ ٣٥١) وفيه من الحوار الذي دار بين عثمان رضي الله عنه والخارجين عليه يبيّن فيه لهم بعض الحقائق ومنها قوله رضي الله عنه: (فأما الحمى فإن عمر حماه قبلي لإبل الصدقة فلما =

= وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد إبل الصدقة) وراجع تفاصيل هذه الرواية القيمة في موضعها مع بقية تفاصيلها.

٧ ـ وإنصافاً لسيدنا عثمان رضي الله عنه نقول ونردد ما جاء في رواية الطبري هذه: (وإني قد وُلِّيتُ وإني أكثر العرب بعيراً وشاءً، فمالي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجّي؛ أكذلك؟ قالوا: نعم).

قلنا: وكيف ينسى أهل البدع والضلال أنه رضي الله عنه جهز جيش الصحابة يوم العسرة وكان من أثرياء قريش حتى أصبح حاله كما ذكر عن نفسه حين كان خليفة رضي الله عنه، ولكن ماذا نقول لقوم قد أعدّوا أنفسهم مسبقاً للنيل من خلفاء رسول الله ﷺ فأذهانهم محشوة بالافتراءات وأنفسهم مهيأة لإلقاء التهم والشبه فلا حول ولا قوة إلا بالله!

٨ ـ أما العبارة التي قلنا عنها: إنها غير صحيحة وردت في رواية سيف هذه فهي العبارة الأخيرة من الرواية وهي: (وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية وجعل ولده كبعض من يعطي...). وهذه العبارة لم نجد ما يؤيدها من رواية مسندة صحيحة في جميع المصادر التأريخية التي بين أيدينا، وعلى هذه العبارة الضعيفة وأمثالها يعتمد المستشرقون في افتراءات بينما يرفضون وجود شخصية كعبد الله بن سبأ لأنها من طريق سيف كما يزعمون، فكيف يقبلون بهذه الزيادة وهي من طريق سيف. أم أنهم ينتقون من الروايات ما يوافق أهواءهم وإن كان ضعيف السند أو موضوعه، ويغضون الطرف عن أمور لا توافق هواهم وإن كانت صحيحة الأسانيد، والحمد لله على نعمة الإسناد.

ولو فرضنا جدلاً: أن هذه العبارة صحيحة، أي: أنه رضي الله عنه قسم ماله وأرضه في بني أمية، فما الخطأ في هذا ولماذا لا نفرق بين من قسّم مال المسلمين بين أقربائه وبين من فرّق ماله وأرضه بين أقاربه صلة لأرحامه؟! وكل المسلمين شيعة وسنة ومتأخرين ومتقدمين ومعاصرين يعلمون علم اليقين: أنه رضي الله عنه من أغنى أغنياء قريش في الجاهلية ثم في عهد النبي ﷺ حتى أنه جهز جيش العسرة. فقد أخرج البخاري في صحيحه قال: وقال عبدان: أخبرني أبي عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن: أن عثمان رضي الله عنه حيث حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم الله ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: ومن حفر رومة فله الجنة فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزته؟ قال: فصدقوه بما قال.

هكذا رواه البخاري دون أن يوصل ما بينه وبين عبدان (فتح الباري ٥/ ٤٧٧) ولكن وصله الدارقطني في سننه (٤/ ١٩٩) من طريق القاسم بن محمد المروزي عن عبدان وكذلك نسب الحافظ في الفتح وصله إلى الحافظ الإسماعيلي في مستخرجه (فتح الباري ٥/ ٤٧٧) وكذلك أخرجه النسائي في سننه (٦/ ٢٣٦)، وينسب رواية للترمذي: أنه رضي الله عنه جهز جيش=

٢٤٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهلُ مصر في أربع رِفاق على أربعة أمراء؛ المقلّل يقول: ستمئة، والمكثر يقول: ألف. على الرّفاق عبد الرحمن بن عُدَيس البلَويّ، وكنانة بن بشر التُّجيبيّ، وعروة بن شيبم الليثيّ، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعيّ، وسواد بن رومان الأصبحيّ، وزرع بن يشكر اليافعيّ، وسودان بن حُمران السَّكونيّ، وقُتيرة بن فلان السَّكُونيّ، وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العَكّيّ، ولم يجترئوا أن يُعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب؛ وإنما أخرجوا كالحُجّاج، ومعهم ابن السوداء. وخرج أهل الكوفة في أربع رِفاق، وعلى الرّفاق زيد بن صُوحان العبْديّ، والأشتر النخعيّ، وزياد بن النضْر الحارثيّ، وعبد الله بن الأصمّ، أحد بني عامر بن صعصعة؛ وعددهم كعدد أهل مصر؛ وعليهم جميعاً عمرو بن الأصمّ. وخرج أهلُ البصرة في أربع رفاق، وعلى الرّفاق حُكَيْم بن جبلة العبديّ، وذَريح بن عبّاد العبديّ، وبشر بن شُرَيح الحُطَم بن ضُبيعة القيسيّ وابن المَحرِّش بن عبد بن عمرو الحنفيّ وعددهم كعدد أهل مصر، وأميرهم جميعاً حُرقوص بن زهير السعديّ، سوى مَن تلاحق بهم من الناس. فأمّا أهلُ مصر فإنهم كانوا يشتهون عليّاً، وأمّا أهلُ البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير.

فخرجوا وهم على الخروج جميع، وفي الناس شتى؛ لا تشكّ كلّ فرقة إلاّ أنّ الفُلْج معها، وأنّ أمرَها سيتمّ دون الأخْرَيَيْن؛ فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدّم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشُب، وناس من أهل الكوفة

= العسرة بثلاثمئة بعير (سنن الترمذي ٥/ ٦٢٥) فأين كان المتخرصون يومئذ من هذا الإنفاق العظيم؟! أم أن أعداء التأريخ الإسلامي يصمون آذانهم عن هذا ويفتحون أعينهم على روايات غير صحيحة. وكان غنياً قبل أن يكون خليفة ثم وزع ماله وأراضيه بين أقاربه فما الخطأ في هذا؟ لِمَ نسكت عندما يجهز جيشاً من ماله الخاص ولماذا نقوم ولا نقعد عندما يوزع ماله الخاص على أهل بيته ويبقى زاهداً كأي فرد من أفراد المجتمع. هذا إن كان ما قاله سيف صحيحاً (ولا نعلمه كذلك) وقد انفرد به. والله أعلم.

وأما قصة نفيه للحكم فليست صحيحة وليس لها إسناد صحيح أو حسن، وكما قال ابن تيمية: وقصة نفي الحكم ليست من الصحاح ولا لها إسناد يعرف به أمرها (منهاج السنة ٩/ ٢٦٥).

فنزلوا الأعوَص ، وجاءهم ناس من أهل مصر ، وتركوا عامّتهم بذي المرْوَة. ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النّضْر وعبد الله بن الأصمّ ، وقالا: لا تَعجلوا ولا تُعجِلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد ، فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا؛ فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلّوا قتالنا ولم يعلموا علمنا؛ فهم إذا علموا علْمنا أشدّ؛ وإنّ أمرنا هذا لبَاطل؛ وإن لم يستحلّوا قتالَنا ووجدنا الذي بلغنا باطلاً؛ لَنرجعنَّ إليكم بالخبر.

قالوا: اذهبا ، فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبي ﷺ وعليّاً وطلحة والزبير ، وقالا: إنما نأتمّ هذا البيت ، ونستعفي هذا الواليَ من بعض عمّالنا ، ما جئنا إلاّ لذلك ، واستأذناهم للناس بالدخول ، فكلّهم أَبَى ، ونهى وقال: بَيْض ما يُفْرِخَنَّ ، فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفرٌ فأتوْا عليّاً ومن أهل البصرة نفرٌ فأتوا طلحة ، ومن أهل الكوفة نفر فأتوْا الزبير؛ وقال كلّ فريق منهم: إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرّقنا جماعتهم؛ ثم كررنا حتى نبغتَهم؛ فأتى المصريون عليّاً وهو في عسكر عند أحجار الزّيت؛ عليه حلّة أفوافٍ معتمّ بشقيقة حمراء يمانية ، متقلّد السيف ، ليس عليه قميص ، وقد سرّح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه. فالحسنُ جالس عند عثمان ، وعليّ عند أحجار الزيت ، فسلم عليه المصريون وعرضوا له؛ فصاح بهم واطّردهم ، وقال: لقد علم الصالحون أن جَيش ذي المرْوة وذي خُشب ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فارجعوا لا صحِبكم الله! قالوا: نعم ، فانصرفوا من عنده على ذلك.

وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب عليّ؛ وقد أرسل ابنيه إلى عثمان ، فسلّم البصريّون عليه وعرَضوا له ، فصاح بهم واطّردهم ، وقال: لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المرْوة وذي خُشب والأعوَص ملعونون على لسان محمّد ﷺ .

وأتى الكوفيون الزبير وهو في جماعة أخرى؛ وقد سرّح ابنه عبد الله إلى عثمان ، فسلموا عليه وعرضوا له ، فصاح بهم واطّردهم ، وقال: لقد علم المسلمون أن جَيْش ذي المَروة وذي خُشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فخرج القوم وأرَوْهم أنهم يرجعون؛ فانفشّوا عن ذي خشُب والأعوص ، حتى انتهوا إلى عساكرهم؛ وهي ثلاث مراحل؛ كي يفترق أهلُ

المدينة ، ثم يكرُّوا راجعين . فافترق أهل المدينة لخروجهم .

فلما بلغ القوم عساكرَهم كرُّوا بهم ، فبغتوهم ، فلم يفجأ أهلَ المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة ، فنزلوا في مواضع عساكرهم ، وأحاطوا بعثمان ، وقالوا : مَن كفّ يده فهو آمن .

وصلَّى عثمان بالناس أياماً ؛ ولزم الناس بيوتهم ، ولم يمنعوا أحداً من كلام ، فأتاهم الناس فكلّموهم ، وفيهم عليّ ، فقال : ما ردّكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ قالوا : أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا ؛ وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك ، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك ، وقال الكوفيون والبصريون : فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعاً ؛ كأنما كانوا على ميعاد . فقال لهم عليّ : كيف علمتم يا أهلَ الكوفة ويا أهل البصرة بما لقيَ أهل مصر ؛ وقد سرتم مراحل ؛ ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمرٌ أبرِم بالمدينة! قالوا : فضعوه على ما شئتم ، لا حاجة لنا في هذا الرّجل ، ليعتزلنا . وهو في ذلك يصلي بهم ، وهم يصلّون خلفه ، ويغشى من شاء عثمان وهم في عينه أدقّ من التراب ؛ وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام ، وكانوا زُمَراً بالمدينة ، يمنعون الناس من الاجتماع .

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدّهم : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أمّا بعدُ ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلّغَ عن الله ما أمره به ، ثم مضى وقد قضى الذي عليه ؛ وخلَّف فينا كتابه ، فيه حلالُه وحرامه ، وبيان الأمور التي قدّر ، فأمضاها على ما أحبّ العباد وكرهوا ، فكان الخليفةُ أبو بكر رضي الله عنه وعمرُ رضي الله عنه ، ثم أدخلتُ في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأٍ من الأمة ، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأٍ منهم ومن الناس عليّ ، على غير طلَب مني ولا محبّة ؛ فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون ، تابعاً غير مستتبع ، متّبعاً غير مبتدِع ، مقتدياً غير متكلف . فلما انتهت الأمورُ ، وانتكث الشرُّ بأهله ؛ بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا تِرةٍ فيما مضى إلاّ إمضاء الكتاب ؛ فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجّة ولا عذر ، فعابوا عليّ أشياء مما كانوا يرضوْن ، وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها ؛ فصبرتُ لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين وأنا أرى وأسمع ؛ فازدادوا على الله عزّ وجلّ جُرأة ، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرَمه وأرض الهجرة ، وثابت إليهم الأعراب ؛ فهم

كالأحزاب أيّام الأحزاب أو مَنْ غزانا بأحُد إلاّ ما يُظهرون؛ فمن قدر على اللحاق بنا فلْيَلْحَق.

فأتى الكتاب أهلَ الأمصار، فخرجوا على الصّعبة والذّلول؛ فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهريّ، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حُديج السَّكونيّ، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو.

وكان من المحضّضين بالكوفة على إعانة أهل المدينة عُقْبةُ بن عمرو وعبد الله بن أبي أوفَى وحنظلة بن الربيع التميميّ في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ. وكان من المحضّضين بالكوفة من التابعين أصحابُ عبد الله مسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وشُريح بن الحارث، وعبد الله بن عُكَيم؛ في أمثالهم؛ يسيرون فيها، ويطوفون على مجالسها؛ يقولون: يا أيها الناس! إنّ الكلام اليوم وليس به غداً، وإنّ النظر يحسن اليوم ويقبح غداً، وإنّ القتال يحلّ اليوم ويحرُم غداً، انهضوا إلى خليفتكم، وعصْمة أمرِكم.

وقام بالبصرة عمران بن حصين، وأنس بن مالك، وهشام بن عامر في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ يقولون مثل ذلك، ومن التابعين كعب بن سُور، وهرِم بن حَيّان العبديّ، وأشباه لهما يقولون ذلك! وقام بالشام عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أمامة في أمثالهم من أصحاب النبيّ ﷺ يقولون مثل ذلك، ومن التابعين شريك بن خُباشة النُّميريّ، وأبو مسلم الخوْلانيّ، وعبد الرحمن بن غَنْم بمثل ذلك، وقام بمصر خارجة في أشباه له؛ وقد كان بعض المحضّضين قد شهد قدومهم، فلمّا رأوا حالهم انصرفوا إلى أمصارهم بذلك وقاموا فيهم.

ولما جاءت الجمعة التي على أثر نزول المصريين مسجدَ رسول الله ﷺ خرج عثمان فصلّى بالناس ثم قام على المنبر فقال: يا هؤلاء العدَى، اللهَ اللهَ! فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ؛ فامحوا الخطايا بالصواب؛ فإن الله عزّ وجلّ لا يمحو السيّىء إلاّ بالحسن.

فقام محمد بن مسلمة، فقال: أنا أشهدُ بذلك، فأخذه حُكَيم بن جبلة فأقعده، فقام زيد بن ثابت فقال: ابغِني الكتاب، فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قُتَيرة فأقعده؛ وقال فأفظَع؛ وثارالقوم بأجمعهم، فحصَبُوا الناس

حتى أخرجوهم من المسجد ، وحصبوا عثمان حتى صُرِع عن المنبر مغشيّاً عليه ، فاحتُمل فأدخل داره ، وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن يساعدَهم إلاّ في ثلاثة نفر؛ فإنهم كانوا يراسلونهم: محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حُذيفة ، وعمَّار بن ياسر؛ وشمّر أناس من الناس فاستقتلوا؛ منهم سعد بن مالك ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، والحسن بن عليّ؛ فبعث إليهم عثمان بعزْمةٍ لَمَا انصرفوا. فانصرفوا ، وأقبل عليٌّ عليه السلام حتى دخل على عثمان ، وأقبل طلحة حتى دخل عليه ، وأقبل الزّبير حتى دخل عليه؛ يعودُونه من صرعته؛ ويشكُون بثّهم ، ثم رجعوا إلى منازلهم.[1] (٤ : ٣٤٨/ ٣٤٩/ ٣٥٠/ ٣٥١/ ٣٥٢/ ٣٥٣) .

٢٤٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن الحسن ، قال: قلت له: هل شهدت حَصْر عثمان؟ قال: نعم؛ وأنا يومئذ غلام في أتراب لي في المسجد ، فإذا كثُر اللغط جثوتُ على ركبتيّ أو قمت؛ فأقبل القوم حين أقبلوا حتى نزلوا المسجد وما حوله؛ فاجتمع إليهم أناس من أهل المدينة ، يُعظمون ما صنعوا. وأقبلوا على أهل المدينة يتوعّدونهم؛ فبينا هم كذلك في لَغطهم حَوْل الباب ، فطلع عثمان؛ فكأنما كانت نارٌ طَفِئت ، فعمَد إلى المنبر فصعده فحمد الله وأثنى عليه ، فثار رجل ، فأقعده رجل ، وقام آخر فأقعده

---

(١) إسناده ضعيف والمتن متكون من عدة مقاطع لأغلبها ما يؤيدها كما سنذكر إلاّ أن فيه مقطعاً يخالف ما ورد في الروايات الصحيحة وهي عبارة: وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم . . . إلخ ص ٥١).
فقد أخرج ابن أبي عاصم في كتاب السنة (٢/ ٥٦١) عن عائشة قالت: لما كان يوم الدار قيل لعثمان: ألا تقاتل؟ قال: قد عاهدت رسول الله ﷺ على عهد سأصبر عليه ، قالت عائشة: فكنا نرى أن رسول الله ﷺ عهد إليه فيما يكون من أمره. وصحح الألباني إسناده.
وكذلك أخرج المحب الطبري في الرياض النضرة (٣/ ٦٨) عن شداد بن أوس حديثاً وفيه: ثم دخلوا على عثمان فقال له علي: السلام عليك يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر وإني والله لأرى القوم إلا قاتلوك فمرنا فلنقاتل. فقال عثمان: أنشد الله رجلاً رأى الله حقاً وأقرّ لي عليه حقاً أن يهريق في سبيلي ملء محجمة من دم أو يهريق دمه فيّ.
أما بقية مقاطع الرواية (٤/ ٢٤٣) فسنذكر ما يشهد لها بعد الرواية التالية.

آخر ، ثم ثار القوم فحصَبوا عثمان حتى صرُع ، فاحتُمِل فأُدخِل ، فصلى بهم عشرين يوماً ، ثم منعوه من الصلاة[1] . (٤/ ٣٥٣) .

٢٤٥ ـ ما حدّثني به يعقوب بن إبراهيم ، قال: حدّثنا معتمر بن سليمان التيميّ ، قال: حدّثنا أبي ، قال: حدّثنا أبو نَضْرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاريّ ، قال: سمع عثمان أنّ وفد أهل مصر قد أقبلوا ، قال: فاستقبلهم ، وكان في قرية له خارجة من المدينة ـ أو كما قال ـ فلمّا سمعوا به ، أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه ـ قال: وكره أن يقدموا عليه المدينة أو نحواً من ذلك ـ قال: فأتوْه ، فقالوا له: ادعُ بالمصحف ، قال: فدعا بالمصحف ، قال: فقالوا له: افتح التاسعة ـ قال: وكانوا يسمون سورة يونس التاسعة ـ قال: فقرأها حتى أتى على هذه الآية: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ . قال: قالوا له: قف ، فقالوا له: أرأيت ما حَمَيْتَ من الحمى؟ آلله أذن لك أم على الله تفتري! قال: فقال: امضِه؛ نزلت في كذا وكذا. قال: وأما الحِمَى فإنّ عمر حَمَى الحمى قبلي لإبل الصّدَقة ، فلما وليت زادت إبلُ الصدقة فزدت في الحِمَى لما زاد في إبل الصدقة ، امضِه. قال: فجعلوا يأخذونه بالآية ، فيقول: امضِه ، نزلت في كذا وكذا ـ قال: والذي يتولى كلام عثمان يومئذ في سنّك ، قال: يقول أبو نضرة ، يقول ذاك لي أبو سعيد ، قال أبو نُضْرة: وأنا في سنك يومئذ ، قال: ولم يخرج وجهي يومئذ ، لا أدري ـ ولعله قد قال مرة أخرى: وأنا يومئذ ابن ثلاثين سنة ـ ثم أخذوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرَج. قال: فعرفها ، فقال: أستغفر الله وأتوب إليه. قال: فقال لهم: ما تريدون؟ قال: فأخذوا ميثاقه ـ قال: وأحسبه قال: وكتبوا عليه شرطاً ـ قال: وأخذ عليهم ألاّ يشقوا عَصاً ، ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم ـ أو كما أخذوا عليه ـ قال: فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: نريد ألاّ يأخذ أهل المدينة

---

(١) إسناده ضعيف ولكن أصل الرواية أي منع الوفود القادمة إلى المدينة لعثمان بن عفان رضي الله عنه في إمامة الناس في الصلاة عند البخاري في صحيحه ؛ إذ أخرج عن عبد الله بن عدي بن الخيار: أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور فقال: إنك إمام عامة ونزل بك ما نرى ، ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج فقال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس ، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم. (فتح الباري ٢/ ٢٢١).

عطاء ، فإنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ . قال: فرضوا بذلك ، وأقبلوا معه إلى المدينة راضين.

قال: فقام فخطب ، فقال: إنّي ما رأيت والله وفداً في الأرض هم خير لحوْباتِي من هذا الوفد الذين قدموا عليّ. وقد قال مرّة أخرى: خشيت من هذا الوفد من أهل مصر ، ألا من كان له زرع فليلحق بزرعه ، ومن كان له ضَرْع فليحتلب؛ ألا إنه لا مال لكم عندنا ، إنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ . قال: فغضِب الناس ، وقالوا: هذا مكر بني أميّة.

قال: ثم رجع الوفد المصريون راضين؛ فبينا هم في الطريق إذا هم براكب يتعرّض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم ، ثمّ يفارقهم ويتبيَّنُهم. قال: قالوا له: مَالَك؟ إن لك لأمراً! ما شأنك؟ قال: فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر؛ ففتَّشوه؛ فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان ، عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلّبهم أو يقتلهم أو يقطّع أيديهم وأرجلَهم من خلاف. قال: فأقبلوا حتى قدِموا المدينة ، قال: فأتوْا عليّاً ، فقالوا: ألم تر إلى عدوّ الله! إنه كتب فينا بكذا وكذا؛ وإنّ الله قد أحلّ دمه ، قم معنا إليه ، قال: والله لا أقوم معكم؛ إلى أن قالوا: فلم كَتبتَ إلينا؟ فقال: والله ما كتبتُ إليكم كتاباً قطّ؛ قال: فنظر بعضهم إلى بعض ، ثم قال بعضهم لبعض: ألهذا تقاتلون ، أو لهذا تغضبون!

قال: فانطلق عليّ ، فخرج من المدينة إلى قرية. قال: فانطلقوا حتى دخلوا على عثمان ، فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا! قال: فقال: إنما هما اثنتان: أن تقيموا عليّ رجلين من المسلمين ، أو يميني بالله الذي لا إله إلاّ هو ما كتبتُ ولا أملَلْت ولا علمت. قال: وقد تعلمون أنّ الكتاب يكتَب على لسان الرّجل ، وقد ينقَش الخاتم على الخاتم. قال: فقالوا: فقد والله أحلّ الله دَمك ، ونقضت العهد والميثاق. قال: فحاصروه[1]. (٤ : ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ـ ٣٥٦).

---

(١) إسناده صحيح وكذلك أخرجه خليفة بن خياط في تأريخه: حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي قال: قال نا أبو نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري قال: سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا فاستقبلهم ، فقالوا: ادعُ بالمصحف فدعا به فقالوا: افتح السابعة وكانوا يسمون سورة يونس السابعة فقرأ حتى أتى هذه الآية ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ =

= تَفۡتَرُونَ﴾ فقالوا له: قف أرأيت ما حميت من الحمى؟ الله أذن لك أم على الله تفتري! فقال: امضه نزلت في كذا وكذا، فأقام الحمى فإن عمر حماه قبلي لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زادت إبل الصدقة امضه، قال فجعلوا يأخذونه بالآية فيقول: امضه نزلت في كذا وكذا فما يزيدون فأخذوا ميثاقه وكتبوا عليه شرطاً وأخذ عليهم ألا يشقوا عصاً ولا يفارقوا جماعة ما أقام لهم شرطهم، ثم رجعوا راضين فبينما هم بالطريق إذا راكب يتعرض لهم ويفارقهم ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم قالوا: مالك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان عليه خاتمه إلى عامل مصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطّع أيديهم وأرجلهم، فأقبلوا حتى قدموا المدينة، فأتوا عليًّا فقالوا: ألم تر إلى عدوّ الله كتب فينا بكذا وكذا، وإن الله قد أحل دمه فقم معنا إليه. قال: والله لا أقوم معكم قالوا: فلم كتبت إلينا؟ قال: والله ما كتبت إليكم كتاباً فنظر بعضهم إلى بعض، وخرج علي من المدينة، فانطلقوا إلى عثمان فقالوا: كتبت فينا كتاباً بكذا وكذا فقال إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يمين بالله لا إله إلاّ هو ما كتبت ولا أمللت ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم. قالوا: قد أحل الله دمك، ونقضت العهد والميثاق، وحصروه في القصر رضي الله عنه (تأريخ خليفة/ ١٦٩). وإسناده صحيح ـ وكذلك أخرجه ابن شبة في تأريخ المدينة من طريق سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: خطبنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: إن ركباً نزلوا ذا الحليفة وإني خارج إليهم فمن شاء أن يخرج فليخرج؟ قال: فكنت فيمن خرج يعني: أبا سعيد ـ قال: فأتيناهم فإذا هم في حظائر سقفٍ، أبصرناهم من خلال الحائط وإذا شاب قاعد في حجره المصحف فقال: يا أمير المؤمنين ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾ فقال: إن عمر رضي الله عنه حمى حمى، وإن الصدقة زادت فزدت في الحمى، فمن شاء أن يرعى فليرع، أتوب إلى الله وأستغفره. فقالوا: يا أمير المؤمنين أحسنت! ثم قالوا: يا أمير المؤمنين هل على بيت الله إذن؟ قال: كنت أرى أن الجهاد أفضل من الحج فإن كان ذلك من رأيكم فقد أذنا للناس فمن أراد أن يحج فليحج، أتوب إلى الله وأستغفره. فقالوا: والله لقد أحسنت يا أمير المؤمنين في خصال سألوه عنها فتاب منها ورجع عنها كل ذلك يقولون: قد أحسنت يا أمير المؤمنين. قال: فانفروا وتفرقوا ثم قام خطيباً فقال: ما رأيت ركباً كانوا في نفس أمير المؤمنين خيراً من هؤلاء الركب. والله إن قالوا إلا حقاً، وإن سألوا إلا حقاً. فرجعوا إليه فأشرف عليهم فقال: ما رجعكم إليّ بعد إعطائكم الحق؟ قالوا: كتابك. قال: ويلكم لا تهلكوا أنفسكم وتهلكوا أمتكم والله إن كتبتها ولا أمليتها فقال الأشتر: إني والله لأسمع حلف رجل أراه قد مُكِر به ومُكِر بكم قال: فوثبوا عليه فوطؤوه حتى ثقل ثقلا قال: فوقف عليهم سعد بن مالك فقال: أفيما قتلكم!! تركتموه وهو في خطيئته تطهر منها قتلتموه!! =

= فجعلوا يقرعونه بالرماح حتى سقط لجنبه وجعل يقول: هلّم فاقتلوني فلقد أصابت أمي اسمي إذ سمتني سعداً. وأقبل الأشتر فنهاهم وقال: يا عباد الله اتخذتم أصحاب محمداً بدُناً؟! وخرج سعد يدعو ويقول: اللهم إني فررت بديني من مكة إلى المدينة وأنا أفرّ به من المدينة إلى مكة (أخبار المدينة المنورة ٦/ ٣/ ٣٥١) وقال الدويش في الحاشية: رجاله ثقات رجال الصحيح إلا أبا سعيد مولى أبي أسيد وهو ثقة كما أشار إلى ذلك الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/ ٢٢٩). ا هـ.

قلنا: فهؤلاء ثلاثة من أئمة الحديث والتأريخ (الطبري، خليفة بن خياط، ابن شبة) ثلاثتهم رووا هذه الرواية المهمة من طريق أبي نضرة به، ولكن الطبري زاد زيادة لم نجدها عند خليفة ولا عند ابن شبة وهو قوله: (وقالوا: هذا مكر بني أمية) أما بقية الرواية فهي متفقة في المعنى عند الثلاثة إلا في مواضع يسيرة كقوله عند الطبري: (ثم أخذوا بأشياء لم يكن عنده منها مخرج) بينما العبارة غير موجودة أصلاً عند خليفة بل هي هكذا (فما يزيدون فأخذوا ميثاقه وكتبوا عليه شرطاً وأخذ عليهم ألّا يشقوا عصاً ولا يفارقوا جماعة ما أقام لهم شرطهم، ثم رجعوا راضين) أما عند عمر بن شبة فهي هكذا: (فقالوا: والله لقد أحسنت يا أمير المؤمنين في خصال سألوه عنها فتاب فيها ورجع عنها كل ذلك وهم يقولون: قد أحسنت يا أمير المؤمنين قال: فانفروا وتفرقوا).

على أية حال هذه الرواية الصحيحة تبيّن أموراً اتفق عليها المؤرخون الثلاثة:

١ - كان سيدنا عثمان واسع الصدر مهتماً بأمور رعيته لا يحجبه عنهم حاجب وذهب بنفسه لملاقاة وفود الغاضبين عليه ليحاورهم ويجد ما عندهم ويرضيهم.

٢ - فنّد سيدنا عثمان ما راود الوفود من شبهات حول سياسته في إدارة الحكم.

٣ - اقتنعوا بما شرحه لهم أمير المؤمنين وخرجوا من عنده راضين.

٤ - قام بعض المغرضين بتزوير كتاب باسم أمير المؤمنين وزوروا ختمه وكذلك زوّروا كتاباً باسم سيدنا علي كل ذلك لأنهم لم يرضوا بالوئام والصفاء الذي عاد إلى صفوف الأمة المسلمة.

ونعود إلى ذكر بقية الشواهد للرواية السابقة (٤/ ٧٤٤):

٢ - أخرج خليفة بن خياط في تأريخه قال: ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير قال: (قلت لعثمان: إنا معك في الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منهم، فائذن لنا. فقال: أذكر الله رجلاً أهرق في دمه، أو قال دماً) (تأريخ خليفة/ ١٧٣) وإسناده حسن.

٣ - أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». (فتح الباري ٤/ ٩٧).

ذكر الخبر عن قتل عثمان رضي الله عنه

٢٤٦ ـ حدثني أحمد بن إبراهيم؛ قال: حدّثنا عبد الله بن إدريس، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع: أنّ جَهْجاهاً الغِفاريّ أخذ عصاً كانت في يد عثمان، فكسرها على ركبته، فرمى في ذلك المكان بأكله[١]. (٤ : ٣٦٧).

٢٤٧ ـ حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا معتمِر بن سليمان التيميّ، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا أبو نَضْرة عن أبي سعيد مولى أبي أَسَيْد الأنصاريّ، قال: أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه ذات يوم، فقال: السلام عليكم، قال: فما سمع أحداً من الناس ردّ عليه إلاّ أن يردّ رجل في نفسه، فقال: أنشدُكم بالله هل علمتم أني اشتريت رومة من مالِي يستعذَب بها، فجعلت رِشائي منها كرِشاء رجل من المسلمين! قال: قيل: نعم. قال: فما يمنعني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر! قال: أنشدكم الله هل علمتم أنّي اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته في المسجد؟ قيل: نعم، قال: فهل علمتم أحداً من الناس مُنع أن يصلّي فيه قبلي! قال: أنشدكم الله، هل سمعتم نبيّ الله ﷺ يذكر كذا وكذا؛ أشياء في شأنه، وذكْرَ الله إياه أيضاً في كتابه المفصّل. قال: ففشا النهي.

قال: فجعل الناس يقولون: مهلاً عن أمير المؤمنين، قال: وفشا النهي، قال: وقام الأشتر ـ قال: ولا أدري يومئذ أو في يوم آخر ـ فقال: لعله قد مكر به وبكم! قال: فوطئه الناس، حتى لقي كذا وكذا، قال: فرأيته أشرف عليهم مرّة أخرى، فوعظهم وذكّرهم، فلم تأخذ فيهم الموعظة. وكان الناس تأخذ فيهم الموعظة أوّلَ ما يسمعونها؛ فإذا أعيدت عليهم لم تأخذ فيهم. قال: ثم إنه فتح الباب ووضع المصحف بين يديه. قال: وذاك أنه رأى من الليل أنّ نبيّ الله ﷺ يقول: «أفطر عندنا الليلة»[٢]. (٤ : ٣٨٣).

---

(١) رجاله ثقات وأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٨٨).

(٢) إسناده ضعيف، وأما منع عثمان الصحابة ومن معهم من التابعين من الدفاع عنه وأمرهم بالرجوع فسمعوا له وأطاعوا إلا ثلاثة من الشباب أو أربعة، فقد أخرج ابن عبد البر في الاستيعاب (٨/ ٤٥) عن كنانة مولى صفية بنت حيي بن أخطب قال: شهدت مقتل عثمان، فأخرج من الدار أمامي أربعة من شبان قريش ملطخين بالدم محمولين، كانوا يدرؤون عن =

٢٤٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: وأحرقوا الباب وعثمان في الصّلاة، وقد افتتح: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ ـ وكان سريع القراءة، فما كرثه ما سمع، وما يخطىء وما يتتعتع حتى أتى عليها قبل أن يصلوا إليه ـ ثم عاد فجلس إلى عند المصحف وقرأ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

وارتجز المغيرة بن الأخنس وهو دون الدار في أصحابه:

قـد عَلِمَـتْ ذاتُ القـرونِ الميـلِ والحَلْـي والأنـامِـلِ الطُّفـولِ
لتصْـدُقَـنَّ بَيْعَتـي خليلـي بِصـارمٍ ذي رَوْنَـقٍ مَصْقـولِ
لا أسْتَقيـلُ إنْ أقلْـتُ قيلـي

= عثمان رضي الله عنه: الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم. وإسناده حسن صحيح.

وذكرنا الرواية (٤/ ٣٨٥/ ٨٢٥) في قسم الضعيف لما فيها من عبارات لا تليق بصحابة رسول الله وأغلب الظن أن رواية سيف (أي شعيب) المعروف بتحامله على الصحابة هو الذي زاد هذه العبارات على أصل القصة عند المؤرخين والمحدثين، وأما محاولة أم حبيبة للدخول على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وهو محاصر ومنعها من ذلك فقد حصل كما أخرج الإمام أحمد عن الحسن البصري أنه قال: (لما اشتد أمرهم يوم الدار قالوا: فمن فمن؟ قال: فبعثوا إلى أم حبيبة فجاؤوا بها على بغلة بيضاء وملحفة قد سترت فلما دنت من الباب قالوا: ما هذا؟ قالوا: أم حبيبة قالوا: لا والله لا تدخل، فردّوها) (فضائل الصحابة ١/ ٤٩٢). وصحح المحقق إسناده.

وليست في هذه الرواية: أنهم ضربوا وجه بغلتها وقالوا لها كاذبة وقطعوا حبل البغلة بالسيف وكادت تقتل ومالت بها راحلتها وما إلى ذلك من الاختلاقات التي لم ترد من رواية صحيحة بالأصل أنهم منعوها فحسب ـ ولكن ما تقول لراوٍ كشعيب ينتهز الفرص للنيل من صحابة رسول الله ﷺ وقد نسي أن باب الإسناد له بالمرصاد وكذلك فإن رواية (سيف من طريق شعيب) جاءت بعبارة (وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة) وحاشا للسيدة عائشة أم المؤمنين أن تهرب بحجة أنها تحج والوقائع المشهورة تكذب ذلك، فكيف تخرج في وقعة الجمل إلى البصرة بعيداً عن المدينة ثم لا تملك الشجاعة أن تجلس في مدينة رسول الله ﷺ ـ ولا ضير أن نقول: إنها كانت في ذلك الحين في مكة أو إنها أرادت أن تكون بعيدة عن الفتنة حتى لا تأثم، ولقد عزا الحافظ ابن حجر إلى الطبري من أنها كانت في مكة حين قتل سيدنا عثمان، وصحح الحافظ إسناده. (الفتح ١٣/ ٣٨).

وأقبل أبو هريرة ، والناس محجمون عن الدّار إلا أولئك العُصبة ، فدسروا فاستقتلوا ، فقام معهم ، وقال: أنا أسوتكم؛ وقال: هذا يوم طابَ امْضَرْب ـ يعني أنه حَلّ القتال ، وطاب وهذه لغة حِمير ـ ونادى: يا قوم ، مَالِي أدعُوكُم إلى النَّجَاةِ وتَدْعُونني إلى النَّارِ! وبادر مروان يومئذ ونادى: رجل رجل ، فبرز له رجل من بني لَيْث يدعَى النِّبّاع؛ فاختلفا ، فضربه مروان أسفل رجليه ، وضربه الآخر على أصل العُنق فقلبه ، فانكبّ مروان ، واستلقى ، فاجترّ هذا أصحابه ، واجترّ الآخر أصحابه؛ فقال المصريون: أما والله لولا أن تكونوا حجة علينا في الأمة لقد قتلناكم بعد تحذير ، فقال المغيرة: مَن يبارز؟ فبرز له رجل فاجتلد ، وهو يقول:

أضـــربُهُـــمْ بـــاليـــابِـــس ضَـــرْبَ غُـــلامٍ بـــائـــس
مـــــن الحيـــــاةِ آيـــــسِ

فأجابه صاحبه . . . وقال الناس: قتل المغيرة بن الأخنس ، فقال الذي قتله: إنا لله! فقال له عبد الرحمن بن عُديس: مَالَك؟ قال: إني أُتِيت فيما يرى النائم ، فقيل لي: بشّر قاتلَ المغيرة بن الأخنس بالنار؛ فابتُليت به ، وقَتَل قَباث الكِنانيّ نِيار بن عبد الله الأسلميّ ، واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتى ملؤوها ولا يشعر الذين بالباب ، وأقبلت القبائل على أبنائهم؛ فذهبوا بهم إذ غُلبوا على أميرهم ، وندبوا رجلاً لقتله ، فانتدَب له رجل ، فدخل عليه البيت ، فقال: اخلعها وندَعك ، فقال: ويحك! والله ما كشفتُ امرأةً في جاهليّة ولا إسلام ، ولا تغنّيت ولا تمنّيت، ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله ﷺ ؛ ولست خالعاً قميصاً كسانيه الله عزّ وجلّ ، وأنا على مكاني حتى يكرم الله أهل السعادة ، ويهين أهل الشقاء.

فخرج وقالوا: ما صنعت؟ فقال: علِقنا والله؛ والله ما ينجينا من الناس إلا قتله ، وما يحلّ لنا قتله؛ فأدخَلوا عليه رجلاً من بني ليث ، فقال: ممن الرجل؟ فقال: ليثيّ؛ فقال: لستَ بصاحبي ، قال: وكيف؟ فقال: ألست الذي دعا لك النبيّ ﷺ في نفر أن تُحفَظُوا يوم كذا وكذا؟ قال: بلى ، قال: فلن تضيع؛ فرجع وفارق القوم ، فأدخلوا عليه رجلاً من قريش ، فقال: يا عثمان! إني قاتلُك ، قال: كلاّ يا فلان ، لا تقتلني ! قال: وكيف؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ استغفر لك

يوم كذا وكذا؛ فلن تقارف دماً حراماً. فاستغفر ورجع، وفارق أصحابه فأقبل عبد الله بن سلَام حتى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله، وقال: يا قوم لا تسلّوا سيفَ الله عليكم؛ فوالله إن سللتموه لا تغمدوه، ويلكم! إنّ سلطانكم اليوم يقوم بالدِّرّة؛ فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف. ويلكم! إنّ مدينتكم محفوفة بملائكة الله؛ والله لئن قتلتموه لتتركَنّها؛ فقالوا: يا بنَ اليهودية؛ وما أنت وهذا! فرجع عنهم.

قالوا: وكان آخر مَن دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان: ويلك! أعلى الله تغضب! هل لي إليك جُرْم إلاّ حقَّه أخذتُه منك! فنكل ورجع.

قالوا: فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره، ثار قُتَيْرَةُ، وسُودان بن حمران السَّكونيّان، والغافقيّ؛ فضربه الغافقيّ بحديدة معه، وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف، فاستقرّ بين يديه؛ وسالت عليه الدماء؛ وجاء سُودان بن حمران ليضربه، فانكبّت عليه نائلة بنت الفَرافصة، واتّقت السيف بيدها، فتعمّدها، ونفح أصابعها، فأطنَّ أصابع يدِها وولّت؛ فغمز أوراكها، وقال: إنها لكبيرة العجيزة، وضرب عثمان فقتله، ودخل غِلمة لعثمان مع القوم لينصروه ـ وقد كان عثمان أعتق مَن كَفّ منهم ـ فلمّا رأوا سودان قد ضربه، أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله، ووثب قتيرة على الغلام فقتله، وانتهبوا ما في البيت؛ وأخرجوا مَن فيه، ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى. فلما خرجوا إلى الدار، وثبَ غلام لعثمان آخر على قُتيرة فقتله، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا؛ حتى تناولوا ما على النساء، وأخذ رجل ملاءة نائلة ـ والرجل يدعى كلثوم بن تُجِيب ـ فتنحّت نائلة، فقال: ويح أمِّكِ من عَجِيزة ما أتمَّكِ! وبصُر به غلام لعثمان فقتله وقتِل، وتَنادَى القوم: أبصر رجل مَنْ صاحبه، وتنادَوْا في الدار: أدركوا بيت المال لا تُسبَقوا إليه؛ وسمع أصحاب بيت المال أصواتهم؛ وليس فيه إلاّ غِرارتان، فقالوا: النَّجاء؛ فإن القوم إنّما يحاولون الدنيا، فهربوا وأتوْا بيت المال فانتهبوه، وماج الناس فيه، فالتّانئ يسترجع ويبكي، والطارىء يفرح. وندم القوم، وكان الزبير قد خرج من المدينة، فأقام على طريق مكة لئلاّ يشهد مقتله، فلما أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو؛ قال: إنا لله وإنا إليه

راجعون! رحم الله عثمان. وانتصر له؛ وقيل: إنّ القوم نادمون؛ فقال: دبِّروا دبِّروا، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ الآية. وأتى الخبرُ طلحةَ، فقال: رحم الله عثمان! وانتصر له وللإسلام؛ وقيل له: إن القوم نادمون، فقال: تبّاً لهم! وقرأ: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ وأتي عليٌّ فقيل: قُتِل عثمان، فقال: رحم الله عثمان، وخلَف علينا بخير! وقيل: ندم القوم، فقرأ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ...﴾ الآية. وطُلِب سعد، فإذا هو في حائطه، وقد قال: لا أشهد قتلَه، فلما جاءه قتلُه؛ قال: فررنا إلى المُدْنية تُدْنينا؛ وقرأ: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾. اللهمّ أندِمْهم ثم خذهم[1]. (٤: ٣٨٩/ ٣٩٠/ ٣٩١/ ٣٩٢).

---

(١) إسناده ضعيف ولكن له ما يشهد له كما سنذكر:

١ ـ أخرج الترمذي في سننه وحسنه (٥/ ٣٣٥) والطبراني كما ذكر الهيثمي (المجمع ٩/ ٩٣) وقال: رجاله ثقات، والبخاري في التأريخ الكبير (١/ ١/ ٢٦٢) حديثاً مطولاً عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام وفيه قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: فلا تعجلوا إلى هذا الشيخ أمير المؤمنين بقتل اليوم، فإني أقسم بالله لقد حضر أجله نجده في كتاب الله، ثم أقسم لكم بالله الذي نفسي بيده لا يقتله رجل منكم إلاّ لقي الله عز وجل يوم القيامة مشلاً يده مقطوعة، ثم اعلموا أنه ليس للوالد على ولده حق إلا هذا الشيخ عليكم مثله، وقد أقسم لكم بالله ما زالت الملائكة بهذه المدينة منذ دخلها رسول الله ﷺ إلى اليوم، وما زال سيف الله بعد إذ غمد عنكم؛ فلا تطردوا جيرانكم من الملائكة. فلما قال ذلك لهم قاموا يسبونه ويقولون كذب اليهودي... إلخ الرواية. وأخرج أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٧٤) بسند صحيح عن عبد الله بن سلام: لا تقتلوا عثمان فإنكم إن فعلتم لم تصلوا جميعاً أبداً.

٢ ـ وأخرج ابن سعد بإسناد رجاله ثقات (إلا أن فيه الأعمش وهو ثقة يدلس) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت على عثمان يوم الدار فقلت: يا أمير المؤمنين! طاب امْضَرْبُ فقال: يا أبا هريرة! أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي؟ قال: قلت لا، قال: فإنك والله إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً قال: فرجعت ولم أقاتل.

٣ ـ وأخرج ابن عبد البر بسند حسن عن كنانة مولى صفية بنت حيي بن أخطب قال: شهدت مقتل عثمان... الرواية وفي آخره وقال محمد بن طلحة: فقلت له: هل نرى محمد بن أبي بكر بشيء من دمه؟ قال: معاذ الله دخل عليه فقال له عثمان: يا بن أخي لست بصاحبي ـ وكلمه بكلام ـ فخرج ولم يند بشيء من دمه) (الاستيعاب ٨/ ٤٦).

٤ ـ وأخرج خليفة بن خياط في تأريخه قال: حدثنا المعتمر عن أبيه عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: فتح عثمان الباب ووضع المصحف بين يديه فدخل عليه رجل=

= فقال: بيني وبينك كتاب الله فخرج وتركه ـ ثم دخل عليه آخر فقال: بيني وبينك كتاب الله فأهوى إليه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فلا أدري أبانها أم قطعها ولم يبنها ـ فقال: أما والله إنها لأول كف خطت المفصل (تأريخ خليفة/ ١٧٤) وهذا إسناد صحيح.

وكذلك أخرج خليفة قال: حدثنا المعتمر عن أبيه عن الحسن أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذاً أو قعدت مني مقعداً ما كان أبوك ليقعده فخرج وتركه (تأريخ خليفة/ ١٧٤). ورجال هذا الإسناد ثقات.

أسماء الخارجين الذين شاركوا في قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه

١ ـ أخرج ابن سعد في طبقاته بسند حسن عن كنانة قال: (رأيت قاتل عثمان في الدار رجلاً أسود من أهل مصر يقال له: جبلة باسطاً يديه يقول: أنا قاتل نعثل) (الطبقات الكبرى ٣/ ٨٣).

٢ ـ وأخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا أبو داود قال: أخبرنا محمد بن طلحة قال: أخبرنا كنانة مولى صفية قال: (شهدت مقتل عثمان قال: قلت من قتله؟ قال: رجل من أهل مصر يقال له: حمار) (تأريخ خليفة/ ١٧٥) وإسناده حسن.

٣ ـ أخرج خليفة في تأريخه قال: وفي حديث: المعتمر عن أبيه عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: (دخل عليه رجل من بني سدوس يقال له: الموت الأسود فخنقه خنقة قبل أن يضرب بالسيف) (تأريخ خليفة/ ١٧٤) ورجاله ثقات.

٤ ـ وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب (٨/ ٤٥) حديث كنانة وفيه: فقلت (أي: محمد بن طلحة) لكنانة: من قتله؟ قال: قتله رجل من أهل مصر يقال له: جبلة بن الأيهم ثم طاف بالمدينة ثلاثاً يقول: أنا قاتل نعثل. وإسناده حسن.

وفي متون هذه الروايات اضطراب وكلها من طريق كنانة مولى صفية. وقد دفع الأستاذ خالد محمد الغيث هذا الاختلاف وقال: (بعد نقاش) مما سبق يلاحظ أن الذي قتل عثمان رضي الله عنه يعد شخصاً واحداً ذا ألقاب عدة فهو الموت الأسود، وهو رجل أسود من أهل مصر، يقال له: جبلة بن الأيهم، وهو عبد الله بن سبأ (ابن السوداء) الذي جاء إلى المدينة مع وفد مصر (استشهاد عثمان ووقعة الجمل/ ١٣٠).

٥ ـ ونسب الحافظ ابن كثير إلى ابن عساكر: أنه روى عن ابن عون: أن كنانة بن بشر ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبه فضربه سواد بن حمران المرادي بعد ما خر لجنبه فقتله (البداية والنهاية ٧/ ١٩٤).

وأما عن محمد بن أبي بكر فقد أخرج ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٩٤) رواية الطبراني وفيها: (إن محمد بن أبي بكر طعنه بمشقاص كانت في يده) ثم عقب ابن كثير قائلاً: هذا حديث غريب جداً وفيه نكارة ـ اهـ.

وسبق أن ذكرنا قول الحافظ ابن كثير: ويروىٰ: أن محمد بن أبي بكر طعنه بمشقاص في أذنه=

= حتى دخلت في حلقه ، والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره ، وأنه استحى ورجع حين قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها ، فتذمم من ذلك وغطى وجهه ورجع وحاجز دونه فلم يفد ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً. (البداية والنهاية ٧/ ١٩٤).

خلاصة في الفتنة أيام عثمان

أخرج خليفة بن خياط في تأريخه قال: حدثنا عبد الأعلى بن الهيثم قال: حدثني أبي قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا كانوا أعلاجاً من أهل مصر (تأريخ خليفة/ ١٧٦).

أولاً: عدم ثبوت مشاركة الصحابة في الفتنة أيام عثمان رضي الله عنه ، فلقد أكدت الروايات الصحيحة التي ذكرنا والتي سنذكرها هنا: أن الصحابة لم يشتركوا في هذه الفتنة ، وأما أعيان الصحابة كعلي ، وعائشة ، وأبي هريرة ، وأبي موسى ، وغيرهم كثير فقد وقفوا إلى جانب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، أما البقية وهم قليلون جداً فقد اعتزلوا الفتنة وخاصة في آخر أيامها ولكنهم لم يكونوا أبداً في صف الخارجين على سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بل كانوا ضد الخارجين ، ولعلّ بعض الناس يقول: ولكن عمّاراً قد شارك في الفتنة فنقول لهم: بيننا وبينكم الإسناد فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، ولقد بيّنا كذب وزيف الروايات التي ذكرت ذلك ، وسنذكر بعد قليل رواية صحيحة في إعلان عمارٍ رضي الله عنه أنه لم يشارك في ذلك.

وأما أبناء الصحابة فلم يثبت مشاركة أحدٍ منهم سوى محمد بن أبي بكر وقد ثبت كما ذكرنا أنه تراجع عن موقفه قبل مقتل سيدنا عثمان بقليل ، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٩٣): ويروى: أن محمداً بن أبي بكر طعنه بمشقاص في أذنه حتى دخلت في حلقه. والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره وأنه استحى ورجع حين قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها. فتذمم من ذلك وغطى وجهه ورجع وحاجز دونه فلم يفد وكان أمر الله قدراً مقدوراً. اهـ.

وإليك قائمة بأسماء أعيان الصحابة ومواقفهم من مقتل سيدنا عثمان ورأيهم في قتله ، وذلك اعتماداً على روايات صحيحة سنذكرها إزاء كل صحابي:

١ ـ سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي الله عنه وأرضاه:

أخرج البخاري في التأريخ الكبير (٤/ ١/ ٦٨) وأحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٥٨) بسند حسّنه المحقق عن عميرة بن سعد قال: كنا مع علي على شاطئ الفرات فمرت سفينة مرفوع شراعها ، فقال علي: يقول الله عز وجل ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ والذي أنشأها في بحر من بحاره! ما قتلت عثمان ، ولا مالأت على قتله. =

= وأخرج أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٥٥) وصحح المحقق إسناده وابن عساكر (في تأريخ دمشق/ ٤٧٦) عن سالم بن أبي الجعد قال: (كنا مع ابن الحنفية في الشِّعب فسمع رجلاً ينتقص عثمان وعنده ابن عباس، فقال: يا عباس! هل سمعت أمير المؤمنين عشية سمع الضجّة من قبل المربد فبعث فلان بن فلان فقال: اذهب فانظر ما هذا الصوت، فجاء فقال: هذه عائشة تلعن قتلة عثمان والناس يؤمِّنون فقال علي: وأنا ألعن قتلة عثمان في السهل والجبل، اللهم العن قتلة عثمان! اللهم العن قتلة عثمان في السهل والجبل! ثم أقبل ابن الحنفية عليه وعلينا فقال: أما فيَّ وفي ابن عباس شاهدا عدل؟ قلنا: بلى، قال: قد كان هذا).

وأخرج أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٥٢) وابن سعد في طبقاته (٣/ ١٠٣) بسند صحيح عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: رأيت علياً رافعاً حضينه يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان! وأخرج أبو نعيم في كتاب الإمامة (٣٢٩/ ح ١٣٨) عن قيس بن عباد قال: سمعت علياً رضي الله عنه يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان رضي الله عنه، ولقد طاش عقلي يوم قتل، وانكسرت نفسي، وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله تعالى أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: ألا أستحي ممن تستحيي منه الملائكة. وإني لأستحي من الله تعالى أن أبايع وعثمان قتيل على وجه الأرض لم يدفن بعد - وأخرجه الحاكم كذلك عن قيس بن عباد وزاد فيه: فانصرفوا فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين! فكأنما صدع قلبي وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى. قال الحاكم (المستدرك ٣/ ٩٥): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ولقد بيّن الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية أن الحافظ ابن عساكر اعتنى بجمع هذه الأحاديث ثم قال ابن كثير: ولقد نهى عنه (أي نهى عن المشاركة في الفتنة أيام عثمان) فلم يسمعوا منه، ثبت ذلك عنه من طريق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث ولله الحمد والمنة. (البداية والنهاية ٧/ ١٩٣).

٢ ـ الزبير بن العوام:

أكدت كتب الحديث أن زبيراً رضي الله عنه كان يتألم بعد مقتل عثمان لأنه لم يقف في وجه الخارجين عليه، فكان يرى نفسه مقصراً في حق عثمان. فقد أخرج الحافظ أبو نعيم عن حكيم بن جابر قال: قال طلحة يوم الجمل: اللهم إن كنا أدهنا في أمر عثمان رضي الله عنه وإنا لا نجد من الممانعة، اللهم فخذ لعثمان مني حتى ترضى! (الإمامة/ ٣٢٧/ ح ١٣٤).

وأخرج ابن عساكر في تأريخ دمشق (٤٤٧) أن الزبير بن العوام رضي الله عنه لما أتاه الخبر بمقتل عثمان وكان قد خرج من المدينة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحم الله عثمان! =

= وانتصر له وقيل له: إن القوم نادمون فقال: دبروا دبروا وفي رواية: ذئروا ذئروا ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ الآية.

٣ ـ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

أخرج خليفة بن خياط في تأريخه (١٧٦) قال: حدثنا أبو قتيبة قال: نا يونس بن أبي إسحاق عن عون بن عبد الله بن عتبة قال: قالت عائشة غضبت لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف استعتبتموه حتى إذا تركتموه كالقلب المصفى؛ قتلتموه.

وأخرج خليفة في (تأريخه/ ١٧٦) من طريق محمد بن عمرو قال: نا أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن مسروق قال: قالت عائشة: تركتموه كالثوب من الدنس ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش. قال مسروق: فقلت هذا عملك كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه فقالت عائشة: والذي آمن به المؤمنون، وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسواد في بياض حتى جلست مجلسي هذا. قال الأعمش: فكانوا يرون أن كتب على لسانها. وقال ابن كثير بعد سرده لهذه الرواية: وهذا إسناد صحيح إليها (البداية والنهاية ٧/ ١٩٥).

وأخرج البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٥٩٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ليتني كنت نسياً منسياً قبل أمر عثمان: فوالله ما أحببت له شيئاً إلا منيت بمثله حتى لو أحببت أن يقتل لقتلت) وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٦٢) وصحح المحقق إسناده.

٤ ـ أبو هريرة رضي الله عنه:

ذكرنا سابقاً ما ورد من روايات صحيحة تذكر: أنه رضي الله عنه دافع عن سيدنا عثمان بلسانه وأراد أن يحميه بسيفه ويقاتل عنه، فنهاه سيدنا عثمان فامتثل لأمر خليفة المسلمين. وكذلك أخرج ابن عساكر في (تأريخ دمشق/ ٤٩٣) عن أبي مريم قال: رأيت أبا هريرة يوم قتل عثمان وله ضفيرتان وهو ممسك بهما وهو يقول: قتل والله عثمان على غير وجه الحق.

٥ ـ ابن مسعود رضي الله عنه:

أخرج ابن أبي شيبة في (مصنفه ١٥/ ٢٠٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (لئن قتلوا عثمان؛ لا يصيبوا منه خلفاً).

٦ ـ حذيفة بن اليمان (أمين سر رسول الله ﷺ):

أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢١٠) وابن سعد في طبقاته (٣/ ٨٠) عن ميمون بن مهران قال: لما قتل عثمان؛ قال حذيفة هكذا وحلّق بيده، وقال: فتق في الإسلام فتق لا يرتقه جبل. وروى البخاري في الصغير (١/ ٨٠) وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٢٠٦) أنه قال رضي الله عنه: حين ذكر قتل عثمان [اللهم إني لم أشهد، ولم أقتل، ولم أرض !].

٧ ـ طلحة بن عبيد الله:

ذكر المحب الطبري في الرياض النضرة (٣/ ٥٧) أن الدارقطني أخرج في (فضائل الصحابة) أن حواراً دار بين طلحة وعثمان رضي الله عنهما فقال طلحة في نهاية الحوار: (اللهم لا أعلم=

= عثمان إلا مظلوماً) وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٨٥) من طريق عبد الله ابن الإمام أحمد وفي آخره فقال طلحة: (اللهم نعم). ثم انصرف.
وأخرج ابن عساكر عنه رضي الله عنه حين أتاه نبأ مقتل سيدنا عثمان قال: يرحم الله عثمان، وانتصر له وللإسلام! وقيل له: القوم نادمون، فقال: تباً لهم وقرأ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ (تأريخ دمشق/ ٤٧).
وأخرج الخطيب البغدادي بسنده المتصل عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: أشرف عثمان بن عفان ذات يوم على الناس فقال: أفيكم أبو محمد؟ يقول ذلك ثلاث مرات - يعني: طلحة بن عبيد الله . . . . - وفيه: يا طلحة أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لكل نبي رفيقاً في الجنة وأن رفيقي عثمان. قال: اللهم نعم. قال: فقام طلحة من ذاك المجلس فلم يُر فيه. (موضح أوهام الجمع والتعريف ٢/ ٢٧١) وهذه روايات تتقوى ببعضها والله أعلم.
٨ - سعد بن أبي وقاص:
أخرج البلاذري عن عبد المجيد بن سهيل قال: قال سعد بن أبي وقاص حين رأى الأشتر وحكيم بن جبلة وعبد الرحمن بن عديس: إن امرأ هؤلاء أمراؤه لأمرؤ سوء. (أنساب الأشراف ١/ ٥٩٠) (ابن عساكر/ ٤٠٤).
ولما جاءه نبأ مقتل أمير المؤمنين عثمان وكان في بستانه قال: [(فررنا إلى المدينة بديننا فصرنا اليوم نفرّ من المدينة بديننا) وقرأ ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (اللهم أندمهم ثم خذهم) (ابن عساكر/ ٤٤٧)].
٩ - سعيد بن زيد:
روى ابن شبة (تأريخ المدينة ٤/ ١٢٤٢) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٠٤) عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت سعيد بن زيد يقول: والله لو أنّ أحداً انقضّ فيما فعلتم في ابن عفان كان محقوقاً أن ينقضّ).
١٠ - ابن عباس:
أخرج (ابن عساكر/ ٢١٢) عن ابن عمر قال: لقيت ابن عباس وكان خليفة عثمان على الموسم - موسم الحج - عام القتل، فأخبرته بقتله، فعظّم أمره وقال: (والله إنه من الذين يأمرون بالقسط) فتمنيت أن أكون قد قتلت يومئذ.
١١ - عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه:
ولقد لفق المبتدعة من نسج خيالهم روايات كثيرة عن مشاركة عمار في هذه الفتنة، وأن سيدنا عثمان أدّبه في مسألة فحمل عمار في نفسه شيئاً من الكراهية لعثمان! وكل ذلك غير صحيح وكما قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: (فإذا طعن وقال: ضرب عماراً. قيل له: هذا=

= غير ثابت عنه، ولو ثبت ذلك فللأئمة أن يؤدبوا رعيتهم إذا رأى موجباً له). (كتاب الإمامة/ ٣١٥).
قلنا: ولو فرضنا جدلاً أن ضرب عثمان لعمار قد ثبت ثم ماذا؟! ألم يثبت في صحيح البخاري أن عثماناً قد أمر علياً بجلد الوليد بن عقبة بعد أن ثبت بحقه ما يوجب الجلد، علماً بأن المبتدعة والمستشرقين يتهمونه بأنه قد حابى الوليد بن عقبة فأين الرواية الصحيحة من افتراءاتهم؟!.
ومن أراد المزيد من هذه المواقف الصادقة فليراجع ما كتبه الدكتور(محمد أبو محزون) في كتابه القيّم: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ١٤ ـ ٤٢).

ردّ على المستشرق بروكلمان ومن تتلمذ على فكره حول الفتنة في زمن سيدنا عثمان وموقف الصحابة آنذاك

يبدو أن بروكلمان (ومن سار على نهجه) يتصور أن الناس لا يستطيعون أن يدرسوا الروايات التأريخية، وأن النقد والتقييم حكر على من عادى التأريخ الإسلامي، وسأذكر بعض ما ذكر من تحريف وتزوير في هذه المسألة:
يقول بروكلمان: وفي سنة (٦٥٣ م) ظهر الاختلاف في قراءات القرآن أثناء غزو أرمينية بين جيوش الشام وجيوش العراق (وإذا كان التوتر بين سكان هذين القطرين كان على أشده آنئذ) فقد كان من الطبيعي أن يؤدي ذلك الخلاف على آي القراءات القرآنية إلى اشتباكات عنيفة بين الجنود (تأريخ الشعوب الإسلامية/ ١١٢) وكنت أتمنى لو أنه جاء ولو برواية تأريخية ونسبها إلى مصدر تاريخي مهما كان، ولكنه يعلم في قرارة نفسه أنه لم تحصل أبداً ما سماها اشتباكات عنيفة بين الجنود من أجل الاختلاف في القراءة!!!
ويقول بروكلمان (وبدون تردد): واستطاع خصوم الخليفة في المدينة وعلى رأسهم علي، وطلحة، والزبير أن يفيدوا من الاستياء العام (تأريخ الشعوب الإسلامية ١١٢).
ولا أدري ما أقول في ردّ هذا الافتراء العظيم؛ والأدلة الصحيحة التي ذكرنا والتي لم نذكر جميعها تبيّن: أن علياً رضي الله عنه كان على رأس المدافعين عن خليفة المسلمين عثمان بن عفان، وأعلنها مراراً وتكراراً: أنه لم يحرّض عليه بل دفع بولديه حماية له، وذكرنا ما ثبت من أنه رضي الله عنه كان يلعن قاتليه على الملأ، وإذا لم تكن جميع الأدلة الصحيحة التي ذكرنا شافية للغليل فإلى تلاميذ بروكلمان نذكر هذه الرواية زيادة على ما ذكرنا وتكذيباً لافتراء أستاذهم، فقد أخرج ابن عساكر عن قيس بن عباد قال: سمعت علياً يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة فقلت: إني والله لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة، وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا فلما دفن رجع الناس يسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق=

= لما أقدم عليه ثم جاء عزمة فبايعت، فلما قالوا: يا أمير المؤمنين! فكأن صدع قلبي وانسكبت عبرة).

افتراء بروكلمان حول موقف سيدنا عثمان من الفتنة

يقول بروكلمان: [عندئذ طلب إليه الثائرون بتسليم أن يستقيل ما دام من الممكن أن يجري شيء كهذا من غير علمه، ولكن عثمان رفض في أنفة وكبر] (تأريخ الشعوب الإسلامية/ ١١٤) ولو قال بروكلمان عن غير عثمان رضي الله عنه أنه يتكبر؛ لكان الأمر أهون أما الرجل الذي يقطر حياء وأدباً، ولو كان متكبراً يا بروكلمان فكيف سمحت له الأنفة والكبرياء أن يخرج إليهم ويسمع لمن يمثلهم وهو شاب صغير بينما أمير المؤمنين قد طعن في السن!! إن من الغرابة وليس من الغرابة في نفس الوقت أن تقول هذا، فمن الغرابة أن تقول هذا لأن الوقائع تكذب ما تقول وليس من الغرابة لأنك لا تفهم أو تريد ألا تفهم أو يفهم الناس السبب الحقيقي وراء رفض عثمان رضي الله عنه لطلب العزل والإقالة، وإليك ما صح سنداً ومتناً حتى تتبين لك الأسباب الحقيقية لهذا الرفض:

أخرج ابن ماجه في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عثمان! إن ولاّك الله هذا الأمر يوماً، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه» يقول ذلك ثلاث مرات، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٢٥).

وأخرج ابن أبي عاصم في السنة عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما كان يوم الدار قيل لعثمان: ألا تقاتل؟ قال: قد عاهدت رسول الله ﷺ على عهد سأصبر عليه. قالت عائشة: فكنا نرى أن رسول الله ﷺ عهد إليه فيما يكون من أمره) وصححه الألباني (السنة لابن أبي عاصم ٢/ ٥٦١). وأحاديث كثيرة ذكرت في فضائل الصحابة تؤكد: أن إصراره على عدم التنازل عن الخلافة كان امتثالاً منه لأوامر رسول الله ﷺ. وكان رحمه الله ورضي عنه يعلم أنه سيقتل فأيّة أنفة وأيُّ كبر يا بروكلمان! أم أنه الكبر الذي ورثته من أسلافك المستشرقين الذي يأنفون ويتكبرون أن يروا حضارة لا تمتُّ إلى الغرب بصلة ولها تأريخ مشرف لا تحلمون حتى به ناهيك عن وقوعه في بلادكم، وهذه مذابح الثورة والثورة المضادة في أيام الثورة الفرنسية ومذابحها الرهيبة خير شاهد وليس ببعيد وكم وكم من أمثلة؟

ويقول بروكلمان أيضاً: (فانقضُّوا على المنزل من الأرض المجاورة وقتلوا الخليفة الذي كان يتلو القرآن في هدوء من غير أن يشترك في المعركة) (تأريخ الشعوب/ ١١٤).

ويا ليت بروكلمان بيّن لنا ما السبب في هذا الهدوء العجيب الذي تحلّى به الخليفة وهو محاصر بين سيوف شهرت للانقضاض عليه، وهذه رواية تبين السبب وتبطل العجب:

فقد أخرج أحمد في فضائل الصحابة عن مسلم (أبي سعيد) مولى عثمان رضي الله عنه قال: (أعتق عثمان بن عفان عشرين مملوكاً، ودعا بسراويل، فشدها عليه ولم يلبسها في جاهلية ولا في إسلام، قال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في النوم، ورأيت أبا بكر، وعمر، =

= وأنهم قالوا لي: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه). وقال محققه وصي الله: وإسناده حسن (فضائل الصحابة ١/ ٤٩٧).
وأخيراً فإن بروكلمان يفجّر قذيفة أخرى من قذائف الحقد والدس على التأريخ الإسلامي فيقول: (فحاصروه في منزله حيث لم يدافع عنه غير نفر قليل من أنسابه وبعض الموالي والعبيد، أما المحرضون الفعليون للثورة: علي، وطلحة، والزبير؛ فآثروا أن يتباعدوا إنقاذاً للمظاهر) (تأريخ الشعوب/ ١١٤).
أما قول بروكلمان: (فحاصروه في منزله حيث لم يدافع عنه غير نفر قليل) فالروايات الصحيحة المستفيضة تذكر: أن الصحابة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره طلبوا من الخليفة أن يأذن لهم فيهجموا هجمة رجل واحد، ويذبحوا جيش الخارجين عن المدينة، ولكنه أقسم عليهم ألّا يريقوا دماً من أجل الدفاع عنه، فسمعوا، وأطاعوا للخليفة، وطاعته واجبة. وهذا سيدنا علي خير شاهد على تكذيب بروكلمان؛ إذ يقول عنه شداد بن أوس: فرأيت علي بن أبي طالب خارجاً من منزله معتماً بعمامة رسول الله متقلداً سيفه أمامه الحسن وعبد الله بن عمر في نفر من المهاجرين والأنصار . . . إلخ وفيه: يقول علي: فمرنا فلنقاتل فقال عثمان: أنشد الله رجلاً رأى حقاً وأقرّ أن لي عليه حقاً أن يهريق في سبيلي ملء محجمة من دم، أو يهريق دمه فيّ، فأعاد علي رضي الله عنه عليه القول، فأجابه بمثل ما أجابه. قال (أي: شداد بن أوس الصحابي الجليل راوي الحديث): فرأيت علياً خارجاً من الباب وهو يقول: اللهم إنك تعلم أنا بذلنا المجهود. (المحب الطبري/ الرياض النضرة ٣/ ٦٨).
وأخرج ابن سعد في طبقاته: أن زيد بن ثابت رضي الله عنه جاء إلى عثمان رضي الله عنه وهو محاصر في الدار فقال زيد: (هذه الأنصار في الباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله. مرتين. قال: فقال عثمان: أما القتال فلا) الطبقات الكبرى (٣/ ٧٠) وابن أبي شيبة (٨/ ٦٨٢) وإسناده صحيح والله أعلم.
وأخرج ابن سعد (الطبقات ٣/ ٧١) عن ابن سيرين قال: كان مع عثمان يومئذ في الدار سبعمئة لو يدعهم لضربوهم إن شاء الله حتى يخرجوهم من أقطارها؛ منهم ابن عمر، والحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، وإسناده صحيح.
قلنا: وإذا كان في الدار فقط (٧٠٠) فما بال الذين في أرجاء المدينة الأخرى؟! والحق يقال: إن جمع الصحابة قد تفرق عن الدار بأمر أمير المؤمنين فاستغل القتلة ذلك وتسوروا الدار فقتلوه رضي الله عنه. ولكن الصحابة مع ذلك لم يتحملوا أن يتركوه وحده تماماً وبالذات الذين ذكرهم، فهم كانوا بين أمرين: الطاعة لأمر الخليفة، والخوف عليه إن أطاعوه وتركوه وحده، وتوفيقاً بين الأمرين خرجوا ولكنهم تركوا حوله فلذات أكبادهم (أبناءهم) الذين هم قرة أعينهم تركوهم ليدافعوا عن الخليفة المظلوم؛ فهل كان (عبد الله بن الزبير) من أنسبائه أم كان ابناً للزبير الذي يزعم بروكلمان زوراً: أنه المحرض الفعلي للثورة؟ وماذا يقول =

= بروكلمان عن الحسن بن علي هل هو من أقربائه ، وإذا كان مروان بن الحكم من أقربائه فماذا عن البقية وهل يضحي الإنسان في هذا الموقف العصيب بولده؟ وإذا كانوا محرّضين حقيقيين للثورة فلماذا يجازفون بأولادهم في سبيل حماية من ثاروا ضده؟! ألا إنّه التغاضي عن الحقائق. ولقد أثبتنا بالروايات الصحيحة: أن علياً رضي الله عنه لم يكن يوماً محرّضاً على الخروج على أمير المؤمنين عثمان ولم ترد رواية صحيحة تؤكد ذلك عن الزبير.
ولم نجد رواية صحيحة ولا واحدة عن اشتراك أحد من الصحابة في قتل سيدنا عثمان ، فهم براء من دمه وعلى رأسهم علي رضي الله عنه ، ولم نجد رواية واحدة صحيحة تثبت اشتراك الصحابة في التحريض على الفتنة إلاّ طلحة بن عبيد الله وحتى طلحة هذا فقد ثبت أنه تراجع عن رأيه قبل مقتل عثمان بأيام وانسحب من جمع القوم الخارجين على مرأى ومسمع من الناس ، وأعلنها بأعلى صوته أن نعم لما يقوله الخليفة المظلوم.
أشرف عثمان على المسجد فإذا طلحة جالس في شرق المسجد قال: يا طلحة! قال: لبيك قال: نشدتك بالله هل تعلم أن رسول الله ﷺ قال: من يشتري قطعة يزيدها في المسجد ، فاشتريتها من مالي، قال طلحة: اللهم نعم، فقال: يا طلحة قال: لبيك قال: نشدتك بالله هل تعلمني حملت في جيش العسرة على مئة؟ قال طلحة اللهم نعم. ثم قال طلحة: اللهم لا أعلم عثمان إلا مظلوماً. رواه الدارقطني في فضائل الصحابة (الرياض النضرة للمحب الطبري ٣/ ٥٧).
وفي رواية أخرى نحو هذه أخرجها الحافظ ابن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه: أنه شهد حصار عثمان وفيه أن عثمان حاور طلحة حواراً رقيقاً ثم قال في آخره: يا طلحة نشدتك بالله أتعلم أن رسول الله ﷺ قال: إنه ليس من نبي إلاّ ومعه من أصحابه رفيق من أمته معه في الجنة وإن عثمان بن عفان هذا ـ يعني ـ رفيقي في الجنة فقال طلحة: اللهم نعم ، ثم انصرف (البداية والنهاية ٧/ ١٨٦) ومع أن طلحة رضي الله عنه قد تراجع عن موقفه بعدما أدرك صواب موقف عثمان وابتعد عن الفتنة ثم بريء من المشاركة في حصار وقتل سيدنا عثمان ، إلاّ أنه ظل طول حياته يتألم من ذلك ويندم وبالغ في الندم حتى أنه خرج للمطالبة بدمه كما وردت بذلك رواية صحيحة عند ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٦٤/ ح ١٩٦٢٧) عن حكيم بن جابر قال: سمعت طلحة بن عبيد الله يوم الجمل يقول: إنا كنا داهنا في أمر عثمان فلا نجد بدّاً من المبالغة) وهذه الرواية تحتمل معنيين ، المعنى الأول: أنه رضي الله عنه سارع في بيعة علي لأنه داهن في موقف الفتنة ولم يدافع عن عثمان بأعلى صوته كما فعل عبد الله بن عباس ، علماً بأن موقف طلحة كان معاتبة ولم يكن مطالبة بالقتل وحاشاه أن يفعل ، والمعنى الآخر: أنه بالغ في ندمه على مشاركته في معاتبة عثمان ومحاسبته حتى أنه خرج يطالب بدمه مبالغة في إظهار الندم ، ويؤيد هذا المعنى الثاني إحدى روايتي الحديث: (إنا كنا داهنا في أمر عثمان فلا نجد بداً من المبالغة) ونحن نرجح المعنى الثاني ، والدليل على هذا الرجحان أن لصحابي آخر موقفاً ليس ببعيد ، فعبد الله بن عمر فبالرغم من أنه لم يشارك في الفتنة واعتزلها=

= إلا أنه ندم بعد مقتل سيدنا عثمان لأنه لم يشارك في تكذيب الخارجين عليه وحثهم عن الرجوع عن المدينة. كما روى البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٥٩٥) عن طريق نافع بن عمر رضي الله عنهما قال: ما زال ابن عباس ينهى عن قتل عثمان ويعظم شأنه حتى جعلت ألوم نفسي على أن لا أكون قلت مثل ما قال. أي: أنه رضي الله عنه كان يتمنى أنه قد نهى الناس عن التحريض على الفتنة وتخويفهم من إثم ذلك وندم على تركه ذلك الفعل، وهكذا طلحة ندم على إصغائه بعض الوقت للإشاعات وعلى عدم مقارعته لمثيري الفتنة بالحجة والبرهان، وإن كانت مشاركته رضي الله عنه لم يكن بدليل قطعي، وإنما كان اجتهاداً منه، ثم تبيّن له بعد ذلك: أنه اجتهاد خاطىء كما قال الذهبي في تفسير قوله: (إنا كنا داهنا في أمر عثمان) إن المداهنة هنا (تمغفل وتأليب فعله باجتهاد) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥).

أسباب الفتنة أيام أمير المؤمنين عثمان
ودور السبئية فيه أتباع عبد الله بن سبأ

أما عن أسباب الفتنة فقد راجعنا ما كتب الباحثون والمهتمون بالتأريخ الإسلامي قديماً وحديثاً ومقارنته بما صح رواية في موضوع الفتنة خلصنا إلى هذه الأسباب:

١ ـ عند انتهاء النصف الأول من خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه كانت الفتوحات الإسلامية بلغت أوسع مدى لها مقارنة بالسنين الماضية من الفتوحات، ولقد استشهد في هذه المعارك كثير من الصحابة الأجلاء بالإضافة إلى ما استشهد منهم في معارك الردة في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، مما اضطر سيدنا عثمان للسماح للعرب المسلمين (الذين ارتدوا في الماضي ثم رجعوا بعد ذلك) بالمشاركة في الفتوحات، فكانت الفتوحات باباً واسعاً دخل منه كثير من أعراب الجزيرة واليمن، ولم يكن هؤلاء بالدرجة المناسبة من التربية الإيمانية والتعليم الشرعي بحيث يكونوا مؤهلين لفهم إنجازات سيدنا عثمان لجمع الناس على مصحف وما إلى ذلك، بالإضافة إلى حسد بعضهم صحابة رسول الله ﷺ الذين فتح الله عليهم بالغنائم فانتعشت أحوالهم المعاشية، فتصوروا ذلك ثراء غير مشروع ونسوا أو تناسوا: أن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم سبقوا إلى الإسلام، وضحوا بالغالي والنفيس، وعانوا الأمرّين، واستشهد منهم المئات بينما تأخر هؤلاء الأعراب والقبائل في إسلامهم، ثم ما لبثوا أن نقضوا بعد وفاة رسول الله ﷺ وارتدوا وحاربوا هؤلاء الصحابة مرة أخرى وقتلوا منهم من قتلوا، ولكنه الحسد يعمي الأبصار والبصائر فلا يرى إلا نعمة الغير، وبعض هؤلاء والله أعلم كانوا طرفاً من أطراف الفتنة.

٢ ـ إن فتح المسلمين لبلاد مختلفة أي بالنتيجة إلى دخول أقوام شتى مختلفة المشارب والمذاهب في دين الإسلام منهم نصارى العرب في العراق والشام ومنهم الفرس ومنهم الأقباط وما إلى ذلك، وكان من هؤلاء نفر يحملون في أنفسهم حقداً على الإسلام من أمثال الذي قتل سيدنا عمر وغيرهم كثير هنا وهناك كانوا يتحينون الفرص للنيل من عزة الإسلام=

= والطعن في عدالة أئمة المسلمين وكان هؤلاء النفر طرفاً من أطراف الفتنة ، والذي ثبت أن من هؤلاء النفر من حرّض على الفتنة وقدم من العراق ومصر ، وثبت كما سبق بالسند عن كنانة مولى صفية قال: قتله رجل من أهل مصر يقال له: جبلة (المطالب العالية ٤/ح ٤٤٥٢) وحسن المحقق إسناده.
وفي رواية أخرى: رأيت قاتل عثمان في الدار رجلاً أسود من أهل مصر (الطبقات الكبرى ٣/ ٨٣) وإسناده صحيح وسبق أن ذكرنا رواية خليفة: قتله أعلاج من أهل مصر.
٣ ـ كان بعض الشباب المتحمس للإسلام والذي لم يفقه الإسلام كما فقهه الصحابة لا يفهمون ما اجتهد عثمان في باب السياسة الشرعية ، وقد كان عمر رضي الله عنه ومن قبله أبو بكر رضي الله عنه قد اجتهدا وفعلا ما فعل سيدنا عثمان ، ولكن طوائف من الناس وعلى رأسهم هؤلاء الشباب لم يفهموا ذلك ، فأبو بكر رضي الله عنه جمع القرآن في مصحف من قبل فلم تحدث الفتنة وعزل سيدنا عمر أناساً وعين عمالاً آخرين فلم لم تحدث الفتنة؟! ، وزاد سيدنا عمر في الحمى ولم تحدث فتنة من أجل ذلك ، فلم حدثت في عهد سيدنا عثمان؟! ، إنه سبب مهم ولذلك نفرده بسبب مستقل وإن كان متمماً للسبب الثالث فنقول:
٤ ـ إن الشطر الثاني من عهد سيدنا عثمان وكذلك فترة خلافة سيدنا علي عصر يختلف عن عصر أبي بكر وعمر ، فسيدنا عمر لم يكن محققاً للعدالة بجهوده الفردية وإنما كان يعتمد في ذلك على قاعدة قوية من رعايا أو (محكومين) على مستوى عالٍ من التربية الإيمانية ، ولكن عدد هؤلاء قل ، أو قلت نسبتهم بدخول الجموع الغفيرة (من الأقوام الحديثة الإسلام) في المجتمع الإسلامي وهجرة كثير من الصحابة إلى أماكن الفتوح والأمصار التي بنيت حديثاً ، فالأداة التنفيذية لم تبق على حالها في النصف الأخير من عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه وكان من بين هؤلاء الشباب بعض أولاد الصحابة مثل محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، وكان من حماس محمد بن أبي بكر وعدم إدراكه لما عند سيدنا عثمان من فقه واسع نقول: كان لذلك الحماس وعدم الإدراك أثر في مشاركة محمد بن أبي بكر في الفتنة ولكنه تراجع في نهاية المطاف ، وكذلك محمد بن أبي حذيفة الذي أكرمه عثمان رضي الله عنه إكراماً لوالده الذي قتل في حروب الردة ، والروايات التي تذكر دور محمد بن أبي حذيفة في إثارة الفتنة بين أهل مصر ضد عثمان هي روايات ضعيفة سواء عند الطبري أو غيره ، والرواية الصحيحة التي ذكرنا في قسم الصحيح تذكر: أن ممثل أهل مصر كان شاباً يشير إلى سيدنا عثمان أن يقرأ سورة السابعة ظناً من هذا الشاب وأمثاله أن عثمان بن عفان نسي هذه الآية ولم يعلم معناها ، وهذا الظن محض جهل ، ولقد فنّد سيدنا عثمان كل شبهاتهم واحدة بعد الأخرى كما مر بنا في قسم الصحيح فلا داعي للإعادة هنا.
٥ ـ يبقى هنالك بُعْدٌ غامض في إذكاء نار الفتنة ، وهذا البعد محل خلاف بين الباحثين =

= المعاصرين وإن كان محل إجماع كثير المصادر التأريخية المتقدمة والمتأخرة ، ونعني بذلك دور عبد الله بن سبأ ومن على شاكلته :
ولقد انقسم المعاصرون في حقه إلى طوائف :
١ ـ الطائفة الأولى : بالغت في إبراز دور عبد الله بن سبأ والسبئية من أمثال سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة) وهو باحث سني .
٢ ـ الطائفة الثانية : بالغت في تقليل دور عبد الله بن سبأ والسبئية إلى حد إنكار وجود هذه الشخصية التأريخية من أمثال مرتضى العسكري في كتابه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) وهو باحث شيعي .
٣ ـ الطائفة الثالثة : لم تنكر دوره ولكن بين هؤلاء وهؤلاء ، ولقد استقرأ سليمان بن حمد العودة في كتابه (عبد الله بن سبأ) معظم كتابات المعاصرين عن شخصية ابن سبأ ودوره في إحداث الفتنة ، ولقد حصل على رسالة الماجستير برسالته هذه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وكتابه المذكور ثري بمادة علمية غزيرة فصّل فيها وأجاد وأغنانا عناء التفصيل فجزاه الله خيراً ، ولكنا هنا نذكر زبدة أو خلاصة ترجّح لدينا والله أعلم فنقول وبالله التوفيق :
أولاً : أما نفي مرتضى العسكري لوجود شخصية عبد الله بن سبأ فنفي لا يستند إلى دليل قوي ، وهو تغافل عن حقائق تأريخية وإنكار حتى لمصادر التأريخ والفقه الشيعي (الذي يعتبر من رواده المعاصرين) ولقد سبق إلى ذلك كل من علي الوردي وآخرين من كتاب الشيعة ولسنا بصدد مناقشة حول تضعيف أو تقوية ما أورده الكيثي من روايات مسندة عن عبد الله بن سبأ ، فلسنا مختصين في كتب رجال الشيعة ولكننا نحاوره في نقده للروايات المنقولة في كتب السنة . وخلاصة قوله : إن سيف بن عمر التميمي هو المصدر الرئيس لذكر عبد الله بن سبأ كما في تأريخ الطبري بالإضافة إلى كتب الملل والنحل التي ذكرت ابن سبأ بلا إسناد ، ثم اعتمد من جاء بعدهم على مرويات سيف أو أقوال أهل الملل والنحل كابن إسماعيل الأشعري والشهرستاني وغيرهم .
وعندما يتحدث عن مؤرخ موثوق ومشهور كابن عساكر ، وابن حجر ، والذهبي فإنه يقول : هؤلاء وغير هؤلاء نهلوا من معين سيف تارة وأخرى من معين مؤلفي الفرق والملل والنحل (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى/ ١٧١) .
ويبدو أن مرتضى العسكري يعتقد : أن القراء لا يستطيعون الرجوع إلى هذه المصادر التي ذكر بعضها وتغافل عن بعضها الآخر أو يتمنى العسكري ذلك ، ورداً على كلام العسكري ، وجواد مغنية ، وعلي الوردي نقول :
١ ـ ليس الجاحظ بأول من ذكر عبد الله بن سبأ وإنما ذكره من قبل حبيب البغدادي (٢٤٥ هـ) في كتابه (المحبّر/ ٣٠٨) .
٢ ـ وذكر عبد الله بن سبأ يعود إلى قبل ذلك بقرن ونصف من الزمان ، فقد أخرج ابن عساكر =

= في تأريخ دمشق بسنده الموصول إلى الإمام الجليل عامر الشعبي الذي ولد في عهد سيدنا عمر وتوفي سنة (١٠٣ هـ) كما في ترجمة عبد الله بن سالم وعبد الله بن أبي عائشة) من تأريخ دمشق عن الشعبي قال: أول من كذب عبد الله بن سبأ، وهذه الرواية ليست من طريق سيف كما يدّعي مرتضى العسكري.
٣ - وكذلك ذكر ابن سبأ إمام آخر وهو الحسن بن محمد بن الحنفية الذي توفي سنة ٩٥ هـ وعلى قول الذهبي (الكاشف ١/ ٢٧) فقد ذكره في رسالته الإرجاء قائلاً: (ومن خصومة السبئية التي أدركنا إذ يقولون: هدينا لوحي ضلّ عنه الناس) ولم نطلع على هذه الرسالة التي اطلع عليها سليمان حمد العودة في مخطوط باسم الإيمان، رسالة الإرجاء للحسن بن محمد بن الحنفية ص ٢٤٩/ب (عبد الله بن سبأ) ص ٥٤.
٤ - يبدو أن العسكري يتغاضى عن إمامين حافظين متقدمين ذكرا روايات مسندة عن ابن سبأ من طريق لا يمر بسيف الراوي، وأحدهما هو أبو يعلى (في مسنده) والثاني ابن أبي عاصم في كتاب السنة.
أما ابن أبي عاصم فقد أخرج قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن حسن الأسدي حدثنا هارون بن صالح عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي الجلاس قال: سمعت علياً يقول لعبد الله السبائي: ويلك ما أفضى إلى رسول الله ﷺ بشيء كتمه أحد من الناس ولقد سمعته يقول: «إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً وإنك منهم».
وأبو الجلاس كوفي من الثالثة مجهول الحال، إلاّ أن لابن عساكر روايات صحيحة أو حسنة سنأتي على ذكرها، ولكنّا ذكرنا رواية ابن أبي عاصم حتى نؤكد ورود خبره من غير طريق سيف عند غير واحد من أئمة الحديث علماً بأن هذه الرواية أخرجها كذلك الحافظ أبو يعلى في مسنده (١/ ١٢٨).
٥ - أما ابن عساكر فقد أخرج في تأريخ دمشق (ترجمة عبد الله بن سالم) روايات عدة نذكر منها:
قال ابن عساكر: قرأنا على أبي عبيد الله بن يحيى بن الحسن عن أبي الحسين الدنبوسي أن أحمد بن عبيد بن الفضل ح، وعن أبي نعيم محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز: أن علي بن محمد بن خزفة قالا: نا محمد بن الحسين نا ابن أبي خيثمة نا محمد بن عمار نا سفيان عن عمار الدهني قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيت المسيب بن نجبة أتى به يلببه - يعني: ابن السوداء - وعلي على المنبر فقال علي: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله ورسوله. والرواية الأخرى عند ابن عساكر: أنا أبو محمد بن أبي نصر: أن خيثمة بن سليمان نا أحمد بن زهير بن حرب نا عمرو بن مرزوق: أن شعبة عن سلمة بن كهيل قال علي بن أبي طالب: مالي ولهذا الحميت الأسود - يعني: عبد الله بن سبأ - وكان يقع في أبي بكر وعمر. =

= والرواية الثالثة عند ابن عساكر: أخبرنا أبو القاسم يحيى بن بطريق بن بشرى وأبو محمد عبد الكريم بن حمزة قالا: نا أبو الحسين بن مكي نا أبو القاسم المؤمل بن أحمد بن محمد الشيباني، نا يحيى بن محمد بن صاعد، نا بندار، نا محمد بن جعفر نا شعبة عن سلمة عن زيد بن وهب عن علي قال: ما لي ولهذا الحميت الأسود. ولقد ذكر الأستاذ سليمان بن حمد العودة هذه الروايات في رسالته (عبد الله بن سبأ) بعد أن حذف أسانيدها ولكنه قال في حاشية رسالته (ص ٩٨): وقد أرسلت للشيخ ناصر الدين الألباني (جزاه الله خيراً) أسانيد هذه الروايات لدراستها فضبطها بين صحيح وحسن وصحيح لغيره، والألباني مشهود له بطول الباع في دراسة الأسانيد ا هـ.

قلنا: ولقد ذكر ابن عساكر روايات أخرى كذلك (من طرق غير طريق سيف) ولا نريد أن نطيل في ذكرها، ولكن نعرج أخيراً على ما قاله أئمة الجرح والتعديل في عبد الله بن سبأ.

قال ابن حبان في كتاب المجروحين (٢/ ٢٥٣): كان الكلبي سبئياً من أصحاب عبد الله بن سبأ من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يمت وأنه راجع إلى الدنيا... ومعلوم أن ابن حبان كان من المعاصرين للطبري وتوفي سنة (٣٥٤ هـ) وهو من أئمة الجرح والتعديل المتقدمين بالإضافة إلى كونه إماماً محدثاً.

ويقول الحافظ ابن حجر: وأخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ (لسان الميزان ٣/ ٢٩٠).

ويقول الحافظ الذهبي: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل، أحسب أن علياً حرقه بالنار. (ميزان الاعتدال ٢/ ٤٢٦) ولا ننسى أن نذكر أن البلاذري المتوفى في سنة (٢٧٩) هـ ذكر ابن سبأ وأنه قدم على علي يسأله عن رأيه في أبي بكر وعمر (أنساب الأشراف/ تحقيق باقر المحمودي/ ٣٨٢).

ولكن ماذا عن دور عبد الله بن سبأ في الفتنة؟

بعد أن تبين لنا وجود شخصية تأريخية كعبد الله بن سبأ وهو من يهود اليمن (أظهر إسلامه وأخفى كفره ونفاقه) نقول: هل كان لعبد الله بن سبأ دور في الفتنة أيام سيدنا عثمان رضي الله عنه؟

والذي نقوله والله أعلم: إننا لا نستطيع تحديد دورٍ معين لضلوع ابن سبأ في هذه الفتنة ولا ننفيه كذلك ولا نستبعده للأسباب الآتية:

١ ـ إذا كان اليهود قد حاولوا قتل رسول الله ﷺ بالإضافة إلى إثارة الشبهات والشكوك فمن باب أولى أن يشاركوا في فتنة حول صحابي من صحابته.

٢ ـ ذكرت روايات ابن عساكر الصحيحة والحسنة: أنه كان ينال من الخلفاء الراشدين، ويؤذي سيدنا علي باختلاق الأوهام حول شخصيته، ووصل الحد به إلى إعلان ألوهية علي رضي الله عنه، ولا يستبعد أن يكون كل ذلك غطاء لضلوعه في الفتنة، ولا نرى غرابة في =

ذكر الخبر عن الوقت الذي قتل فيه عثمان رضي الله عنه

٢٤٩ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، وطلحة ، وأبي حارثة ، وأبي عثمان ، قالوا : قتِل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضتْ من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر رضي الله عنه[1] (٤ : ٤١٦) .

وقال آخرون : قتل يوم الجمعة ضحوةً.

ذكر من قال ذلك :

٢٥٠ ـ ذكر عن هشام بن الكلبيّ : أنه قال : قُتل عثمان رضي الله عنه صبيحةَ الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا ثمانية أيام[2] . (٤ : ٤١٧) .

= غموض وخفاء الدور الذي لعبه ـ إن صح ـ في إذكاء نار الفتنة فاليهود على عادتهم يخنسون ويختفون عن الأنظار إذا لم تكن الشوكة لهم ويلعبون دورهم في الخفاء إذا ما كانت الدولة والجولة والصولة لغيرهم ، فلا ضير إن أدّى ابن سبأ دوره بخفاء ونوع من الإيهام والتلبيس ولذلك جاءت الروايات التأريخية (حول دوره) غامضة أو ضعيفة ، والله تعالى أعلم .

وعلى أية حالٍ فلا مبرر لتضخيم دوره في إحداث الفتنة ، وقصارى ما يقال : إن له دوراً شارك فيه مع الطوائف الأخرى التي ذكرنا في أسباب الفتنة ، والله تعالى أعلم .

(١) إسناده ضعيف ولكن له ما يشهد كما سنذكر بعد الرواية التالية .

(٢) إسناده ضعيف وله ما يشهد له ، فقد جاء من طريق أبي عثمان النهدي قوله : (إن عثمان قتل في أوسط أيام التشريق) المسند (٢/ ١٠) وصحح العلامة شاكر إسناده .

وكذلك أخرج البلاذري في أنساب الأشراف (٤/ ١/ ٥٧٤) عن نافع : أن عثمان رأى في الليلة التي قتل في صبيحتها أن النبي ﷺ أتاه فقال له : أفطر عندنا يا عثمان . فقتل وهو صائم . وقال خالد الغيث : ورجال إسناده ثقات وقال الحافظ ابن كثير : ثم كان قتله رضي الله عنه في الجمعة بلا خلاف ، قال سيف بن عمر عن مشايخه (في آخر ساعة) منها ونص عليه مصعب بن الزبير وآخرون .

وقال آخرون : ضحوة نهارها وهذا أشبه (البداية والنهاية ٧/ ١٩٨) قلنا : وهذا هو الأرجح والله تعالى أعلم .

أما عن تعيين ذلك بالثاني عشر أو الثامن عشر فإن الحافظ ابن كثير يرى أن الصحيح هو (١٨ من ذي الحجة) إذ يقول : وكان ذلك لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة على المشهور =

ذكر نسبه

٢٥٠/أ ـ هو عثمان بن عفّان بن العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ. وأمه أرْوَى ابنة كُريز بن ربيعة بن حَبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ ، وأمّها أم حَكِيم بنت عبد المطّلب[1] . (٤ : ٤٢٠) .

ذكر أولاده وأزواجه

٢٥٠/ب ـ رقيّة ، وأم كلثوم ابنتا رسول الله ﷺ ؛ ولدت له رقية عبدَ الله. وفاختة بنة غَزْوان بن جابر بن نُسَيب بن وُهَيب بن زيد بن مالك بن عبد بن عوف بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر ولدت له ابناً ، فسماه عبد الله ؛ وهو عبد الله الأصغر ، هَلَك.

وأمّ عمرو بنت جُنْدب بن عمرو بن حُمَمة بن الحارث بن رفاعة بن سَعْد بن ثعلبة بن لؤيّ بن عامر بن غَنْم بن دُهْمان بن مُنْهِب بن دَوْس ، من الأزد؛ ولدت له عمراً ، وخالداً ، وأباناً ، وعمر ، ومريم.

وفاطمة بنة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له الوليد ، وسعيداً ، وأمَّ سعيد بني عثمان.

وأمّ البنين بنت عُيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر الفزاريّ؛ ولدت له عبد الملك بن عثمان ، هلك.

ورملة ابنة شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ؛ ولدت له عائشة ، وأمّ أبان ، وأمّ عمرو بنات عثمان.

ونائلة ابنة الفَرافصة بن الأحْوَص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حِصْن بن

= (٧/ ١٩٨) ويقول أيضاً عن هذا التأريخ : على الصحيح المشهور (٧/ ١٩٩).

(١) هو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصّي وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب ، وكذلك قال ابن سعد في طبقاته (٣/ ٥٣).

ضَمْضم بن عديّ بن جناب بن كلب؛ ولدت له مريم بنة عثمان[١] (٤ : ٤٢٠) .

٢٥٠/ جـ - فهؤلاء أزواجه اللّواتي كنّ له في الجاهليّة والإسلام ، وأولاده: رجالهم ونساؤهم. (٤ : ٤٢١) .

ذكر الخبر عمن كان يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ حين حُصِر عثمان

٢٥١ - قال محمد: وحدّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، قال: جاء المؤذّن إلى عثمان فآذنه بالصّلاة ، فقال: لا أنزل أصلّي؛ اذهب إلى مَنْ يصلي. فجاء المؤذن إلى عليّ ، فأمر سهل بن حُنَيف ، فصلّى اليوم الذي حُصِر فيه عثمان الحصْر الآخِر؛ وهو ليلةَ رُئيَ هلال ذي الحجّة ، فصلى بهم؛ حتى إذا كان يوم العيد صلى عليّ العيد ، ثم صلى بهم حتى قتل رضي الله عنه[٢] .

---

(١) وراجع طبقات ابن سعد (٣/ ٥٤) وأخرج البخاري في صحيحه (٢/ ٤/ ٢٠٣) أن رقية رضي الله عنها مرضت مرض الموت لما خرج النبي ﷺ إلى بدر وكان ﷺ قد خلَّف عثمان عليها ليمرضها وقال له: (إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه).

(٢) ذكر الطبري ثلاثة أخبار في هذه المسألة وهي من طريق الواقدي وهو متروك وقد ذكرنا روايتين منها في الضعيف ورواية أخرى نذكرها هاهنا ولها ما يشهد لها (٤٢١): في إسنادها الواقدي ولها ما يشهد لها:

١ - فقد أخرج البخاري في صحيحه (٢/ ٥٦ - باب إمامة المفتون والمبتدع - ح ٦٩٥) عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور فقال: إنك إمام عامّة ونزل بك ما نرى ، ويصلّي لنا إمام فتنة ونتحرج! فقال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس فإذا أحسن الناس فأحسن وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم.

وأخرجه عمر بن شبة عنه ولفظه: (دخلت على عثمان رضي الله عنه وهو محصور وعلي رضي الله عنه يصلي بالناس فقلت ... الحديث) وإسناده صحيح (أخبار المدينة المنورة ٦/ ٤/ ٧١) وأخرج ابن شبة من روايات عدة أن السهل بن حنيف أو أبا أمامة بن سهل بن حنيف كان يصلي بالناس وعثمان رضي الله عنه محصور (أخبار المدينة ٦/ ٤/ ٧٤).

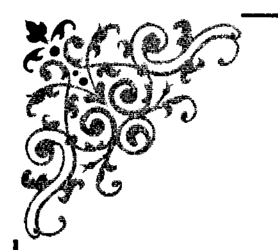
وقال الحافظ في الفتح: وقد صلّى بالناس يوم حصر عثمان أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري لكن بإذن عثمان ورواه عمر بن شبة بسند صحيح (فتح الباري ٢/ ١٨٩).

وأخرج الطحاوي في (شرح معاني الآثار ٤/ ١٨٤/ باب أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام)=

* * *

= عن أبي عبيد مولى أزهر قال: صليت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه العيد وعثمان بن عفان رضي الله عنه محصور فصلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم خطب . . . الحديث). وإسناده صحيح.
وكذلك أخرجه عمر بن شبة في أخبار المدينة المنورة (٦/ ٤/ ٧١) ووهم الدويش رحمه الله عندما نسبه إلى البخاري ومسلم ، والأصوب أن رواية أبي عبيد في البخاري: ثم شهدته مع علي بن أبي طالب فصلى قبل الخطبة ثم خطب الناس فقال . . . الحديث. ولعلّ الدويش عنى بقوله: (متفق عليه) أي حضور أبي عبيد صلاة العيد وعلي رضي الله عنه يخطب (بعد أن صلى) (ثم قال الحديث . . .) والله تعالى أعلم.

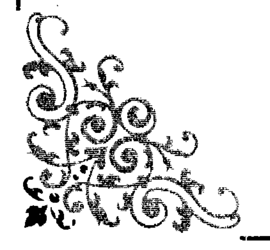
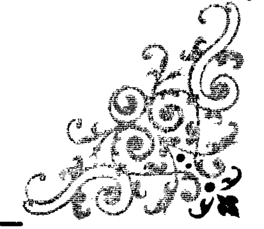





صحيح

تاريخ علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(١)]

خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وفي هذه السنة

بويع لعليّ بن أبي طالب بالمدينة بالخلافة

ذكرُ الخبر عن بيعة من بايعه، والوقت الذي بويع فيه

اختلف السلف من أهل السِّيَر في ذلك، فقال بعضُهم: سأل عليّاً أصحابُ

(١) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

١ ـ أخرج الإمام البخاري في صحيحه (٣٧٠٢): عن سلمة قال: «كان عليٌّ قد تخلَّف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر، وكان به رمد فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ؟! فخرج عليٌّ فلحق بالنبي ﷺ فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية ـ أو ليأخذن الراية ـ غداً رجلٌ يحبه الله ورسوله ـ أو قال يُحب اللهَ ورسولهَ ـ يفتح الله عليه. فإذا نحن بعلي، وما نرجوه فقالوا: هذا عليّ فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه» صحيح، وأخرجه مسلم (٢٤٠٧).

٢ ـ أخرج الإمام البخاري في صحيحه (٤٢١٠) عن أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيُّهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم». صحيح وأخرجه مسلم (٢٤٠٦) والنسائي في فضائل الصحابة (٤٦) وأحمد (٥/ ٣٣٣) وفي الفضائل (١٠٣٧) والنسائي في الخصائص (١٦).

٣ ـ أخرج الإمام مسلم في صحيحه (٧٨): عن عدي بن ثابت عن زر قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ: «أن لا يحبَّني إلا مؤمن ولا يُبْغِضني إلا منافق» صحيح وأخرجه الترمذي (٣٧٣٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١١٤) والنسائي في فضائل الصحابة (٥٠) وأحمد (١/ ٨٤ و٩٥ و١٢٨) وفي الفضائل (٩٤٨) و(٩٦١) والنسائي في الخصائص (٩٧ و٩٨ و٩٩) وابن أبي عاصم في السنة =

رسول الله ﷺ أن يتقلّد لهم وللمسلمين ، فأبى عليهم؛ فلما أبَوْا عليه ، وطلبوا إليه ، تقلد ذلك لهم.

ذكر الرواية بذلك عمن رواه:

٢٥٢ ـ حدّثني جعفر بن عبد الله المحمّديّ ، قال: حدّثنا عمرو بن حمّاد وعليّ بن حسين ، قالا: حدّثنا حسين عن أبيه ، عن عبد الملك بن أبي سليمان الفَزاريّ ، عن سالم بن أبي الجعْد الأشجعيّ ، عن محمّد بن الحنفيّة ، قال:

= (١٣٢٥) والخطيب في تأريخ بغداد (١٤/ ٤٢٦).

٤ ـ أخرج الإمام مسلم في صحيحه (٢٤١٧): عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله ﷺ : «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد». صحيح.

وأخرجه الترمذي (٣٦٩٦) وقال: هذا حديث صحيح ، وأخرجه أحمد (٢/ ٤١٩) وفي فضائل الصحابة (١٠٦١) والنسائي في فضائل الصحابة (١٠٣).

٥ ـ أخرج الإمام أحمد (٥/ ٤١٩): عن رياح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا ! قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خُم يقول: «من كنت مولاه فإن هذا مولاه» قال رياح: فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفرٌ من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري» صحيح.

وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٩٦٧) وابن أبي عاصم في السنة (١٣٥٥) والطبراني في المعجم الكبير (٤٠٥٢ و٤٠٥٣).

٦ ـ أخرج الإمام البخاري في صحيحه (٤٤٨١): عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: أقرؤُنا أبيٌّ ، وأقضانا عليّ ، وإنا لندع من قول أبيّ وذاك أن أُبياً يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ صحيح.

وأخرجه أحمد (٥/ ١١٣).

٧ ـ أخرج الإمام البخاري في صحيحه (٣٧٠٣): حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه: أن رجلاً جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان ـ لأمير المدينة ـ يدعو علياً عند المنبر قال: فيقول ماذا؟ قال: يقول له: أبو تراب ، فضحك ، قال: والله ما سماه إلا النبي ﷺ وما كان له اسم أحبّ إليه منه ، فاستطعمت الحديث سهلاً ، وقلت: يا أبا عباس! كيف ذلك؟ قال: دخل عليّ على فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد فقال النبي ﷺ : أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد. فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره ، وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: اجلس يا أبا تراب ! مرتين. صحيح ، وأخرجه مسلم (٢٤٠٩).

كنتُ مع أبي حين قُتل عثمان رضي الله عنه ، فقام فدخل منزلَه ، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالوا : إنّ هذا الرّجل قد قُتل ، ولا بدّ للناس من إمام ، ولا نجد اليومَ أحداً أحقَّ بهذا الأمر منك ؛ لا أقدمَ سابقةً ، ولا أقربَ من رسول الله ﷺ . فقال : لا تفعلوا ، فإني أكون وزيراً خيرٌ من أن أكون أميراً ؛ فقالوا : لا ، والله ما نحن بفاعلين حتى نُبايعَك ؛ قال : ففي المسجد ، فإنّ بيعتي لا تكون خَفِيّاً ، ولا تكون إلاّ عن رضا المسلمين . قال سالم بن أبي الجعْد : فقال عبد الله بن عباس : فلقد كرهت أن يأتيَ المسجد مخافة أن يُشْغَب عليه ؛ وأبى هو إلا المسجد ، فلمّا دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ، ثم بايعه الناس(١) . (٤ : ٤٢٧) .

٢٥٣ ـ وحدّثني جعفر ، قال : حدّثنا عمرو وعليّ ، قالا : حدّثنا حسين ، عن أبيه ، عن أبي ميمونة ، عن أبي بشير العابديّ ، قال : كنت بالمدينة حين قتِل عثمان رضي الله عنه ، واجتمع المهاجرون والأنصار ، فيهم طلحة ، والزُّبير ، فأتوا عليّاً فقالوا : يا أبا حسن ! هلمَّ نبايعك ، فقال : لا حاجة لي في أمْركم ، أنا معكم فمن اخْتَرْتمُ فقد رضيتُ به ، فاختاروا والله ، فقالوا : ما نَخْتار غيرَك ؛ قال : فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان رضي الله عنه مِراراً ، ثمّ أتوْه في آخر ذلك ، فقالوا

---

(١) في إسناده مجهول الحال ولكن متنه صحيح ، فقد أخرج الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٥٧٣) قال : حدثنا إسحاق بن يوسف عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سلمة بن كهيل عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية قال : كنت مع علي وعثمان محصور قال : فأتاه رجل فقال : إن أمير المؤمنين مقتول ، ثم جاء آخر فقال : إن أمير المؤمنين مقتول الساعة . قال : فقام علي فأخذت بوسطه تخوفاً عليه فقال : خلِّ لا أم لك قال : فأتى عليٌّ الدار وقد قتل الرجل فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه ، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا : إن هذا الرجل قد قتل ، ولا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك ، فقال لهم علي : لا تريدوني فإني لكم وزير خير مني لكم أمير . فقالوا : لا والله ما نعلم أحداً أحق بها منك ! قال : فإن أبيتم عليَّ فإن بيعتي لا تكون سراً ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني ، قال : فخرج إلى المسجد فبايعه الناس ا هـ.
وإسناده صحيح ورواية الطبري ذكرت : (فلما دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه) بدل الناس وكذلك رواية الخلال في السنة (٤١٧) فلما دخل جاء المهاجرون والأنصار فبايعوه فبايعه الناس .
ورواية الطبري والخلال موضحة لبعض التفاصيل التي وردت مجملة عند أحمد ، والله أعلم .

له: إنه لا يَصْلح الناس إلاّ بإمْرة ، وقد طال الأمر ، فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم ، وإنّي قائل لكم قولاً إن قبِلْتمُوه قبلت أمْركم ، وإلاّ فلا حاجة لي فيه. قالوا: ما قلتَ من شيء قبلناه إن شاء الله. فجاء فصعد المنبرَ ، فاجتمع الناس إليه ، فقال: إني قد كنت كارِهاً لأمركم ، فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم؛ ألا وإنه ليس لي أمرٌ دونكم ، إلاّ أنّ مفاتيح مالِكم معي ، ألا وإنه ليس لي أنْ آخذَ منه درهماً دونكم ، رضيتم؟ قالوا: نعم؛ قال: اللهمّ اشهد عليهم ، ثمّ بايعهم على ذلك.

قال أبو بشير: وأنا يومئذ عند منبر رسول الله ﷺ قائم أسمع ما يقول[١]. (٤: ٤٢٧/٤٢٨).

٢٥٤ - وحدّثني محمد بن سنان القزّاز ، قال: حدّثنا إسحاق بن إدريس ، قال: حدّثنا هشيم ، قال: أخبرنا حميد عن الحسن ، قال: رأيت الزبير بنَ العوّام بايع علياً في حَشٍّ من حِشّان المدينة[٢]. (٤: ٤٢٩).

---

(١) في إسناده مجهول الحال ولكن متنه صحيح فقد أخرج البلاذري عن الحسن بلفظ: رأيت الزبير يبايع علياً . . . الخبر. (أنساب الأشراف/ ترجمة علي/ ٢١٦) وإسناده صحيح.

(٢) إسناده ضعيف ولكن بيعة الزبير لعلي ثابتة فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٧٤) قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا جعفر بن زياد عن أبي الصيرفي عن صفوان بن قبيصة عن طارق بن شهاب . . الخبر وفيه يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: إن طلحة والزبير بايعا طائعين غير مكرهين - وإسناده حسن صحيح - وأخرجه ابن شبة في تأريخ المدينة من طريق حيان بن بشر عن يحيى بن آدم عن جعفر بن زياد به (٦/ ٥/ ١١٥) وإسناده حسن وكذلك أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٨٧).
قال: حدثنا عبد الله حدثنا زائدة عن عمرو بن قيس عن زيد بن وهب . . . الخبر وفيه: فقال علي لطلحة والزبير: ألم تبايعاني؟ فقالا: نطلب يوم عثمان. وصحح الحافظ إسناده في الفتح (١٣/ ٥٧) وهذا يعني أنهما أقرّا ببيعتهما له ، ولم ينكراه.
وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٧١) والطبري في تأريخه (٤/ ٤٩٧) حدثنا ابن إدريس عن حصين عن عمر بن جاوان عن الأحنف بن قيس قال: قدمنا المدينة ونحن نريد الحج . . وفيه أنه لقي طلحة والزبير فسألهما: (ما تأمراني به وترضيانه لي فإني لا أرى هذا الرجل إلا مقتولاً؟ فقالا علي ، ثم قال (الأحنف): أتأمراني به وترضيانه لي؟ قال: نعم ثم انطلق حتى إذا أتى مكة جاء الخبر بقتل عثمان فلقي أم المؤمنين عائشة وكانت وقتذاك بمكة فقال لها: من تأمريني أن أبايع؟ قالت: علياً ، قال: تأمريني به وترضينه لي؟ قالت: نعم. ثم قال=

٢٥٥ ـ وأخبرنا عليّ بن مسلم ، قال: حدّثنا حَبّان بن هلال ، قال: حدّثنا جعفر بن سليمان عن عوف ، قال: أما أنا فأشهد أني سمعتُ محمد بن سيرين يقول: إنّ علياً جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك ، فقال طلحة: أنت أحقّ ، وأنت أمير المؤمنين ، فابسط يدَك ، قال: فبسط عليّ يده فبايَعه[١]. (٤ : ٤٣٤) .

٢٥٦ ـ وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن الحارث الوالبيّ ، قال: جاء حُكَيم بن جبلة بالزّبير حتى بايع ؛ فكان الزّبير يقول: جاءني لصٌّ من لُصوص عبد القيس فبايعت واللُّجّ على عنقي[٢]. (٤ : ٤٣٥) .

= الأحنف: فمررت على علي بالمدينة فبايعته ثم رجعت إلى أهل البصرة ولا أرى الأمر إلاّ قد استقام) ورجاله ثقات غير عمر بن جاوان فقد وثقه ابن حبان وروى له النسائي ، وقال الذهبي: ثقة.
والخبر أخرجه الطبري من وجه آخر عن عمر بن جاوان (٤/ ٤٩٩) وصحح الحافظ إسناده في فتح الباري (١٣/ ٣٨) وحسّنه المالكي (بيعة علي رضي الله عنه/ ١١٢) قلنا: وتحسين المالكي أقرب ، والله أعلم.

(١) إسناده مرسل فابن سيرين لم يدرك الحادثة ، ولكن له ما يشهد له كما ذكرنا سابقاً في (٤/ ٤٢٩).

(٢) إسناده ضعيف ومتنه صحيح.

خلاصة القول في بيعة علي رضي الله عنه

تؤكد الروايات الصحيحة: أن الصحابة والتابعين أسرعوا إلى بيعة سيدنا علي رضي الله عنه خليفة للمسلمين في اليوم الذي قتل فيه سيدنا عثمان ، ومن لم يستطع مبايعته في ذلك اليوم فقد بايعه في اليوم الثاني ، والبيعة كانت في المسجد النبوي وقد ذكرنا رواية محمد بن الحنفية عند أحمد بسند صحيح ، وسنذكر هنا رواية أخرى أخرجها الإمام أحمد في فضائل الصحابة بسند صحيح عن المسور بن مخرمة ، وجاء فيها: [فرقي على المنبر ، فقيل: ذاك علي على المنبر ، فمال الناس فبايعوه] وقال حسن بن فرحان المالكي صاحب كتاب (بيعة علي بن أبي طالب): وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وكما ترى فهي لا تذكر خلافاً بين الناس في بيعة علي رضي الله عنه.

قلنا: والقول ما قاله؛ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٢٨) حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثني أبو بكر بن عياش عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة .... الخبر وفيه يقول الأشتر (ولكني رأيت طلحة والزبير والقوم بايعوا علياً طائعين غير مكرهين). وصحح الحافظ إسناده في الفتح (١٣/ ٥٨) وهذه الرواية الصحيحة تكذب الروايات الضعيفة التي تذكر أن الأشتر =

سلّ سيفه ، وأجبر الزبير ، وطلحة على البيعة .
وأخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ١١٤) عن الأسود بن يزيد النخعي قال: لما بويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي عليٍّ على المنبر:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا ... أبو الحسن فما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس إنه ... أطب قريش بالكتاب وبالسنن

كلمة أخيرة في بيعة طلحة والزبير هل كانت كرهاً أم لا

لقد ذكرنا أدلة صحيحة فيما سبق: أن بيعة الزبير وطلحة لسيدنا علي ثابتة وهنالك روايات تشير إلى أنهما بايعا تحت الإكراه وبحثنا عنها فما وجدنا فيها رواية صحيحة السند يحتج بها ، ولقد اجتهد كثيرون من الأخوة الأفاضل المعاصرين في تفنيد هذه الأقوال ومنهم محمد أمحزون في كتابه (تحقيق مواقف الصحابة) وكذلك حسن بن فرحان المالكي في رسالته الممتازة (بيعة علي رضي الله عنه في ضوء الروايات الصحيحة) ودراسة المالكي شيقة وعلمية وجديرة بالدراسة والتمعن ، وكذلك ما كتبه د. أمحزون ، ولا نريد أن نطيل هنا أكثر مما ذكرنا ، فمن أراد المزيد فليراجع ما كتباه في هذا الموضوع فقد اتفقا في نتيجة بحثهما القيّم على أمر طيب ، فجزاهما الله خيراً.
وأما كلمتنا الأخيرة (المحققان) فنقول وبالله التوفيق:
الذي ترجح لدينا أن الزبير وطلحة رضي الله عنهما كانا يرغّبان الناس في بيعة علي ، وذلك واضح من رواية الأحنف بن قيس ، وأنهما بايعا أول الناس طائعين راغبين .
فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٦٠): حدثنا غندر عن شعبة عن سعد بن إبراهيم قال: سمعت أبي يقول: بلغ علي بن أبي طالب أن طلحة يقول: إنما بايعت واللج على قفاي فأرسل ابن عباس فسألهم قال: فقال أسامة: (أما واللج على قفاه فلا ولكن بايع وهو كاره) وإسناده صحيح والفرق واضح بين الكاره والمكره وأخذاً بالاعتبار قول أسامة (ولكن بايع وهو كاره) نقول:
إن كان هناك احتمال آخر فهو أنهما كانا كارهين لحظة البيعة لأنهما كانا يريان ضرورة الحسم في مسألة قتلة عثمان والقصاص منهم قبل إجراء البيعة ، وإلاّ فإنهما لم يختلفا في أولوية علي رضي الله عنه وأحقيته بالخلافة ، ولو كانت كراهيتهما من أجل عدم قناعتهما بأحقية علي؛ لقالا له عندما سألهما بعد ذلك: ألم تبايعاني؟ فكان عليهما أن يقولا: نعم بايعناك ولكن كارهين غير مقتنعين بخلافتك ، ولكنهما أجابا بأنهما يطلبان دم عثمان ليس إلاّ ، أي: أنهما كانا يريان ذلك أشد ضرورة ، ونحن لا نشك أن أمر الخلافة أولى وأن علياً كان مع الأصوب والأولى .

= فقد أخرج الحافظ الذهبي عن يحيى بن سليمان أنه قال: قال أبو مسلم الخولاني وجماعة لمعاوية أنت تنازع علياً؟ هل أنت مثله؟ فقال: لا. والله إني لأعلم أن علياً أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه وأنا أطالب بدمه؟ فائْتوا علياً فقولوا له فليدفع إليّ قتلة عثمان، وأسلّم له... الخبر (سير أعلام النبلاء ٣/ ١٤٠) (البداية والنهاية ٨/ ١٢٩) وجوّد الحافظ إسناده (فتح الباري ١٣/ ٩٢).

وروى ابن ديزيل من طريق عمرو بن سعد بإسناده أن قراء أهل العراق وقراء أهل الشام عسكروا ناحية... الخبر وفيه: وخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فدخلا على معاوية فقالا له: يا معاوية! علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ وأحق بهذا الأمر منك، فقال: أقاتله على دم عثمان وإنه أدى قتلة، فاذهبا إليه فقولا له: فليقدنا من قتلة عثمان، ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام (البداية والنهاية ٧/ ٢٧٠).

قلنا: (المحققان): الكلّ يعلم أن سيد الأنصار (سعد بن عبادة) اقتنع بأحقية أبي بكر للخلافة ولكنه لم يبايع حتى توفي رضي الله عنه، فهل كان ذلك قدحاً في إجماع الصحابة على بيعة أبي بكر رضي الله عنه؟ كلا. وكذلك الحال مع معاوية رضي الله عنه فقد كان مقراً بأحقية علي رضي الله عنه للخلافة ولكنه كان يرى أن يحاسب قتلة عثمان أولاً ويعاقبوا حفاظاً على هيبة الخليفة وحتى لا يتخذها الناس عادة كلما كرهوا من أميرهم شيئاً قاموا إليه فقتلوه.

ونحن لسنا بصدد هذه المسألة فالأرجح عندنا هو ما ذهب إليه علي رضي الله عنه من أن الأولى والأوجب هو توطيد دعائم الخلافة وإعطاء البيعة، ثم معاقبة قتلة عثمان بعد استقرار الأمور، ولكن بيت القصيد هنا هو أنَّ تخلف أحد أعيان الصحابة أو اثنين عن البيعة لا يقدح في إجماع الصحابة على أحقية سيدنا علي بالخلافة، والله تعالى أعلم.

إجماع أهل الحل والعقد من الصحابة على بيعة علي رضي الله عنه

وخلاصة القول فإن أهل الحل والعقد من الصحابة والذين كانوا وقتها في مكة والمدينة قد بايعوا سيدنا علياً خليفة رابعاً للمسلمين وبهم تنعقد البيعة باتفاق أهل السنة والجماعة وبقية الناس تبع لهم في ذلك؛ ولذلك قال الإمام الأشعري رحمه الله: (وتثبت إمامة علي بعد عثمان رضي الله عنه بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد ولأنه لم يدع أحداً من أهل الشورى غيره في وقته، وقد اجتمع على عدله وفضله) (الإبانة عن أصول الديانة/ ٧٨) وقال الإمام أحمد بن حنبل رمز أهل السنة والجماعة: علي رحمه الله إمام عادل، ويقول أيضاً: ما يدفع علي من الخلافة، وقد سماه جماعة من أصحاب رسول الله أمير المؤمنين منهم عمار بن ياسر، وأبو مسعود. (السنة ٣/ ٤١٣) وقال ابن سعد في طبقاته: لما قتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وبويع لعلي بن أبي طالب رحمه الله بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة بايعه طلحة =

٢٥٧ ـ حدّثني أحمد بن منصور، قال: حدّثني يَحْيى بن مَعِين، وقال: حدّثنا هِشام بن يوسف قاضي صَنْعاء، عن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزّبير، عن موسى بن عُقْبة، عن علقمة بن وقّاص الليثيّ، قال: لما خرج طَلْحةُ، والزّبير، وعائِشة رضي الله عنهم؛ عرضوا الناس بذَاتِ

= والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهيل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله وغيرهم. (الطبقات ٣/ ٣١).

وقال الإمام سليمان بن طرخان (المتوفى ١٤٣ هـ): بايع علياً أهل الحرمين وإنما البيعة (لأهل الحرمين) أنساب الأشراف (٢/ ٢٠٨) يعني بذلك أنهم أهل الحل والعقد آنذاك، والله تعالى أعلم.

وقبلهم جميعاً قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: والله ما كانت بيعة علي إلا كبيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم. (منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين/ ٧٧).

موقف عمرو بن العاص ومعاوية من بيعة علي رضي الله عنهم جميعاً

أما عمرو بن العاص رضي الله عنه فقد ثبت عنه في صحيح مسلم (١/ ١١٢) أنه ندم ندماً شديداً وعاتب نفسه عتاباً شديداً عند موته لأنه رفض بيعة علي رضي الله عنه وحارب ضده، وهذا يعني: أنه رضي الله عنه اعترف بأن رفضه لبيعة علي كان خطأً تاب منه، فماذا يقول المرجفون ولم يبق اسم في سماء أعيان الصحابة إلا معاوية رضي الله عنه؟! ونحن نقول بكل ثقة: لم نجد رواية صحيحة تؤكد أن معاوية كان ينازع علياً على الخلافة، وإنما كان يريد أن يأخذ بحق ابن عمه المظلوم أولاً ثم يبايع وقد وردت رواية صحيحة تؤكد إقرار سيدنا معاوية لسيدنا علي بالأحقية بالإمامة العظمى (الخلافة).

وأما أهل الشام فلم يثبت أنهم بايعوا معاوية قبل موت علي بل كانوا يسمون معاوية أميراً وعلياً أميراً للمؤمنين حتى استشهد علي رضي الله عنه، فمنذ ذلك الوقت أصبحوا يسمون معاوية أميراً للمؤمنين.

لقد ذكرنا الرواية (٤/ ٤٥١ ـ ٤٥٢/ ٩٣٤) في قسم الضعيف، ففي إسناده التالف الهالك أبو مخنف، ولم نجد ما يشهد لما ورد في الرواية غير مسألة إرسال أم سلمة لابنها مع علي رضي الله عنه فقد أخرج ذلك الحاكم في المستدرك (٣/ ١١٩) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

عِرْق ، واستَصْغَروا عروة بن الزّبير وأبا بكر بن عبد الرّحمن بن الحارث بن هِشام فرَدُّوهما[1] (٤ : ٤٥٣) .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين

نزول أمير المؤمنين ذا قار

٢٥٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة بإسنادهما، قالا: لما نزل عليٌّ ذا قار أرسل ابن عباس والأشتر بعد محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر ، وأرسل الحسنَ بن عليّ وعماراً بعد ابن عباس والأشتر ، فخفّ في ذلك الأمر جميعُ من كان نَفَر فيه ، ولم يقدُم فيه الوجوه أتباعَهم فكانوا خمسة آلاف أخذ نصفهم في البرّ ونصفهم في البحر ، وخفّ مَن لم ينفر فيها ولم يعمل لها. وكان على طاعته ملازماً للجماعة فكانوا أربعة آلاف ، فكان رؤساء الجماعة: القعقاع بن عمرو ، وسعْر بن مالك ، وهند بن عمرو ، والهيثم ابن شهاب. وكان رؤساء النّفّار: زيد بن صُوحان ، والأشتر مالك بن الحارث ، وعديّ بن حاتم ، والمسيّب بن نَجَبَة ، ويزيد بن قيس ومعهم أتباعهم وأمثال لهم ليسوا دونهم إلاّ أنهم لم يؤمّروا؛ منهم حُجْر بن عديّ ، وابن مَحْدُوج البكريّ ، وأشباه لهما لم يكن في أهل الكوفة أحد على ذلك الرأي غيرهم. فبادروا في الوقعة إلا قليلاً ، فلما نزلوا على ذي قار دعا القعقاعَ بن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال له: الق هذين الرجلين يا بن الحنظليّة ـ وكان القعقاع من أصحاب النبي ﷺ ـ فادعُهما إلى الألْفة والجماعة ، وعظِّم عليهما الفُرْقَة ، وقال له: كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة منّي؟ فقال:

---

(١) وكذلك أخرج أحمد في المسند (١/ ٨٩) وأبو يعلى (١/ ٤٤٥) عن هشام بن عروة عن أبيه قال: (رددت يوم الجمل استصغرت).

ذكرنا الرواية (٤/ ٤٥٥/ ٩٤٢١) في قسم الضعيف لضعف إسنادها ونكارة في متنها إلا أن الفقرة الأخيرة من الرواية (ونعني حث عبد الله بن سلام علياً رضي الله عنهما على ألا يسير إلى العراق) لها ما يؤيدها فقد أخرج أبو يعلى في مسنده (١/ ٢٥٩) من طريق إسحاق بن إسرائيل وفيه أن علياً رضي الله عنه قال: أتاني عبد الله بن سلام وقد وضعت قدمي في الغرز فقال لي: لا تقدم العراق فإني أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف. وقال الهيثمي بعد أن ذكره: ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير إسحاق بن إسرائيل فهو ثقة مأمون (مجمع الزوائد ٩/ ١٤١).

نلقاهم بالّذي أمرتَ به ، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأيٌ اجتهدنا الرّأي وكلّمناهم على قدر ما نَسْمع ونرى أنه ينبغي. قال: أنت لها. فخرج القعقاعُ حتى قدم البصرة ، فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلّم عليها ، وقال: أيْ أمَّهْ؛ ما أشخصك وما أقدمكِ هذه البلدة؟ قالت: أيْ بنيّ ، إصلاح بين الناس ، قال: فابعثي إلى طلحة والزّبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما ، فبعثت إليهما فجاءا ، فقال: إني سألت أمَّ المؤمنين: ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس ، فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: مُتابعان ، قال: فأخبراني ما وَجْهُ هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفنا لنُصلحنّ ، ولئن أنكرناه لا نُصلح. قالا: قتلة عثمان رضي الله عنه ، فإنّ هذا إن تُرِك كان تَرْكاً للقرآن؛ وإن عمِل به كان إحياء للقرآن. فقال: قد قَتَلْتُما قتلةَ عثمان من أهل البصرة ، وأنتم قبل قَتْلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليومَ ، قتلتم ستمئة إلاّ رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف. واعتزلوكم ، وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم ذلك الّذي أفلتَ ـ يعني: حرقوص بن زُهير ـ فمنعه ستة آلاف وهم على رِجْل ، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون؛ وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأُديلوا عليكم فالّذي حذِرتم وقرِبتم به هذا الأمر أعظم ممّا أراكم تكرهون؛ وأنتم أحميتم مُضَر وربيعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نُصرةً لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدَث العظيم والذنب الكبير. فقالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا؟ قال: أقول هذا الأمر دواؤه التّسكين ، وإذا سكن اختُلِجُوا ، فإن أنتم بايعتمونا؛ فعلامةُ خير ، وتباشير رَحْمة ، ودرَكٌ بثأر هذا الرّجل ، وعافية ، وسلامة لهذه الأمة ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرَة هذا الأمر واعتسافه؛ كانت علامة شرّ ، وذهاب هذا الثأر ، وبعثة الله في هذه الأمة هَزاهِزَهَا ، فآثروا العافية؛ ترزقوها ، وكونوا مَفاتيح الخير كما كنتم تكونون ، ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرَّضوا له فيصرعنا وإياكم. وايم الله إني لأقول هذا ، وأدعوكم إليه وإني لخائفٌ ألاّ يتمّ حتى يأخذ الله عزّ وجلّ حاجتَه من هذه الأمة التي قلَّ متاعُها ، ونزل بها ما نزل ، فإنّ هذا الأمر الّذي حدَث أمرٌ ليس يقدّر ، وليس كالأمور ، ولا كقتل الرّجل الرّجل ، ولا النّفر الرجلَ ، ولا القبيلة الرجلَ.

فقالوا: نعم إذاً! قد أحسنت وأصبت المقالةَ؛ فارجع فإن قَدم عليٌّ وهو على

مثل رأيك صلَح هذا الأمر. فرجع إلى عليّ فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصّلح؛ كَرِه ذلك مَن كرهه، ورضيَه مَنْ رضيه.

وأقبلت وُفود البصرة نحو عليّ حين نزل بذي قار، فجاءت وفود تميم وبكْر قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة، وعلى أيّ حال نهضوا إليهم، وليعلِموهم أنّ الذي عليه رأيُهم الإصلاح، ولا يخطر لهم قتالٌ علَى بالٍ. فلمّا لقُوا عشائرَهم من أهل الكوفة بالذي بعثهم فيه عشائرُهم من أهل البصرة وقال لهم الكوفيون مثلَ مقالتهم، وأدخلوهم على عليّ فأخبروه خبرَهم؛ سأل عليٌّ جرير بن شرِس عن طلحة والزّبير، فأخبره عن دقيق أمرهما وجليله حتى تمثّل له:

ألا أَبْلِـغ بَنِـي بَكْـرٍ رَسـولا فَلَيْـسَ إلـى بَنِـي كَعـب سَبيـلُ
سَيَـرْجِـعُ ظُلْمَكُـمْ مِنْكُـمْ عَلَيْكُـم طَـويـلُ الساعِـدَيْـنِ لـه فُضـولُ

وتمثّل عليٌّ عندها:

أَلَـمْ تَعْلَـمْ أَبـا سِمْعـانَ أَنّـا نَـرُدُّ الشَّيْـخَ مِثلَـكَ ذا الصُّـداعِ!
ويَـذْهَـلُ عَقْلُـهُ بـالحـربِ حَتـى يَقـومَ فَيَسْتجيـبَ لِغَيْـرِ داعِ
فـدافَـعَ عـن خُـزاعَـةَ جَمْـعُ بَكْـرٍ ومـا بـك يـا سُـراقَـةُ مِـنْ دِفـاعِ

رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة: فأرسل عمران بن حُصين في الناس يخذّل من الفريقين جميعاً، كما صنع الأحنف، وأرسل إلى بني عديّ فيمن أرسل، فأقبل رسولُه حتى نادى على باب مسجدهم: ألاَ إنّ أبا نُجَيْد عمران بن الحُصين يقرئكم السلام، ويقول لكم: والله لأن أكون في جبل حَضَن مع أعنُز خضْر وضأن، أجزُّ أصوافها، وأشرَب ألبانَها أحبُّ إليّ من أن أرميَ في شيء من هذين الصفين بسهم. فقالت بنو عديّ جميعاً بصوت واحد: إنا والله لا نَدَع ثقلَ رسول الله ﷺ لشيء. يَعنُون: أمّ المؤمنين.

رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة: وأهل البصرة فِرَق: فرقة مع طلحة، والزبير، وفرقة مع عليّ، وفرقة لا ترى القتال مع أحد من الفريقين، وجاءت عائشةُ رضي الله عنها من منزلها الذي كانت فيه حتى نزلت في مسجد الحُدّان في الأزْد، وكان القتال في ساحتهم، ورأس الأزد يومئذ صَبْرة بن شَيْمان، فقال له كعب بن سور: إنّ الجموع إذا تراءَوا لم تستطع، وإنما هي

بحور تَدفَّق ، فأطِعني ولا تشهدهم ، واعتزل بقومك ، فإني أخاف ألاّ يكون صُلح ، وكن وراءَ هذه النطفة ، ودع هذين الغارَيْن من مُضَر وربيعة ، فهما أخَوان ، فإن اصطلحا فالصّلح ما أردنا ، وإن اقتتلاَ كنا حكَّاماً عليهم غداً ـ وكان كعبٌ في الجاهليَّة نصرانيّاً ـ فقال صبرة: أخشى أن يكون فيك شيء من النصرانيَّة؛ أتأمرني أن أغيبَ عن إصلاح بين الناس ، وأن أخذُل أم المؤمنين وطلحة والزبير إن ردّوا عليهم الصلح ، وأدَع الطلبَ بدم عثمانَ! لا والله لا أفعلُ ذلك أبداً ، فأطبق أهلُ اليمن على الحضورِ[1]. (٤ : ٤٨٧/ ٤٨٨/ ٤٨٩/ ٤٩٠ تكملة ٥٠٢/ ٥٠٣/ ٥٠٤) .

٢٥٩ ـ وأما الذّي يرويه المحدّثون من أمر الأحنف ، فغير ما رواهُ سيفٌ عمن ذكر من شيوخه. والذي يرويه المحدّثون من ذلك ما حدّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال: حدّثنا ابن إدريس ، قال: سمعت حُصيناً يذكر عن عمرو بن جأوان ، عن الأحنف بن قيس ، قال: قدمنا المدينةَ ونحن نريد الحجّ ، فإنا لبمنازلنا نضع رحالَنا؛ إذ أتانا آتٍ ، فقال: قد فزِعوا وقد اجتمعوا في المسجد ، فانطلقنا فإذا الناس مجتمعون على نَفَر في وسط المسجد ، وإذا عليّ ، والزّبير ، وطلحة ، وسعد بن أبي وقّاص ، وإنا لكذلك إذ جاء عثمان بن عفان؛ فقيل: هذا عثمان قد جاء وعليه مُلَيئة له صفراء قد قنَّع بها رأسه ، فقال: أهاهنا عليّ؟ قالوا: نعم ، قال: أهاهنا الزّبير؟ قالوا: نعم ، قال: أهاهنا طلحة؟ قالوا: نعم ، قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلاّ هو؛ أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: من يَبْتَعْ مِرْبد بني فلان؛ غفر الله له! فابتعتُه بعشرين أو بخمسة وعشرين ألفاً ، فأتيتُ النبيّ ﷺ فقلت: يا رسولَ الله! قد ابتعته ، قال: «اجعله في مسجدنا وأجرُهُ لك»! قالوا: اللهمّ نعم ، وذكر أشياء من هذا النوع. قال الأحنف: فلقيتُ طلحةَ والزّبير فقلتُ: من تأمُراني به ، وترضيانه لي؟ فإني لا أرى هذا الرّجل إلاّ مقتولاً ، قالا: عليّ؟ قلتُ: أتأمراني به وترضيانه لي؟ قالا: نعم ، فانطلقتُ حتى قدِمت مكة ، فبينا نحن بها إذ أتانا قتلُ عثمان رضي الله عنه وبها عائشة

---

(١) إسناده ضعيف ولم نجد فيه طعناً في عدالة الصحابة ولبعضه ما يشهد له كما سنذكر كل ذلك بعد قليل تحت عنوان (ما صح في خبر وقعة الجمل عند الطبري وغيره).
أما الأبيات الشعرية فلم تصح من رواية مسندة موصولة والله تعالى أعلم.

أمّ المؤمنين رضي الله عنها ، فلقيتُها فقلت : من تأمريني أن أبايع؟ قالت : عليّ ، قلتُ : تأمرينني به وترضينه لي؟ قالت : نعم؛ فمررتُ على عليّ بالمدينة فبايعتُـه ، ثمّ رجعت إلى أهلي بالبصرة ولا أرى الأمر إلاّ قد استقامَ ، قال : فبينا أنا كذلك؛ إذ أتاني آتٍ فقال : هذه عائشة ، وطلحة ، والزّبير قد نزلوا جانب الخُرَيْبة ، فقلت : ما جاء بهم؟ قالوا : أرسلوا إليك يدعونك يستنصرون بك على دَم عثمان رضي الله عنه ، فأتاني أفظعُ أمر أتاني قطّ! فقلت : إنّ خذْلاني هؤلاء ومعهم أمّ المؤمنين وحواريّ رسول الله ﷺ لَشديد ، وإنّ قتالي رجلاً ابن عمّ رسول الله ﷺ قد أمروني ببيعته لشديد. فلما أتيتهم قالوا : جئنا لنستنصر على دم عثمان رضي الله عنه ، قُتل مظلوماً؛ فقلت : يا أمّ المؤمنين ! أنشدك بالله أقلتُ لك : مَن تأمريني به؟ فقلت : عليّ؟ فقلتُ : أتأمرينني به وترضيْنه لي؟ قلت : نعم! قالت : نعم ! ولكنه بدّل. فقلت : يا زُبير يا حواريّ رسول الله ﷺ ! يا طلحة ! أنشدكما الله ، أقلتُ لكما : ما تأمراني؟ فقلتما : عليّ. فقلت : أتأمراني به وترضيانه لي؟ فقلتما : نعم! قالا : نعم ! ولكنه بدّل. فقلتُ : والله لا أقاتِلُكم ومعكم أمّ المؤمنين وحواريّ رسول الله ﷺ ولا أقاتِل رجلاً ابن عمّ رسول الله ﷺ ، أمرتموني ببيعته؛ اختاروا مني واحدةً من ثلاث خِصال : إما أن تفتحوا لي الجسر فألحق بأرض الأعاجِم حتى يقضيَ الله عزّ وجلّ من أمره ما قضى ، أو ألحق بمكة فأكون فيها حتى يقضي الله عز وجل من أمره ما قضى ، أو أعتزل فأكونُ قريباً. قالوا : إنا نأتمر ، ثم نرسل إليك. فائتمروا فقالوا : نفتح له الجسرَ ويخبرهم بأخباركم! ليس ذاكم برأي ، اجعلوه هاهنا قريباً حيث تطؤون على صِماخه وتنظرون إليه. فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين ، فاعتزل معه زُهاءٌ على ستة آلاف.

ثم التقى القوم فكان أوّل قتيل طلحة رضي الله عنه ، وكعب بن سُور معه المصحف يذكِّر هؤلاء وهؤلاء؛ حتى قتل مَنْ قتل منهم ، ولحق الزبير بسَفوان ، من البصرة كمكان القادسيّة منكم ، فلقيه النَّعِر؛ رجلٌ من مجاشع ، فقال : أين تذهب يا حواريّ رسول الله ﷺ ؟ إليّ فأنت في ذمتي لا يوصَل إليك؛ فأقبل معه؛ فأتى الأحنف خبره فقيل : ذاك الزّبير قد لقي بِسَفوان فما تأمر؟ قال : جمَع بين المسلمين حتى ضرب بعضُهم حواجب بعض بالسيوف ثم يلحق ببيته ، فسمعه

عمير بن جُرموز وَفضَالة بن حابس ، ونُفيع ؛ فركبوا في طلبه ، فلقوه مع النَّعِر ، فأتاه عمير بن جرموز من خلفه وهو على فرس له ضعيفة ، فطعنه طعنةً خفيفة ، وحمل عليه الزّبير وهو على فرس له يقال له ذو الخِمار ، حتى إذا ظنّ أنه قاتِله نـادى عميـر بـن جُـرمـوز: يـا نـافـع ! يـا فضـالـة ! فحملـوا عليـه فقتلـوه[1]. (٤ : ٤٩٧/٤٩٨/٤٩٩).

٢٦٠ ـ حدّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال: معتمِر بن سليمان ، قال: نبّأني أبي عن حصين ، قال: حدّثنا عمرو بن جأوان (رجل من بني تميم) وذاك أني قلت له: أرأيتَ اعتزال الأحنف ما كان؟ فقال: سمعت الأحنفَ يقول: أتيتُ المدينةَ وأنا حاجّ؛ فذكر نحوه. الحمد لله على ما قضى وحَكَم[2]! (٤ : ٤٩٩).

نزول علي الزاوية من البصرة

٢٦١ ـ حدّثنا عمرو بن عليّ ، قال: حدّثنا يزيد بن زُرَيع ، قال: حدّثنا أبو نعامة العدويّ عن حُجَير بن الربيع ، قال: قال لي عمران بن حصين: سرْ إلى قومك أجمعَ ما يكونون ، فقم فيهم قائماً ، فقل: أرسلَني إليكم عمران بن حصين صاحبُ رسول الله ﷺ ، يقرأ عليكم السلام ورحمةَ الله ، ويحلف بالله الذي لا إله إلاّ هو ! لأن يكون عبداً حبشيّاً مجدَّعاً يرعَى أعنزاً حضنيّاتٍ في رأس جبل حتى يدركَه الموت أحبّ إليّ من أن يرمى بسهم واحد بين الفريقين؛ قال: فرفع شيوخُ الحيّ رؤوسهم إليه ، فقالوا: إنا لا نَدَع ثقلَ رسول الله ﷺ لشيء أبداً[3]. (٤ : ٥٠٣).

---

(١) رجال إسناده ثقات غير عمرو بن جأوان فلم يوثقه غير ابن حبان وروى له النسائي وقال الذهبي: ثقة ، ولقد صحح الحافظ ابن حجر إسناد هذه الرواية في فتح الباري (١٣/ ٣٨) إلا أن قول عائشة وزبير (ولكنّه بدّل) لم يصح من طريق آخر والله أعلم. وكذلك اعتزال أبي الأحنف صحيح كما ورد في البخاري أنه ذهب لينضم إلى جيش علي رضي الله عنه في وقعة الجمل فحثه أبو بكرة على الاعتزال في الفتنة كما سنذكر في موضعه إن شاء الله تعالى. وأما بيعة الأحنف بن قيس لعلي بالخلافة فثابت والله تعالى أعلم.

(٢) رجال إسناده ثقات غير عمرو بن جأوان فقد وثقه ابن حبان وروى له النسائي وصحح الحافظ إسناد هذه الرواية (فتح الباري ١٣/ ٣٨) والله أعلم.

(٣) إسناده حسن صحيح.

٢٦٢ ـ حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثنا أبو الحسن ، عن بشير بن عاصم ، عن فِطْر بن خليفة ، عن منذر الثوريّ ، عن محمد بن الحنفيّة ، قال: أقبلْنا من المدينة بسبعمئة رجل ، وخرج إلينا من الكوفة سبعة آلاف ، وانضمّ إلينا مَن حولنا ألفان ، أكثرهم بكر بن وائل ، ويقال: ستة آلاف[1]. (٤ : ٥٠٥/٥٠٦).

خبر وقعة الجمل من رواية أخرى

٢٦٣ ـ حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشَّهيد ، قال: سمعتُ أبا بكر بن عيّاش يقول: قال علقمة: قلت للأشتر: قد كنتَ كارهاً لقتل عثمان رضي الله عنه ، فما أخرجكَ بالبصرة؟

قال: إنّ هؤلاء بايعوه ، ثم نكثوا ـ وكان ابن الزبير هو الذي أكره عائشةَ على الخروج ـ فكنت أدعو الله عزّ وجلّ أن يلقِّيَنِيه ، فلقيني كفّةً لكفّة ، فما رضيت بشدّة ساعدي أن قمت في الركاب فضربته على رأسه فصرعتُه.

قلنا فهو القائل: (اقتُلوني ومالِكاً؟) قال: لا ، ما تركته وفي نفسي منه شيء ، ذاك عبدُ الرحمن بن عتّاب بن أسيد ، لقيني فاختلفنا ضربتين ، فصرَعَني وصرعْتُه ، فجعل يقول. «اقتُلُوني ومالِكاً» ، ولا يَعلَمون مَن مالِك ، فلو يعلمون ؛ لَقتلوني.

ثم قال أبو بكر بن عياش: هذا كتابك شاهده[2]. (٤ : ٥٢٠).

٢٦٤ ـ حدّثني به المغيرة عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال: قلت للأشتر: حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثني سليمان ، قال: حدّثني عبد الله عن طلحة بن النضر ، عن عثمان بن سليمان ، عن عبد الله بن الزبير ، قال: وقف علينا شابّ ، فقال: احذَروا هذين الرّجلين؛ فذكره ـ وعلامة الأشتر: أنّ إحدى قدميه بادية من شيء يجدُ بها ـ قال: لما التقينا قال الأشتر: لما

---

(١) إسناده حسن وهذا أصح ما ورد في تحديد عدد الجيش الذي كان تحت إمرة الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم معركة الجمل والله تعالى أعلم.

(٢) صحح الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (١٣/ ١٧).

قصد لي سوّى رمحه لِرجلي ، قلت : هذا أحمقَ ، وما عسى أن يدرك مني لو قطعها ألستُ قاتلَه؟!

فلما دنا مني جمع يديه في الرمح ، ثم التمس به وجهي ، قلتُ : أحدُ الأقران[١] . (٤ : ٥٢٠) .

٢٦٥ ـ حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني سليمان ، قال : حدّثني عبد الله بن المبارك ، عن جرير ، قال : حدّثني الزبير بن الخرّيت ، قال : حدّثني شيخٌ من الحرَميْن يقال له : أبو جُبير ، قال : مررتُ بكعب بن سُور وهو آخذ بخِطام جملِ عائشة رضي الله عنها يومَ الجمل ، فقال : يا أبا جُبير ! أنا والله كما قالت القائلة :

بُنَـــيَّ لا تبِـــنْ ولا تُقـــاتِـــلْ

فحدّثني الزبير بن الخرّيت ، قال : مرّ به عليّ وهو قتيل ، فقام عليه فقال : والله ِإنك ـ ما علمتُ ـ كنتَ لصليباً في الحقّ ، قاضياً بالعدل ، وكيتَ وكيتَ؛ فأثنى عليه[٢] . (٤ : ٥٢٨) .

٢٦٦ ـ حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثني أبي؛ قال : حدّثني سليمان ، قال : حدّثني عبد الله ، قال : حدّثني ابن عون ، عن أبي رَجاء ، قال : ذكروا يومَ الجمل فقلتُ : كأنّي أنظر إلى خِدْر عائشةَ كأنه قنفذ مما رُمِيَ فيه من النّبل ، فقلت

---

(١) إسناده صحيح .

(٢) رجاله ثقات وفيهم من أئمة الحديث كابن المبارك إلاّ أبا جبير (شيخ من الحرمين) فإن كان هو مولى الحكم بن عمرو فهو مقبول عند الحافظ وصالح عند الذهبي ، وأما كعب بن سور فقد ورد أنه كان في جيش عائشة رضي الله عنها وكان يرغب في الصلح حتى أنه حمل بيده مصحفاً (بأمر من عائشة) ووقف بين الصفين يدعو إلى الصلح فجاءه سهم فقتله رضي الله عنه وهو من كبار التابعين الذين ولدوا على عهد رسول الله ﷺ ولم يروه ولقد أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البصرة قاضياً (الإصابة ٥/ ٤٨٠/ ت ٧٥٠٦) و(الاستيعاب/ ت/ ٢٢٢١).
وكذلك أخرج ابن عساكر في تأريخ دمشق (٧/ ٨٨ تهذيب بدران) عن عائشة رضي الله عنها : أنها طلبت من كعب بن سور أن يتقدم بكتاب الله ويدعوهم إليه فدفعت إليه مصحفاً وأقبل القوم الذين في عسكر علي وأمامهم السبئية الذين يخافون أن يجري الصلح فاستقبلهم كعب بالمصحف وعلي رضي الله عنه من خلفهم يزعهم وينهاهم ويأبون إلاّ إقداماً فرشقوه ـ أي : كعب ـ بالنبال فسقط صريعاً ا هـ.

لأبي رجاء: أقاتلتَ يومئذ؟ قال: واللهِ لقد رميتُ بأسهم فما أدري ما صَنعْن[١]. (٤: ٥٣٣).

بعثة الأشتر إلى عائشة بجَمل اشتراه لها وخروجها من البَصرة إلى مكّة

٢٦٧ ـ حدّثنا أبو كريب محمد بن العلاء، قال: حدّثنا يحيى بن آدم، عن أبي بكر بن عيّاش، عن عاصم بن كُليب، عن أبيه، قال: لما فرغوا يوم الجمل أمرني الأشتر فانطلقت فاشتريتُ له جملاً بسبعمئة درهم من رجل من مَهْرة، فقال: انطلِق به إلى عائشة فقل لها: بعث به إليكِ الأشتر مالكُ بن الحارث، وقال: هذا عِوَض من بعيرك، فانطلقْت به إليها، فقلت: مالكٌ يقرئكِ السلام ويقول: إنّ هذا البعير مكان بعيرك؛ قالت: لا سَلّم الله عليه؛ إذ قتل يَعسوبَ العرب ـ تَعني: ابن طلحة ـ وصنع بابن أختي ما صنع! قال: فرددته إلى الأشتر، وأعلمتُه، قال: فأخرَج ذراعين شعراوين؛ وقال: أرادوا قتلي فما أصنع![٢] (٤: ٥٤١/٥٤٢).

ما قال عمَّار بن ياسر لعائشة حين فرغ من الجمل

٢٦٨ ـ حدّثني عبد الله بن أحمد، قال: حدّثني أبي عن سليمان، قال: حدّثني عبد الله، عن جرير بن حازم، قال: سمعت أبا يزيد المدينيّ يقول: قال عمّار بن ياسر لعائشة ـ رضي الله عنها ـ حين فرغ القوم: يا أمّ المؤمنين! ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عُهد إليك! قالت: أبو اليَقظان! قال: نعم، قالت: والله إنّك ـ ما علمتُ ـ قوّال بالحق؛ قال: الحمد لله الذي قضى لِي على لسانك[٣]. (٤: ٥٤٥/٥٤٦).

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) إسناده حسن وفي متنه غرابة.

(٣) صحح الحافظ إسناده (فتح الباري ١٣/ ٦٣).

دعاء علي معاوية إلى الطاعة والجماعة

وفي هذه السنة مات قُدَامة بن مظعون ، فيما زعم الواقديّ[١] . (٤ : ٥٧٦) .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

مقتل عمار بن ياسر

٢٦٩ ـ حدّثنا محمد بن عباد بن موسى ، قال: حدّثنا محمد بن فُضَيل ، قال: حدّثنا مسلم الأعور ، عن حبّة بن جُوَين العُرَنيّ ، قال: انطلقتُ أنا وأبو مسعود إلى حُذَيفة بالمدائن ، فدخلنا عليه ، فقال: مرحباً بكما ، ما خلّفتما من قبائل العرب أحداً أحبّ إليّ منكما ، فأسندته إلى أبي مسعود ، فقلنا: يا أبا عبد الله ! حدّثنا فإنا نخاف الفِتَن؛ فقال: عليكما بالفئة التي فيها ابن سميّة ، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغيةِ الناكبة عن الطريق ، وإنّ آخر رزقه ضَياح من لبن». قال حبّة: فشهدتُه يومَ صِفِين وهو يقول: ائتوني بآخر رزق لي من الدنيا ، فأتِي بضَياح من لبن في قدَح أرْوح له حلقة حمراء ، فما أخطأ حُذَيفة مقياسَ شعرة ، فقال:

اليوم ألقى الأحبَّهْ محمّداً وحزبَهْ

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفات هَجَر؛ لعلِمنا أنا على الحقّ وأنهم على الباطل ، وجعل يقول: الموت تحت الأسَل ، والجنة تحت البارقة[٢] . (٥ : ٣٨/ ٣٩) .

---

(١) وفي هذه السنة مات قدامة بن مظعون فيما زعم الواقدي.
قلنا: وكذلك ذكر الذهبي وفاته ضمن أحداث سنة (٣٦ هـ) وقال: قدامة بن مظعون أبو عمر الجمحي ، توفي فيها عن ثمان وستين سنة. شهد بدراً واستعمله عمر على البحرين (عهد الخلفاء الراشدين/ ٥٣٢) وكذلك ذكر خليفة بن خياط أنه مات سنة ٣٦ (تأريخه ١٩١).
وطبقات ابن سعد (٣/ ٤٠١) والإصابة (٣/ ٣٢٢/ت ٧١٠٣).

(٢) إسناده ضعيف إلا أن له متابعاً ، وحديث (ويح عمار تقتله الفئة الباغية) صحيح فقد أخرجه البخاري في صحيحه (فتح الباري ١/ ٦٤٢) وأخرجه غير البخاري ومنهم الحاكم فقد أخرج في المستدرك (٣/ ٣٩١) كما عند الطبري (٥/ ٣٨) من طريق مسلم الأعور عن حبة العرني قال: دخلنا مع ابن مسعود الأنصاري على حذيفة بن اليمان أسأله عن الفتن فقال دوروا مع=

= كتاب الله حيث ما دار وانظروا الفئة التي فيها ابن سمية فاتبعوها فإنه يدور مع كتاب الله حيث ما دار قال: فقلنا له: ومن ابن سمية؟ قال عمار، سمعت رسول الله ﷺ يقول له: لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية تشرب شربة ضياح تكن آخر رزقك من الدنيا. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح عال ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح. قلنا: في تصحيحهما نظر فمسلم بن كيسان الأعور (أبو عبد الله ضعيف) وحبة ابن جوين العرني صدوق له أغلاط وكان غالياً في التشيع (التقريب/ ١٠٨١) فكيف يكون صحيحاً!؟ ولعل الحافظين الجليلين صححا متن الحديث لا إسناده (وهذا أغلب الظن) فلم يقل الحاكم صحيح الإسناد والذهبي. ويبدو: أنهما صححا الحديث لوجود ما يشهد لشطرين منه (الثاني والثالث) فأما الثاني (تقتلك الفئة الباغية) فقد أخرجه البخاري كما ذكرنا ـ وأما الشطر الثالث فقد أخرجه الحاكم (٣/ ٣٨٩) وفيه: اليوم نلقى حبيبنا محمداً ﷺ عهد إليّ (إن آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن) وقال الحاكم: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد (٤/ ٣١٩) وكذلك أخرج الحاكم (٣/ ٣٨٩) عن أبي البختري أن عمار بن ياسر أتي بشربة من لبن فضحك فقيل له: ما يضحكك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: آخر شراب أشربه حتى أموت هذا. وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. إلا أن الشطر الأول من الحديث وفيه أن عمار يدور حيث دار الكتاب فلم نجد له متابعاً ولا شاهداً إلا ما أخرجه الذهبي منقطعاً في (سير أعلام النبلاء ١/ ٤١٥) والله تعالى أعلم.

خاتمة المطاف فيما ورد من الروايات الصحيحة

في وقعة الجمل

١ ـ سبق أن ذكرنا بيعة كل من الزبير وطلحة رضي الله عنهما للخليفة الراشد الرابع علي رضي الله عنه وذلك في فضل البيعة وإجماع الصحابة علىٰ بيعته في قسم الصحيح، وكذلك علمنا أن طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم كانوا يوصون الناس بالبيعة لعلي رضي الله عنه وسنعيد الرواية في ذلك هنا:

أخرج الطبري (٤/ ٤٩٧) عن الأحنف بن قيس حديثاً طويلاً وفيه: فلقيت طلحة والزبير فقلت: من تأمراني، وترضيانه لي؟ فإني لا أرىٰ هذا الرجل إلا مقتولاً، قالا: علي. قلت: أتأمراني به وترضيانه لي؟ قالا: نعم. فانطلقت حتىٰ قدمت مكة فبينما نحن إذ أتانا قتل عثمان رضي الله عنه وبها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فلقيتها فقلت: من تأمريني أن أبايع، قالت: علي. قلت: تأمريني به، وترضينه لي؟ فقالت: نعم، فمررت علىٰ علي بالمدينة فبايعته ثم رجعت إلىٰ أهلي بالبصرة ولا أرىٰ الأمر إلا قد استقام، قال: فبينا أنا كذلك، إذ أتاني آتٍ فقال: هذه عائشة وطلحة والزبير قد نزلوا جانب الخريبة... الرواية. وفيه كذلك: (فقلت: يا أم المؤمنين أنشدك بالله أقلت لك من تأمريني به؟ فقلت: عليّ! فقلت: أتأمريني به وترضينه لي؟ قلت: نعم. قالت: نعم ولكنه بدَّل. فقلت: يا زبير يا حواري =

= رسول الله ﷺ ! يا طلحة ! أنشدكما الله أقلت لكما: ما تأمراني ، فقلتما: عليّ؟ فقلت: أتأمراني به وترضيانه لي؟ فقلتما نعم ، قالا: نعم ولكنه بدَّل. فقلت: والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ ولا أقاتل رجلاً ابن عم رسول الله ﷺ أمرتموني ببيعته . . . إلخ).
قلنا: ورجال هذا الإسناد ثقات غير محمد بن جأوان الذي رواه عن الأحنف ابن قيس فقد وثقه ابن حبان وروىٰ له النسائي وقال الذهبي: ثقة. والحديث أخرجه الطبري مرة أخرىٰ ولكن بسند آخر من طريق عمرو بن جأوان عن الأحنف بن قيس (٤/ ٤٩٩) وصحح الحافظ ابن حجر إسناده (فتح الباري ١٣/ ٣٨).
قلنا: وفي النفس شيء من لفظة (قالا: نعم. ولكنه بدّل) فإن عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم نصحوا الناس ببيعة علي ، ولم يخرجوا لأن علياً رضي الله عنه بدّل ، وإنما خرجوا إصلاحاً بين الناس ، وطلباً للقصاص من قتلة عثمان ، لذا فإنا نرجح أن هذه العبارة (ولكنه بدّل) عبارة شاذة والأرجح أنهم سكتوا ولم يقولوا: (بدل) والذي يدفعنا إلىٰ ذلك هو ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه رواية عن عبد الله بن بديل الخزاعي (١٥/ ٢٨٥/ ح ١٩٦٧٧) وفي الرواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها: (يا أم المؤمنين أتعلمين أني أتيتك عندما قتل عثمان فقلت: ما تأمريني ، فقلت: الزم علياً؟ فسكتت) وجوّد ابن حجر إسناد هذه الرواية (الفتح ١٣/ ٦٢). وكذلك كان جواب عائشة لعمار بعد انتهاء المعركة عندما عاتبها علىٰ خروجها فلم تسكت فحسب بل مدحت عماراً ، وأثنت عليه بأنه قوّال للحق ، وسنتحدث عن هذه الرواية بعد قليل (٤/ ٥٤٥/ خ١٣٤٢).
وإن كانت هذه العبارة: (ولكنه بدَّل) من مقولة عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم فتأويل ذلك أنهما قصدا بذلك أن علياً رضي الله عنه أرجأ مسألة القصاص من القتلة حتىٰ إشعار آخر؛ ريثما تستتب الأمور وتستقر دعائم الخلافة بعد فتنة مقتل سيدنا عثمان الخليفة الراشد الثالث رضي الله عنه.
٢ ـ كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يرىٰ أن الأوجب أن تستقر أمور الخلافة أولاً ولا يتعجل في التحقيق في ملف الفتنة وملاحقة الجناة ، وذلك لأن الفتنة حديثة العهد والقتلة ينتمون إلىٰ قبائل ولهم صلات بأهل بعض الأمصار ، فإذا فعل ذلك اشتعلت الفتنة أكثر ، فلا بد من إطفاء النيران حتىٰ تتوضح الأمور للناس وعندها يمكن القصاص من قتلة عثمان دون إثارة أية ضجة؛ ولذلك أرسل عماراً والحسن إلىٰ الكوفة يوضحان لأهل الكوفة والمجاهدين فيها وأعيان البلد أن الواجب هو طاعة الإمام الأعظم فيما يقوم به من سياسة شرعية وأن عليهم أن يطيعوا ولي الأمر ، وأن طاعة الخليفة تُقدم في هذه الحالة علىٰ طاعة السيدة عائشة علىٰ جلالة قدرها فإنها اجتهدت في موقفها هذا ، وقرار علي أصوب ، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي وائل قال: (لما بعث علي عماراً والحسن إلىٰ الكوفة ليستنفرهم؛ خطب=

= عمّار ، فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها (الفتح ٧/ ١٣٣). وحديث البخاري هذا يدل علىٰ محبة عمار لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتقديره لها (بالرغم من أن خروجها كان مبنياً على اجتهاد خاطىء وهي من بين كبار فقهاء الصحابة).
وهناك رواية أخرىٰ تسُد أفواه المبتدعة والحاقدين علىٰ التأريخ الإسلامي؛ فقد أخرج الترمذي في سننه (٥/ ح ٣٨٨٨): حدثنا محمد بن بشار ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن عمرو بن غالب: أن رجلاً نال من عائشة رضي الله عنها عند عمار فقال: اغرب مقبوحاً منبوحاً أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ؟ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
قلنا: ورجال هذا الإسناد رجال الصحيح (ومنهم أئمة الحديث كسفيان وابن مهدي) غير عمرو بن غالب وهو ثقة فقد وثقه النسائي وابن حبان ولم نعلم فيه جرحاً وصحح الترمذي حديثه والله تعالى أعلم. ويرىٰ الأستاذ خالد الغيث في رسالته القيمة: أن عماراً رضي الله عنه قال كلامه هذا عن عائشة رضي الله عنها بناءً علىٰ عدم معرفته بحقيقة خروج أصحاب الجمل ، وهو أنهم قد خرجوا للإصلاح بين الناس. ا هـ.
(استشهاد عثمان ووقعة الجمل / ١٨٥) وكلام الأستاذ خالد الغيث فيه نظر؛ فإن الروايات الصحيحة تؤكد أنهم خرجوا إصلاحاً بين الناس وهذا مقصد من مقاصدهم ، أما المقصد الآخر فهو خروجهم طلباً للقصاص من قتلة سيدنا عثمان ولو أننا نعلم أنهم ما خرجوا بهدف القتال كما تؤكد الروايات الصحيحة وكل ذلك يتبين من الآتي:
٣ ـ أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٨٧/ ح ١٩٦٧٩) عن زيد بن وهب (فقال علي لطلحة والزبير: ألم تبايعاني؟ فقالا: نطلب بدم عثمان) وإسناده حسن. أي أن من مقاصد خروجهما الإسراع بالقصاص من قتلة أمير المؤمنين عثمان، وهذا مقصد واحد أرادا تحقيقه من خلال المصالحة بين الناس لا القتال.
كما: أخرج الإمام أحمد في المسند (٦/ ٥٢): لما أقبلت عائشة رضي الله عنها مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب ، قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب ، قالت: ما أظنني إلاّ أنني راجعة ، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم. قالت: إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: (كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب) وفي رواية أخرىٰ لأحمد (المسند ٦/ ٩٧): (ما أظنني إلا راجعة ، إن رسول الله ﷺ قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب. فقال لها الزبير: ترجعين؟! عسىٰ الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس).
قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٢١٢): وهذا إسناد علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وصححه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٨).
وهذا الحديث العظيم يدل علىٰ أن الإصلاح كان الهدف الرئيسي لخروج عائشة والزبير =

= وطلحة رضي الله عنهم إلىٰ جانب طلب الإسراع بالقصاص من قتلة سيدنا عثمان رضي الله عنه.

وهناك رواية أخرىٰ تؤكد القصد الإصلاحي لخروج الصحابة الثلاثة رضي الله عنهم إلىٰ البصرة، فقد أخرج الحاكم من طرق المستدرك (٣/ ٣٦٦) و(٣/ ٣٦٧) وأبو يعلىٰ في مسنده (١/ ٣٢) حديثاً طويلاً يفيد: أن الزبير عزم علىٰ الرجوع والانحياز خارجاً فاعترضه ابنه عبد الله قائلاً: (مالك؟ قال: ذكرني علي حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ وإني راجع، وقال ابنه: وهل جئت للقتال؟ إنما جئت تصلح بين الناس ويصلح هذا الأمر).

وقال الذهبي: والحديث فيه نظر (٣/ ٣٦٦).

ولقد ذكر ابن كثير طرق هذه الرواية عند البيهقي وغيره وقال بعد ذلك: وعندي أن الحديث الذي أوردناه إن كان صحيحاً عنه فما رجعه سواه (البداية والنهاية ٧/ ٢٥٣) وأما الأستاذ خالد بن محمد الغيث فقد ذكر طرق الحديث وما فيها من علل وخلص إلىٰ أن الحديث ضعيف الإسناد (استشهاد عثمان/ ٢٠٢) والله تعالىٰ أعلم.

حقيقة تأريخية لا يفهمها المستشرقون

بعد سردنا لهذه الأدلة الصحيحة الدامغة القاطعة نقول: إن المؤرخين الغربيين: لا يفهمون الجانب الروحي من التأريخ الإسلامي، وإذا فهموه؛ فهم في شك منه فهم لا يعرفون تفسيراً للتأريخ إلاّ من خلال المصالح الاقتصادية والعوامل المادية الأخرى، ولكنهم لا يدركون البعد المعنوي للتأريخ الإسلامي والذي يتجلّىٰ حتىٰ في أحلك الظروف وأقساها؛ فهذا هو طلحة يندم لأنه يسكت عن الذين ظلموا سيدنا عثمان وخرجوا عليه وألّبوا الناس عليه، فكان الزبير يحسّ في قرارة نفسه أنه مقصر في حق سيدنا عثمان فلم يدافع عنه كما كان يجب ولم يقف في طريق السبئية ومثيري الفتنة، فلما أن قتل المجرمون سيدنا عثمان حزّ في نفس الزبير ألماً وحسرة فخرج يطالب بدمه وكان يتمنىٰ أن ينال المتاعب والمشاق عسىٰ أن تكون كفارة لقعوده وقصوره عن نصرة سيدنا عثمان بل كان يتمنىٰ أن يُسفك دمه كما سُفك دم عثمان رضي الله عنهما عسىٰ أن يكون بذلك قد كفّر عن إثم القعود.

ولقد أخرج الحافظ أبو نعيم الأصفهاني من طريق محمد بن إسحاق السراج ثنا محمد بن الصباح أخبرنا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال: قال طلحة يوم الجمل: اللهم! إن كنا هادنّا في أمر عثمان رضي الله عنه وإنا لا نجد من الممانعة اللهم فخذ لعثمان مني حتىٰ يرضىٰ. (كتاب الإمامة ٣٢٧/ح ١٣٤).

قلنا: وهؤلاء الرواة ثقات والله تعالى أعلم.

٤ ـ كانت السيدة عائشة رضي الله عنها والزبير وطلحة رضي الله عنهما ينوون الإصلاح بين الناس، وكان اعتقادهم الراجح أن الناس يستحون من منزلة أم المؤمنين فيهدؤون =

= ولا يتنازعون والفتنة كانت علىٰ أوجها بين أهل البصرة كما تصف الرواية الصحيحة الإسناد عند خليفة ابن خياط في تأريخه (١٨٢) عن أبي رجاء العطاردي: أتيت طلحة بن عبيد الله وقد غشيه الناس وهو علىٰ دابته فجعل يقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتون فقال: أف أف فراش نار وذبان طمع.

وكانت السيدة عائشة ترىٰ أنها بمنزلتها في قلوب المسلمين فهي أمهم بنص كتاب الله كما في (مغازي الزهري/ ١٥٤) أن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً. ويؤيد رواية الزهري هذه ما ذكرنا من رواية أحمد الصحيحة من أن الزبير حثّها علىٰ عدم الرجوع عسىٰ أن يراها الناس فيصلح الله بها بينهم.

٥ ـ كان خروج سيدنا علي رضي الله عنه قاصداً الكوفة ولكن عند وصوله إلىٰ ذي قار علم بالاضطراب الشديد الحاصل في البصرة كما وصفت رواية خليفة السابقة، وخشي أمير المؤمنين علىٰ أن تحدث فتنة أعظم من الفتنة في عهد سيدنا عثمان فقصد البصرة من ذي قار ومعه أهل الكوفة، والروايات الصحيحة تؤكد أن الطرفين كانا حريصين كلّ الحرص علىٰ تجنب القتال وحلّ المسألة سلمياً، ولكن قتلة عثمان ومثيري الفتنة كالسبئية وغيرهم لم يرق لهم الصلح فحرّضوا بين الطرفين وهكذا اشتعل القتال كما تؤكد المصادر التأريخية الموثوقة ومع ذلك بقي أعيان الصحابة وعلىٰ رأسهم علي وطلحة والزبير وعائشة موقف المدافع قدر الاستطاعة خشية إراقة المزيد من الدماء، ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله: (ثم إن القتلة أحسوا باتفاق الأكابر، فأثاروا الفتنة، وبدؤوا بالحملة علىٰ عسكر طلحة والزبير وقالوا لعلي: إنهم حملوا قبل ذلك، فقاتل كل من هؤلاء وهؤلاء دفاعاً عن نفسه، ولم يكن لعلي ولا طلحة والزبير غرض في القتال أصلاً وإنما كان الثأر من قتلة عثمان) (منهاج السنة ٦/ ٤٦٦).

٦ ـ ولم يكن أحد من الطرفين مدافعاً عن قتلة عثمان أو صحباً لهم وإنما كانا يدعوان علىٰ هؤلاء القتلة علماً منهما بأنهما هم أساس الفتنة، كما أخرج الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٥٥) بسند صحيح عن محمد ابن الحنفية قال: (بلغ علياً: أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد، قال: فرفع يديه حتىٰ بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل. قال مرتين، أو ثلاثاً).

٧ ـ لم يكن لأحد من الطرفين من الصحابة رغبة في القتال وأثناء المعركة كان أحدهم يتمنىٰ أن يقتل مظلوماً، وبعد انتهاء المعركة القصيرة التي دامت لفترة ما بين الظهر وغروب الشمس تألم الطرفان ألماً شديداً، فالقتال لم يكن هدفهم وإنما الصلح كان هدف الطرفين وما كان بحسبان الطرفين أن الأمر سيصل إلىٰ القتال ولكن مثيري الفتنة أشعلوا القتال بين الطرفين فقتل من قتل وكان أمر الله قدراً مقدوراً. =

= فقد أخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة بسند صحيح (٢/ ٥٨٩) عن قيس بن عباد رضي الله عنهم قال: قال علي رضي الله عنه لابنه الحسن يوم الجمل: يا حسن ليت أباك مات من عشرين سنة، قال فقال له الحسن: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا، قال: يا بني لم أر الأمر يبلغ هذا.
وأخرجه كذلك ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٢) وجوّد الهيثمي إسناده (المجمع ٩/ ١٥٠) أي أنه لم يكن يظن أن الأمر يصل إلىٰ درجة القتال واقعاً بين الطرفين.
وكذلك بالنسبة للطرف الآخر فقد أخرج البزار في البحر الزخار (٣/ ١٩٠) وأحمد في (المسند ١/ ١٦٥) عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: قلنا للزبير - يعني في قصة الجمل -: يا أبا عبد الله ما جاء بكم؟ ضيعتم الخليفة الذي قتل - يعني: عثمان - بالمدينة، ثم جئتم تطلبون بدمه - يعني: بالبصرة - فقال الزبير: إنا قرأنا علىٰ عهد رسول الله ﷺ ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (لم نكن نحسب أنّا أهلها حتىٰ وقعت منا حيث وقعت). وكذلك أخرج الطبري في تفسيره (٩/ ٢١٨) عن الحسن البصري قال: (قال الزبير: لقد خوفنا بهذه الآية ونحن مع رسول الله ﷺ وما ظننا أن خصصنا بها).
وهاتان الروايتان تبين لنا أمرين: الأول: أن الزبير رضي الله عنه لم يكن هدفه القتال حين خروجه صوب البصرة - والأمر الثاني: أن الزبير أكد أنه لم يكن من المجموعة (الخاصة) التي شاركت في فتنة عثمان وإنما كان من (العامة) الذين لم يظلموا سيدنا عثمان في حقيقة الأمر.
الطابع الدفاعي للمعركة:
بعد ما تبيّن لنا نوايا الطرفين وأنهما ما كانا يقصدان القتال، ولم يكونا يتوقعان ذلك يوماً من الأيام نقول:
لعلّ أحد المبتدعة يقول فلماذا إذاً تقاتلوا؟ فنقول وبالله التوفيق: إن قيادة الجيشين من الصحابة ومن معهم من التابعين كانوا يتحاشون القتال قدر المستطاع ولكن مثيري الفتنة، والسبئية، وقتلة عثمان حرّشوا بين الصفين وحملوا عليهما فبدأ القتال الذي لم يتمناه علي ولا طلحة ولا الزبير ولا عائشة، وحتىٰ الذين كانوا مع السيدة عائشة رضي الله عنها قاتلوا دفاعاً عنها لأنها أم المؤمنين وبقية مما ترك رسول الله ﷺ.
والحديث الذي أخرجه الطبري في تأريخه خير دليل علىٰ كلامنا هذا؛ فقد أخرج (٤/ ٥٠٣) عن حجير بن ربيع (وهو تابعي جليل) أنه قال: قال لي عمران بن حصين سر إلىٰ قومك أجمع ما يكونون فقم فيهم قائماً فقل: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ يقرأ عليكم السلام ورحمة الله، ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبداً حبشياً مجدّعاً يرعىٰ أعنزاً حضينات في رأس جبل حتىٰ يدركه الموت أحبّ إليّ من أن يرمى بسهم واحد بين الفريقين؛ قال: فرفع شيوخ الحيّ رؤوسهم إليه، فقالوا: إنا لا ندع ثقل رسول الله ﷺ لشيء أبداً. وإسناده حسن صحيح. =

= وهذا يعني: أن قبيلة حجير بن ربيع لم يصبروا علىٰ أن يروا هودج أم المؤمنين يضرب بالنبال وهم ساكتون فأرادوا أن يدفعوا عنها وأقسموا علىٰ ذلك وإن كان ذلك غالي الثمن من حياتهم، فهي رخيصة عندهم دفاعاً عن زوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة.
ولقد ذكرنا مراراً في أماكن أخرىٰ: أن سيدنا علياً رضي الله عنه اتبع كل وسيلة لمنع حدوث القتال بين الصفين، وكذلك السيدة عائشة عندما أرسلت قاضي البصرة ودفعت إليه بمصحف فوقف بين الصفين ليوقف القتال ولكن جاء أجله فرحمه الله.
٨ ـ ولم يتوانَ الطرفان في بذل كافة مساعيهم الحميدة لمنع حدوث المصيبة باقتتال المسلمين حتىٰ قبل المعركة بلحظات لم يتوقف كل طرف من محاولة تهدئة الآخر خشية وقوع ما لا يحمد عقباه من الاقتتال، كما فعل أمير المؤمنين علي مع الزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم ولم يمنعه منصبه كإمام عام للمسلمين أن يحاورهم بنفسه عسىٰ أن يستنقذ ولو نفساً واحدة من القتال؛ فيلقىٰ الزبير ويحاوره ويستجيش في نفسه معاني الأخوة الإيمانية والسمع والطاعة فيقنع الزبير ويخرج من ساحة المعركة قبل بدء القتال. كما قال الحافظ ابن حجر: روىٰ ابن أبي خيثمة في (تأريخه) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ قال: (إنا لمع علي لما التقىٰ الصفان فقال: أين الزبير؟ فجاء فجعلنا ننظر إلىٰ يد علي يشير بها؛ إذ ولّى الزبير قبل أن يقع القتال).
وكما أخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا علي بن عاصم عن حصين عن عمرو بن جأوان عن الأحنف قال: لما انحاز الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع (تأريخ خليفة/ ١٨٦) ورجاله ثقات غير عمرو بن جأوان فقد وثقه ابن حبان وروىٰ له النسائي وقال الذهبي: ثقة.
وكذلك أخرج يعقوب بن سفيان في المعرفة والتأريخ (٣/ ٤٠١) من طريق عمرو بن جأوان قال: (فانطلق الزبير منصرفاً فقتله عمرو بن حرموز بوادي السباع)... وحتىٰ في لحظة الالتحام العصيبة لم يكلّ الطرفان عن محاولاتهم الإصلاحية السليمة ولما أن أيقن سيدنا علي: أن القتال واقع لا محاولة حاول أن لا يكون جيشه هو البادئ بالقتال فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٨٦) عن زيد بن وهب قال: (فكف علي يده حتىٰ بدؤوه بالقتال)... إلخ الخبر. وصحح ابن حجر إسناده في الفتح (١٣/ ٦٢): وحتىٰ في لحظة الالتحام العصيبة لا يكلّ الطرفان من حيث الجانب المقابل بالتوقف عند هذا الحد فقد أخرج يعقوب بن سفيان عن عمرو بن جأوان قال: (لما التقوا قام كعب بن سور ومعه المصحف ينشدهم الله والإسلام فلم ينشب أن قتل) (المعرفة والتأريخ ٣/ ٣١٢). وأخرجه خليفة بن خياط موصولاً عن عمرو قال: سمعت الأحنف بن قيس (تأريخ خليفة/ ١٨٥) كما سنذكر بعد قليل.
٩ ـ كثرت الروايات الضعيفة في تحديد عدد الجيش الذي كان مع علي رضي الله عنه ولكنّا وجدنا أصح رواية هي ما أخرجه الطبري (٤/ ٥٠٥) عن محمد ابن الحنفية قال: أقبلنا من=

= المدينة بسبعمئة رجل ، ورحل إلينا من الكوفة سبعة آلاف وانضم إلينا من حولنا ألفان أكثرهم بكر بن وائل . وإسناده حسن.

ووقعت المعركة بقدر الله دون أن يكون في حسبان علي ، وعائشة ، وطلحة ، والزبير رضي الله عنهم أجمعين وكان وقت بدء المعركة بعد الظهر وانتهت قبل غروب الشمس فكانت معركة قصيرة . كما أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٨٦) عن زيد بن وهب قال: فكف علي يده حتى بدؤوه بالقتال فقاتلهم بعد الظهر ، فما غربت الشمس وحول الجمل أحد فقال علي: لا تتموا جريحاً ولا تقتلوا مدبراً ، ومن أغلق بابه وألقىٰ سلاحه فهو آمن. وصحح الحافظ إسناده في الصحيح (١٣/ ٦٣).

١٠ ـ وكان أول قتيل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه كما أخرج خليفة بن خياط قال: فحدثنا علي بن عاصم قال: حدثنا حصين قال: حدثني عمرو بن جأوان قال: سمعت الأحنف بن قيس قال: لما التقوا كان أول قتيل طلحة بن عبيد الله ، وخرج كعب بن سور من البصرة معه المصحف ناشره بين الصفين يناشد الناس في دمائهم فقتل وهو بتلك الحال (تأريخ خليفة/ ١٨٥) ورجاله ثقات غير عمرو بن جأوان وثقه ابن حبان وروىٰ له النسائي وقال الذهبي: ثقة.

وكم كان عدد القتلىٰ من الطرفين؟ نقول: بالغت الروايات التأريخية في عدد القتلى كما بالغت في عدد الجيشين ولقد ذكرنا أصح رواية في تعداد جيش علي رضي الله عنه (٩٧٠٠ مقاتل) وأما عن القتلىٰ فلم نجد رواية يحتج بها لتحديد العدد فكلها روايات ضعيفة أو ضعيفة جداً ، إلا أن خليفة بن خياط ذكر أسماء القتلىٰ فكانوا مئة ونرجح ألا يزيد العدد عن المئة بكثير نظراً لقصر الفترة الزمنية التي استغرقتها المعركة فلم تدم إلا ساعات ما بين الظهر وغروب الشمس ، وللأستاذ خالد الغيث تحليل نفيس يصل في نهايته إلى أن عدد القتلى كان ضئيلاً جداً لأسباب: منها تحرج كل فريق من القتال لما يعلمون من عظم حرمة الدم المسلم ، وقياساً بعدد شهداء المسلمين في معارك الفتوحات فكانت في اليرموك مثلاً ثلاثة آلاف شهيد وكانت في القادسية ثمانية آلاف وخمسمئة شهيد علماً بأنها استمرت عدة أيام وأخذاً بعين الاعتبار شراسة معارك الفتوح وحدّتها أما هذه فكانت قصيرة ، ويخلص في نهاية الأمر إلى أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المئتين وهذا هو الرقم الذي ترجح عندي من خلال الحيثيات السابقة (استشهاد عثمان/ ٢١٥/ بتصرف).

١١ ـ وما هي إلا ساعات حتى انفض الجمع المقاتل ولم يبق حول هودج عائشة رضي الله عنها أحد بحلول الغروب كما سبق.

وحرصاً من أمير المؤمنين علي (وهو القائد المنتصر ميدانياً) نقول: حرصاً منه على حقن دماء المسلمين أصدر أوامره بعدم ملاحقة المنسحبين من ساحة المعركة وعدم إيذاء الجرحى ، =

= وخير شهادة على ذلك من كان في الطرف الآخر (أصحاب عائشة، وطلحة ، والزبير رضي الله عنهم أجمعين).
فقد أخرج الشافعي في الأم (٤/ ٢١٦) عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: دخلت على مروان بن الحكم فقال: ما رأيت أحداً أكرم غلبة من أبيك ـ يعني: علياً ـ ما هو إلاّ أن ولّينا يوم الجمل فنادى مناديه: لا يقتل مدبر ، ولا يذفف على جريح.
وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ١٨٦) خبراً وفيه: (فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ، فقال علي: لا تتموا جريحاً ولا تقتلوا مدبراً ، ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن).
وصحح ابن حجر إسناده في الفتح (١٣/ ٦٢) وباعتقادنا أن هذه التعليمات التي أصدرها الخليفة الراشد كانت سبباً آخر من أسباب ضآلة القتلى ، والله تعالى أعلم.
١٢ ـ ونعود مرة أخرى لنثبت: أن الجمعين لم يكونوا راغبين في القتال وإلاّ قولوا لنا بربكم: ماذا يكون شعور القائد بعد أن تكون له الغلبة؟ يفرح، وينتشي ، ولكن علياً كرّم الله وجهه يحزن حزناً لا يقل عن حزن الطرف المقابل فيأتيه قاتل الزبير رضي الله عنه عمرو بن جرموز ويتصور أن سيدنا علي سيقلده نوط شجاعة (كما يقال في عصرنا هذا) ولكن سيدنا عليّاً يبشره بنار جهنم كما أخرج الترمذي في سننه (٥/ ٦٤٦) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٦٧) (بشر قاتل ابن صفية بالنار) (مرفوعاً). وصحح الحافظ إسناده في الفتح (٦/ ٢٦٤) وكما يقول ابن حجر: فقتله عمرو بن جرموز وجاء إلى علي متقرباً بذلك فبشره بالنار (الفتح ٧/ ١٠٢)
ويكفي الزبير: أنه خرج من أرض المعركة قبل نشوبها وفرّ بدينه الذي كان أكبر همه كي لا يموت ظالماً في الفتنة ، وكانت أمنيته أن يموت مظلوماً عسى ألا يبوء بالإثم ، كما أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير (الفتح ٦/ ٢٦٢) قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني ، فقمت إلى جنبه فقال: يا بني لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم وإني لا أراني إلا سأقتل مظلوماً وإن أكبر همي لديني.
ونحن نقول (والله أعلم): ولعلّ الذين ماتوا ظالمين في هذه المعركة هم قتلة عثمان الذين حرّضوا على القتال والفتنة من السبئية أو غيرهم والله أعلم.
ولم يكن علي رضي الله عنه حزيناً على الزبير فحسب الذي امتنع بكلامه وانسحب فقتل مظلوماً وهو ينجو بنفسه من الفتنة ، نقول: بل كان حزيناً أيضاً على كل من قتل كما كان حريصاً على دم كل مقاتل من الطرفين وما أن وقف متأملاً ما آلت إليه المعركة بعد انجلاء غبارها.
حدّث سليمان بن صرد قال: جئت إلى الحسن فقلت: اعذرني عند أمير المؤمنين حيث لم أحضر الوقعة ـ يعني: الجمل ـ فقال الحسن: ما يصنع بهذا؟ لقد رأيته يلوذ بي وهو يقول: (يا حسن ليتني متُّ قبل هذا بعشرين سنة) وقال البوصيري: رجاله ثقات (المطالب العالية ٤/ ٣٠٢) وعندما تفقد قتلى الجانبين بعد انتهاء المعركة وجد من بينهم كعب بن سور (قاضي =

= البصرة والذي كان يدافع عن عائشة ويطلب الصلح معاً) يقول: عندما رأى علي رضي الله عنه جثته قال: والله إنك ـ ما علمت ـ كنت لصليباً في الحق قاضياً بالعدل وكيت وكيت فأثنى عليه. (الطبري ٤/ ٥٢٨) قسم الصحيح.

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها كلما تذكرت المعركة تألمت، وكما أخرج الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٢) كانت رضي الله عنها إذا قرأت: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ بكت حتى يبتلّ خمارها. وكما أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٨١) أنها قالت: وددت أني كنت غصناً رطباً ولم أسر مسيري هذا، وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٨) أنها رضي الله عنها قالت: وددت أني كنت جلست كما جلس أصحابي.

وأخرج الذهبي من طريق ابن علية عن أبي سفيان بن العلاء المازني عن أبي عتيق قال: قالت عائشة: إذا مرّ ابن عمر فأرونيه فلما مر قيل لها: هذا ابن عمر، قالت: يا أبا عبد الرحمن! ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً قد غلب عليك وظننت أنك لا تخالفيه (يعني: ابن الزبير) قالت: أما أنك لو نهيتني ما خرجت (تعني: مسيرها في فتنة يوم الجمل).

١٣ - وفي خضم المعركة تنخلع قلوب المؤمنين لهودج أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ ويخشون أن يقتلها من لا يعرف قدر أم المؤمنين عائشة من السبئيين وقتلة عثمان ومن اغترّ بهم من حديثي الإسلام ضعاف الإيمان، فيحوط الفرسان الشجعان بهودج أمهم ويمسكون بخطام الناقة ولا يهمهم أن يسقطوا صرعى دون أمّهم رضي الله عنها وأرضاها وهذا أثناء المعركة، ولقد سبق أن تحدثنا عن هذا قبل قليل (الطبيعة الدفاعية للمعركة).

وأما بعد انتهاء المعركة وسقوط المدافعين من حول الهودج وانقضاض البقية يأتي دور الطرف المقابل، فيسارعون إلى هودج أمهم بعد عقر الجمل إيذاناً بانتهاء المعركة، ولتطمئن أم المؤمنين، فليس الأعيان في الأبطال في الطرف الآخر بأقل حمية وغيرة ودفاعاً عن أمهم أم المؤمنين رضي الله عنها، ومع كل ما حصل لم يزد أصحاب علي على أن عاتبوها عتاباً ندياً، واعتذروا إن كان بدر من أحد المقاتلين (الذين لا يعرفون قدرها) كلاماً يسوؤها ويشترون لها ناقة ويرجعونها معززة مكرمة.

فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٨٥/ ح ١٩٦٧٧) عن عبد الرحمن ابن أبزى حديثاً فيه: (انتهى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى عائشة يوم الجمل وهي في الهودج فقال: يا أم المؤمنين! أتعلمين أني أتيتك عندما قتل عثمان فقلت: ما تأمريني؟ فقلت: الزم علياً، فسكتت. فقال: اعقروا الجمل فعقروه، فنزلت أنا وأخوها محمد فاحتملنا هودجها فوضعناه بين يدي علي، فأمر بها فأدخلت بيتاً) اهـ.

وجوّد الحافظ إسناده (الفتح ١٣/ ٦١) وفي رواية الطبري التي ذكرنا في قسم الصحيح (٤/ ٥٣٧) ودخل القعقاع بن عمرو على عائشة في أول من دخل، فسلّم عليها فقالت: إني رأيت رجلين بالأمس اجتلدا بين يدي وارتجزا بكذا فهل تعرف كوفيك منهما؟ قال: نعم ذاك=

= الذي قال (أعق أمٍّ نعلمُ) وكذب والله ! إنك لأبرُّ أمٍّ نعلمُ . . . الخبر.
وكما تذكرت السيدة عائشة وهي في خضم الأحداث قول الرسول الحبيب ﷺ : «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب» فتنوي الرجوع من لحظتها ، وكذلك سيدنا علي رضي الله عنه يرجع أم المؤمنين إلى مأمنها في المدينة وهو يتمثل أمر رسول الله ﷺ كما أخرج البزار (كشف الأستار ٤/ ٩٣) وأحمد (٦/ ٣٩٣) عن أبي رافع رضي الله عنه قال لعلي بن أبي طالب: «سيكون بينك وبين عائشة أمر». قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله؟ قال: «لا ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها». وحسّن الحافظ إسناده في الفتح (١٣/ ٦٢).
وماذا عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه؟ والذي كان من أوائل أصحاب علي رضي الله عنه والمدافعين عن موقف أمير المؤمنين ماذا يقول للسيدة عائشة التي وقفت في الطرف المقابل:
أخرج الطبري في تأريخه (٤/ ٤٤٥) عن أبي يزيد المديني أنه قال: قال عمّار بن ياسر لعائشة رضي الله عنها ـ حين فرغ القوم ـ: يا أم المؤمنين ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عُهد إليك! قالت: أبو اليقظان! قال: نعم ، قالت: والله إنك ما علمت قوّال بالحق ، قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك . وصحح الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (١٣/ ٦٣) ولفظه في الفتح [ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليكم يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾].
سبحان الله مع كلّ ما لحق بها وبأصحابها من أذى لا يمنعها من الإقرار بالحق وإعطاء كل ذي حق حقه.
وأخيراً نقول: هكذا تصور لنا الروايات الصحيحة التأريخ الإسلامي العظيم فماذا يقول أعداء هذا التأريخ؟! هذا ما سنبحثه مختصراً في الأسطر التالية:

ردّ شبهات بروكلمان حول معركة الجمل

لقد ذكرنا قبل قليل ما بينت الروايات الصحيحة من معالم معركة الجمل وكيف: أن هذه الروايات الصحيحة تؤكد عدالة الصحابة وصدقهم على ما عاهدوا عليه ، وتحرّيهم الأفضل والأولى وإن كلفهم ذلك غالياً. وأظن أن الذي (يراجع خاتمة المطاف فيما ورد في معركة الجمل) ينشرح صدره لما يقرأ من تأريخ الخلافة الراشدة وسيرة الصحابة الأجلّاء رضي الله عنهم.
ولكن من يقرأ كتابات المستشرقين ومن تبعهم من المتغرّبين يسمع العجب العجاب ، وكعادتهم فإن المستشرقين يعتمدون كثيراً على الروايات المكذوبة أو الضعيفة جداً ليطعنوا في تأريخ الخلافة الراشدة ، وأحياناً يختلقون أموراً وتفاصيل لم نجدها حتى في الروايات الضعيفة ، ولا نريد أن نطيل أكثر ، وسنقتصر على مقاطع من كتاب تأريخ الشعوب الإسلامية للمستشرق الألماني المعروف بروكلمان ، فكتاباته ليست عنّا ببعيد:
١ ـ يقول بروكلمان: (ولم يكن لعلي جيش في المدينة (يثرب) ومن هنا تعين عليه أن يغادرها=

= أيضاً ففي تشرين الأول سنة ٦٥٦ سار إلى العراق يصحبه مئة رجل تقريباً) (تأريخ الشعوب الإسلامية ١١٦).

وللرد على هذه الفرية والتزييف نقول للمعجبين بآراء بروكلمان: أما قول بروكلمان لم يكن لعلي جيش في المدينة، ومن هنا تعين عليه أن يغادرها. فباطل لا أساس له وإجماع أهل المدينة على بيعته وبضمنهم طلحة والزبير خير دليل على كثرة جيوشه وأتباعه وأعوانه.

ولا أدري لماذا حاول بروكلمان وأمثاله أن يقلبوا الحقائق ويجعلوا من المفخرة شبهة . . . إن الناقد المنصف يعلم جيداً أن سيدنا علياً بخروجه من المدينة المنورة وتوجهه نحو العراق يكون معرضاً أكثر لمن يتربص به من السبئية ومثيري الفتنة ومن حولهم، ولكنه يفعل ذلك حفاظاً على أمن الخلافة الإسلامية فينتقل بالعاصمة إلى الكوفة ذلك البلد الذي لم يمض على تمصيره عشر سنوات ومعظم أهله من قبائل اليمن لا الحجاز وهو يعلم أن ذلك سيكلفه غالياً، ولكن ماذا نقول لمن لبس نظارة سوداء فلمح الصفحات البيضاء من تأريخ الخلافة الراشدة وكأنها سوداء؟ إلا أنه الحقد على الإسلام والجهل بحقائقه. وحتى ندعم كلامنا بالرواية نقول: أخرج أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٦٩٤) عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى ينبع عائداً لعلي بن أبي طالب فقال له: يا أبا الحسن! ما يقيمك بهذا البلد إن أصابك أجلك لم يلك إلاّ أعراب جهينة، فلو احتملت إلى المدينة فأصابك أجلك وليك أصحابك فصلّوا عليك، فقال: يا أبا فضالة! إن رسول الله ﷺ عهد إليّ أن لا أموت حتى أوقر ثم تُخضب هذه ـ يعني: لحيته ـ من هذه ـ يعني ناصيته ـ) وحسَّن المحقق إسناده وأخرجه المحب الطبري (الرياض النضرة ٣/ ٢٢٨) فماذا يقول الأستاذ بروكلمان؟!

وأما قول (بروكلمان): ففي تشرين الأول سنة (٦٥٦) سار إلى العراق بصحبة مئة رجل تقريباً . . . فلا والله ما أنصف بل ظلم الحقيقة فجهلها أو تجاهلها. ولقد سبق أن ذكرنا رواية محمد ابن الحنفية، وسنعيد ذكرها هنا دحضاً لهذا التزييف وهذا الحطّ من مكانة الخليفة الراشد الرابع رضي الله عنه وأرضاه.

فقد أخرج الطبري في تأريخه (٤/ ٥٠٥) عن محمد ابن الحنفية قال: أقبلنا من المدينة بسبعمئة رجل. وإسناده حسن فلا أدري ماذا فعل بروكلمان بـ (٦٠٠ رجل) حذفهم من العدد الأصلي (٧٠٠) ولم يذكر إلا مئة!! وهكذا تثبت لنا نعمة الإسناد أنه رضي الله عنه خرج من المدينة يصحبه سبعمئة رجل لا مئة والحمد لله أولاً وآخراً.

ويقول بروكلمان واصفاً خروج الصحابي الجليل الزبير بن العوام من البصرة قائلاً: (وقُتِلَ فيما هو يفر). ويبدو أنه لا يفهم القيم التي آمن بها أولئك الرعيل الأول، فالزبير لم يفرّ وإنما اقتنع بكلام سيدنا علي، وخشي أن يكون آثماً في خروجه وتبيّن له أن علياً على صوابٍ فانحاز وانصرف، ولو كان خروجه بعد المعركة لكان لقول بروكلمان احتمال ولو ضعيفاً،

ذكر ما كان من خبر الخوارج
عند توجيه علي الحكم للحكومة وخبر يوم النهر

٢٧٠ ـ قال أبو مخنف: حدثني الأجلح بن عبد الله، عن سلمَة بن كُهَيل، عن كثير بن بَهْز الحضرميّ، قال: قام عليّ في الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجلٌ من جانب المسجد: لا حكمَ إلا لله، فقام آخرُ فقال مِثلَ ذلك، ثم تَوالَى عدّة رجال يحكّمون، فقال عليّ: الله أكبر؛ كلمة حقّ يلتمس بها باطل! أما إنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجدَ الله أن تذكروا فيها اسمَه، ولا نمنعكم الفيءَ ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا؛ ثم رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته(١). (٥ : ٧٣).

= ولكن الرواية التي ذكرنا في قسم الصحيح بينت أنه رضي الله عنه انصرف قبل وقوع المعركة فهل هذا الفرار جبناً أم فرار بالدين يا بروكلمان؟!

ويقول بروكلمان: (ولم يكادوا يبلغون البصرة حتى فتكوا غدراً بأميرها الذي آثر أن ينتظر الأمر من علي على أن ينضم إليهم حتى إذا وقفوا إلى السيطرة على المدينة [البصرة] نشب الخلاف بين طلحة والزبير) (تأريخ الشعوب الإسلامية/ ١١٥).

ويا عجباً لبروكلمان كيف يقلب الحقائق ؟! ويا ليته اعتمد على الروايات الضعيفة، فإنها لم تذكر أن طلحة والزبير رضي الله عنهما فتكا بأمير البصرة غدراً، فالرواية التي رواها التالف الهالك أبو مخنف ذكرت أنهم أرادوا أن يقتلوه ولكن لم يفعلوا، والرواية الضعيفة الثانية وهي رواية سيف تذكر أنهم نتفوا لحيته فبلغ الأمر للسيدة عائشة فأمرت بإطلاق سراحه، والرواية الأصح من هاتين تذكر أن أصحاب الزبير وطلحة أوقفوا أمير البصرة ليس إلاّ، فمن أين جاء هذا الزعم بأنهم قتلوه؟ لا ندري!!

وأما قول بروكلمان: (حتى إذا وقفوا إلى السيطرة على المدينة) فغير صحيح كما تبيّن لنا من الروايات الصحيحة، بل لم يتحقق أملهم في استتباب الأمن في البصرة، وكان أهل البصرة انقسموا إلى مؤيد للخليفة، أو مؤيد للمطالبين بدم عثمان، أو معتزل الموقف لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

وأما قوله: (نشب الخلاف بين طلحة والزبير) فهذا أمر ذكرته الروايات الضعيفة التي رواها مجهول الحال شعيب عن شيخه الضعيف سيف، ولم ترد رواية صحيحة (فيما نعلم) لإثبات ما يقوله بروكلمان.

والحمد لله على نعمة الإسناد.

(١) في إسناده أبو مخنف وهو هالك، ولكن لمتنه ما يشهد له فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه=

٢٧١ ـ حدّثنا أبو كُريب ، قال: حدّثنا ابن إدريس ، قال: سمعت إسماعيل ابن سَميع الحنفي؛ عن أبي رَزين ، قال: لما وقع التحكيم ورجع عليّ من صِفين رجعوا مُباينين له ، فلمّا انتهوْا إلى النَّهر أقاموا به ، فدخل عليّ في الناس الكوفة ، ونزلوا بحَرُوراء ، فبعث إليهم عبدَ الله بن عباس ، فرجع ولم يصنع شيئاً ، فخرج إليهم عليّ فكلّمهم حتى وقع الرِّضا بينه وبينهم ، فدخلوا الكوفة ، فأتاه رجل فقال: إنّ الناس قد تحدّثوا أنك رجعتَ لهم عن كُفرك. فخطب النَّاس في صلاة الظهر ، فذكر أمرَهم فعابه؛ فوثبوا من نواحِي المسجد يقولون: لا حُكمَ إلا لله. واستقبله رجل منهم واضع إصبعيه فِي أذنيه ، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فقال عليّ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[1] . (٥/ ٧٣/ ٧٤) .

٢٧٢ ـ حدّثنا أبو كُرَيب ، قال: حدّثنا ابن إدريس ، قال: سمعت ليثَ بن أبي سُليم يذكر عن أصحابه ، قال: جعل عليّ يقلّب يديه يقول يديه هكذا وهو على المنبر ، فقال: حُكْمُ الله عزّ وجلّ يُنتَظر فيكم مرّتين ، إنّ لكم عندنا ثلاثاً: لا نمنعكم صلاةً في هذا المسجد ، ولا نمنعكم نصيبَكم من هذا الفيْء ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتِلونا[2] . (٥: ٧٤) .

٢٧٣ ـ حدّثني يعقوب ، قال: حدّثني إسماعيل ، قال: أخبرَنا أيُّوب عن حُميد بن هلال ، عن رجل من عبد القيس كان من الخوارج ثم فارقهم ، قال: دخلوا قريةً ، فخرج عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله ذَعِراً يجرّ رداءه ، فقالوا: لم تُـرَعْ؟ فقال: والله لقد ذَعَرْتموني! قالوا: أأنت عبد الله بن خبّاب

= (١٥/ ٣٢٧) عن كثير بن نمير قال: بينا أنا في الجمعة وعلي بن أبي طالب على المنبر إذ جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله ، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله ثم قاموا من نواحي المسجد يحكمون الله فأشار عليهم بيده: اجلسوا نعم لا حكم إلا لله ، كلمة حق يبتغى بها باطل ، حكم الله ينتظر فيكم ، الآن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا ، لن نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، ولا نمنعكم فيئاً ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتلوا ثم أخذ في خطبته. وإسناده حسن.

(١) إسناده حسن فقد أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي رزين في مصنفه (١٥/ ٣١٣) ولفظه: (ولما وقع الرضا بالتحكيم ورجع علي إلى الكوفة اعتزلت الخوارج بحروراء . . . الخبر).

(٢) انظر الرواية السابقة والتي قبلها.

صاحب رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم؛ قالوا: فهل سمعتَ من أبيك حديثاً يحدِّث به عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنةً ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي؟ قال: فإن أدركتم ذلك فكن يا عبدَ الله المقتول ـ قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال: «ولا تكن يا عبد الله القاتل» ـ قال: نعم؛ قال: فقدّموه على ضِفّة النهر ، فضربوا عنقَه ، فسال دمُه كأنه شِراكُ نعل ، وبَقَروا بطنَ أمّ ولده عمّا في بطنها[1]. (٥ : ٨١) .

٢٧٤ ـ قال أبو مخنف عن عطاء بن عجلان ، عن حُميد بن هلال: إنّ الخارجة التي أقبلتْ من البصرة جاءت حتى دنتْ من إخوانها بالنَّهر ، فخرجتْ عِصابة منهم ، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار ، فعبروا إليه ، فدعوه فتهدّدوه وأفزعوه ، وقالوا له: مَن أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خبّاب صاحبُ رسولِ الله ﷺ ، ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض ـ وكان سقط عنه لما أفزعوه ـ فقالوا له: أفزعناك؟ قال: نعم؛ قالوا له: لا رَوْع عليك! فحدِّثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبيّ ﷺ ، لعلّ الله ينفعنا به! قال: حدّثني أبي ، عن رسول الله ﷺ : «أنّ فتنةً تكون ، يموت فيها قلبُ الرجل كما يموتُ فيها بدنُه ، يمسِي فيها مؤمناً ويصبحُ فيها كافراً ، ويصبح فيها كافراً ويمسِي فيها مؤمناً» ، فقالوا: لهذا الحديث سألناك ، [فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنَى عليهما خيراً ، قالوا: ما تقول في عثمانَ في أوّل خلافتِه وفي آخرِها؟ قال: إنه كان محقّاً في أوّلها وفي آخرها؛ قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنه أعلم بالله منكم ، وأشدّ توَقِّياً على دينه ، وأنفذُ بصيرةً. فقالوا: إنك تتّبع الهوى ، وتُوالِي الرّجال على أسمائها لا على أفعالها] ، والله لنقتلنّك قِتلة ما قتلناها أحداً ، فأخذوه فكَتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حُبلى مُتِمٌّ حتى نزلوا تحت نَخْلٍ مَواقر ، فسقطتْ منه رطبةٌ ، فأخذها أحدهم فقذف بها في فمه ، فقال أحدهم: بغير حلِّها ، وبغير ثمن! فَلَفظها وألقاها من فمه ، ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه ، فمرّ به خنزير لأهل الذمّة فضربَه بسيفه ، فقالوا: هذا فسادٌ في الأرض ، فأتى صاحبَ

(١) إسناده حسن وقد أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٣٢٣) عن أبي مجلز وعن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس (١٥/ ٣١٥) ونسبه الحافظ إلى يعقوب بن سفيان وصحح سنده (الفتح ١٢/ ٢٩٧).

الخنزير فأرضاه من خنزيره ، فلما رأى ذلك منهم ابن خبّاب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليَّ منكم بأس ، إني لَمُسلِم؛ ما أحدثتُ في الإسلام حَدَثاً ، ولقد أمّنتموني ، قلتم: لا رَوْع عليك! فجاؤوا به فأضجَعوه فذَبحوه ، وسالَ دمه في الماء ، وأقبَلوا إلى المرأة ، فقالت: إنيّ إنما أنا امرأة ، ألاّ تتقون الله! فبَقَروا بطنَها ، وقَتلوا ثلاثَ نسوةٍ من طيّئ ، وقتلوا أمَّ سِنان الصيّداويّة ، فبلغ ذلك عليّاً ومن معه من المسلمين مِن قتلهم عبد الله بن خبّاب ، واعتراضهم الناس ، فبعث إليهم الحارثَ بن مرّة العبديّ ليأتيَهم فينظر فيما بلغه عنهم ، ويكتبَ به إليه على وجهه ، ولا يكتمه. فخرج حتى انتهى إلى النهر ليُسائلهم ، فخرج القومُ إليه فقتلوه ، وأتى الخبرُ أميرَ المؤمنين والناس ، فقام إليه الناس ، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين ! عَلَام تَدَع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالِنا! سِرْ بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سِرْنا إلى عدوّنا من أهل الشام. وقام إليه الأشعث بن قيس الكِنْديّ فكلّمه بمثل ذلك. وكان الناس يَرَوْن: أن الأشعث يَرَى رأيَهم لأنه كان يقول يومَ صِفيّن: أنصفنَا قوم يدعون إلى كتاب الله ، فلما أمر عليّاً بالمسير إليهم علم الناس أنه لم يكن يرَى رأيهم. فأجمع على ذلك ، فنادى بالرحيل ، وخرج فعبَر الجسر فصلّى ركعتين بالقنطرة ، ثم نزل ديرَ عبدِ الرحمن ، ثم دير أبي موسى ، ثم أخذ على قرية شاهي ، ثم على دَباها ، ثم على شاطىء الفرات ، فلقيَه في مسيره ذلك منجّم ، أشار عليه بسير وقتٍ من النهار ، وقال له: إن سرتَ في غير ذلك الوقت لقيت أنت وأصحابك ضرّاً شديداً. فخالفه ، وسار في الوقت الذي نهاه عن السير فيه ، فلما فرغ من النهر حمد الله وأثنَى عليه ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجّم لقال الجهّال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره بها المنجِّم فظفر[1]. (٥: ٨١/ ٨٢/ ٨٣).

---

(١) في إسناده أبو مخنف وهو تالف إلا أن لمتنه ما يشهد له كما في الرواية السابقة وشواهدها الصحيحة والله أعلم.

إلاّ أن أبا مخنف زاد في تفاصيل الحادثة وتوحي روايته بأن الناس هم الذين حرّضوا سيدنا علي على قتالهم ، ولعل ذلك حصل من الناس ولكن علياً أعزرهم قبل ذلك وأنذرهم بأنه لا يقاتلهم حتى يقاتلوا أو يحدثوا فساداً فلما فعلوا كان من البديهي أن يقاتلهم ، وهو أفقه من أتباعه فهو من كبار فقهاء الصحابة ومع ذلك فلا ضير في حث أتباعه له على قتال الخوارج =

٢٧٥ ـ وممّا يصحِّحه أيضاً ما حدّثني به عُمارة الأسديّ ، قال: حدّثنا عبيد الله بن موسى ، قال: أخبرنا نعيم ، قال: حدّثني أبو مريم أن شَبَث بنَ رِبْعيّ وابن الكوّاء خرَجَا من الكُوفة إلى حَروراء ، فأمر عليٌّ الناسَ أن يخرجوا بسلاحهم ، فخرجوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم ، فأرسل إليهم: بئسَ ما صنعتمْ حين تدخلون المسجدَ بسلاحكم! اذهَبوا إلى جبّانة مُراد حتى يأتيَكم أمري .

قال أبو مريم: فانطلقْنا إلى جبانة مُراد فكنّا بها ساعة من نهار ، ثم بلغَنا أن القوم قد رجعوا وهم زاحفون. قال: فقلت: أنطلق أنا حتى أنظرَ إليهم ، فانطلقت حتى أتخلّل صفوفَهم ، حتى انتهيت إلى شَبَث بن رِبعيّ وابن الكوّاء وهما واقفان متورّكان على دابّتيهما ، وعندهما رسل عليٍّ وهم يناشدونَهما الله لمّا رجعا بالناس! ويقولون لهم: نعيذكم بالله أن تعجَلوا بفتنة العام خشية عام قابل. فقام رجل إلى بعض رسل عليّ فعقر دابته ، فنزل الرجل وهو يسترجع ، فحمل سرجَه ، فانطلق به وهم يقولون: ما طلبُنا إلا منابذتهم ، وهم يناشدونهم الله ، فمكثْنا ساعة ، ثم انصرفوا إلى الكُوفة كأنه يوم فِطْر أو أضحَى .

قال: وكان عليٌّ يحدّثنا قبل ذلك: أنّ قوماً يَخرجون من الإسلام يَمرُقون

= ففيهم من فقهاء الصحابة الكبار كعبد الله بن عباس حبر الأمة رضي الله عنهم أجمعين ، وكذلك زاد أبو مخنف في روايته: (فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام) فلم ترد عند ابن أبي شيبة ولا في رواية الطبري (٥/ ٨١). والذي يزيدنا شكاً في هذه الزيادة: أن علياً رضي الله عنه كان في هدنة مع معاوية رضي الله عنه فلماذا هذا التذكير بجيش الشام في هذه المناسبة بالذات وتسميتهم بالعدو ، ومن عادة أبي مخنف أن يكيل التهم في رواياته إلى جيش معاوية ويصفهم بأسوأ الألقاب ، والأرجح أن علياً رضي الله عنه كان يرغب في حقن دماء المسلمين فلما رضي الطرفان بتحكيم كتاب الله والهدنة اعتبر علي رضي الله عنه توقف القتال وحقن دماء المسلمين فتحاً كما عند ابن أبي شيبة ، ورواية مسلم في صحيحه تؤكد ما رجحنا وخلاف ما جاء في رواية أبي مخنف (فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا بالشام) بينما رواية مسلم تؤكد: أن علياً هو الذي طلب منهم التوجه إلى قتال الخوارج بدلاً من التوجه إلى قتال الشام كما ذكرنا في قسم الصحيح عند سرد الروايات الواردة في قصة الخوارج ، والله تعالى أعلم.

وكان غير أبي مخنف يقول: كانت الوقعة بين عليّ وأهل النّهر سنة ثمان وثلاثين ، وهذا القول عليه أكثرُ أهل السِّيَر.

من الدين كما يَمرُق السهم من الرميّة ، علامتهم رجل مخْدَج اليد. قال: وسمعتُ ذلك منه مراراً كثيرة ، قال: وسمعه نافع «المخدج» أيضاً حتى رأيته يتكرّه طعامه من كثرة ما سمعه ، يقول: وكان نافع معنا يصلي في المسجد بالنهار ويبيت فيه بالليل ، وقد كنت كسوتُه بُرْنُساً ، فلقيته من الغد ، فسألتُه: هل كان خرج مع الناس الذين خرجوا إلى حَرُوراء؟ فقال: خرجت أريدُهم حتى إذا بلغت إلى بني سعد ، لقيَني صِبيان فنزَعوا سلاحِي ، وتلعّبوا بي ، فرجعت حتى إذا كان الحوْل أو نحوه خرج أهل النّهر ، وسار عليّ إليهم ، فلم أخرج معه وخرج أخي أبو عبد الله. قال: فأخبرني أبو عبد الله: أن عليّاً سار إليهم حتى إذا كان حذاءَهم على شطّ النّهروان أرسل إليهم يناشدُهم اللهَ ويأمرهم أن يرجعوا ، فلم تزل رسُلُه تختلف إليهم ، حتى قَتَلوا رسولَه ، فلما رأى ذلك نهض إليهم فقاتَلَهم حتى فرغ منهم ، ثم أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدَج ، فالتمسوه ، فقال بعضهم: ما نجدهُ ، حتى قال بعضهم: لا ، ما هو فيهم. ثم إنه جاء رجل فبشّره وقال: يا أمير المؤمنين! قد وجدناه تحت قَتيلين في ساقِيَة. فقال: اقطَعوا يدَه المخدَجة ، وائتُوني بها ، فلما أُتِي بها أخذَها ثم رَفَعها ، وقال: والله ما كَذَبْتُ ولا كُذبتُ.

قال أبو جعفر: فقد أنبأ أبو مريم بقوله: «فرجعت حتى إذا كان الحول أو نحوه ، خرج أهل النهر»: أنّ الحرب التي كانت بين عليّ وأهل حَرُوراء كانت في السنة التي بعد السنة التي كان فيها إنكار أهل حَروراءَ على عليّ التحكيم ، وكان ابتداء ذلك في سنة سبع وثلاثين على ما قد ثبت قبلُ ، وإذا كان كذلك ، وكان الأمر على ما روينا من الخبر عن أبي مريم ، كان معلوماً أنّ الوقعة كانت بينه وبينهم في سنة ثمان وثلاثين[1] . (٥: ٩١/ ٩٢) .

وحجّ بالناس في هذه السنة ـ أعني: سنة سبع وثلاثين ـ عبيد الله بن عبّاس ، وكان عامل عليٍّ على اليَمَن ومخاليفِها. وكان على مكة والطائف قُثَم بن العبّاس ، وعلى المدينة سهل بن حُنَيف الأنصاريّ ، وقيل: كان عليها تمّام بن العباس. وكان على البصرة عبد الله بن العباس ، وعلى قضائها أبو الأسود

(١) إسناده حسن وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٥) والله تعالى أعلم.

الدُّؤَليّ ، وعلى مصر محمد بن أبي بكر ، وعلى خُراسانَ خليد بن قرّة اليربوعيّ .

٢٧٦ ـ وقيل : إن عليّاً لما شخص إلى صِفِّين استَخلَف على الكوفة أبا مسعود الأنصاريّ؛ حدّثني أحمد بن إبراهيم الدّوْرقيّ ، قال : حدّثنا عبدُ الله بن إدريس ، قال : سمعتُ ليثاً ذكر عن عبد العزيز بن رُفَيع : أنه لما خرج عليّ إلى صِفّين استخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاريّ عقبة بن عمرو . وأمّا الشام فكان بها معاوية بن أبي سُفْيان[1] . (٥ : ٩٢/ ٩٣) .

---

(١) إسناده مرسل صحيح .

الأخبار الصحاح في وقعة صفين والتحكيم ومسك الختام في ذلك

اعتمد الطبري في نقل هذه الوقائع على مرويات أبي مخنف وهي لا تصح ولا يحتج بها فقد قال فيه الدارقطني : بل الواقدي خير من ملْ الأرض مثل هؤلاء (الرد على البكري/ ١٨) .
وقال الجوزجاني : يشتم الصحابة ويروي الموضوعات عن الثقات (لسان الميزان ٤/ ٣٦٦)
وقال الذهبي : إخباري تالف لا يوثق به (الميزان ٣/ ٢٩٩٢) .
وقال علي بن محمد الكناني (لوط بن يحيى : كذاب تالف) (تنزيه الشريعة ٩٨) وعلى الطبري اعتمد من جاء بعده (في وصف أحداث صفين) وهي روايات كاذبة تالفة مليئة بالأكاذيب والطعن في الصحابة . وأما كيل التهم والشتائم المتبادلة وتكفير الطرف المقابل فحدث ولا حرج ، وأما ما صحّ عن وقعة صفين فقد جمعنا ما وجدناه في كتب الحديث والتأريخ وهي كما يلي :
١ ـ كان سبب الخلاف الذي أدى إلى معركة صفين هي إصرار معاوية رضي الله عنه ومن معه على ضرورة التعجل في القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه ، وذلك ما كان يراه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مثيراً لفتنةٍ أخرى في ذلك الوقت الذي لم تستتب الأمور فيه بعد ، ولم يكن السبب في هذه المعركة هو منافسة معاوية رضي الله عنه لسيدنا علي على الخلافة بل كان يقرّ ، ويعترف علناً بأن علي أولى منه بهذا الأمر ، كما أخرج شيخ البخاري يحيى بن سليمان الجعفي في كتاب (صفين) عن أبي مسلم الخولاني أنه (قال لمعاوية : أنت تنازع علياً في الخلافة أو أنت مثله؟ قال : لا . وإني لأعلم أنه أفضل مني ، وأحق بالأمر ، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه؟ فائتوا علياً فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان ، وأسلم له . فأتوا علياً فكلموه فلم يدفعهم إليه) (سير أعلام النبلاء ٣/ ١٤٠) وجوّد الحافظ إسناده في الفتح (١٣/ ٨٦) .
٢ ـ وأخرج ابن عساكر (تأريخ دمشق ١٦/ ٣٦٠ أ) والطبري (٦/ ١٦١) عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي : أنه قال : كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين ، وكان معاوية بالشام يدعى الأمير ، فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين . وإسناده حسن ، وهذه=

= الشهادة من سعيد بن عبد العزيز تقطع الطريق على كل الروايات المكذوبة والتي رواها الهالك أبو مخنف وخاصة إذا علمنا: أن سعيد بن عبد العزيز التنوخي أعلم الناس بأمر الشام (راجع تهذيب التهذيب ٤/ ٦٠) وهذا يؤكد إجماع الأمة على إمامة علي شاميهم وعراقيهم وحجازيهم، ولكن أهل الشام عاهدوا معاوية على الأخذ بحق الخليفة المظلوم عثمان رضي الله عنه والقصاص من قتلته، ولم يكن يروه خليفة يومئذٍ، ولم يبايعوه بالخلافة ما زال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حياً رضي الله عنه.

وإذا كان ذلك كذلك فهذا من أدلة بطلان قصة التحكيم بين أبي موسى وعمرو بن العاص وأن أبا موسى خلع صاحبه علي وأما عمرو بن العاص فقد ثبت صاحبه معاوية، وذلك لأن أهل الشام كانوا يرون في معاوية أميراً وأما علي فهو أمير المؤمنين وخليفتهم، فما الداعي إذاً إلى خلع علي وتثبيت معاوية الذي لم يبايع أصلاً في حياة علي كخليفة للمسلمين؟ وأما بقية الأدلة على بطلان رفع المصاحف في صفين وخلع علي وتثبيت معاوية فسنذكرها بعد قليل إن شاء الله.

٣ ـ وبالمقابل فإن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه لم يكن ليتهم معاوية في دينه (حاشاه) ولكن كان يرى في جيشه طائفة شقت عصا الطاعة وخرجت على الخليفة بغير حق، وكان رضي الله عنه حريصاً على حقن دماء المسلمين في صفين، وكان يتمنى أن تراق هذه الدماء في ساحات أخرى؛ كما في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه في قصة الخوارج وحث علي لجنوده على قتالهم بعد أن قتلوا وأفسدوا، وفيه: (فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم!!) صحيح مسلم (٢/ ٧٤٨).

وسنذكر الحديث بطوله إن شاء الله في قصة الخوارج.

٤ ـ وكذلك كان رأي أعيان الصحابة في صف عليٍّ رضي الله عنه ومن أشهرهم: عمار بن ياسر الذي وردت في حقه روايات كثيرة ورأيه من رأي سيدنا علي رضي الله عنه وإلاّ لما قاتل معه. وقد أخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٩٢) وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٢٩٧) وأحمد في المسند (٤/ ٣١٩) حديثاً عن عمار رضي الله عنه وأرضاه، وفيه: (لا تقولوا: كفر أهل الشام، ولكن قولوا: فسقوا، وظلموا).

وهذا كان رأي عمار حتى استشهد رضي الله عنه، فهو كان يرى في الجيش المقابل طائفة بغت على خليفة المسلمين وخرجت عليه فارتكبت بذلك فسقاً وظلماً، وهذا هو معنى الضلالة التي قالها عمار في حق جيش أهل الشام. كما أخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٩٢) وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٢٩٧) وأحمد في المسند (٤/ ٣١٩) عن عمار رضي الله عنه أنه قال: (والذي نفسي بيده لو ضربنا حتى يبلغوا شعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق وأنهم على الضلالة) واللفظ لأحمد، ولفظ ابن أبي شيبة (مصلحتنا)، ولفظ الحاكم (صاحبنا) وقوله: (أنهم على الضلالة) أي بخروجهم على الإمام الأعظم=

= (الخليفة) وعدم دخولهم في طاعته، ففسقوا بذلك كما قال عمار (ولكن قولوا فسقوا وظلموا)، وخروجهم هذا هو البغي المقصود في حديث رسول الله ﷺ لعمار: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية) فتح الباري (١/ ٦٤٢) و(٦/ ٣٦).

٥ - وكان في جيش علي كبار الصحابة من البدريين وأهل بيعة الرضوان كما أخرج خليفة بن خياط: حدثنا أبو غسان قال: نا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن جعفر - أظنه ابن أبي المغيرة - عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال: شهدنا مع علي ثمانمئة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منا ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر (تأريخ خليفة/ ١٩٦).

وإسناده حسن، ونسب الشيخ العربي التباني إلى يحيى بن سليمان الجعفي: أنه أخرج بسند جيد في كتابه (صفين) أنه شهد مع علي تسعون بدرياً.

٦ - أما عن تفاصيل المعركة وأمراء الأجناد وحملة الألوية في الجيشين فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٩٢) من حديث حجر بن عنبس: (قيل لعلي يوم صفين: قد حيل بيننا وبين الماء قال: أرسلوا إلى الأشعث فجاء فقال: ائتوني بدرع ابن سهر - رجل من بني براء - فصبها عليه ثم أتاهم فقاتلهم حتى أزالهم عن الماء) وإسناده حسن. وأخرجه خليفة بن خياط ثنا أبو نعيم قال: نا موسى بن قيس قال: سمعت حجر بن عنبس قال: حيل بين علي والماء، فقال: أرسلوا إلى الأشعث بن قيس فأزالهم عن الماء، ثم التقى الناس يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين، ولواء علي مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وفي ميسرة علي ربيعة وعليهم ابن عباس وفي ميمنته على أهل اليمن عليهم الأشعث بن قيس وعلي في القلب في مضر البصرة والكوفة.

ولواء معاوية مع المخارق بن الصباح الكلاعي وفي ميسرة معاوية مضر عليهم ذو الكلاع وفي ميمنته أهل اليمن ومعاوية في الشهباء أصحاب البيض والدروع (تأريخ خليفة/ ١٩٣).

ولم نجد رواية أخرى صحيحة تتحدث عن تفاصيل أخرى، وكلّ ما ورد في مرويات أبي مخنف التالفة لم تؤيدها ولا رواية صحيحة، والله تعالى أعلم.

٧ - قلنا فيما مضى: إن علياً رضي الله عنه كان حريصاً على حقن ما أمكن من دماء المسلمين في وقعة الجمل، وهكذا كانت سياسته في صفين فالاقتتال بين طائفتين من المسلمين بغت إحداهما (أهل الشام) على الأخرى (جيش أمير المؤمنين) فواجب الإمام علي أن يرجع هؤلاء إلى السمع والطاعة وكفى، وهمه أن يبلغ ذلك الهدف بأقل دم مراق ولذلك كانت سياسة سيدنا علي في معركة صفين ما أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٥٥) والبيهقي في السنن (٨/ ١٨٢) عن أبي أمامة قال: (شهدت صفين فكانوا لا يجهزون على جريح ولا يطلبون مولياً ولا يسلبون قتيلاً). وإسناده صحيح (إرواء الغليل ٨/ ١١٤).

فبالله عليكم هل شهد التأريخ البشري عدالة ورحمة مثل هذه الوقعة الراشدية ؟! إن =

= الحكومات في عصرنا هذا (الديمقراطية والسلام والمدنية كما يقولون) نقول: إن الحكومات سواء كانت شرعية أم لا لا تتوانى عن سحق معارضيها ولا تتلكأ لحظة واحدة في إبادتهم عن بكرة أبيهم، وما إبادة الملايين في الاتحاد السوفييتي عنا ببعيد، وما مجازر دكتاتور تشيلي عنا ببعيد، وما مجزرة الجيش الصيني في ساحة الحرية عنا ببعيد عندما داست الدبابات مئات الطلاب العزل، وما مجازر الصرب عنا ببعيد، وما المجازر التي تقوم بها الأقليات القبلية الحاكمة في أفريقية وغيرها ضد المعارضة ببعيد، فهل سمعنا أحداً من هؤلاء أمر أتباعه بأن لا يجهزوا على جريح ولا يطلبون مولياً ولا يسلبون قتيلاً، وأي دستور وضعي يقول: إذا رجعت الفئة الباغية إلى السمع والطاعة فهي مع غيرها إخوة، والإمام علي كان يعمل بقول الله تعالى في حكم الطائفة الباغية: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾.

٨ ـ وأما عن عدد القتلى في وقعة صفين فقد بالغت الروايات الضعيفة والمنكرة في عددها مبالغة كبيرة كما بالغت في عدد القتلى في وقعة الجمل، ولم ترد غير رواية صحيحة واحدة تتحدث عن القتلى من الصحابة الذين كانوا في جيش علي رضي الله عنه، وقد ذكرناها آنفاً من حديث عبد الرحمن بن أبزى قال: شهدنا مع علي ثمانمئة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منا ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر (تأريخ خليفة/ ١٩٦) وإسناده حسن، أما سوى ذلك فلم نجد رواية صحيحة فيها، والله أعلم.

ما صحّ في مسألة التحكيم

أما تحاكم كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما إلى كتاب الله، ورضاهم بذلك؛ فصحيح، وأما رفع المصاحف على رؤوس الرماح؛ فلا يصح.

٩ ـ فقد أخرج البخاري في صحيحه (كتاب التفسير ٦/ ٤٥) عن حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أسأله فقال: كنا بصفين. فقال (يعني رسول معاوية): ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فقال علي: نعم.

وأخرج ابن أبي شيبة (١٥/ ٣١٨) وأحمد في المسند (٢٣/ ١٤٥/ بترتيب الساعاتي) عن حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل في مسجد أهله وفيه: (قال: كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتلٍّ فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بمصحف وادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ فقال علي: نعم وأنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله) وإسناده حسن صحيح. وكيف لا يقبل سيدنا علي بتحكيم كتاب الله ووقف القتال وهو الحريص على حقن دماء المسلمين؛ ولذلك =

= رضي بذلك التحاكم وعدّه فتحاً كما في آخر رواية ابن أبي شيبة فقال علي ـ في صفين ـ: أيها الناس ! إن هذا فتح.
وهذا تكذيب لروايات أبي مخنف المفتراة التي تزعم: أن علياً أُكره على قبول التحكيم وعلى هذه الروايات المختلفة اعتمد المستشرقون وغيرهم، وما دروا وما أدركوا نظرة سيدنا علي لطبيعة القتال في صفين وحرصه الشديد على حقن دماء المسلمين حتى ولو كلّفه ذلك حياته الخاصة، كما بينت رواية أخرى لابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٩٣) عن أبي صالح: أن علياً قال لأبي موسى: احكم ولو يحزّ عنقي...
١٠ ـ وقد راجت واشتهرت قصة لقاء أبي موسى وعمرو بن العاص ثم احتيال عمرو على أبي موسى الأشعري وانخداع أبي موسى وخلعه لصاحبه علي وتثبيت عمرو لصاحبه معاوية، وكل ذلك كذب مفترى لا أساس له من الصحة، ولقد نبه القاضي أبو بكر بن العربي على كذب من قال بهذه القصة وكذلك غيره، والعجيب: أن المستشرق الألماني المشهور بروكلمان والمعروف بتحريفه للتأريخ الإسلامي شكك في صحة هذه القصة بينما يدندن حولها دعاة التغريب وأصحاب البدع، فقد قال بروكلمان في كتابه (تأريخ الشعوب الإسلامية/ ١١٨): (ومع أن هذه الحادثة قد تكون وهمية).
وقد ذكرنا الروايات التأريخية في ذلك وبيّنا ضعفها الشديد في قسم الضعيف فإذا كان ذلك غير صحيح وغير واقع، فما الذي جرى إذاً من الحوار بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما؟ هذا ما سنبينه إن شاء الله الآن:

حقيقة ما دار بين أبي موسى الأشعري
وعمرو بن العاص في وقعة صفين

١١ ـ أخرج ابن عساكر في تأريخ دمشق (١٣/ ٢٦٢) والبخاري في التأريخ الكبير مختصراً عن الحصين بن المنذر: أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره، فائته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه كيف صنعتما فيه؟ قال (أي: عمرو بن العاص): قد قال الناس، وقالوا، ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى: أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. قال فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما) وقال المحقق (د. يحيى اليحيى): رجاله ثقات (مرويات أبي مخنف/ ٤٠٨).
١٢ ـ وهكذا فلا أصل لكون أبي موسى رجلاً ضعيفاً خُدعَ من قبل الداهية عمرو بن العاص الذي أخفى شيئاً وأعلن الآخر. فلا أبو موسى ضعيف ولا عمرو بن العاص مراوغ حاشاهما أن يكونا كذلك كما قال ابن العربي: وكان أبو موسى رجلاً تقياً ثقفاً عالماً حسبما بيناه في كتاب سراج المريدين: أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم، =

= وزعمت الطائفة التأريخية الركيكة: أنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعاً في القول، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه .. وهذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط وإنما هو شيء أخبر به المبتدعة ووضعته التأريخية للملوك، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع (العواصم/ ١٧٧).

قلنا: والذي يعرف سيرة عمرو بن العاص يتبين له كذب ما افتراه الرواة المبتدعة، والضعفاء، فقد أخرج الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٥٧) عن قبيصة بن جابر وهو الذي شهد الجمل مع علي: (قد صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلاً أبين ولا أنصع رأياً ولا أكرم جليساً منه ولا أشبه سريرة بعلانية منه).

وأخرج الترمذي في سننه (ح ٣٨٤٣): أن رسول الله ﷺ قال: أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص. وحسنه الألباني (٣/ ٢٣٦/ ح ٣٠٢٠) - هذه هي صورة الصحابي الجليل عمرو بن العاص في الحديث والتأريخ، فليخسأ المبتدعة الكذابون من أمثال أبي مخنف وغيره.

وأما أبو موسى فلم يكن ضعيف الرأي ولا مغفلاً ولا جاهلاً حتى ينخدع بهذه السهولة ويخلع من عنقه بيعة خليفةٍ راشد أجمع أهل الحرمين والبدريون وأهل بيعة الرضوان على إمامته، كيف يفعل ذلك أبو موسى ويعرّض الأمة الإسلامية لخطر العيش بدون خليفة في ذلك الظرف الدقيق، إن الصحابة رضوان الله عليهم لم يدفنوا جثمان حبيبهم ﷺ حتى اختاروا خليفته، فكيف يجازفون بخلع خليفة اختاروه عن رضا وهو من هو مكانة ومنزلة؟! وهل عرف المبتدعون علم أبي موسى حتى يفتروا عليه هذه الفرية، فقد روى الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٤٠) عن أبي البختري قال: أتينا علياً فسألناه عن أصحاب محمد ﷺ قال: عن أيهم تسألوني؟ قلنا: أبو موسى. قال: صبغ في العلم صبغة).

وأما عن فطنته وحكمته ورجاحة عقله (وهو قاض لرسول الله ﷺ على اليمن) فقد أخرج ابن سعد في طبقاته (٤/ ١٠٨) عن أنس قال: بعثني الأشعري إلى عمر فقال لي: كيف تركت الأشعري؟ قلت: تركته يعلم الناس القرآن. فقال: أما إنه لكيّس ولا تسمعها إياه.

وأخيراً وليس آخراً بالنسبة لما ذكره أبو مخنف في مروياته من اللعن بين علي ومعاوية فقد بحثنا فيما بين أيدينا من مراجع التأريخ وكتب الحديث فلم نجد رواية صحيحة ولا حسنة ولا مرسلة صحيحة تثبت: أن علياً رضي الله عنه كان يلعن معاوية وأصحابه، ولا قنت معاوية على علي ولم يلعنه، ولم يأمر بذلك، فكل ذلك لم يصح كما قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (٧/ ٢٨٤).

وكيف يلعن الصحابة بعضهم بعضاً ورسول الله ﷺ يقول: (ليس المؤمن بطعان ولا بلعان) رواه الترمذي في السنن وصححه الألباني (٢/ ١٨٩/ ح ١١١٠) وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة» (صحيح مسلم/ كتاب البر والصلة والأدب/ ١٦/ ١٤٩). فالروايات التي ذكرت أن علياً ومعاوية كانا يلعنان (أحدهما الآخر) =

= منكرة سنداً ومتناً ، والحمد لله على نعمة الإسناد .

الخطبة الشافية حول حديث : (عمار تقتلك الفئة الباغية)

نسمع بين الحين والآخر أن أهل البدع يحتجون بهذا الحديث الصحيح على أن جيش معاوية ومن معه رضي الله عنهم خارجون عن الملّة والعياذ بالله ، وأمثال هؤلاء كمثل الذي يقرأ قوله الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ ثم يسكت ولا يكمل قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ .

وكما هو معلوم لدى فقهاء الأمة جميعاً : أن الحكم في المسألة المعينة لا يصدر إلاّ بعد جمع جميع الأدلة وفهمها لنعلم العام من الخاص والمطلق من المقيد وما إلى ذلك ، ولفهم هذا الحديث لا بدّ لنا أن نجمع ما ذكرناه متناثراً في ثنايا هذا (الصحيح) فنقول وبالله التوفيق :

١ - مما لا شك فيه : أن معاوية رضي الله عنه ومن معه كعمرو بن العاص وغيرهم اجتهدوا فأخطؤوا ، وكان خروجهم على سيدنا علي بغياً ولكن هذا البغي لم يخرجهم من دائرة الإسلام لقوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ فالله سبحانه سمّى الفئة الباغية ضمن المؤمنين فلم يخرجهم بغيهم من دائرة الإسلام ، وإنما أراد علي أن يصلح أول الأمر تطبيقاً للآية الكريمة وكذلك معاوية رضي الله عنهما ، ثم استخدم علي القتال حتى يدخلهم في طاعة أمير المؤمنين ، وخروج جيش معاوية رضي الله عنه على علي ظلم أراد علياً أن يمنعهم منه ، وهذا قول عمار خير دليل على تكذيب أهل البدع والضلال؛ فقد أخرج ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٩٠) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال : لا تقولوا : كفر أهل الشام ولكن قولوا : فسقوا وظلموا .

ولعلّ بعض المبتدعة يقولون : ولكن عماراً رضي الله عنه أقسم بالله أن الصف الآخر على ضلالة فما قولكما؟ نقول وبالله التوفيق :

أولاً : إن رواية ابن أبي شيبة السابقة تبيّن أن ضلالتهم هو ظلم أو فسق لأنهم خرجوا على الإمام الأعظم (الخليفة) وذلك نتيجة لاجتهادهم الخاطئ، ولو علموا في حينها أن اجتهادهم خاطئ لما أقدموا على القتال كما سنبين بعد قليل .

ثانياً : إن عبارة (وأنهم على ضلالة) تفهم على حقيقتها إذا لم ندع الرواية بتراء؛ فتمام الرواية : (لعرفت أن مصلحينا على الحق وأنهم على الضلالة) وهذا لفظ أحمد (المسند ٤/٣١٩) وفي لفظ آخر (لعرفت أن مُصْلحتنا) وهذا اللفظ لابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٢٩٧) وأما لفظ الحاكم (لعرفت أن صاحبنا) المستدرك (٣/ ٣٩٢) وهذا يعني أن عماراً يعلم أن في الجيشين مصلحون وكذلك مفسدون ؛ وهم مثيرو الفتنة من قتلة عثمان السبئية ومن تحولوا فيما بعد إلى الخوارج ولذلك نسب الحق إلى مصلحيهم .

٢ - لم يكن أحد ممن مع سيدنا معاوية رضي الله عنه يتمنى أن يكون في جيش يضم أفراداً من=

= بينهم قتلة سيدنا عمار رضي الله عنه ، ولمّا علم جيش معاوية بذلك تألم كثير منهم وتبيّن لهم خطأ اجتهادهم وتغيّر لون الصحابي الجليل عمرو بن العاص (كما في رواية) وفي رواية أنه نبّه معاوية إلى هذا الحادث الخطير ، فأخذ سيدنا معاوية يبحث عن مبرر يدفع به عنه وعن جيشه إثم قتل عمار رضي الله عنه حتى لا يكون من الفئة الباغية ، وهذا جانب آخر من الجوانب الروحية أو المعنوية في التأريخ الإسلامي ، فما خرج معاوية وعمرو إلاّ بعد قناعتهما بصحة اجتهادهما في الخروج ، وعندما تبيّن قتل عمار رضي الله عنه دبّ الشك في صحة اجتهادهما (وهذا ما لا يفهمه المستشرقون أو لا يكادون يدركونه) فقد أخرج عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٤٠/ح ٢٠٤٢٧) عن معمر عن ابن طاووس عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه أخبره قال: لما قتل عمار بن ياسر ، دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار. وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية ، فقام عمرو يرجع فزعاً حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال له: قتل عمار ، فقال له معاوية: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية. فقال له معاوية: دحضت في قولك أنحن قتلناه؟ إنما قتله عليّ وأصحابه جاؤوا به حتى ألقوه تحت رماحنا أو قال بين سيوفنا.

قلنا: وهذا إسناد صحيح. ونقول للمستشرقين: انظروا إلى قول الراوي (فقام عمرو فزعاً) فلو كان طالباً للدنيا والملك فلماذا الفزع وقد قتل من الجيش المقابل علم من الأعلام؟ ألا إنه خشية الصحابة من أن يكونوا قد أخطؤوا في اجتهادهم فلم يكونوا بذلك مع الفرقة التي هي أقرب من الحق وأولى به (صف علي) وماذا يقول المبتدعة والمستشرقون في قول معاوية ومحاولة دفع تهمة القتل عن جيشه فهل كان معاوية حريصاً على قتله؟ وهذا الحديث الصحيح أخرجه كذلك الحاكم في مستدركه من طريق عبد الرزاق (٣/ ٣٨٦) وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي وأخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٩٩) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وفيها: (أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاؤوا به فألقوه بين رماحنا ، قال: فتنادوا في عسكر معاوية إنما قتل عماراً من جاء به) رواه الطبري وأحمد باختصار وأبو يعلى بنحو الطبراني والبزار بقوله : تقتل عماراً الفئة الباغية عن عبد الله بن عمر وحده ، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات (مجمع الزوائد ٧/ ٢٤١).

قلنا: وكذلك أخرجه ابن سعد من وجه آخر وفيه: (فلما كان يوم صفين ذهبت أنظر في القتلى فإذا عمار بن ياسر مقتول فقال هنيّ فجئت إلى عمرو بن العاص وهو على سريره فقلت: يا أبا عبد الله قال: ما تشاء؟ قلت: انظر أكلمك ، فقام إليّ فقلت: عمار بن ياسر ما سمعت فيه؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: تقتله الفئة الباغية ، فقلت: هو ذا والله مقتول ، فقال: هذا باطل ، فقلت: بصرت به عيني مقتولاً ، قال: فانطلق فأرنيه ، فذهبت به فأوقفته عليه فساعة=

= رآه انتقع لونه) (الطبقات الكبرى ٣/ ٢٥٤) أي حينما رأى عمرو بن العاص جثمان عمار تغيّر لونه واصفر.
٣ ـ ونقول لأهل البدع وأعداء التأريخ الإسلامي: وإذا لم يكفكم هذا فإليكم آخر: فكما أن علياً رضي الله عنه تألم لمقتل الزبير الذي كان في الصف المقابل وعندما دخل قاتل الزبير بشره علي بنار جهنم (وذلك بعد انتهاء معركة الجمل)؛ فكذلك عمرو بن العاص عندما جاءه رجلان يدّعي كل منهما أنه قتل عماراً ظناً منهما أن الصحابي الجليل عمرو بن العاص سيكافئهما، ولكن خاب ظنهما فما أن رآهما عمرو يختصمان حتى بشرهما بالنار، فقد أخرج الحاكم في مستدركه (٣/ ٣٨٦) حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ثنا يحيى بن محمد بن يحيى، ثنا عبد الرحمن بن المبارك ثنا المعتمد بن سليمان عن أبيه عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو أن رجلين أتيا عمرو بن العاص يختصمان في دم عمار بن ياسر وسلبه، فقال عمرو بن العاص: يختصمان في دم عمار بن ياسر وسلبه، فقال عمرو: خلّيا عنه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اللهم أولعت قريش بعمار إن قاتل عمار وسالبه في النار) قال الحاكم: وتفرّد به عبد الرحمن بن المبارك وهو ثقة مأمون عن معتمر عن أبيه، فإن كان محفوظاً فإنه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
٤ ـ وأخيراً وليس آخراً وقطعاً لدابر الشك نذكّر القارئ الكريم بقول رسول الله ﷺ للحسن بن علي: «إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» وهذا حديث صحيح أخرجه البخاري (فتح الباري ٥/ ٣٦١) وهذا دليل قطعي على أن الطرفين (وإن بغى أحدهما) لم يخرجا من دائرة الإسلام والإيمان بنص الكتاب والسنة.
٥ ـ وأخيراً وليس آخراً فقد صح عن رسول الله ﷺ قوله: (تمرق مارقة عند فرقة من الناس تقتلهما أولى الطائفتين بالحق) صحيح مسلم (٧/ ١٦٧) وفي رواية أخرى: (تمرق مارقة من الناس يلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق) صحيح مسلم (٧/ ١٦٨).
وهذا يعني أن كل طائفة كانت على الحق إذا كان بمعنى الإسلام والتوحيد، ولكن إحداهما كانت أقرب إلى الحق بمعنى اتخاذ القرار الصائب شرعاً وهو ما كان عليه علي والمصلحون من أصحابه كما قال عمار، أما مثيرو الفتنة والسبئية فليسوا منهم، ولم تمض فترة قليلة حتى كشف الله زيف كثير منهم فخرجوا على علي رضي الله عنه فقاتلهم وانتصر عليهم، وهذا يعني أيضاً أن طائفة علي كانت أقرب إلى الحق بمعنى الصواب في اتباع أمير المؤمنين وعدم الخروج عليه، وكانت طائفة معاوية مخطئة في اجتهادها فلم تصب الصواب بخروجها على ولي الأمر الشرعي.
ولقد أدرك سيدنا معاوية بعد ذلك أنه أخطأ وكان جوابه لمن اعترض عليه (كالمسور بن مخرمة) بأنه أخطأ ولكنه يرجو رباً غفوراً أن يغفر له ويعفو عنه، وكذلك ندم عمرو بن العاص ندماً شديداً وظل كذلك طوال حياته ولم يَنْسَ حتى وهو ينازع سكرات الموت فيثني على =

= عمار، وعلي رضي الله عنهما، ومن معهما رضي الله عنهم أجمعين وغفر الله لنا ولهم والحمد لله رب العالمين.

الأخبار الصحاح في قتال علي رضي الله عنه
للخوارج ومسك الختام في ذلك

١ - أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل فقال: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «فدعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه، وهو قدحه، فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد منه شيء قد سبق الفرث والدم. آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس». قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علياً بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس وأتي به، حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته) فتح الباري (٦/ ٧١٥، ١٣/ ٤٢٦). وأخرج البخاري عن أبي سلمة وعطاء بن يسار: أنهما أتيا أبا سعيد فسألاه عن الحرورية أسمعت النبي ﷺ؟ قال: لا أدري ما الحرورية. سمعت النبي ﷺ يقول: «يخرج في هذه الأمة - ولم يقل: منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم». (فتح الباري ١٢/ ٢٩٥).

وهذا من الإعجاز الذي أوتيه رسول الله ﷺ من ناحيتين، الأولى أنه ﷺ أخبر عن أوصافهم (الخوارج) والثانية: أخبر عن زمن ظهورهم (على حين فرقة من الناس).

٢ - وأما سبب ظهور فرقة الخوارج وشقهم لجيش علي رضي الله عنه فهو جهلهم بحقائق الأمور ومعاني الآيات القرآنية وضحالة فقههم وإدراكهم لمقاصد الشرع وأصول الدين.

فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٣٢٧) عن كثير بن نمير قال: بينا أنا في الجمعة وعلي بن أبي طالب على المبنر إذ جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله ثم قاموا من نواحي المسجد يحكمون الله، فأشار عليهم بيده: اجلسوا نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يُبتغى بها باطل، حكم الله ينتظر فيكم، الآن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا، لن نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا نمنعكم فيئاً ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلوا، ثم أخذ في خطبته. وإسناده حسن والحديث أخرجه الطبري (٥/ ٧٣) من طريق أبي مخنف.

٣ - أخرج الطبري (٥/ ٧٣) عن أبي رزين قال: لما وقع التحكيم ورجع علي من صفين؛ =

= رجعوا مباينين له ، فلما انتهوا إلى النهر أقاموا به ، فدخل علي في الناس الكوفة ، ونزلوا بحروراء ، فبعث إليهم عبد الله بن عباس ، فرجع ولم يصنع شيئاً ، فخرج إليهم عليّ فكلمهم حتى وقع الرضا بينه وبينهم ، فدخلوا الكوفة فأتاه رجل فقال: إن الناس قد تحدثوا أنك رجعت لهم عن كفرك ، فخطب الناس في صلاة الظهر ، فذكر أمرهم فعابه ، فوثبوا من نواحي المسجد يقولون: لا حكم إلاّ لله ، واستقبله رجل منهم واضع إصبعيه في أذنيه فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فقال علي. ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ا هـ.

وإسناده حسن وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٣١٣) ولفظه: (ولما وقع الرضا بالتحكيم ورجع علي إلى الكوفة اعتزلت الخوارج بحروراء . . . الخبر).

٤ ـ وأخرج الطبري (٥/ ٨١) من طريق أيوب عن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس كان من الخوارج ثم فارقهم قال: دخلوا قرية فخرج عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ ذَعِراً يجرّ رداءه ، فقالوا: لم تُرَع؟ فقال: والله لقد ذعرتموني! قالوا: أأنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدث به عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي؟ قال: فإن أدركتم ذلك فكن يا عبد الله المقتول ـ قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال: (ولا تكن يا عبد الله القاتل) ـ قال: نعم ، قال: فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه ، فسال دمه كأنه شراك نعل ، وبقروا بطن أم ولده عمّا في بطنها.

وأخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٢٣) عن أبي مجلز وعن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس (١٥/ ٣١٠) وصحح الحافظ إسناده في الفتح ونسبه كذلك إلى يعقوب بن سفيان (الفتح ١٢/ ٢٩٧).

٥ ـ أخرج الطبري (٥/ ٧٣) الخوارج ، وابن أبي شيبة (١٥/ ٣١٢) عن أبي رزين قال: لما كانت الحكومة بصفين وباين الخوارج علياً رجعوا مباينين له وعلي في عسكره حتى دخل علي الكوفة مع الناس بعسكره ، ومضوا هم إلى حروراء في عسكرهم ، فبعث علي إليهم ابن عباس فكلمهم فلم يقع منهم موقعاً ، فخرج علي إليهم فكلمهم حتى أجمعوا هم وعلي على الرضا. فرجعوا حتى دخلوا الكوفة على الرضا منه ومنهم ، فأقاموا يومين أو نحواً من ذلك قال: فدخل الأشعث بن قيس وكان يدخل على علي فقال: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن كفرك ، فلما أن كان الغد الجمعة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فخطب فذكرهم ومباينتهم الناس وأمرهم الذي فارقوه فيه ، فعابهم وعاب أمرهم قال: فلما نزل علي عن المنبر تنادوا من نواحي المسجد لا حكم إلا لله فقال علي: حكم الله أنتظر فيكم ، ثم قال بيده هكذا يسكتهم بالإشارة وهو على المنبر حتى أتى رجل منهم واضعاً أصبعيه في أذنيه وهو يقول: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ وفي الطبري بزيادة [قال علي: ﴿فَٱصْبِرْ =

= ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾] وإسناده حسن.
٦ ـ أخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ١٥٢) عن عبد الله بن شداد (أن علياً لما بلغه ما عيبوا عليه وفارقوه عليه فأمر مؤذناً فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا من قد حمل القرآن، فلما امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف حدث الناس! فناداه الناس يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق يتكلم بما رأينا منه فما يزيد؟! قال: أصحابكم أولئك الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله يقول الله في كتابه في امرأة ورجل: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ ﴾ فأمة محمد ﷺ أعظم حرمة أو ذمة من رجل وامرأة ونقموا عليَّ أن كاتبت معاوية. وكتب علي بن أبي طالب. وقد جاء سهيل بن عمرو فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله ﷺ فاكتب محمد رسول الله فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشاً . . . الحديث) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى وإسناده ثقات (المجمع ٦/ ٢٣٧).
٧ ـ وقد بذل سيدنا علي وأصحابه جهداً كبيراً لإقناع الخوارج بالرجوع إلى الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة نبيه وكان سيدنا علي يرسل ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن يجادلهم بالتي هي أحسن حتى رجع منهم أربعة آلاف (راجع المستدرك ٢/ ١٥٠، ومجمع الزوائد ٦/ ١٤١، وخصائص علي/ ١٩٥).
٨ ـ وأما الوقعة المشهورة التي وقعت بين الخوارج من جهة وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من جهة أخرى فهي التي وقعت عند (النهروان) ونصر الله فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقُتل فيها الخوارج شر قتلة، ولم يقتل من جيش علي إلا اثنان في أصح رواية ـ وظهرت أثناء المعركة معجزة أخرى من معجزات الرسول ﷺ فكبّر لها علي وقال: صدق الله وبلّغ رسوله.
فقد أخرج النسائي في (خصائص علي/ ١٩٠) عن زيد بن وهب أنهم قتلوا جميعاً في النهروان ا. هـ. وصحح الدكتور يحيى اليحيى إسناده والله أعلم.
٩ ـ أخرج مسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٨) عن سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب الجهني: أنه كان في الجيش الذي كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي رضي الله عنه: أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضيَ لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تّكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع =

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

الخريت بن راشد وإظهاره الخلاف على علي

وحجّ بالناس في هذه السنة قُثَم بن العبّاس من قِبَل عليّ عليه السلام. حدّثني بذلك أحمد بن ثابت، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكان قُثَم يومئذ عامِلَ عليّ على مكة، وكان على اليمن عبيد الله بن العباس، وعلى البصرة عبد الله بن العباس[1]. (٥: ١٣٢).

= على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على بركة الله، فقال سلمة بن كهيل: فنزَّلني زيد بن وهب منزلاً حتى قال: مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء فرجعوا فوحّشوا برماحهم، وسلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم، قال: وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان فقال علي رضي الله عنه: التمسوا فيهم المُخْدَج فالتمسوه، فلم يجدوه فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض قال: أخِّروهم. فوجدوه مما يلي الأرض فكبر ثم قال: صدق الله وبلّغ رسوله قال: فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين اللهَ الذي لا إله إلا هو! لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو.. حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له.

١٠ - أخرج الطبري في تأريخه (٥/ ٩١ - ٩٢) بإسناد حسن عن أبي مريم: (أن شبث بن ربعي وابن الكواء خرجا من الكوفة إلى حروراء... كان معلوماً أن الوقعة كانت بينه وبينهم في سنة ثمان وثلاثين) ا. هـ (٥/ ٩٢).

قلنا: وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٥) والله أعلم.

١١ - وأما عن حكم علي بن أبي طالب في الخوارج وطبيعة تعامله معهم في ضوء السياسة الشرعية: فقد مرّ بنا أنه رضي الله عنه عهد إليهم أن لا يمنعهم من المساجد ولا يمنعهم من الفيء إن هم شاركوا، ولا يبدؤهم بقتال حتى يسفكوا الدم ويفسدوا في الأرض. أما عن حكمه فيهم فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٣٢) عن طارق بن شهاب قال: كنت عند علي فسئل عن أهل (النهر) أهم مشركون؟ قال: من الشرك فروا. قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلاّ قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا. وإسناده حسن. والله تعالى أعلم.

(١) صحيح.

ثم دخلت سنة أربعين

ذكر الخبر عن مقتل عليٍّ بن أَبي طالب

٢٧٧ ـ وفي هذه السنة قُتِل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، واختُلف في وقت قتلِه ، فقال أبو معشر ما حدّثني به أحمد بن ثابت ، قال: حُدِّثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال: قُتل عليّ في شهر رمضانَ يوم الجمعة لسبعِ عشرة خلتْ منه سنة أربعين[(١)]. (٥ : ١٤٣) .

٢٧٨ ـ وحدّثني أبو زيد ، قال: حدّثني أبو الحسن ، قال: حدّثني أيوب بن عمر بن أبي عمرو ، عن جعفر بن محمد ، قال: قُتل عليٌّ وهو ابنُ ثلاث وستين سنة. قال: وذلك أصحّ ما قيل فيه[(٢)]. (٥ : ١٥١) .

٢٧٩ـ حدّثني عمر ، قال: حدّثنا يحيى بن عبد الحميد الحِمّانيّ ، قال: حدّثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، قال: قتل عليّ عليه السلام وهو ابنُ ثلاث وستين سنة[(٣)]. (٥ : ١٥١) .

---

(١) إسناده ضعيف ، وأخرج الطبراني في الكبير (١/ ٩٥/ ح ١٦٤) ثنا أبو الزنباع روح بن الفرج ثنا يحيى بن بكير قال: قتل علي بن أبي طالب يوم الجمعة يوم سبعة عشر من شهر رمضان سنة أربعين. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٤٦) وقال: رجاله ثقات. ا هـ.
واتفق المؤرخون على سنة استشهاده رضي الله عنه في سنة (٤٠) هـ ، وأما بالنسبة لتحديد اليوم فقد اختلفوا وخليفة بن خياط يرى أنه رضي الله عنه قتل صبيحة يوم الجمعة. فيتفق ذلك مع أبي معشر (تأريخ خليفة/ ١٩٨)، وأما ابن سعد فقد ذكر في طبقاته (٣/ ٣٧) أنه طعن يوم الجمعة ولكنه توفي رضي الله عنه ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين. ا هـ.
وأغلب المؤرخين على أنه قتل رضي الله عنه في شهر رمضان ، وقال الحافظ ابن كثير: وحاصل الأمر أن علياً قتل يوم الجمعة سحراً وذلك لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان من سنة أربعين (وقيل: قتل في ربيع الأول) والأول هو الأصح والأشهر والله أعلم (البداية والنهاية ٧/ ٣٤٣).

(٢) هذا إسناد معضل ولكن له ما يشهد له وسنذكر ما ترجح لدينا بعد انتهائنا من سرد الروايات أي بعد (٥/ ١٥٢/ ٢٨٢).

(٣) في إسناده الحماني وهو ضعيف وأخرجه ابن سعد قال أخبرنا الفضل بن دكين عن شريك عن أبي إسحاق قال: توفي علي وهو يومئذ ابن ثلاث وستين (الطبقات ٣/ ٣٨).
قلنا: وشريك صدوق يخطىء كثيراً. وانظر تعليقنا بعد (٥/ ١٥٢).

وقال هشام: وليَ عليٌّ وهو ابنُ ثمانٍ وخمسين سنة وأشهر؛ وكانت خلافتُه خمسَ سنينَ إلا ثلاثة أشهر، ثم قَتَله ابن مُلجم - واسمهُ عبد الرحمن بن عمرو - في رمضانَ لسبع عشرة مضتْ منه، وكانت ولايتهُ أربعَ سنين وتسعة أشهر، وقُتل سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستّين سنة[١]. (٥: ١٥١).

٢٨٠ - وحدّثني الحارث، قال: حدّثني ابن سعد، عن محمّد بن عمر، قال: قُتل عليّ عليه السلام وهو ابن ثلاث وستين سنة صبيحةَ ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلتْ من شهر رمضانَ سنة أربعين، ودُفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة[٢]. (٥: ١٥١/ ١٥٢).

٢٨١ - وحدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرَنا محمد بن عمرَ، قال: حدّثنا عليّ بن عمر وأبو بكر السّبْريّ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: سمعتُ محمد ابنَ الحنفيّة يقول: سنة الجحاف [حين] دخلت سنة إحدى وثمانين هذه ولي خمسٌ وستون سنة، قد جاوزتُ سنّ أبي؛ قيل: وكم كانت سنُّه يوم قُتِل؟ قال: قُتِل وهو ابن ثلاث وستين سنة[٣]. (٥: ١٥٢).

٢٨٢ - وقال الحارث: قال ابن سعد: قال محمد بن عمر كذلك، وهو الثَّبَت عندنا[٤]. (٥: ١٥٢).

---

(١) قلنا: ذكر الطبري هذا عن هشام بلا إسناد وما قاله هشام رجحه غير واحد من أئمة التأريخ كما سنذكر بعد قليل.

(٢) في إسناده الواقدي ولكن ذهب إليه غير واحد من المؤرخين وقال ابن كثير وحاصل الأمر أن علياً قتل يوم الجمعة سحراً وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين، و(قيل قتل في ربيع الأول) والأول هو الأصح الأشهر (البداية والنهاية ٧/ ٣٤٣).

(٣) في إسناده الواقدي وهو متروك وكذلك أخرجه الحاكم (٣/ ١٤٥) من طريق الواقدي وسكت عنه وقال الذهبي: فيه الواقدي.

(٤) قلنا: ولقد ذكرنا الرواية (٥/ ١٥١/ ١٢١١) في قسم الضعيف وإسناده ضعيف جداً وفيه أن الحسن بن علي كان يقول: قتل أبي وهو ابن ثمان وخمسين سنة. وكذلك أخرج الطبراني في الكبير (١/ ح ١٦٦) عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: توفي علي وهو ابن ثمان وخمسين، وأورده الهيثمي في المجمع (٩/ ١٤٥) وقال: رجاله رجال الصحيح. وأخرجه الحاكم (المستدرك ٣/ ١٤٤) وسكت عنه. وكذلك الذهبي.

= وأخرجه يعقوب بن سفيان كذلك وصحح عبد السلام علوش إسناده في تحقيقه للمستدرك (٤/ ١٢٣/ ح ٤٧٤٩).
قلنا: وتصحيحه هذا فيه نظر وسكوت الحاكم والذهبي يشككنا في صحته وعند البحث وجدنا أن محمد بن علي بن الحسين لم تصح روايته عن جده علي بن أبي طالب بل أرسله عنه وعن جديه الحسن والحسين كما قال العلائي: أرسل عن جديه الحسن والحسين وجده الأعلى علي ـ (جامع التحصيل/ ت ٧٠٠).
وقال ابن حبان في الثقات (٥/ ٣٤٨): مات سنة أربع عشرة ومئة بالمدينة وكان له يوم مات ثلاث وستون سنة. ا هـ.
قلنا: إذا كان ذلك كذلك فإنه ولد بعد وفاة جده الحسن بن علي وتوفي جده الآخر (الحسين بن علي) وعمره يقرب من العاشرة، وحتى لو ثبت عنه أنه روى عن جده الحسين فقد أرسل في روايته هذه فالإسناد مرسل.
وعقب الدكتور بشار على رواية لابن سعد في طبقاته (٥/ ٣٢٤) عن جعفر بن محمد قال: سمعت محمد بن علي يذاكر فاطمة بنت حسين شيئاً من صدقة النبي ﷺ فقال: هذه توفي لي ثمانياً وخمسين ومات لها ا. هـ.
قال بشار: إن صحت هذه الرواية فلا بد أن يكون مولده سنة ستين أو نحوها وعليه فلا يصح سماعه من الصحابة الذين ماتوا قبل سنة سبعين في الأقل.
وقد أشار ابن حجر في التهذيب إلى نحو هذا الكلام وأسهب فيه (حاشية تهذيب الكمال ٢٦/ ١٤١).
قلنا: وعلى هذا فإسناد الحاكم غير متصل ولا يصح والله أعلم. وأما قول الهيثمي في المجمع (٩/ ١٤٥) عن رجال الطبراني: (ورجاله رجال الصحيح) فليس كذلك ففي سنده حسين بن زيد بن علي وهو ضعيف فقد ضعفه ابن المديني وابن معين وأبو حاتم ووثقه الدارقطني وحده (تحرير التقريب ١/ ت ١٣٢١).
ولقد أشار الشيخ حمدي السلفي في حاشية المعجم الكبير (١/ ٩٥/ ح ١٦٥) فقال: قال مجمع الزوائد (٩/ ١٤٥) ورجاله رجال الصحيح وكذا (١٦٦).
قلنا: ولم نجد في (٩/ ١٤٥) ذكراً للرواية (١/ ٩٥/ ١٦٥) ولا تعقيباً على رجال سنده إلاّ أن الرواية المذكورة في المجمع هي رواية (ابن ثمان وخمسون سنة) أي (١/ ٩٦/ ١٦٦ ـ الطبراني) والله أعلم.
خلاصة القول: الروايات الواردة في تحديد سن سيدنا علي رضي الله عنه كلها ضعيفة سواء التي حددتها بـ (٥٨) أو (٦٣) ولكن الروايات التي حددت عمره بـ (٦٣) وإن كانت ضعيفة وفي بعض الأحيان ضعيفة جداً إلا أنها من أوجه متعددة ولقد رجّح غير واحد من أئمة التأريخ أن عمره رضي الله عنه (٦٣) سنة كما قال الحافظ ابن كثير: ودفن بالكوفة عن ثلاث وستين

ذكر الخبر عن قدر مدّة خلافته

٢٨٣ ـ حدّثني أحمد بن ثابت ، قال: حُدثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعْشر ، قال: كانت خلافةُ عليّ خمسَ سنين إلا ثلاثة أشهر[(١)]. (٥ : ١٥٢) .

٢٨٤ ـ وحدّثني الحارث ، قال: حدّثني ابن سعد قال: قال محمّد بن عمر: كانت خلافة عليّ خمسَ سنين إلا ثلاثة أشهر[(٢)]. (٥ : ١٥٢) .

٢٨٥ ـ حدّثني أبو زيد ، قال: قال أبو الحسن: كانت ولايةُ علي أربعَ سنين وتسعة أشهر ، ويوماً أو غيرَ يوم[(٣)]. (٥ : ١٥٣) .

ذكر نسبه عليه السلام

٢٨٦ ـ هو عليُّ بنُ أبي طالب ، واسم أبي طالب عبدُ مناف بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة بنت أسد بنِ هاشم بن عبدِ مناف[(٤)]. (٥ : ١٥٣) .

= سنة وصححه الواقدي وابن جرير وغير واحد (البداية والنهاية ٧/ ٣٤٣).
وقال الحافظ الذهبي: قال أبو جعفر الباقر: قتل علي وهو ابن ثمان وخمسين وعنه رواية أخرى أنه عاش ثلاثاً وستين ، وكذا روي عن ابن الحنفية وقال أبو إسحاق السبيعي وأبو بكر بن عياش ، وينصر ذلك ما رواه ابن جريج عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب أنه أخبره أن علياً توفي لثلاث أو أربع وستين سنة (تأريخ الإسلام/ عهد الخلفاء الراشدين/ ٦٥٢).

(١) إسناده ضعيف وانظر تعليقنا بعد الرواية التالية.

(٢) في إسناده الواقدي وهو متروك.

(٣) إسناده معضل وأما عن مدة خلافته فالأرجح أنها كانت أربع سنين وتسعة أشهر أي كما قال أبو معشر والواقدي خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، وهذا ما يترجح إذا ما رجعنا إلى تأريخ بيعته أميراً للمؤمنين بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه في (١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ).
وقتل علي بن أبي طالب في (١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ) والله أعلم وقال ابن كثير: (وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر) البداية والنهاية (٧/ ٤٤٣).

(٤) وكذلك قال ابن سعد في طبقاته الكبرى (٣/ ١٩) وقال الحافظ في ترجمته: علي بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن (الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٤٦٤/ ت ٥٧٠٤). =

ذكر الخبر عن أزواجه وأولاده

٢٨٦/ أ ـ فأوّل زوجةٍ تزوّجها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ولم يتزوّج عليها حتى توفِّيتْ عنده ، وكان لها منه من الولد : الحسنُ والحسين ، ويُـذْكر أنه كان لها منه ابنٌ آخر يسمى مُحْسِناً توفي صغيراً ، وزينب الكبرى ، وأم كلثوم الكبرى .

ثم تزوّج بعدُ أمَّ البنين بنت حزام ـ وهو أبو المجْل بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب ـ فولد لها منه : العباس ، وجعفر ، وعبد الله ، وعثمان ، قُتِلوا مع الحسين عليه السلام بكَرْبَلاء ، ولا بقيّة لهم غير العباس .

وتزوّج ليلى بنة مسعود بن خالد بن مالك بن رِبعيّ بن سَلْمى بن جَنْدل بن نَهشَل بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، فولدتْ له عُبَيد الله ، وأبا بكر ، فزعم هشام بنُ محمد أنهما قُتِلا مع الحسين بالطَّفّ . وأما محمد بن عمرَ فإنه زعم أن عبيد الله بن عليّ قتله المختار بن أبي عُبيد بالمذار ، وزعم أنه لا بقيّة لعبيد الله ولا لأبي بكر ابني عليّ عليه السلام .

وتزوّج أسماءَ بنة عُميس الخثعميَّة ، فولدتْ له ـ فيما حُدّثت عن هشام بن محمد ـ يحيى ومحمداً الأصغر ، وقال : لا عَقِب لهما .

وله من الصّهباء ـ وهي أم حبيب بنت ربيعة بن بُجَير بن العبد بن علقمة بن الحارث بن عُتْبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل ، وهي أمّ ولد من السبي الذين أصابهم خالدُ بن الوليد حين أغار على عين التَّمْر على بني تغلب بها ـ : عمر بن عليّ ، ورقية بنة عليّ ، فعُمِّر عمر بن عليّ حتى بلغ خمساً وثمانين سنة ، فحاز نصفَ ميراث عليّ عليه السلام ، ومات بيَنْبع .

وتزوج أمامة بنت أبي العاصي بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمها زينب بنتُ رسول الله ﷺ ، فولدت له محمداً الأوسط .

= وقال الذهبي : علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . أمير المؤمنين أبو الحسن القرشي ، الهاشمي وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية (عهد الخلفاء الراشدين/ ٦١٢) .

وله محمد بن علي الأكبر ، الذي يقال له : محمد بن الحنفيّة ، أمه خَوْلة بنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يَربوع بن ثعلبة بن الدُّول بن حَنِيفة بن لُجيم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل ، توفِّيَ بالطائف فصلّى عليه ابنُ عبّاس .

وتزّوج أمّ سعيد بنت عروة بن مسعود بن معتِّب بن مالك الثَّقفيّ ، فولدت له أمّ الحسن ورملة الكبرى .

وكان له بنات من أمهات شتّى لم يسمّ لنا أسماء أمهاتهنّ؛ منهنّ أم هانىء ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وأمّ كلثوم الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ، وأمّ الكرام ، وأمّ سلمة ، وأمّ جعفر ، وجُمانة ، ونفيسة بنات عليّ عليه السلام؛ أمهاتهنّ أمهات أولادٍ شتى .

وتزوّج محيّاة بنة امرىء القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم من كلب ، فولدتْ له جارية ، هلكتْ وهي صغيرة . قال الواقديّ : كانت تخرج إلى المسجد وهي جارية فيقال لها : مَن أخوالُكِ؟ فتقول : وه ، وه (تعني : كَلْباً) .

فجميـع ولـدِ علـيّ لصلبـه أربعـة عشـر ذَكَـراً ، وسبـعَ عشـرةَ امـرأة . (٥ : ١٥٣/ ١٥٤/ ١٥٥) .

ذكـــر وُلاتـــه

٢٨٧ ـ وكان واليه على البَصرة في هذه السنة عبدُ الله بن العباس ، وقد ذكرْنا اختلافَ المختلِفين في ذلك ، وإليه كانت الصَّدَقات والجند والمعاون أيّام ولايته كلّها ، وكان يستخلف بها إذا شخص عنها على ما قد بيّنْتُ قبلُ .

وكان على قضائها من قِبَل عليّ أبو الأسود الدؤليّ[١] ، وقد ذكرت ما كان من توليته زياداً عليها ، ثم إشخاصه إياه إلى فارسَ لحربها وخَراجِها ، فقتل وهو بفارسَ ، وعلى ما كان وجّهه عليه .

---

(١) وكذلك قال خليفة بن خياط : ولى ابن عباس في خلافة علي أبا الأسود الدؤلي اليمن وعليها عبيد الله بن عباس (تأريخ خليفة/ ٢٠٠) .

وكان عامله على البحرين وما يليها واليَمَن ومخاليفِها عُبيد اللهِ بن العباس ، حتى كان من أمره وأمر بُسر بن أبي أرطاةَ ما قد مضى ذكرُه .

وكان عامله على الطائف ومكّة وما اتصل بذلك قُثَم بن العباس .

وكان عامله على المدينة أبو أيّوب الأنصاريّ ، وقيل : سهل بن حُنيف ، حتى كان من أمره عند قدوم بُسْر ما قد ذُكِر قبل[١] . (٥ : ١٥٥/١٥٦)

ذكر بيعة الحسن بن علي

٢٨٨ - وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء؛ حدّثني بذلك موسى بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أخبرنا إسماعيل بن راشد - وكان قبل يدعَى بالشأم أميراً -[٢] . (٥ : ١٦١) .

٢٨٩ - وحدثت عن أبي مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : كان عليّ عليه السلام يُدعَى بالعراق أميرَ المؤمنين ، وكان معاوية يدعَى بالشام : الأمير ، فلما قُتل عليّ عليه السلام دُعِيَ معاوية : أمير المؤمنين[٣] . (٥ : ١٦١)

* * *

---

(١) صحيح .

(٢) في إسناده إسماعيل بن راشد مجهول ولمتنه ما يشهد له .

(٣) إسناده ضعيف ومتنه صحيح كما ذكرنا في قصة التحكيم ووقعة صفين فليراجع .

فهرس الموضوعات